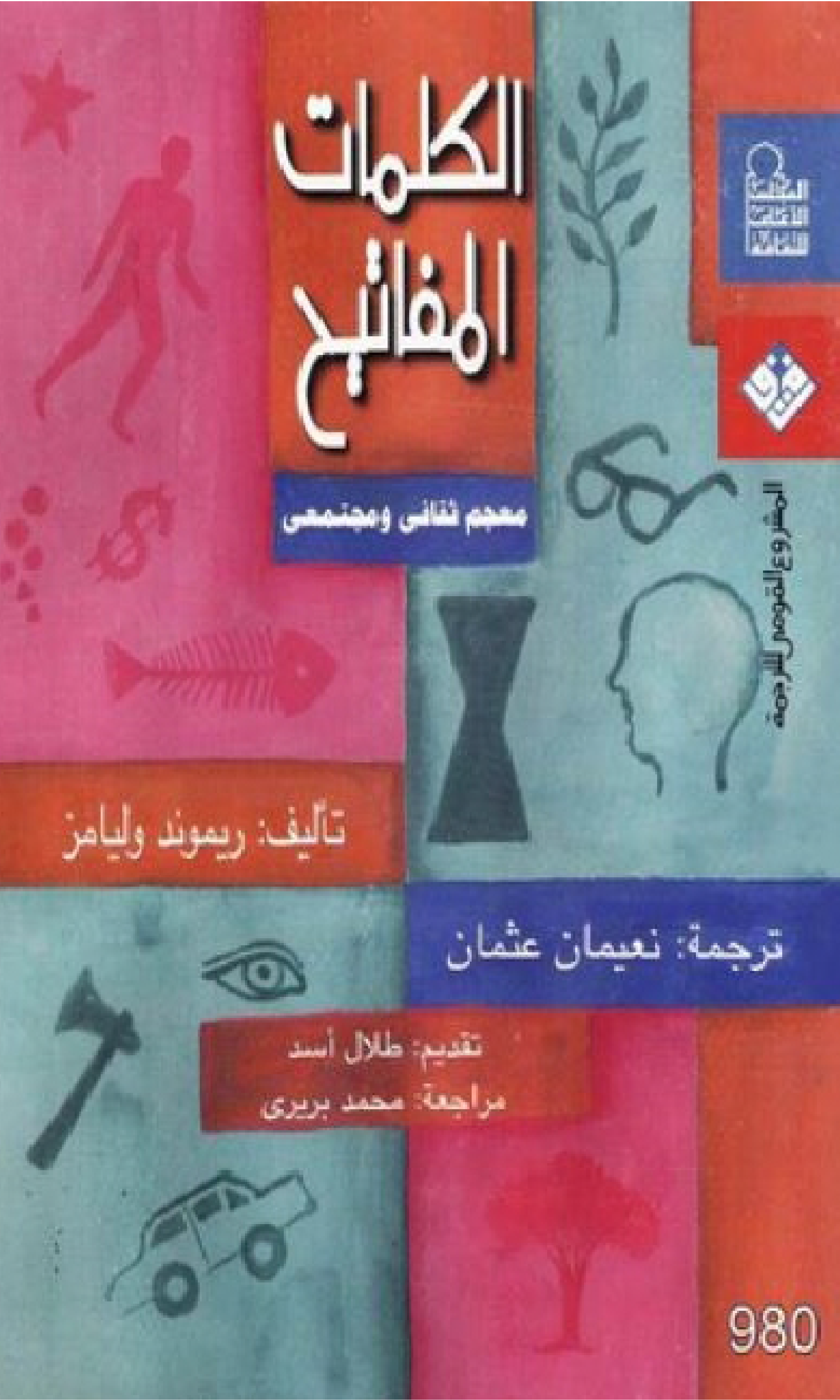

الكلمات
المفاتيح
معجم ثقافي ومجتمعي
المشروع القومي للترجمة
تأليف: ريموند وليامز
ترجمة: نعيمان عثمان
تقديم: طلال أسد
مراجعة: محمد بريري
980

المشروع القومى للترجمة
إشراف: جابر عصفور

- العدد: ٩٨٠
- الكلمات المفاتيح ( معجم ثقافى ومجتمعى )
- ريموند وليامز
- نعيمان عثمان
- محمد بريرى
- طلال أسد
- الطبعة الأولى ٢٠٠٥

هذه ترجمة كتاب:

Keywords :
A Vocabulary of culture and Society
By : Raymond Williams
Originally Published in English by HarperCollins
Publishers Ltd under the title Keywords



شارع الجبلاية بالأوبرا - الجزيرة - القاهرة ت: ٧٣٥٢٣٩٦ فاكس: ٧٣٥٨٠٨٤
EL Gabalaya st. Opera House, El Gezira, Cairo
TEL: 7352396 Fax: 7358084

تهدف إصدارات المشروع القومى للترجمة إلى تقديم مختلف الاتجاهات والمذاهب الفكرية للقارئ العربى وتعريفه بها ، والأفكار التى تتضمنها هى اجتهادات أصحابها فى ثقافاتهم ولا تعبر بالضرورة عن رأى المجلس الأعلى للثقافة.

# المحتويات

## إيضاحات:

استعملت هذه الإختصارات فى النص:

ام : انظر المادة
اق : لغة إنجليزية قديمة
امم : انظر المواد
س ب : سابقة بعيدة للكلمة
س ق : سابقة قريبة للكلمة
ف : لغة فرنسية
ق : قرن
قروسطى : قرون وسطى
ل : لغة لاتينية
م ق : منتصف القرن

مصدر الاقتباسات التى تظهر فى النص متبوعة باسم وتاريخ أو بتاريخ فقط هو قاموس أكسفورد المعروف OED. أما الاقتباسات الأخرى فإنها تتبع بإشارة إلى مراجعها؛ والإحالات إلى المصادر الثانوية مرتبة حسب اسم المؤلف كما هو مسجل فى قائمة المراجع والببليوجرافيا المختارة.

# تقديم

يمكن المجادلة بأن كتاب "الكلمات المفاتيح"، الذى صدر للمرة الأولى فى ١٩٧٩، هو أكثر مؤلفات الناقد الثقافى الشهير ريموند وليامز صمودا فى استمرار تأثيره. فرغم مرور ثلاثين عاما على نشر مراجعاته التاريخية القصيرة لمفردات تعتبر الآن محورية بالنسبة للخطاب العام فى عالم الناطقين بالانجليزية الا أنها لا تزال تستحق القراءة بتمعن. حتى يومنا هذا كثيرا ما يقرر هذا الكتاب ضمن مواد الدراسة للطلاب الجامعات. يكتسب قارىء كل مواد الكتاب وعيا عميقا بالكيفية التى تعبرّ بها اللغة المتطورة عن الحياة الاجتماعية الحديثة.

يستحق الدكتور نعيمان عثمان التهنئة على إتاحة الكتاب للقراء العرب فى هذه الترجمة الممتازة. هناك أمل بأن هذا سيزيد من وعيهم أكثر من أى وقت مضى بالصلات المعقدة بين اللغة والحياة الحديثة، وسيزيد من احساسهم بالطبيعة الخلافية للأفكار العامة فى الحداثة. ربما يؤدى ذلك فى النهاية الى القيام بجهد مماثل عن تطور "كلمات مفاتيح" فى اللغة العربية نفسها ولها. لابد وأن يكون مشروع من هذا القبيل أكثر من مجرد تاريخ للكلمات اذ يتوجب أن يكون أيضا تاريخا للمفاهيم المركزية وللحياة السياسية والأخلاقية والاقتصادية التى تنظمها جزئيا هذه المفاهيم وتمثل فيها.

يتحدث ريموند وليامز فى مقدمته عن استحالة القيام بعمله هذا لولا توفر قاموس أكسفورد ***New English Dictionary on Historical Principles*** المعروف

بحروف كلماته الأول .O.E.D . هذا القاموس متعـدد المجلـدات، الـذى يرصـد الاستعمالات العامة للكلمات فى تسلسل تاريخى معززة باقتباسـات مـن مصـادر مكتوبة، ليس هو بالتأكيد الصورة التامة للطريقة التى تطورت بها اللغة. فى أيـة لغة ثرية لاتغيب عن أذهان المصنفين تنوعات أخرى كثيرة فحسب وانمـا كـذلك بالضرورة لن يحظى جانب الكلام المحكى بتمثيل مناسب فى قاموس يكاد يكـون اعتماده كليا على مصادر أدبية. مع ذلك فإن قاموس أكسفورد منطلق لاغنى عنـه لفهم الطبيعة التاريخية للغة الانجليزية، وبالتالى الطبيعة التاريخيـة لكـل الحيـاة الاجتماعية التى ندركها ونحياها فى تلك اللغة.. انه لمبعث للحسـرة أن لا يكـون لدينا قاموس كهذا للعربية الحديثة. لا شك أن قاموسا عربيا يرتكـز علـى قواعـد تاريخية هو أمر جوهرى لتتبع كثير من التحولات الأساسية فى حياتنا و تفكيرنـا الجمعيين: تغييرات بنيوية فى الطرق التى نتفاعل فيها مع بعضـنا ومـع أنفسـنا. يتوجب على من يكون لديه اهتمام بمسائل تاريخية مثل هذه أن يبدأ بـالعودة إلـى سلسة متعاقبة من القواميس - على سبيل المثال، لسان العرب وتـاج العـروس - التى تشكل نقطة انطلاق للتحرى، فما من خبير هناك يعول عليـه فـى معرفـة الاستعمالات اللغوية الدقيقة عبر عدة قرون. من الطبيعى أن القواميس الكلاسـيكية اعتبرت فى المقام الأول معيارية لا وصفية، أى أنها اعتبـرت السـلطة النهائيـة للاستعمال "الصحيح". لكن بالنسبة للبحث التاريخى عن تحول المجتمع والسياسـة فان هذا الزعم نفسه هو حقيقة اجتماعية وصفية، والثبات اللغوى الذى تفترضه هو نفسه موضع شك. بشكل أساسى يعتمد كتاب ريموند وليامز الرائع علـى قـاموس أكسفورد لكنه لا يقف عنده. انه يسعى الى وصف السياق الذى تتشكل فيه الكلمات، رغم أن المرء يتمنى أحيانا لو تسنى له أن يتوسع أكثر فى ذلك. لا شك أن كل من اشتغل بهذه المسائل يعرف حق المعرفة أن "الكلمات" ترتبط بكل من "المفـاهيم" و "الأشياء"، لكن هذه ليست البتة علاقة بسيطة: كلمة مقابل "مفهوم" أو مقابل "شيء". علاوة على ذلك، ترتبط الكلمات بعضها ببعض فى شبكة من المعـانى. تسـتدعى الضرورة سك كلمات جديدة أو استعارتها للتعامل مع صيغة حياة جديدة بينما فـى المقابل تفقد كلمات قديمة معانيها. و يجعل هذا كتابة المواد أمرا صعبا لأن المرء

يحتاج معرفة نوعية العلاقات بين الكلمات والمفاهيم وصيغ الحياة. كان وليامز دونما شك على وعى بهذا التعقيد لكنه لم يفسح المجال كثيرا لنفسه ليتسنى له استكشاف العلاقات بشكل تام. بالمقارنة مع تصنيف أخر هو التاريخ المفاهيمى الألمانى المعنون: *Geschtliche Grundbegriffe. Historisches Lexikon zur Politisch-sozialen Sprache in Deutschland*

"مفاهيم أساسية فى التاريخ" قاموس يعتمد على المبادئ التاريخية للغة الاجتماعية والسياسية فى ألمانيا) فإن مجاله يبدو محدودا. على سبيل المثال، بينما نجد عند وليامز صفحة واحدة عن "Anarchism الفوضوية" فان القاموس الألمانى يخصص ستين صفحة لهذه المادة. بالطبع القاموس الأخير يتكون من ستة مجلدات وشارك فى كتابته فريق من الباحثين ( صدر المجلد الأول فى ١٩٧١). بالرغم من عنوانه فانه لا يقتصر على الاستعمال فى الألمانية بل يشمل لغات أخرى وفترات تسبق العصر الحديث. و يسعى هذا القاموس بطريقة منهجية الى ربط تاريخ المفاهيم بالتاريخ الاجتماعى. لكننا عندما نتذكر أن " الكلمات المفتاحية" هو جهد مؤلف واحد و نتاج سنين عديدة من التجميع الصبور وتسجيل الملاحظات بطول أناة فان الكتاب لا بد وأن ينال منا كل الاعجاب.

بخلاف مسألة طول أو قصر المواد هناك السؤال المهم عن الكلمات التى اختيرت على أنها مركزية والأسباب وراء ذلك. فى " الكلمات المفتاحية" لا تشير المواد الى الطريقة التى نعيش بها و كيف نتجادل حولها فحسب، بل تنبئنا أيضا عن ما يعتبره المؤلف هاما. لذا لا تحظى لا الكلمة "دين" و لا "علمانية" بأى اهتمام. بالنسبة لويليامز، لا أهمية لأى منهما فى الحياة الحديثة، فلأولى تدل على طريقة حياة تسبق العصر الحديث (حسب الفرضية العلمانية، لابد وأن يذوى الدين كلما تطور المجتمع) والأخرى ، لذات السبب المذكور توا، لأنها الأساس الفعلى للحياة الحديثة. لست من هذا الرأى. لكن حتى لو افترضنا صحته فانى أعتقد بأنه من الأهمية بمكان التعمق فى الكلمات الموجودة فعلا ولكن مع ذلك تعتبر مهجورة،

أو تلك التى درجنا عليها وأصبح مسلما بها لدرجة أنها لا تلاحظ بسهولة فى حياتنا الاجتماعية.

للسبب ذاته أعتقد أن مدخل وليامز عن "Tradition تقاليد(تـراث)"** لـيس مرضيا. يميل الكاتب الى اعتبار التقاليد "زعما باستمرارية القديم" و "عملية انتقـاء من الماضى" تخفى الآساس الذى بنى عليه هذا الانتقاء. بعبـارة أخـرى، تعتبـر "التقاليد" وسيلة للاحتفاظ بهيمنة الطبقة الحاكمة. لكن حتى فـى عـالم النـاطقين بالإنجليزية ثمة كتابات كثيرة عن "التقاليد" فيها مراجعة لأشياء مثـل "الـزمن" و "التجسّد" و "السلطة". أشير هنا الى كتاب مثل حنا أرندت و مايكـل أوكشـوت و ألاسدير ماكنتاير. ليس غرضى هنا القول إن كل ما كتبه هؤلاء الأشخاص يتفـوق على آراء وليامز. ما أقوله ببساطة هو أن مفهوم "تقاليد"، وليس مجـرد الفحـوى الامبيريقية لتقاليد معينة، هو موضوع خلافات معقدة حول جوانب مـن المجتمـع والثقافة الحديثتين، وليس ثمة حس كاف بذلك فى هذا المدخل من الكتاب. فبـالرغم من أنه تحت غطاء "احترام التقاليد" كثيرا ما استعملت أفكار "الاستمرار التـاريخى" و "الاستقرار(التاريخى)" كوسيلة لاضفاء الشرعية على حكم غير عادل، فانه على نفس الدرجة من الصحة كثيرا ما استخدمت بنفس الطريقة أفكار حول "القطيعة مع الماضى" و "التغيير الجذرى". ان "التقاليد" مفهوم معقد له تاريخ معقد ولـيس لـه مقابل عربى بسيط. تعبر عن هذا التعقيد ملاحظة ليدفج فتنجشتين: "ليست التقاليـد شيئا يمكن للمرء تعلمه، وليست خيطا يمكن التقاطه متى شـاء، تمامـا مثلمـا لا يستطيع اختيار أسلافه. من يفتقد التقاليد ويود الحصول عليها لا يشـبه إلا رجـلاً غير سعيد فى حبه".

فى النهاية يجب القول بوضوح تام إن كتاب ريمونـد وليـامز " الكلمـات المفتاحية" إنجاز لافت، ولا يستطيع أى فرد يسعى الى فهم العالم الحديث الاستغناء عن فهم تام لما يحاول الكاتب ايضاحه. فالتغيرات فـى مفرداتنـا الاجتماعيـة – والظروف الاقتصادية و السياسية و الاجتماعية المتبدلة التـى تنـدمج فيهـا تلـك المفردات – تفتح احتمالات جديدة أمامنا وتستبعد طرق التفكير والحياة القـديمتين.

يبقى السؤال: ماذا يمكن أن يفيدنا تطور "الكلمات العربية المفاتيح" التى نستعملها فى عالمنا عن الحدود وحياتنا الجمعية و فرصها؟ بماذا يبوح كتاب مثل هذا عن العالم الذى فقدناه والعالم الذى كسبناه الآن؟ ذلك هو ما أرجو أن يكون مشروع الدكتور نعيمان عثمان القادم.

---

* الدكتور طلال أسد هو أستاذ مبرز Distinguished Professor للأنثربولوجيا فى مركز الدراسات العليا فى جامعة مدينة نيويورك وله باع طويل فى مجالى التنظير السياسى والدينى. وأحدث كتابين له هما:
* *Genelogies of Religion* الذى أصدرته جامعة جونز هوبكنز، ١٩٩٣ .
* *Formation of the Secular* الذى أصدرته جامعة ستانفورد، ٢٠٠٣ .

وقد ترجم الكتابان، إلى عدة لغات آخرها اليابانية.

**يعترض الدكتور طلال أسد على استعمال كلمة "تراث" مقابل "tradition" ويرى أن المقابل المتاح وليس الأفضل هو "تقاليد". لذا يجب أخذ هذا التحفظ المهم فى الاعتبار كلما وردت كلمة "tradition" فى هذا الكتاب، و بالذات فى المادة المخصصة لهذا المصطلح التى أبقت على كلمة "تراث" واسعة الانتشار.

طلال أسد

# مقدمة المترجم

ليس لريموند وليامز حضور فى الثقافة العربية يوازى أو حتى يقترب من الأسماء التى لمعت مثل بارت أو فوكو ودريدا فى فرنسا والى حد أقل بول دى مان وستانلى فش فى أمريكا ولم يترجم له حسب علمى إلا كتابان من كتبه التى فاقت العشرين: أحدهما *The Politics of Modernism* طرائق الحداثة [1] تجميع لمقالات نشرت معا بعد وفاته والآخر- كما يشير غلاف الكتاب المترجم- "الدراما من إبسن إلى برخت". نشر له بعد وفاته كتابان آخران سوى الطرائق الذى يحوى مقالات مهمة إلا أن قارئه العربى لن يفتقد فقط عظم تأثير وليامز ولكن سيعتبره، كما يذكر التعريف بالمؤلف، مجرد "أحد أهم النقاد الإنجليز المعاصرين "مختصرا نشاطه فى "أستاذ للدراما بجامعة كمبردج حتى تقاعده فى ١٩٨٣". دور وليامز كان حاسما فى مجالات مختلفة من الكتابة والتنظير إلى جانب العمل السياسى وتجاوز الحدود الضيقة لبعض المعارف إذ أنه من أهم مؤسسى ما يعرف الآن بـ "الدراسات الثقافية" التى لها صلات بكل الحركات الفكرية التى اكتسحت أوربا وأمريكا من بنيوية وتفكيكية وسيميائية ونسيوية ودراسات المهمشين والتابعين والثقافة الشعبية والإعلام والإيكولوجيا. كذلك كان لوليامز دور سياسى واجتماعى أساسى فى صياغة بيانات سياسية وفى إصدار المجلة التى لاتزال مؤثرة *The New Left Review*. أما فى مجالات المعرفة فقد شملت اهتماماته بالإضافة إلى الأدب والمسرح علوم الاجتماع والاقتصاد والفلسفة والتاريخ والإعلام والتعليم. لذا ليس بالمستغرب أن يرتبط اسمه حسب الاهتمام بكل من هوجارت و تومبسون وإريك

هوبسبوم – وفى مرحلة لاحقة – إدوارد سعيد كزملاء ورفاق كما يرتبط بستيوارت هول وريشارد جونسون و بمدرسة فرانكفورت النقدية وببارت وبورديو ومارشال مكلوهان وفريدريك جيمسون وربما روبرت ميرتون.

حظيت اللغة فى الدراسات الحديثة بالإهتمام الأكبر، وما مقولة فتجشتين بأن حدود اللغة هى حدود العالم إلا تبيانا لمدى هذه الأهمية وكان لوليامز- فى تمييز له عن اللسانيين- اهتمام خاص بدور اللغة فى الثقافة والمجتمع إلا أنه اختلف جذريا عن المقولة السائدة عن تدهور اللغة والشكوى الدائبة من ذلك والقاء اللائمة على تدهور القيم والأخلاق. ما يفعله هو نظرة جذرية للتفاعل بين الكلمات والمجتمع والدور الفعال – وليس فقط المنفعل- للكلمات. فى مقدمته لهذا الكتاب يذكر بداية اهتمامه بذلك ويفند دور كلمات معينة تستعمل فى النقاش العام لكنها قد تحجب أكثر مما توضح وجهات النظر ويذهب إلى ما هو أبعد من ذلك متجاوزا مقولات مثل شكوى أورويل من انحدار أو انحطاط اللغة وفقدان الكلمات لمعانيها الراقية أو حتى مقالة فاتسلاف هافل التى سبق وأن قمت بترجمتها إلى العربية عن تلوث بعض الكلمات مثل "اشتراكية" بل حتى "سلام"[٢].

قد يستولى على البعض ولع بالكلمات ومن ثم حرص على معرفة أصولها وقد يجدون ضالتهم فى قواميس تعريف وتحديد الكلمات وتقصى أصولها لكن ليس هذا ما يسعى إليه وليامز. هو أقرب إلى سوسيولوجيا علم المعانى الذى استحوذ على روبرت ميرتون وإلى رولان بارت فى قوله عن كلمات القاموس: "كل كلمة فى القاموس عبارة عن سفينة فضائية: تبدو أنها مغلقة على نفسها محكمة جيدا فى سدتها لكنها تصبح بسهولة بالغة نقطة انطلاق، تهرب نحو كلمات أخرى وصور أخرى ورغبات أخرى"[٣]. كما أن القاموس يسعى إلى تقييد الكلمات فإن السوسيولوجى المهتم يسير فى الطريق المخالف نحو معرفة وتقصى تلك الجهات التى "تهرب" إليها الكلمات وكيفية الهروب. لكن نقطة الانطلاق دائما هى القاموس.

فى إحدى المصادفات السارة المفاجئة – السرينديبية serendipity – يكتشف روبرت ميرتون هذه الكلمة (serendipity) فى قاموس أكسفورد الضخم الكامل

الذى كان أول استثمار معرفى له. نفس حب الاستطلاع قاد وليامز إلى الولع والتعلق بنفس القاموس وفى المقدمة التالية نجد مدى ارتباطه به. لكن رغم عظمه وعظمته فلم يكن بالنسبة له إلا نقطة انطلاق بل حتى مجال دراسة ونقد لدوره عبر الكلمات فى إعطاء صورة معينة للواقع الفكرى والاجتماعى والسياسى. تأتى كل كلمة محملة بمعان وتضمينات واشارات يقوم محررو القاموس بتوكيد بعضها على حساب البقية. يضع وليامز هذا نصب عينيه بدءا باختيار الكلمات إلى اعترافه بالمشكلات الأساسية التى تكمن فى الكتابة عن أية مفردة، إلا أنه يميز بين كتابه هذا والقاموس المعتاد الذى يصعب فى العادة إدخال تعديلات على مواده فى مدة قصيرة لكنه لا يتستر خلف الاكليشهات المعتادة عن قصور المؤلف والاعتذار عن أخطاء وتحريفات محتملة ولكن يضع فى صلب المشروع أهمية النقاش والجدل فى مقالاته وتعليقاته.

كلمتان أساسيتان بالنسبة لوليامز: النقاش العام. أحد أهم دوافعه لتأليف هذا الكتاب هو الإسهام فى تحليل كلمات أساسية يستخدمها الناس فى نقاشهم العام وفى هذا المجهود التعليمى الذى يسعى إلى زيادة رأس المال الثقافى- مثله فى ذلك مثل بورديو- ليكسر حاجز الخاصة ويصل إلى الجمهور الأوسع. يهدف هذا الاشتراك الواعى فى النقاش إلى تغيير فى المجتمع ومكوناته وتطلعاته. لكن من نشأة وليامز وبيرديو فى الريف وانتقالهما جغرافيا ومهنيا إلى مراكز سياسية وفكرية دور فى هذا الحماس الرسولى الذى ينطبع به عملهما.

الثقافة: هذه الكلمة التى انطلق منها وليامز هى إحدى الكلمات التى لاتزال محور النقاش الفكرى، وما اختيار تيرى إيجلتون لها كإحدى الأفكار الثمانية الكبرى المعاصرة لمجلة ***New Statesman*** [٤] إلا تأكيدا على أن الكتاب – رغم مرور سنوات على تأليفه- لايزال يناقش قضايا جوهرية. كذلك بما أن غرض الكتاب الأساسى ليس تعريف الكلمات ولا البحث فى أصولها فإن دوره لايزال حيويا يؤكده رجوع كثير من المؤلفين إليه ويبينه الحضور المكثف لمفردات منه على الانترنت( بحث عن طريق جوجل تحت كلمتى ثقافة وويليمز، مثلا، ينتج ما

يفوق ثلاثين ألف مادة بعضها متكرر لكن عددا وافرا منها مقـررات جامعيـة). كذلك يؤدى البحث عن اسم الكتاب إلى مجلة هامة مرتبطة بجمعية ريموند وليـامز اسمها Key Words.

قد يجد البعض ممن تعودوا على "ثبات" كلمات معينة ومركزيتهـا وبقائهـا الأبدى كثيرا من الغرابة فى إبعاد كلمة هامة REALISM واقعية من دليل واسـع الانتشار مثل " *Critical Terms for Literary Studies* مصطلحات نقديـة للدراسـات الأدبية" [٥] لتأثرها بشكوك ما بعد الحداثة فى أية مزاعم لتمثيل الواقع. مقابل هـذا نجد روبرت سكولز يتبنى مصطلح "SEMIOTICS سيميوطيقيا"- مستندا على أسـس أوربية مشابهة- لبرنامجه الأكاديمي الحديث فى جامعـة بـراون الأمريكيـة لأن الكلمة لم تحمل أى معنى بعد. يتذكر سكولز ذلك: "كانت دالا شبه غفل"[٦].

ينصب الاهتمام الكبير لدينا على المصطلحات المتخصصة فـى المجـالات العلمية والمعرفية وظهرت كتب كثيرة فى العربية اعتمدت إما الترجمة والتعريـب أو التأليف، طغت فيها المصطلحات الأدبية أو تلك التى ارتبطت بمدارس فكريـة حديثة. قد تكون هناك اعتراضات أو تحفظات على انتزاع مصطلحات من سـياقها وإقحامها فى ثقافة تنقصها مقومات المعرفة الأساسية، مما يضفى علـى الكتابـة والنقاش صفة السحر والتمويه وليس مجرد الحجب والتوكيد التى خشـيها وليـامز بالنسبة لمجتمعه، وفى كثير من الأحوال تفقد الكلمات المنتزعـة بهـذه الطريقـة النشاط الفكرى الذى يحورها ويعدلها وربما يسقطها لكن فى سـياقها الجديـد قـد تتحجر وربما "تتقدس". ما يفعله فى هذا الكتاب هو اختيار كلمات أساسية يستعملها الناس فى نقاشهم العام: كلمات ليست متخصصة ولكنها عميقة ومتشعبة، كلمات فى مجال الاستعمال العام لكنها نفسها فعالة.

قد تكون الكلمات العامة أهم عامل فى النقاش العام فى الوضع الحاضر. فى الوقت الذى يتحدث فيه وليامز مجازيا بعد رجوعه من الحرب بأن "هـذه ليسـت لغتنا" فإننا غرباء تماما ليس فقط بسبب اللغة والكلمات الأجنبية وليس لأنه جـرى عليها تحويل وتبديل فى نطاقها الأصلى وإنما لأنها تأتى مثقلة بتراكمات متنوعـة.

قد يكون من الضرورى إيلاء كلمات وعبارات فكرية أو أدبية مثل تلك التى تمتلىء بها الأدلة الأدبية أهمية مستحقة لكن يبقى أثرها محدودا وقد تكون مخلة أو نخبوية كما هى فى لغاتها الأصلية وتأتى فى الغالب على حساب كلمات تبرز فى كل الأحاديث العامة لكن دون سند مفهومى يجعل استعمالها فعالا فى النقاش العام. أضرب مثالا من مقالة فى صحيفة فى متناول الجميع يذكر فيها محمد عابد الجابرى كلمة تشغل الرأى العام: الإصلاح.

فى مقالة ضمن مقالات هى أقرب إلى البحوث منها إلى كتابات صحفية بعنوان "مفهوم الإصلاح" (٧) يراجع الجابرى كلمة الإصلاح فى الثقافة العربية ويقارنها بمقابلتها الأوروبية ومرجعيتها اليونانية ويتساءل عن عدم وجود تعريف إيجابى للكلمة فى اللغة العربية. وبعد تفكيك الكلمة اللاتينية الأصل إلى "إعادة تشكيل" يرجح أن الكلمة العربية "إصلاح" يقابلها فى الإنجليزية ليس reform ولكن repair إصلاح العطل الذى يحدث لآلة، سيارة فى مثاله. لا تسند هذا التحليل العودة إلى المراجع الإنجليزية وربما تبين عدم دقته. مع ذلك فمن المفيد جدا مطالعة المادة المختصرة فى هذا الكتاب عن REFORM : " تغيير شىء الى الأفضل، وهو مرتبط ارتباطا وثيقا بفكرة استرجاع حالة سابقة أقل فسادا"، و هو ما يؤكد إلى حد ما قول الجابرى عن معنى الكلمة السلبى كمقابل لفساد، لكن هذا المعنى الإنجليزى كان معنى مبكرا. وافق كلام الجابرى رأى ولى عهد دبى الذى قال فى ندوة فى عمان بشأن المطالبة (الخارجية؟) بالإصلاح: "هل لدينا شىء مكسور حتى يصلح؟". هذه كلمة واحدة وهناك كلمات أخرى يتم تداولها على مستويات متفاوتة من الخلل والتوتر: ديمقراطية، مجتمع مدنى، حداثة، علمانية، حضارة، تراث وبالطبع ثقافة والكلمات المتفرعة منها مثل تنوع ثقافى و دراسات ثقافية.

تطغى كلمات معينة فى "النقاش العام" فى فترات معينة، وكان ذلك يقتصر فى الماضى على إما مجال معين أو مجتمع معين لكن فى ظل تداخل المعارف والعولمة انتشر كثير من المفردات انتشارا أسهم فى إثراء – وتشويش- النقاشات

المحلية السائدة. بعض هذه الكلمات العامة يفقد تأثيره وبريقه مثل "paradigm"، نموذج أو إمام كما يترجمها جاك بيرك، التى سكها توماس كوهن، أو تخضع لشكوك كما رأينا بالنسبة لـ REALISM وقد تحدث ردة فعل ضد بعض الكلمات التى تعرف ب "الميتات metas، ما وراء" أو "البوستات posts ، ما بعد" أو "رطانة التنظير theorese". هكذا نجد أنفسنا مضطرين فى أحايين كثيرة إلى وضع بعض هذه الكلمات بين مزدوجين مثل "ثقافة" الكلمة الأولى التى تتبع وليامز تقلباتها وكذلك كلمة "حداثة" التى أولاها اهتماما كبيرا لكنها كانت بالنسبة لفريدريك جيمسون كلمته الأولى: " باختصار لنقل إن هذا سيكون تحليلا شكلانيا لاستعمالات الكلمة "modernity" ينفى كل افتراض بوجود معنى صحيح للكلمة يمكن اكتشافه وتصوره وتبنيه". حسب كريستوفر بندرجراست، "يذكرنا هذا بمحاولة ريموند وليامز- فى كتابه *Keywords* الذى يضم مادة "modern" حديث- دراسة التاريخ الثقافى والإجتماعى عن طريق علم المعانى التاريخى"(٨). كانت كل من هاتين الكلمتين جزءا من ثنائى: حداثة/تقليد أو تراث وثقافة/مجتمع. الثنائى الأول عام لكن الثانى طوره وليامز بشكل موسع. كثير من الثنائيات تكون متقابلة أو متعارضة أو متداخلة لكنها تشكل محاور أساسية للنقاش العام المستمر: ثقافة/طبيعة، تقدم/محافظة أو رجعية، ذاتى/موضوعى. قد تكون دراسة الثنائيات معا مفيدة كما هو فى حالة "action/reaction فعل/ رد فعل" واسعة الانتشار. فى مراجعة لكتاب جين ستاروبنسكى "حياة ومغامرات زوج: فعل/ رد فعل" تشير إميلى جروشولز إلى أن هاتين الكلمتين اللتين تستعملان اليوم وكأنهما متلازمتان لم تكونا أبدا كذلك، وبأسلوب مشابه لأسلوب وليامز يتتبع ستاروبنسكى الكلمتين من العصور القديمة وعبر عدة علوم: من أصليهما المختلفين نجد عدم مساواة الاثنين. فى الكيمياء نجد "reaction تفاعل" تعنى عملية كيميائية لها بداية ونهاية؛ وفى الفيزياء النيوتونية "المساواة بين الفعل وردة الفعل"؛ وفى علم النفس الفرويدى كانت "reaction" أساسية. أما بلزاك فاستعمل الفعل "to react" و الإسم "reaction" وكلمات أخرى ليظهر "مفعول الحداثة" فى الرواية؛ ثم استعملت "reaction" فى الخطاب السياسى بمعنى "معارضة الإيمان بحرية الفرد وكرامته" و "معارضة التقدمية

progressivism، لكنه يعود فى النهاية، بطريقة تبين مسار الكلمة الملتوى، إلى الجزم بأن عمله كمؤرخ 'reactionary' رجعى بمعنى العودة إلى الماضى(٩).

يوسّع ريموند وليامز أكثر من "الثنائيات" ويفضل دراسة الكلمات ضمن "مجموعات" أو كما يسميها "عناقيد" وذلك لترابطها الشديد، و يؤثر ترتيب مواد الكتاب بهذه الطريقة، لولا المشاكل التى تنجم عن ذلك. بالنسبة له كانت "ثقافة ومجتمع" و "ريف وحاضرة" عنوانين لإثنين من أهم كتبه، لكنه قدر أهمية الصلة بين كلمات "مترابطة جوهريا" مثل أدب وفن وواقعية. مجموعة أخرى قد لاتكون بنفس الوضوح لكن بينها ترابطًا كبيرًا: عائلة وجماعة ومجتمع وطبقة وديمقراطية. فى هذه التجمعات تعقيد كبير الا أن بعض مفردات الكتاب التى قد تبدو معروفة هى من أكثر الكلمات تعقيدا. يشير وليامز فى مقدمته إلى صعوبة "COMMUNITY جماعة"، لكن يمكن إضافة"FAMILY عائلة" أو "STRUCTURE بنية" إلى قائمة الكلمات الصعبة والتى تشكل الأساس لكلمات أخرى.

تعرض وليامز لنقد من كل من اليمين (وصفته مجلة *Foreign Affairs* – خريف ١٩٨٤ – بأنه أحد أهم مفكرى بريطانيا الراديكاليين إثارة، وهاجمته مجلة *New Criterion* – فى عدد صيف ٢٠٠٣ فى موقعهاعلى الإنترنت وقبل ذلك فى عدد فبراير، ١٩٩٠ – هجوما كاسحا ومتجنيا) ومن اليسار حيث انتقد نقدا شديدا لرفضه الربط الماركسى بين "القاعدة" و "البنية الفوقية"، وكذلك تعرض مفهومه الأساسى "المادية الثقافية" لبعض النقد. أما بالنسبة لكلمته الأولى "الثقافة" فقد اتهم بالعودة إلى مفهوم الكلمة النخبوى كما هو لدى ماثيو آرنولد و ت إس إليوت.

يمكن للقارىء ملاحظة تفاوت مستوى المواد فالقليل لايرقى إلى مستوى الأغلبية. كما يجب التنبه إلى أن بعض الكلمات أثرت وتأثرت بدون شك منذ صدور الكتاب، آخذين فى الاعتبار انخراط ثقافات كثيرة فى هذا النقاش وهذه الكلمات، وليس فقط فى بريطانيا أو الغرب. كلمات أخرى كثيرة استجدت ولابد أن تدخل فى هذا النقاش وتكون هى بدورها ثنائياتها وعناقيدها.

كتب وليامز كتابه للمتعلم غير المتخصص لكن من يسعى ليعرف أكثر مما تحويه القواميس المعرفة أو المسارد. أما بالنسبة للقارىء العربى – الذى تزيد فائدته لو كان ملما بمبادىء اللغة الإنجليزية – فإن الكتاب يوفر له بعض الأسس للإسهام فى النقاش العام الذى عادة ما يفتقد إلى معرفة ولو بسيطة بالمفردات أو – وهذا هو الأسوأ والأكثر شيوعا– يعطى بعض الكلمات رسوخا وثباتا ومن ثم تقديسا. فى لحظة سيرنديبية (؟) وقعت على قصاصة قديمة إلى حد ما من جريدة الأهرام فيها تعريف لكلمة Mass(es) (هكذا) بدأ بالاشارة إلى أن هذا "المصطلح نشأ فى اللاهوت المسيحى (والصلاة المسيحية) حيث يعنى ‘القداس‘ والاحتفال بالقربان المقدس مع احتشاد ‘ الشعب‘ فى كتلة واحدة!" بالعودة إلى أصل الكلمة تتضح عدم الدقة الاتيمولوجية و تزاح عن الكلمة "القداسة". و يورد لوليامز فى هذا السياق ملاحظة ثاقبة ودالة: "فى الحقيقة لاتوجد هناك جماهير masses؛ هناك فقط طرق للنظر إلى الناس على أنهم جماهير." يكتمل طموح الكتاب وترجمته لو كان للمفردات هنا دور أساسى فى النقاش العام، حول "الإصلاح" مثلا، من قبل "الجماهير" عن طريق ادراك للمفاهيم الأساسية ووعى بتقلب الكلمات مما يمكننا من القول بأننا نتكلم نفس "اللغة".

## الهوامش

(١) طرائق الحداثة، ترجمة فاروق عبد القادر، عالم المعرفة ٢٤٦،يونيو ١٩٩٩

(٢) "كلمات عن الكلمات" مجلة سطور، يونيو ١٩٩٩

(٣) "القاموس" ترجمة حامد طاهر، الأهرام؟

(٤) عدد ٢٦، ٧، ٢٠٠٤

(٥) جامعة شيكاغو، ١٩٩٥

(٦) بوسطن جلوب، ١٦، ٥، ٢٠٠٤

(٧) الاتحاد الإماراتية، ٢٦، ٧ ، ٢٠٠٤

(٨) Christopher Pendergrast, "Codeword Modernity," New Left Review 24, Nov/Dec 2003

(٩) www.hudsonreview.comlGrosholzWio4.html

# مقدمة الطبعة الثانية

الاحتفاء بهـــذا الكتاب فى طبعتـــه الأولى كان أبعد مـــن كل توقعات المؤلف. شجعنى هـذا على مراجعتـــه حســـب الطرق الموضحـــة فـــى المقدمة الأصلية لكن مـــع استمرار الشعور بأن العمل بالضرورة غيـــر مكتمـــل وقاصر. فى هـــذه الطبعة الجديدة تمكنت من إدراج واحد عشرين كلمـــة إضافية :

**anarchism, anthropology, development, dialect, ecology, ethnic, experience, expert, exploitation, folk, generation, genius, jargon, liberation, ordinary, racial, regional, sex, tećhnology, underprivileged, western .**

بعضها أعدت تقديمها من قائمتى الأصلية؛ كلمات أخرى أصبحت أهم فـــى الفترة الواقعة بين القائمة الأصلية والوقت الراهن. كذلك قمت بمراجعات فى النص الأصلى شملت تصحيحات وإضافات.

أود تسجيل جزيل شكرى لأشخاص كثيرين كتبوا إلى أو تحدثوا إلـــى عـــن الكتاب. بعض المواد الجديدة هى من اقتـــراحهم وكـــذلك كثيـــر مـــن الإضـــافات والتصحيحات فى النص الأصلي. لا يمكننى تحميل أى منهم مسؤولية عن أفكارى أو أخطائى لكننى مـــدين بشـــكل خـــاص لـــــ **Aidan Foster-Carter** لمجموعـــة

الملاحظات خاصة عن development ؛ و لـ Micae Mckeon لنقاط كثيــرة لكــن على الخصوص revolution ؛ لـ Peter Burke لمجموعة ملاحظات فائقة الفائــدة؛ لـ Carl Gersuny لمجموعة ملاحظات خاصة عن interest و work . مدين بشكل خاص لـ Daniel Bell على generation ؛ لـ Gerald Fowler على scientist ؛ لـ Alan Hall على history ؛ لـــ P.B. Home علـــى native ؛ لـــ R.D. Hull علـــى industrial ؛ لـ G. Millington و H.S. Pickering و N. Pitterger على education ؛ لـ Darko Suvin على communist و social ؛ لـ Rene' Wellek على literature . كذلك أنا مدين لعدد من الأشـــخاص لاقتراحـــاتهم واشـــاراتهم : Perry Anderson, Jonathan Benthall, Andrew Daw, Simon Duncan, Howard Erskine-hill, Fred Gray, Christopher Hill, Denis L. Johnston, A. D. King, Michael Lane, Colin Maccabe, Graham Martin, Ian mordant, Benjamin Nelson, Malcolm Pittock, Vivien Pixner, Vito Signorile, Philip Tait, Gay Weber, Stephen White, David Wise, Dave Wootton, Ivor Wymer , Stephen Yeo.

ريموند وليامز: كمبردج، مايو ١٩٨٣

# مقدمـــــــة

فى عام ١٩٤٥ بعد انتهاء الحرب مع ألمانيا واليابان سُرحت مـــن الجـــيش وعدت إلى كمبردج. كان الفصل الدراسى فى الجامعة قد بدأ وتكونـــت علاقـــات ومجموعات كثيرة. فى كل الأحوال كان هناك شيء من الغرابة فى الانتقـــال مـــن "فوج مدفعية" على قناة "كيل" إلى كلية من كليات كمبردج. لم يكن قد انقضى علـــى غيابى سوى أربع سنوات ونصف لكن بسبب التحركـــات خـــلال الحـــرب فقـــدت الاتصال بكل أصدقاء الجامعة . مرت على فترة غريبة قبل أن التقى بشخص كنت قد عملت معه فى السنة الأولى من الحرب ، عندما كانت تحولات العقد الرابع من القرن العشرين على الرغم من تأثرها بالضغوط فى طور التشكيل . تحدثنا بشغف لكن لم يكن الحديث عن الماضى . كنا منقلين إلى حد كبير بهـــذا العـــالم الجديـــد والغريب حولنا . عندها قلنا فى آن واحد: "الحقيقة ، إنهم لا يتكلمون نفس اللغة".

إنها جملة شائعة وتستخدم فى الغالب بين الأجيال المتعاقبة بل حتـــى بـــين الآباء والأطفال . استخدمتها أنا نفسى من قبل، بالتحديد قبل ست ســـنوات عنـــدما جئت إلى كمبردج من أسرة تنتمى إلى الطبقة العاملة فى ويلـــز. القـــول بأننـــا لا نستخدم اللغة نفسها فى المجالات المختلفة قول غير دقيق، فيمكن من خـــلال لغـــة مشتركة لبلد معين أن نتبين الفروق الاجتماعية و العمرية بين أفراده. فالكلمات هى هى نستخدمها فى التعبير عن أنشطة وأشياء مختلفة مع تنوع واضح فـــى النبـــرة واللكنة والوقع. بعض الكلمات المتقلبة ، مثـــل lunch غـــذاء و supper عشـــاء و

dinner وجبة رئيسية ، يمكن التركيز عليها لكن الفروق ليست على قدر كبير من الأهمية. عندما نصل إلى قول "إننا لا نتحدث نفس اللغة" فإننا نعنى شيئاً أعم : لدينا قيم مباشرة مختلفة أو طرق مختلفة للتقويم أو أننا على وعي، فى الغالب بطريقة غير ملموسة، بتشكيلات وتصنيفات مختلفة للنشاط والإهتمام . فى مثل هذه الحالة تتحدث كل مجموعة لغتها المحلية لكن استعمالاتها تختلف كثيرا خاصة إذا كان للأمر علاقة بأفكار هامة أو أحاسيس جياشة. ليس لدينا فى الحقيقة معيار لغوى يبيح لنا وصف مجموعة لغوية بأنها على "خطأ" أو "صواب"، لكن قد تحاول مجموعة ذات سلطة لغوية مؤقتة أن تهيمن وتفرض طريقتها فى استخدام اللغة بوصفها الطريقة الصحيحة "correct". ما يحدث فعلاً خلال هذه المواجهات الحاسمة ، التى قد تدرك فقط بوصفها حالات غريبة ومضطربة ، هو عملية أساسية فى تطور اللغة عندما يتم فى كلمات ونبرات ونغمات معينة اقتراح معانٍ أو اعتمادها، اختيارها أو توكيدها والجزم بها أو تعديلها وتغييرها . من المؤكد أن هذه العملية تتطلب فى بعض الحالات مرور زمن طويل، يمتد إلى قرون أحيانا، حتى تستقر ويكون بإمكاننا، عن طريق استقراء النتائج، إعطاؤها قدرها الذى تستحق. فى حالات أخرى قد تكون العملية سريعة، خاصة فى بعض المجالات الرئيسية. فى جامعة كبرى ونشطة وفى فترة تغير مهمة مثلما هى الحرب فإن العملية قد تبدو سريعة وواعية بشكل غير معتاد .

لكن الفترة، كما قلنا معاً، فى مجملها لم تتجاوز أربع أو خمس سنين. هل كان التغيير فعلاً بهذا القدر؟ بعد بحث عن أمثلة وجدنا تحولاً فى بعض الاتجاهات العامة فى السياسة والدين. لكنى وجدت نفسى مشغولاً بكلمة واحدة culture ثقافة التى بدا أنى كنت أسمعها أكثر بكثير من السابق: ليس فقط، كما هو واضح، بالمقارنة مع حديث فوج المدفعية أو كلام عائلتي، ولكن بالمقارنة المباشرة داخل الجامعة عبر هذه السنوات القليلة. سمعت الكلمة فى الماضى بمعنيين: أحدهما على أطراف المدينة، فى المقاهى teashops وأماكن مشابهة حيث بدت أنها الكلمة المفضلة لنوع من التفوق الاجتماعى ليس فى الأفكار أو المعرفة، وليس فقط فى المال أو الموقع ولكن فى مجال غامض يتعلق بالسلوك؛ لكن أيضا، بالمعنى الآخر،

كانت "ثقافة" هى الكلمة المحورية فى حديث الأصدقاء، يرددونها فى معرض كلامهم عن كتابة الشعر والرواية وصناعة الأفلام والرسوم والعمل فى المسرح. ما كنت أسمعه الآن هو معنيان مختلفان لم أتمكن فعلاً أن أستبينهما: أولاً، فى دراسة الأدب، استعمال يوضح، بطريقة فعالة وإن تكن غير صريحة، نوعاً من تشكيل القيم (و لقد كان للكلمة literature أدب ذاتها نفس التوكيد)؛ ثانياً، فى النقاش الأكثر عمومية وما بدا لى أن له تضمينات مختلفة هناك استعمال جعل من الكلمة معادلاً لـ society مجتمع: "أسلوب حياة" معين – "American culture ثقافة أمريكية"، "Japanese culture ثقافة يابانية".

يمكننى الآن شرح ما أعتقد أنه قد حدث. من الواضح أن اتجاهين هامين أخذا يتشكلان تشكلا فعليا فى إنجلترا: ففى مجال الدراسات الأدبية تحققت سيادة حاسمة لفكرة فى النقد ظلت – من آرنولد إلى ليفيز – تعتمد على "الثقافة culture" باعتبارها أحد مصطلحاتها المركزية؛ أما فى النقاش حول المجتمع فقد حدث التوسع إلى الحديث العام لمعنى أنثروبولوجى كان واضحاً كتعبير متخصص، لكن تم الآن تبنيه، تحت تأثير أمريكى متزايد وكذلك تحت تأثير مواز من قبل مفكرين مثل مانهايم. ضعف بوضوح المعنيان السابقان: المعنى المتداول فى المقاهى الذي، رغم استمرار وجوده، أصبح مقصيا أكثر وفى طريقه إلى أن يصبح هزلياً؛ ومعنى النشاط فى الفنون الذى بدا، رغم احتفاظه بمكانه على مستوى الوطن، أكثر فأكثر عزلة عن طريق توكيد النقد وعن طريق الإشارة الأهم والمبددة إلى أسلوب حياة تام. لكنى لم أكن أدرك شيئاً من هذا فى حينه. كانت فقط كلمة صعبة، كلمة جعلتنى أفكر فيها كمثال للتغيير الذى كنا نحاول، بطرق مختلفة، فهمه.

انقضت سنتى فى كمبردج. ذهبت إلى العمل فى تعليم الكبار. خلال سنتين نشر ت. إس. إليوت *Notes Towards the Definition of Culture* (١٩٤٨) – وهذا كتاب فهمته لكن لم أستطع تقبله – وعادت إلىّ بقوة تلك الغرابة المحيرة التى عشتها فى الأسابيع الأولى فى كمبردج. بدأت أسبر الكلمة فى فصول تعليم الكبار. الكلمات التى ربطتها بها، بسبب المشاكل التى أثارتها استعمالاتها فى ذهنى،

كانت class طبقة و art فن، ثم industry جهد/صناعة و democracy ديمقراطية . شعرت بأن هذه الكلمات الخمس تشكل معا بنية ما، كلما أمعنت في دراستها صارت العلاقات بينها أكثر تعقيداً. بدأت أكثف قراءاتي في محاولة لمعرفة أوضح في مغازيها. ثم في ذات يوم وكنت في الجزء تحت الأرضي من المكتبة العامة في سيفورد، حيث انتقلنا للسكن، بحثت عن كلمة culture بطريقة تكاد تكون عرضية في أحد المجلدات الثلاثة عشر لما نسميه الآن في العادة OED: *The Oxford New English Dictionary on Historical Principles* قاموس أكسفورد . كانت بمثابة صدمة معرفية. يبدو أن التحولات في المعنى التي كنت أحاول فهمها قد بدأت في اللغة الإنجليزية في أوائل القرن التاسع عشر. اتخذت الصلات التي لمستها في اللغة بين class طبقة و art فن، وبين industry جهد/صناعة و democracy ديمقراطية ليس فقط شكلاً فكرياً ولكن أيضاً تاريخياً. ويمكنني أن أرى الآن تلك التحولات بطرق أكثر تداخلا و تعقيدا؛ فكلمة "ثقافة culture" نفسها لها الآن تاريخ – رغم اتصاله – مختلف. كانت هذه هي اللحظة التي اكتسب فيها بحث بدأ بمحاولة فهم عدة مشاكل معاصرة ملحة – مشاكل تتعلق فعلياً بفهم عالمي المباشر – شكلاً معيناً في محاولة فهم تراث . كان هذا هو العمل الذي اكتمل في ١٩٥٦ وصار كتاباً لي بعنوان *Culture and Society* الثقافة والمجتمع.

لم يكن من السهل عندئذ، وليس سهلا الآن، تصنيف هذا العمل ضمن موضوع أكاديمي معين؛ صنف الكتاب تحت مسميات متنوعة تنوع تاريخ ثقافي، وعلم دلالات تاريخي، وتاريخ أفكار، ونقد اجتماعي وتاريخ أدبي، وعلم اجتماع. قد يكون هذا في بعض الأحيان محرجا أو حتى صعبا لكن المواضيع الأكاديمية ليست تصنيفات أزلية، والحقيقة أني، أملاً في طرح أسئلة عامة معينة بطرق محددة، وجدت أن الصلات التي أنشأتها، وأن مجال الاهتمام الذي حاولت تحديده كان قد خبرها وشارك فيها كثير من الناس الذين توجهت إليهم تلك الدراسة. ثمة معلم رئيسي في هذا المجال من الاهتمام كان هو: المفردات التي لم تكن المفردات المتخصصة لفرع معرفة متخصص وإن تداخلت كثيرا مع عدد منها، وإنما هي

مفردات عامة تمتد من كلمات صريحة، صعبة ومقنعة متوفرة في الاستعمال اليومي، إلى كلمات أصبحت بعد نشوئها فى سياقات متخصصة شائعة لوصف مجالات أوسع من الفكر والتجربة. من المهم ملاحظة أن هذه المفردات هى التى نتقاسمها مع الآخرين، فى الغالب بطريقة منقوصة، عندما نرغب فى مناقشة كثير من القضايا المركزية فى حياتنا العامة. خير مثال هو الكلمة الصعبة الأولي: culture ثقافة. للكلمة معان متخصصة فى حقول دراسة معينة وقد يبدو أن الأمر يستحق فرزها. لكن ماجذب انتباهى فى البداية كانت أهمية استعمالها العام والمتقلب: ليس فى فروع المعرفة المختلفة ولكن فى النقاش العام. إن مجرد كونها مهمة فى مجالين يعتبران منفصلين – الفن والمجتمع – أثار أسئلة جديدة وأوحى بأنواع جديدة من العلاقة. فى متابعة هذا الأمر وجدت أن هذا ينطبق على مجموعة من الكلمات الهامة – بداية من aesthetic (a) جمالى إلى work (w) شغل – فبدأت فى تجميعها ومحاولة فهمها. ويمكن القول إن الأهمية هنا تكمن فى الإختيار. أدرك كم تبدو للآخرين إعتباطية بعض الكلمات التى ضُمّت وتلك المبعدة . لكن من حوالى مائتى كلمة اخترتها، لأنى شاهدت أو سمعت استعمالها فى نقاش عام بطرق بدت لى لافتة أو صعبة، انتقيت خمسين، وكتبت عنها ملاحظات ومقالات قصيرة بقصد إلحاقها بكتابى *Culture and Society* الذى تناول فى نصه الرئيسى عدداً محدداً من الكتاب والمفكرين. لكنى عندما أنجزت الكتاب أشار إلى ناشرى بضرورة اختصاره: إحدى المواد التى يمكن حذفها كانت هذا "الملحق". لم يكن لى مجال للإختيار. وافقت على مضض. حررت ملاحظة فيها وعد بأن تكون هذه المادة بحثاً مستقلاً. لكن ملف الملحق ظل على الرف. لمدة تفوق عشرين عاماً كنت أضيف إليه: أجمع أمثلة أكثر، اكتشف نقاط تحليل جديدة وأضم كلمات أخري. بدأت أشعر أن هذه المادة قد تكون كتاباً مستقلاً. فحصت كامل الملف مرة أخرى وأعدت كتابة كل التعليقات والمقالات القصيرة واستثنيت بعض الكلمات وأضفت أخرى. المؤلَف الحالى هو النتيجة.

ركزت على هذه العملية لتكوين كتاب *Key Words* الكلمات المفاتيح لأن ذلك كما يبدو لى يوضح هدفه وحجمه. ليس هو قاموس أو مسرد لموضوع أكاديمى

معين. ولا هو بمجموعة هوامش لتعريفات أو تواريخ قاموسية لعدد من الكلمــات. إنه بالأحرى سجل لبحث في المفردات: مجموعة كلمات ومعان مشتركة تســتعمل في نقاشاتنا العامة جداً في الإنجليزية عن الممارسات والمؤسسات التــي نصــنفها على أنها culture ثقافة و society مجتمع. كل كلمة مختارة فرضت نفســها علــى انتباهي تقريباً، في وقت من الأوقات خلال نقاش ما، إذ بدا لي أن مشاكل معانيهــا ترتبط ارتباطاً وثيقاً بالمشاكل التي استعملت لمناقشتها. غالباً ما نهضت من كتابــة تعليق معين لأسمع الكلمة نفسها مرة أخرى بنفس الشعور بالأهميــة والصــعوبة: غالباً بالطبع في نقاش وجدل يتجهان إلى غاية مختلفة. بدأت أرى هــذه التجربــة كمشكلة مفردات وفقاً لمعنيين: معاني الكلمات المعروفة المتوفرة والمتطورة التــي يجب تسجيلها؛ والعلاقات الواضحة، أو الضمنية في أحيان كثيــرة، التــي يقيمهــا الناس والتي يبدو لي مرة تلو الأخرى أنها صياغات خاصة للمعنى – طرق ليست فقط للنقاش، وإنما على مستوى آخر لرؤية الكثير من تجاربنا الأساسية. ما توجب عليّ عمله عندئذ لم يكن مجرد تجميع أمثلة والبحث عن سجل استعمال معــين أو مراجعته، لكن قدر استطاعتي تحليل بعض القضايا والمشاكل التي كانت تقبع هناك داخل المفردات، سواء ككلمات مستقلة أو في مجموعات معتادة. أطلقت على هــذه اسم الكلمات المفاتيح ***Key Words*** بمعنيين مترابطين: هي كلمات هامة ملزمة فــي نشاطات معينة وشرحها؛ وهي كلمات دلالية هامة في صيغ معينة من الفكــر. ثــم استعمالات معينة ربطت معاً طرقاً معينة للنظر إلى الثقافة والمجتمع، ليس أقلها في هاتين الكلمتين بالغتي العمومية. ثمة استعمالات أخرى بدا لي أنها تفــتح قضــايا ومشاكل، في نفس المجال العام، نحن في أشد الحاجة إلى أن نكون على وعي بها. إن التعليقات على قائمة كلمات، وتحليل تشكيلات معينــة: هــذان همــا عنصــرا المفردات الفعالة – طريقة تسجيل وتحرى وعرض مشاكل المعنى في المجال الذي تشكلت فيه معاني كلمتي ثقافة **culture** ومجتمع **society** .

بالطبع لا يمكن فهم كل القضايا فقط بتحليل الكلمات. على العكــس، معظــم القضايا الاجتماعية والفكرية، بما فيها كل من التطــورات المتدرجــة والخلافــات والنزاعات الحاسمة، استمرت ضمن التحليل اللغوي أو أبعد منه. مع ذلك وجدت أن

الكثير من هذه القضايا لا يمكن فعلياً التفكير فيها وحلها، بل إن بعضها فيما اعتقد لا يمكن تبلوره إلا إذا أدركنا أن الكلمات هى من صلب المشاكل. تجد وجهة النظر هذه قبولاً على شكل واسع. عندما أثرت أسئلتى الأولى عن الاستعمالات المختلفة لكلمة ثقافة culture أعطيت الانطباع، بطرق لطيفة أو غير لطيفة، بأنها قد نشأت أساسا عن تعليم قاصر، ولما كان هذا صحيحاً (والحق أنه صحيح وينطبق على الجميع) فلقد ألقى ظلالاً على النقطةالمثارة. إن الثقة الفائقة لأى استعمال معين لكلمة، ضمن مجموعة أو فى فترة محددة، هى أمر يصعب الشك فيه. أتذكر خطاباً من القرن الثامن عشر:

ما هو فى رأيك معنى الكلمة sentimental عاطفى ، التى هى موضة عند الطبقة الراقية ... ؟ شملت هذه الكلمة كل ما هو مقبول ورشيق ... أدهش كلما أسمع أن فلاناً رجل sentimental وجدانى ؛ كنا مجموعة sentimental وجدانية ؛ كنت أقوم بنزهة sentimental رقيقة.

حسناً، إنتهت تلك الموضة. تغير معنى sentimental وتدهور. لم يعد السائل عن معنى هذه الكلمة يواجه بنظرة التحديق المألوفة المهذبة والباردة. يمكننا جميعا، عندما يكتمل السجل، أن نكون على بينة وفى ارتياح. أما بالنسبة للكلمات literature أدب و aesthetic جمالى و representative ممثل/مندوب و unconscious لاواع و liberal ليبرالي، وغيرها كثير، التى تبدو لى مثيرة للمشاكل ستبدو، فى الدوائر المناسبة، واضحة تماماً واستعمالها الصحيح أمر مرتبط فقط بالتعليم. أو بالنسبة لـ class طبقة و democracy ديمقراطية و equality مساواة و evolution نشوء/تطور و materialism مادية: فهذه كلمات يجب أن نتجادل حولها لكننا نستطيع أن نربط استعمالات معينة بطوائف sects ثم نصف كل الفرق سوى فرقتنا بأنها طائفية sectarian. يمكن القول إن اللغة تعتمد على هذا النوع من الثقة، لكن نعرف أنه فى أية لغة رئيسية، خاصة فى فترات تغيير، يمكن وبسرعة أن تغدو هذه الثقة الضرورية هشة، وكذا الحرص على الوضوح إذا لم نواجه الأسئلة الملازمة.

لا تقتصر الأسئلة على المعنى وحده؛ هي بالضرورة وفي معظم الحالات تدور حول المعاني. إن أول ما يفعله بعض الناس عند رؤية كلمة هو أن يقوموا بتعريفها. تصدر القواميس مدعية سلطة مرجعية تتمثل في منحها ما يسمى "المعنى الدقيق" للكلمة، ولا يقلل من الثقة بها كونها محدودة بالزمان والمكان. مستخدما المراسلات في الصحف ونقاشات أخرى عامة، بدأت مرة تجميع تنويعات للعبارتين: "أرى من قاموس وبستر الخاص بي my Webster" أو "أجد من قاموس أكسفورد الخاص بي my Oxford". في العادة كان موضع النزاع عبارة صعبة في النقاش. لكن النبرة الفعلية لهاتين العبارتين، مع التأكيد اللافت المتعلق بالملكية (وبستري "my Webster") كان لاستحواذ معنى يلائم النقاش ويستثني تلك المعاني المزعجة التي كان شخص جاهل من الغباء بحيث يستعملها. طبيعي لو كنا نرغب معرفة معنى banxring أو boabab أو borilla ، أو بنفس المقدار barbell أو basilica أو batik، أو بشكل أكثر وضوحا عن الكلمات barber أو barley أو barn فإن هذا النوع من التعريف مجزي. لكن هذه الطريقة بالنسبة لكلمات من نوع آخر، خاصة تلك التي ترتبط بأفكار وقيم، لن تكون فقط متعذرة وإنما ستكون أيضا غير ملائمة. تدرج القواميس التي يستعملها معظمنا، قواميس التعريف، وحسب قيمتها كقواميس، سلسلة range من المعاني كلها سائدة، و سيكون المهم هنا هو هذه السلسلة. ثم إذا ما مضينا إلى القواميس التاريخية، وإلى مقالات في علم الدلالات التاريخي والمعاصر، سنكون قد تجاوزنا تماما مدى "المعنى الصحيح". نجد تعقيداً وتاريخاً للمعاني؛ تغييرات واعية أو استعمالات مختلفة مقصودة؛ ابتكاراً، وإهمالاً، وتخصصا، وتوسعا، وتداخلاً، وتحول؛ أو تغييرات متنكرة وكأنها استمرار بحيث أن كلمات بدت وكأنها موجودة منذ قرون أصبحت تدل على معان وتضمينات مختلفة جذرياً أو متفاوتة جذرياً وإن كان ذلك قد يصعب ملاحظته. من مثل تلك المصادر قد تقفز إلى انتباهنا كلمات مثل industry و family و nature ؛ بعد سنين من الدراسة قد تظل موضع شك كلمات مثل class و rational و subjective. في كل هذه الحالات، وفي مجال اهتمام معين نشأ بالطريقة التي وصفتها، استحوذت

على فكرى مشاكل المعنى وأدت إلى الإدراك العميق بصعوبة التعريف أيا كـــان نوعه.

الجهد الذى يضمه هذا الكتاب تم القيام به فى مساحة تتجمع فيها عدة حقول معرفة لكنها بشكل عام لا تلتقي. اعتمد على مجالات عدة من المعرفة المتخصصة لكن هدفه هو جعل هذه، في الأمثلة المختارة، فى متناول الجميع. ليس هذا مـــدعاة للإعتذار لكنه يتطلب شرحاً لبعض التعقيدات التى تنطوى عليها محاولة مثل هـــذه. يمكن تصنيف هذه تحت عنوانين عريضين : مشاكل معلومات ومشاكل نظرية.

مشاكل المعلومات حادة. مع ذلك فلكل من يبحث فى بنية وتطور المعنى فى اللغة الإنجليزية الميزة الفائقة لقاموس أكسفورد العظيم. إنه ليس فقط معلمـــاً علـــى التفوق البحثى لمحرريه **Murray** و **Bradley** ومن تبعهما، لكنه أيضاً سجلٌ لمجهود تعاونى استثنائى من العمل الأصلى للجمعية الفيلولوجية إلـــى مئـــات المراســـلين اللاحقين. قليلة هى البحوث التى تجرى على كلمات معينة والتى تنتهى بمادة هـــذا القاموس العظيم، لكن بحوثا أقل يمكن أن تبدأ بثقة لو لم يكن موجوداً. أوافق وليـــام إمبسون **Empson** الذى عثر – فـــى كتابـــه ***The Structure of Complex Words*** – على أخطاء كثيرة فى القاموس فى قوله إن "عملاً على كلمات مفـــردة مثـــل مـــا استطعت القيام به قد اعتمد بشكل يكاد يكون تاماً على استعمال ذلك المؤلَّف المهيب كما هو". لكن ما وجدته فى عملى عن قاموس اكسفورد **OED**، بعد تقديم الاعتراف بالفضل الضروري، يمكن تلخيصه فى ثلاث نقاط. كنت على وعى تام بالفترة التى ألف فيها القاموس: فى الواقع من ثمانينات القرن التاسع عشر إلى عشرينيات القرن العشرين (يقدم أول مثال من سلسلة الملاحق **Supplements** الحالية إضافة بدلاً من تعديل). لهذا عيبان: بالنسبة لبعض الكلمات المهمة لا يتوفر عملياً دليل لاســـتعمال القرن العشرين المتطور؛ وفى حالات كثيرة، خاصة بالنســـبة لعبـــارات سياســـية واجتماعية حساسة، تبرز افتراضات الرأى السائد (الأرثوذوكسي) فى تلك الفترة أو تكون قريبة من السطح. كل من يقرأ قاموس دكتور جونسون العظيم يشعر حـــالاً بعقله المحازب والمؤثر بالاضافة إلى معرفته الفذة. أنا على وعى فـــى تعليقـــاتى

ومقالاتى بأنه بالرغم من أنى أقدم مجموعة المعانى إلا أن مواقفى وخياراتى ليست خافية تماما. أعتقد أن هذا أمر لا مفر منه وكل ما أقوله هو أن الانطباع العام بالموضوعية (لا شخصية) الهائلة الذى يبثه قاموس أكسفورد ليس على تلك الدرجة من الموضوعية أو كونه بحثاً تام التجرد، أو أنه بريء من القيم السياسية والاجتماعية المؤثرة كما قد يفترض من إستعماله من حين لآخر. فى الواقع عندما تبحث فيه عن كثب فإنك أحياناً تحصل على نظرة ثاقبة آسرة على مايمكن تسميته إيديولوجية محرريه وأعتقد أنه يتوجب تقبل ذلك وأخذه بعين الإعتبار دون ذلك النمط من المراوغة الذى تنشره فكرة شائعة عن البحث. ثانياً، بالرغم من إهتمامه العميق بالمعانى فإن القاموس هو فى الأساس فيلولوجى وإتيمولوجي؛ أحد آثار ذلك أنه أفضل بالنسبة لمجموعة المعانى وتنويعاتها من العلاقة والتفاعل. ولقد وجدت فى حالات كثيرة وأنا أعمل بشكل رئيسى على معان وسياقاتها أن الدليل التاريخى فائق القيمة لكنى توصلت منه إلى نتائج مختلفة بل وأحياناً مناقضة. ثالثاً، فى حالات معينة نُبهت بطريقة حادة جداً بما حدث مؤخرا فى دراسات اللغة من تغيير فى المنظور: لأسباب واضحة (على الأقل من التدريب الأرثوذوكسى الأساسى فى اللغات الميتة) اعتبرت اللغة المكتوبة هى مصدر المرجعية الحقيقى وأن اللغة المحكية فى الواقع مشتقة منها؛ بينما نعرف الآن بوضوح أن الوضع الصائب هو عكس ذلك. النتائج معقدة. فى عدد من الكلمات الفكرية بشكل رئيسى تشكل اللغة المكتوبة المرجع الأقرب إلى الحقيقة. لو أردنا تتبع كلمة psychology السجل كاف على الأرجح حتى أواخر القرن التاسع عشر. أما إذا شئنا تتبع كلمة job فإننا نلاحظ حالاً أن تطورات المعنى فى كل مرحلة لا بد وأن حدثت فى الكلام اليومى زمناً قبل إدراجها فى السجل المكتوب. هذا قصور يجب أخذه فى الاعتبار ليس فقط بالنسبة للقاموس ولكن فى أى تدوين تاريخي. فى الواقع بعض التقصير أو الانحياز فى بعض المجالات لا مفر منه. يجب دوماً قراءة الإشارات الزمنية للأصل والتحول بهذا التحفظ والشرط. يمكننى إعطاء مثال من تجربة شخصية. فى مراجعتى الملحق Supplement الأخير أبحث عن الاستعمال المعاصر العام للكلمة communications وجدت مثالاً وتاريخاً تصادف أن كانا من أحد مقالاتي. والآن

لقد اتضح أن فى الامكان ليس فقط العثور على أمثلة مكتوبة من تاريخ أسبق وإنما أن هذا المعنى كان مستعملاً فى الحديث وفى النقاش – وفى اللغة الإنجليزية الأمريكية – قبل ذلك بكثير. لا أبين ذلك من أجل الانتقاد. بالعكس ، هذه الحقيقة عن القاموس هى حقيقة عن كل عمل من هذا النوع ويجب تذكرها خاصة عند قراءة ما دونته هنا.

أضفت، بالنسبة لكلمات معينة، عدداً من أمثلتى الخاصة وذلك من قراءاتى العامة أو المحددة. لكن كل تدوين لا بد بالطبع وأن يكون قاصراً بصورة خطيرة، كما ولا بد أيضا أن يكون إنتقائياً. إن مشاكل المعلومات الكافية حادة بل قد تكون معطلة، لكن ليس فى الإمكان دائماً الإشارة إليها بطريقة مناسبة أثناء التحليل. مع ذلك يجب تذكرها دوماً. هناك قصور معين كنت على وعى كبير به. معظم الكلمات الأهم التى عملت عليها طورت معانى رئيسية فى لغات سوى الإنجليزية، أو مرت عبر تطور معقد ومتفاعل فى عدد من اللغات الرئيسية. وحيث تمكنت جزئياً من القيام بذلك، كما هو الحال مع alienation أو culture ، فالأهمية من الوضوح حتى لنفتقدها إذا ما تعذر مثل ذلك التقصي. إن القيام بدراسات مقارنة مماثلة بطريقة مرضية سيكون جهداً تعاونياً دولياً عظيماً، وصعوبة ذلك تقدم التبرير الكافى. واجه بحث فى معانى كلمة democracy ديمقراطية رعته اليونسكو، وكان الهدف منه أن يكون شاملاً ومقارناً، صعوبات كثيرة من هذا النوع، على الرغم من أن التقرير المحدود الذى لجأ إليه نيس Naess وزملاؤه كان مفيداً للغاية. لدى تجربة كافية فى محاولتى مناقشة تعبيرين ماركسيين رئيسيين base – قاعدة و superstructure بنية فوقية – ليس فقط بسبب علاقتهما بأصولهما الألمانية وإنما كذلك بحديثى مع أصدقاء من فرنسا وإيطاليا وأسبانيا وروسيا والسويد حول صيغ هاتين الكلمتين فى هذه اللغات الأخرى، إذ تبين لى كم هى النتائج صعبة وآسرة، كما تيقنت من أن مثل هذا التحليل المقارن حاسم فى أهميته ليس فقط فيلولوجيا ولكن أيضا كقضية مركزية فى الوضوح الفكري. إن الأمل عظيم فى توفر سبل لتشجيع ودعم مثل هذه البحوث المقارنة، لكن فى الوقت الراهن يجب ملاحظة أنه بينما حدثت بعض التطورات الرئيسية التى لها أهمية عالمية الآن فى

الإنجليزية أولاً، هناك تطورات كثيرة تمت فى لغات أخـــرى، وبالتـــالى لا يمكـــن فهمها فى نهاية المطاف إلا بالمقارنة المنتظمة بين هـــذه اللغـــات. علـــى القـــراء ملاحظة هذا وتذكر هذا التقييد فى تعليقاتى ومقالاتي. هذا التقييد يبرز بشكل خاص فى التطورات المبكرة جدا فى اللغات الكلاسيكية وفى لاتينية القـــرون الوســـطي، حيث اعتمدت ببساطة بشكل يكاد يكون كاملا بانتظام علـــى المراجـــع المتـــوفرة، بالرغم من بقاء كثير من الأسئلة مثارة فى ذهني. هذا صحيح حقا علـــى مســـتوى الأصول من كل ضرب ويجب اعتباره تحفظاً مهماً .

يثير هذا إحدى المشاكل النظرية. من المعتاد التحدث عن معنى "صحيح" أو "دقيق" لكلمة، وذلك بالرجوع إلى الأصل. أحد آثـــار هـــذا النـــوع مـــن التعلـــيم الكلاسيكي، خاصة بالتضافر مع نظرة محددة لوظيفة القواميس كمعرّفة، هو إنتـــاج ما يمكن تسميته موقفاً خاشعا "sacral" تجاه الكلمات وما يقابله من شـــكاوى عـــن سوء فهم أوسوء استعمال فج فى الوقت الحاضر. إن المعانى الأصـــلية للكلمـــات دائماً ما تحظى بالاهتمام. لكن ما هو فى الغالب أكثر إثارة للانتباه هو التنويعـــات اللاحقة. التذمر الذى تنشره الصحف حول سوء استعمال الكلمات الفج يكون دائمـــا حول تطورات حديثة جداً. سيبين أى اختيار عشوائى من التطورات الفعلية للمعنى أن ما يعتبر إنجليزية "فصيحة correct"، والذى غالبا مايتضمن الكثيرمن الكلمـــات التى تستعملها مثل هذه الشكاوى، إنما هو نتيجة لمثل هذا النوع من التغيير. الأمثلة من الكثرة بحيث لا يمكن إيرادها هنا، لكن القارئ مدعو ليتأمل عددا محدودا فقط: **interest** أو **determine** أو **improve** ، وربما كانت الكلمات **organic** و **evolution** و **individual** أمثلة أكثر وضوحا. فى الغالب قدم لى اكتشاف أصل مفتاحاً للتحليـــل، لكن لا مجال، سواء على مستوى الممارسة أو التنظير، للتسليم بأن المعنى الأصلى هو الحاسم (وإلا فأين موقعنا من **aesthetic**؟) أو التسليم بمصدر مشترك على أنـــه الموجه (وإلا فأين سنكون بالنسبة لكلمات **peasant** و **pagan** ، أو **idiot** و **idiom** ، أو **employ** و **imply**). تشمل حيوية أية لغة كل نوع من التوسع والتنويع والتحور، ينطبق هذا على التغيير فى زمننا (مهما قد نأسى لأمثلة معينة) مثلما ينطبق علـــى التغييرات فى الماضى التى يمكن الآن إعطاؤهـــا مظهـــراً **sacral**. (كلمـــة **sacral**

نفسها هى خير مثال؛ فإن التوسع من معناها البدنى الذى دل على "عجز/شرج" إلى معناها المضمن الازدرائى الدال على موقف من the sacred المقدس ليس دعابة من عندى وإنما هو دعابة هادفة ومن ثم فهو إستعمال هادف.)

المشاكل النظرية الأخرى أشد تعقيداً. هناك مشاكل أساسية ومعقدة جداً فى أى تحليل لعمليات المعنى. يمكن بطريقة مفيدة فرز بعضها بصفتها مشاكل دلالة عامة: العلاقات الصعبة بين الكلمات والمفاهيم؛ أو العمليات العامة للمعنى والإشارة؛ بل وإلى أبعد من هذه، هناك القواعد العامة فى المعايير الاجتماعية وفى نظام اللغة نفسها ، التى تمكن من توليد المعنى والإشارة وتمكن كذلك، ولحد كبير من ضبطها. فحصت هذه المشاكل بانتظام وبطريقة مجدية فى فلسفة اللغة وفى اللغويات النظرية ولا شك فى أنها كمشاكل أساسية تؤثر كثيرا فى تحليل معين.

لكن، ولأن كلمة "معنى meaning" بأى مفهوم فعال هى أكثر من عملية الدلالة signification" العامة، ولأن "المعايير" و "القواعد" هى أكثر من خصائص أى نظام أو عملية مجردة فإن أنواعاً أخرى من التحليل تظل ضرورية. إن تركيز تحليلى هو بطريقة مدروسة اجتماعى وتاريخي. أما بالنسبة لأمور المرجعية والادراك التى تشكل تحليلياً الأساس لأى استعمال فإنه من الضرورى الإصرار على أن مشاكل المعنى الأكثر تأثيراً دائماً تكمن داخل علاقات فعلية وأن كلاً من المعانى والعلاقات بطريقة نمطية متنوع ومتقلب ضمن بنيات نظم اجتماعية معينة وعمليات التغيير الاجتماعى والتاريخي.

لا يعنى هذا أن اللغة تعكس فقط عمليات المجتمع والتاريخ. على العكس، هدف جوهرى لهذا الكتاب هو إثبات أن بعض العمليات التاريخية والاجتماعية تحدث "داخل" اللغة بطرق تبين إلى أى مدى تتكامل فعلاً مشاكل المعانى ومشاكل العلاقات. أنواع جديدة من العلاقة بالإضافة إلى طرق جديدة لرؤية علاقات قائمة تظهر فى اللغة فى أشكال مختلفة: فى سك كلمات جديدة (capitalism) ؛ فى تبنى وتحوير (فى الواقع أحياناً قلب) تعابير قديمة (society أو individual) ؛ فى توسع (interest) أو نقل (exploitation) . لكن كما يجب أن تذكرنا هذه الأمثلة فإن

التغييرات ليست دائماً بسيطة أو نهائية. تتعايش معانى سابقة ولاحقة أو تصبح فعلاً بدائل تتم فيها منازعة ونقاش مسائل الاعتقاد أو الانتماء المعاصرة. من المؤكد ضرورة تحليل هذه المشاكل وأخرى لاحقة على أنها مشاكل دلالة عامة لكن تركيزى هنا يقع على مفردات المعانى فى مجال جدل واهتمام تم اختياره بطريقة مدروسة.

كان منطلقي، كما ذكرت، ما يمكن تسميته بالعنقود، مجموعة معينة لما أصبح يبدو كلمات ومراجع مترابطة والتى منها تطور فيما بعد اختيارى الأشمل. لذا فإن الهدف الجوهرى للكتاب هو التوكيد على الترابطات التى يبدو لى أن بعضها منهجية بطرق جديدة على الرغم من مشاكل العرض التى سأناقشها. يمكن الجدل بالطبع حول ضرورة عدم فصل الكلمات المفردة حيث أنها تعتمد فى معانيها على سياقها الفعلي. على مستوى معين يمكن التسليم بذلك بسهولة. فى الواقع كثير من المعانى المتغيرة التى حلّلتها حددها السياق. لذا أوضح بشكل رئيسى المعانى المختلفة عن طريق أمثلة فعلية من استعمال مسجل.

لكن لا يمكن أبداً إلغاء مشكلة المعنى تماماً فى السياق. صحيح إنه فى النهاية لا تقوم أبداً كلمة بمفردها ، حيث أنها دائماً جزء من العملية الاجتماعية للغة وتعتمد استعمالاتها على الخصائص المنهجية المعقدة (لكن المتغيرة) للغة نفسها. مع ذلك يظل مفيداً اختيار كلمات معينة، من النوع الإشكالي، ومؤقتا دراسة بنياتها وتطوراتها الداخلية. هذا هو الوضع حتى عندما يهمل التقييد "مؤقتاً" من قبل صنف قارئ مقتنع بالإصرار على حقائق العلاقة والتفاعل ، التى منها نشأ البحث ككل. فى أنواع اختزالية من التحليل فقط يمكن دراسة عمليات العلاقة والتفاعل كما لو كانت علاقات بين وحدات بسيطة. فى الواقع نشأت كثير من هذه العمليات ضمن المعنى المعقد والمتغير لكلمات معينة ، والطريقة الوحيدة لإيضاح ذلك، كأمثلة على كيف تتطور شبكات من الاستعمال والإسناد والمتطور، هى فى التركيز "مؤقتاً" على ما يمكن عندئذ ملاحظته ، على وجه الدقة ، كبنيات داخلية. هذا ليس للإعاقة

، ولكن ليصبح فى الإمكان مفهوم مفردات متوسعة ومعقدة تكون ضمنها كل من الكلمات المتغيرة وعلاقاتها المتغيرة والمتنوعة فى الواقع فعالة.

إذاً دراسة كل من المعانى المعينة والمترابطة عند كتاب ومتحدثين مختلفين وفى الزمن التاريخى وعبره هى اختيار مدروس. القيود واضحة ومسلم بها. التركيز بنفس المقدار واضح وواع. أحد أنواع علم المعانى دراسة المعنى كما هو؛ نوع آخر هو دراسة نظم الدلالة الرسمية. نوع علم المعانى الذى تنتمى إليه هذه التعليقات والمقالات هو أحد الاتجاهات ضمن علم المعانى التاريخي: اتجاه يمكن بطريقة دقيقة تحديده عندما نضيف بأن التركيز ليس فقط على الأصول والتطورات التاريخية ولكن أيضاً على الحاضر – المعانى والعلاقات والتضمينات فى الزمن الحاضر – كتاريخ . يعترف هذا، كما يتوجب على أية دراسة لغة، بأن هناك جماعة/اتحاد community بين الماضى والحاضر لكن كذلك بأن community – تلك الكلمة الصعبة – ليست هى المسمى الوحيد الممكن لتلك العلاقات بين الماضى والحاضر؛ وبأن هناك أيضاً نزاع وانقطاع وتغيير جذرى ، وأن كل هذه ما زالت مجال خلاف ، وأنها فعلاً مستمرة الحدوث. المفردات التى اخترتها هى تلك التى يبدو لى تشمل الكلمات الأساسية التى يستخدم فيها ، فى هذا المجال ، كل من الاستمرار والانقطاع ، وكذلك نزاعات شديدة فى القيم والاعتقاد . كذلك يجب بالطبع وصف عمليات مثل هذه بطريقة مباشرة فى تحليل نظم المفاهيم وقيم المجتمع المختلفة. ما تسعى هذه التعليقات والمقالات إلى الإسهام به هو نوع إضافى من المقاربة وذلك عن طريق المفردات ذاتها.

ذلك لأنى أعتقد أنه ممكن الإسهام بأنواع معينة من الإدراك وأنواع معينة أكثر محدودية من الإيضاح ، عن طريق تناول كلمات معينة فى المستوى الذى تستخدم فيه عادة ، وهذا كان ، لأسباب على الأرجح توضحها أو لها صلة بأعمالى الأخرى، هدفى الأسمى. لدى مادة أكثر من كافية عن كلمات معينة (مثلاً class و culture) وعن تشكيلات معينة (مثلاً art ، aesthetic ، subjective ، psychological و unconscious) لكتابة – كبديل – دراسات متخصصة موسعة

بعضها فى حجم كتاب. قد أفعل ذلك فى النهاية، لكن اختيار شكل عام ومدى أوسع كان مقصوداً. لا أؤيد نظرة التفاؤل – أو النظريات التى تدعمها – بالنسبة لذلك النوع من علم المعانى من فترة ما بين الحربين وما بعدها، والذى افترض فيه أن إيضاح الكلمات الصعبة سيسهم فى حل الخلافات التى تنشأ بسببها لكنها كثيرا ما تتسبب فى الفوضى والإرباك . أعتقد أن فهم تعقيدات معانى كلمة class لا يسهم الا بالقليل جدا فى حل الخلافات الفعلية للطبقة والنضال الطبقي. ليس الأمر فقط أن لا أحد بوسعه "تصفية لهجة القبيلة" ، وأن لا أحد ممن يرى أنه حقا عضو فى مجتمع، يعرف أكثر من أن المحاولة بهذه الصيغة عديمة الجدوى. كذلك فالتنوعات والاضطراب فى المعنى ليست فقط أخطاء فى النظام أو غلطات فى الاسترجاع feedback ، أو قصورًا فى التعليم. إنما هى حسب رأيى ذات تكوين تاريخى ومعاصر فى الكثير من الحالات. والحق أنه كثيرا ما كان يصر عليها كتنويعات، لا لسبب إلا لأنها تجسد خبرات مختلفة وقراءات وسيستمر ذلك قائماً فى العلاقات الفعلية وفى النزاعات، رغم محاولات الإيضاح من قبل الباحثين واللجان. إن ما يمكن فعلاً الإسهام به ليس فض النزاع، وإنما ربما، فى بعض الأحيان، فقط تلك "الحافة" من الوعي. فى تاريخ اجتماعى تشكلت فيه كثير من المعانى الحاسمة من قبل الطبقة المهيمنة ومن قبل مهن معينة ، تعمل إلى حد كبير حسب شروطها، فإن معنى "حافة" دقيق. هذه ليست مراجعة محايدة للمعاني. إنها فحص لمفردات مجال هام من النقاش الثقافى والاجتماعي، نقاش ورث داخل ظروف اجتماعية وتاريخية دقيقة ، وأصبح من الضرورى جعله فى نفس الوقت واعياً وحاسماً – عرضة للتغيير كما هو عرضة للاستمرار – إذا كان للملايين من الناس الذين تنبض فيهم أن يعتبروها فعالة: هى ليست تراثاً يلقن، ولا إجماعاً يسلم به، ولا مجموعة من المعانى لها سلطة طبيعية لأنها "لغتنا"؛ وإنما كتشكيل وإعادة تشكيل فى ظروف واقعية، ومن وجهات نظر بالغة الأهمية وعميقة الاختلاف: مفردات للاستعمال، نغيرها عندما نجد ضرورة لتغييرها ، بينما نشق طريقنا ونحن نستمر فى صنع لغتنا وتاريخنا.

في الكتابة عن حقل المعاني غالباً ما تمنيت أن تبتكر صيغة للتقديم توضح كيف ترتبط تحليلات كلمات معينة، جوهريا، بطرق أحياناً ما تكون معقدة. يبدو أن التدوين الأبجدى الذى استقريت عليه يحجب هذا فى أحوال كثيرة، وإن كان استعمال الإحالات المتقاطعة cross-references لابد أن يذكر بالعلاقات الضرورية الكثيرة. تكمن الصعوبة فى أن أى ترتيب آخر، حسب المجال أو الموضوع، سيقيم مجموعة علاقات بينما يطمس أخرى. لو وضعت مثلاً representative فى مجموعة من كلمات سياسية ربما تتمركز حول democracy، فقد نغفل عن نقطة مهمة فى التداخل بين حكومة نيابية representative government وفن تمثيلى art representative . أو لو وضعت كلمة realism فى مجموعة كلمات أدبية مركزها literature أو art فقد نلاحظ بسهولة تداخلاً من نوعٍ آخر، له إيحاءات فلسفية عند وصف مواقف فى الأعمال والسياسة. من السهل جداً كتابة وتصنيف مفردات متخصصة لمواضيع أكاديمية معروفة ومستقلة ، ولمجالات اهتمام واضحة ، ولكل هذه بالطبع فوائدها. يمكن لقوائم الكلمات أن تكون أشمل ، ويمكن تجنب مشاكل التداخل عن طريق الاقتصار المدروس على معانى التخصص. لكن، ولما كان بحثى كله داخل مجال المعانى العامة وعلاقات المعاني، فإننى لم أتمكن من الكمال ، ولا من التقييد الواعى لمجالات متخصصة مقصودة. فى تناولى نقاشاً عاماً للثقافة والمجتمع فقدت دعائم التصنيف التقليدى حسب الموضوع ، ومن ثم اضطررت للاحتفاظ بالتصنيف التلقيدى الأبسط: الترتيب الأبجدي. ومع ذلك، وبما أن الكتاب لا يكتمل إلا بقراءته فإنى آمل أن يسهل الترتيب الأبجدى الاستعمال المباشر، ثم يوحى للقارىء بأنواع أخرى من العلاقة والمقارنة وقد يشجع على المواصلة عن طريق اختيار وترتيب مختلف تماماً.

فى هذا ، كما فى نواحى أخرى، فأننى على وعى فائق بكم القراءة والتفكير الذى يتطلب لإنجازه. ومعظمه فى الواقع لا يتم الا من خلال النقاش، الذى هو من بين أغراض هذا الكتاب. ولقد توجب علىّ كثيرا أن أتوقف عندما يلزم نوع آخر من التحليل – نقاش نظرى موسع أو بحث تاريخى واجتماعى مفصل. السير فى

هذه الاتجاهات الأخرى كان يعنى حصر عدد الكلمات المدروسة ونطاقها ، ولقد كان لهذا المجال المقام الأول فى هذا الكتاب على الأقل. لكن يمكن أيضاً القول بأن هذا كتاب يرحب فيه المؤلف ، بكل تأكيد ، بالتعديل والتصحيح والإضافة علاوة على الرسائل والتعليقات المعتادة. إن طبيعة المشروع ككل هى من هذا النوع. هنا مجال هام من المفردات. إن مايمكن عمله فى القواميس محدودٌ بالضرورة بشموليتها التامة وبالمقياس الزمنى الطويل للمراجعة ، التى يفرضها ذلك ، بالإضافة إلى عوامل أخرى.

البحث الحالى أكثر محدودية – فهو ليس قاموساً ولكن مفردات – مايجعله أكثر مرونة. كان ناشر الكتاب من اللطف بحيث ترك صفحات بيضاء، ليس فقط لتسجيل ملاحظات ، وإنما كإشارة إلى أن البحث لم يكتمل بعد ، وأن المؤلف يرحب بكل التعديلات والتصحيحات والإضافات. فى استعمال لغتنا المشتركة، فى مجال بهذه الأهمية، هذه هى الروح التى يمكن فيها لهذا العمل أن ينجز بدقة.

يتوجب على شكر أشخاص أكثر مما أستطيع أن أذكرهم ، أسهموا فى هذه التحليلات ، عبر السنين ، فى أنواع كثيرة من النقاش الرسمى وغير الرسمي. يجب كذلك بصفة خاصة أن أشكر محررى Mr. R.B Woodings الذى لم يكن فقط مساعداً فائقاً بالنسبة للكتاب ، وإنما كزميل سابق زارنى فى اللحظة التى كنت أقرر فيها ما إذا كان الملف سيصبح كتاباً ، وكان تشجيعه عندئذ حاسما. ساعدتنى زوجتى عن قرب فى كل مراحل الكتاب. علىّ أيضا أن أسجل مساعدة Mr. W.G. Heyman العملية ، الذى أخبرنى ، كطالب عندى فى فصل تعليم كبار ، بعد مناقشة إحدى الكلمات ، أنه قد بدأ وهو شاب فى شراء الأجزاء الورقية لقاموس اكسفورد العظيم، ثم فاجأنى فيما بعد بحضوره الفصل ومعه ثلاثة صناديق كرتونية مليئة بها، وألح على أن أقبلها. أكن شعوراً خاصاً لذكراه، وعبرها للأجزاء

الورقية هذه نفسها – وهى تختلف تماماً عن المجلدات والورق المصقول فى نسخ المكتبات؛ الورق الخشن غير المقصوص المصفر والمفتت، العناوين الباقيـة فـى الذاكرة التى استعملتها عبر السنين: من Deject إلى Deprevation ، مـن Heel إلى Hod ، من R إلى Reactive وهكذا. هذا كتاب صغير أقدمه مقابل هذا المقـدار من الاهتمام واللطف.

ريموند وليامز

كمبردج ، ١٩٧٥ ، ١٩٨٣

## جمالى (الجمالية) AESTHETIC

ظهر التعبير أول ما ظهر فى اللغة الإنجليزية فى بداية القرن التاسع عشر ولم ينتشر قبل منتصفه، وعلى الرغم من صيغته اليونانية فإنه مستعار من الألمانية بعد تطور خلافى ونقدى فى تلك اللغة. فى البداية استخدم فـي صـيغته اللاتينيـة كعنوان لمؤلف من جـزأين: الجماليـات **Aesthetica** (١٧٥٠-١٧٥٨) لمؤلفـه الكسندر باومجارتن **Alexander Baumgarten** (١٧١٤-١٧٦٢). عرّف باومجارتن الجمال "**beauty**" بالكمال المدرك بالحواس، وتكمن أهمية ذلك، بالنسبة للفن، فى أن هذا التعريف قد وضع كثيراً من التركيز على الإدراك من خلال الحواس، وهو ما يفسر كلمة باومجارتن الجديدة فى جوهرها والمشتقة فى الأساس مـن "**aisthesis**" اليونانية التى تعنى الإدراك الحسي. فى اليونانية كانت الإشارة الأساسية إلى أشياء مادية، أى أشياء يتم إدراكها عن طريق الحواس تمييزا لها عن أشياء غير مادية أو تلك التى لا تدرك إلا من خلال إعمال الفكر. كان اسـتعمال باومجـارتن الجديـد جزءاً من التّركيز على النشاط الذاتى للحواس وعلى الإبداع الإنسانى المتخصـص للفن الذى أصبح سائدا فى هذه الحقول، والذى ورث هذه الكلمة - العنوان، علـى الرغم من أن الكتاب لم يترجم وكان محدود التوزيع. لدى كانت **Kant** أيضاً كـان الجمال يعتبر فى الأساس وبشكل حصرى ظاهرة حسّـية لكنـه اعتـرض علـى استعمال باومجارتن وعرّف علم الجمال "**aesthetics**" بالمعنى اليونـانى الأصـلى والأشمل لعلم "حالات الإدراك الحسّي". ولقد وجد كـلا الاسـتعمالين فـى أمثلـة إنجليزية متفرقة (أوائل القرن ١٩)، لكن عند منتصف القرن التاسع عشر تصـبح الإشارة إلى "الجمال" "**the beautiful**" مسيطرة، وهناك ارتباط قوى منتظم بـالفن. فى ١٨٧٩ استعمل لويز **Lewes** تهجية اشتقاقية مختلفة "**aesthesics**" فى تعريفـه لـ "العلم المجرّد للشعور". لكن "**anaesthesia**"، وهى قصور فى الإحساس البدني، كانت تستخدم من أوائل ق ١٨ ومن منتصف ق ١٩، ومع تقدم الطـب اسـتعملت

"anaesthetic" – صيغة النفى للصفة المتزايدة فى شعبيتها – بشكل واسع بـــالمعنى الأساسى الشامل لتدل على الحرمان من الشعور أو العامل المسبّب لهذا الحرمـــان. قاد هذا الاستعمال المباشر لصيغة النفى فى النهاية إلى صيغ نفـــى أخـــرى مثـــل "unaesthetic" و"nonaesthetic"، ولهما صلة بالاستعمال السائد الذى يـــدلّ علـــى الجمال أو الفن.

تمنّى كولردج "Coleridge" فى ١٨٢١ أن يستطيع العثـــور علـــى كلمـــة مألوفة أكثر مـــن "aesthetics" لأعمال "الذوق " "TASTE" و"النـــقد" CRITICIS(ا م)، وحتى ١٨٤٢ كان يشار إلى "aesthetics" على أنها "عبارة سخيفة متحذلقـــة". فى ١٨٥٩، ورغم فهم السير وليام هاملتون لها "كفلسفة الذوق" و"نظريـــة الفنـــون الجميلة"، و"علم الأشياء الجميلة"، الخ"، ورغم اعترافه بتقبلها العام "ليس فقط فـــى ألمانيا ولكن أيضاً فى بقية دول أوربا كلها"، فإنه ظل يعتقد أن "apolaustic" كانت أكثر ملاءمة. لكن الكلمة ترسّخت وأصبحت على نحو متزايد شائعة مـــع التبـــاس مستمر (هذا الالتباس كان ضمن النظرية نفسها التى أدت إلى سنّ هذه الكلمة) بـــين الإحالة إلى الفن والإشارة الأعم إلى الأشياء الجميلة. بحلول ١٨٨٠ أصبح الاســـم "محب الجمال" "aesthete" منتشر الاستعمال وفى أغلب الحالات بشكل ازدرائـــي. نمت مهاجمة مبادئ وممارسات "الحركة الجمالية" ، التى تكونت حول والتر بـــاتر Walter Pater ، والاستهزاء بها (أفضل مثال لا يزال فى الذاكرة هو عمل جلبـــرت Gilbert: *Patience* (١٨٨٠). يتزامن هذا مع رد فعل مشابه حول استعمال مـــاثيو آرنولد وآخرين لكلمة "ثقافة" "culture". لم تستعد "aesthete" إيجابيتها بعـــد هـــذا الاستعمال، والاسم الحيادى المتعلق بالجمالية كدراسة نظامية هـــو الكلمة الأقـــدم (م ق ١٩) aesthetician. بعيداً عن استعمالاتها المتخصصة فى نقاش الأدب والفن فإن الصفة "aesthetic" تشير الآن فى استعمالها العام إلى مسائل المظهر والتـــأثير النظري.

واضح من هذا السرد التاريخى أن كلمة "aesthetic" بدلالاتها المتخصصة للفن ART (انظر المصطلح)، للمظهر النظري، وإلى فئة ما هو "جميـــل" و"بـــديع"،

هي تشكيل رئيسي في مجموعة من المعاني، وهي في نفس الوقت تؤكد وتعزل نشاط الحس الذاتي SUBJECTIVE (انظر المصطلح) كأساس للفن والجمال في تمييز له عن، مثلاً، التفسيرات الاجتماعية والثقافية. إنها تشكل عنصرا في التفكير الحديث المنقسم في نظرته إلى الفن والمجتمع. إنها دلالة بعيدة عن الاستعمال الاجتماعي والتقييم الاجتماعي، يقصد بها، مثل أحد المعاني الخاصة للثقافة، التعبير عن بعد إنساني يبدو أن التفسير السائد لـ"مجتمع" يقصيها. يمكن فهم التوكيد لكن العزل قد يكون مضراً، فهناك الآن نظرة تهميشية وإقصائية بشكل عارم في العبارة الشاملة والمقيدة: "اعتبارات جمالية"، خاصة عند مقارنتها باعتبارات عملية practical أو نفعية UTILITARIAN (ا م) التي هي عناصر من نفس التقسيم الأساسي.

## استلاب ALIENATION

هذه الآن واحدة من أصعب الكلمات في اللغة. بمعزل تام عن استعمالها الشائع في سياقات عامة، فإنها تحمل معاني محددة ، مختلف عليها في نطاق من المعرفة يمتد من النظرية الاجتماعية والاقتصادية إلى الفلسفة وعلم النفس. إضافة إلى ذلك، منذ منتصف القرن العشرين، انتقلت من مجالات مختلفة في هذه المعارف إلى استعمالات عامة جديدة ، تكون فيها الكلمة عادة مشوشة بسبب التداخل والالتباس لكل من المعاني المحددة المختلفة والمعاني القديمة الأعم.

على الرغم من أن لها مظهر المصطلح المعاصر فإنها كلمة موجودة في اللغة الإنجليزية منذ قرون بمدى واسع من المعاني لا يزال سارياً. سابقتها المباشرة هي aliénacion، فرنسية قروسطية، من alienationem، لاتينية، من (س ب) alienare: يجعل غريبا أو يجعل غيريا ؛ هذه لها صلة بـ alienus، لاتينية: تخص أو تنتمي إلى شخص أو مكان آخر، من (س ب) alius : آخر، غير. استخدمت في الإنجليزية من ق ١٤ لوصف فعل الإقصاء أو حالة الإبعاد، (١): في المعتاد

بخصوص القطيعة مع الإله أو كون المرء محروما من الإله، أو انهيار العلاقات بين رجل أو مجموعة ، وسلطة سياسية ما معترف بها. من ثم استعمالها من ق ١٥ لوصف عملية نقل ملكية أى شيء من طرف إلى آخر، (٢): خاصة نقل حقوق أو ممتلكات أو أموال. فى البداية كانت هناك معانى ثانوية إضافية لمعنى (٢) حيث يكون النقل بحيلة من المستفيد (اختلاس) أو حيث يعتبر النقل تحولا عن المالك الأصلى أو الغرض الملائم. طغت فى النهاية هذه المعانى السلبية لـ (٢) واستمر المعنى القانونى لنقل طوعى ومقصود، لكن أصبح النقل غير الملائم، غير الطوعى أو حتى القسري، هو المفهوم السائد. ثم زاد التوسع ليشمل، إضافة إلى ذلك، نتائج مثل هذا النقل، حالة كون شيء تم استلابه (٣). بالقياس، استعملت الكلمة، كما حدث فى اللاتينية، بشكل أوسع من( ق ١٥) لتعنى فقدان، تراجع أو تعطيل المقدرات الذهنية وبالتالى الجنون(٤).

بشكل أو آخر تم الرجوع إلى كل هذه الدلالات السابقة فى نطاق المعانى المحدّدة المعاصرة وفى معظم الاستعمالات الناجمة عن ذلك. بحلول أوائل ق ٢٠ استعملت الكلمة استعمالاً شائعاً بطريقة رئيسية فى سياقين محدّدين: نقل ممتلكات رسمية alienation، وفي العبارة: "استلاب العاطفة" "alienation of affection" (من م ق ١٩) بمعنى التدخل المقصود والمدبر فى العلاقة العائلية المعتادة، خاصة تلك التى بين الزوج والزوجة. لكن أصبحت الكلمة فعلاً مهمة، بل أصبحت فى بعض الأحيان مفهوماً أساسياً، فى نظم ذهنية قوية ومتطوّرة.

هناك عدة صيغ معاصرة لمعنى (١). هناك المعنى الدينى المتبقى ، الذى عادة ما يدل على حالة ، بدلاً من فعل العزل أو الإقصاء عن معرفة الله أو عن رحمته أو عبادته. فى بعض الأحيان يتداخل هذا مع استعمال أعمّ له أصل أكيد عند روسّو، حيث يعتبر المرء معزولاً أو مقصيا عن طبيعته الأساسية. هناك عدة صيغ لذلك بين الوضعين الأقصيين المحدّدين للإنسان وهو مبعد عن طبيعته "الأصلية" (غالباً تاريخياً بدائية) والإنسان وهو مبعد عن طبيعته "الجوهرية" (متأصلة ودائمة). تختلف الأسباب المقدمة اختلافاً كبيراً. هناك شعور ملح بفقدان

الطبيعة الإنسانية الأصلية من خلال تطوّر حضارة CIVILIZATION (ا م) "مصطنعة" ؛ يكون عندئذ التغلّب على الاستلاب إمّا عن طريق بدائية فعلية أوغرس شعور وممارسة إنسانية ضمن إكراهات الحضارة. فى حالة الاغتراب عن الطبيعة الجوهرية تكون الصيغتان الأكثر شيوعاً هما المعنى الدينى للاغتراب عن الإلهى فى الإنسان، والمعنى السائد لدى فرويد والسيكولوجيا الواقعة تحت تأثيره، حيث الإنسان يغترب (أيضاً عن طريق الحضارة أو أطوار وممارسات الحضارة) عن طاقته الرئيسية ، وهى إما شهوة جنسية كامنة أو ظاهرة. هنا التغلّب على الاستلاب يكون إما عن طريق استعادة شعور بالمقدّس أو، كما فى تقليد بديل، استعادة كاملة أو جزئية للشهوة أو النشاط الجنسي، وهذه إمكانية تعتبر صعبة أو متعذّرة (الاستلاب بهذا المعنى هو جزء من الثمن المدفوع فى سبيل الحضارة) أو تعتبر من منظور آخر جذرية ومنظّمة (نهاية أشكال معينة من الكبْت - الرأسمالية CAPITALISM، العائلة البرجوازية BOURGEOIS FAMILY (ا م م) - التى تخلق هذا الاستلاب الجوهري).

هناك تعديل مهم لمعنى (١) عن طريق إضافة صيغ من معنى (٢) عند هيجل أو، كبديل له، ماركس. ما يتم استلابه هنا هو طبيعة جوهرية، "روح ذاتية الاستلاب"، لكن تعتبر عملية الاستلاب تاريخية. فى الحقيقة يصنع الإنسان طبيعته، وفى ذلك تعارض مع مفاهيم الطبيعة البشرية الأصلية. إنه يصنع طبيعته عن طريق موضعة (لدى هيجل هذه عملية روحية، لدى ماركس هى عملية مجهود) وتتم إزالة هذا الاستلاب الذى كان محتوماً فى السابق عن طريق تجاوزه بالتسامي. النقاش صعب ، وتزيده صعوبة العلاقة بين الكلمات الأساسية الإنجليزية والألمانية. تقابل الكلمة الألمانية entäussern بشكل رئيسى معنى (٢) الإنجليزي: يتخلى عن، يحول، يفقد لصالح آخر، ولها كذلك المعنى الإضافى الذى له أهمية قصوى فى هذا السياق: "جعل شيء ما خارجاً عن الذات". الكلمة الألمانية entfremden أقرب إلى المعنى الإنجليزى (١) خاصة بمعنى فعل أو حالة استلاب بين أشخاص (انظر شاخت Schacht بخصوص تاريخ Entfremdung. كلمة ثالثة استخدمها ماركس vergegenstandlichung تمت ترجمتها كاستلاب ، لكنها الآن تفهم بشكل شائع كـ

"تشيؤ" reification – بشكل عام، تحويل العملية الإنسانية إلى شيء "موضوعي"). على الرغم من أنه تم شرح الصعوبات بوضوح في بعض الترجمات فإن الجدل النقدى الإنجليزى شوّشه الالتباس بين المعانى وفقدان التمايز بين معنى (١) ومعنى (٢): وهذا أمر حيوى فى تطور المفهوم عندما تكون العلاقة التفاعلية بين المعنيين (١) و(٢) حاسمة، كما هو الحال بشكل خاص عند ماركس. لدى هيجل تعتبر العملية كتطوّر روحى تاريخى عالمى فى علاقة جدلية بين فاعل ومفعول ، حيث يتم التغلب على الاستلاب عن طريق اتحاد أعلى. فى نقد تالٍ للدين وصف فويرباخ Feuerbach الإله كاستلاب – بمعنى إسقاط أو تحويل – للمقدرات الإنسانية العليا ؛ تكرر ذلك فى النقاش الإنسانى الحديث وفى الدفاع الثيولوجي. لدى ماركس تعتبر العملية تاريخاً للعمل حيث يخلق الإنسان نفسه عن طريق خلق عالمه، لكن فى المجتمع الطبقى يستلب الإنسان من هذه الطبيعة الأساسية عن طريق أشكال استلاب محدّدة ، تتمثّل فى تقسيم العمل والملكية الخاصة وأسلوب الإنتاج الرأسمالى ، حيث يفقد العامل كلاً من نتيجة جهده وشعوره بقدرته الإنتاجية، وذلك نتيجة لمصادرة كليهما من قبل رأس المال. يجابه الإنسان العالم الذى صنعه كغريب وعدو، ولدى هذا العالم سلطة عليه لكنه هو الذى فى الأساس حوّل قدرته إليه. لذلك صلة بالمعنى التجارى والقانونى المفصّل للاستلاب (٢) أو Entäuserung رغم وصفه بطرق جديدة عن طريق تمركزه فى عملية الإنتاج الحديثة. هكذا يتم إنتاج استلاب (١) بالمعنى الأعم كحالة اغتراب عن طريق العمليات المتراكمة والمفصّلة تاريخياً لاستلاب (٢). تعتبر معانى ثانوية لاستلاب (١) مقابلة لـ Entfremdung – اغتراب أشخاص فى إنتاج وعمل تنافسي، ظاهرة الاغتراب العام فى مصنع أو مدينة صناعية / رأسمالية – كنتائج لهذه العملية الشاملة.

أدت كل هذه المعانى المحدّدة ، التى كانت بالطبع موضوع جدل وخلاف مطوّلين من داخل وخارج كل نظام ، إلى استعمال معاصر متزايد، وإلى تلك الاتهامات المعتادة "بعدم دقة" أو "سوء فهم"، بينما هى فى الحقيقة استعمالات بديلة للكلمة. على الأرجح الاستعمال المعاصر الأكثر انتشاراً هو المشتق من أحد أشكال

السيكولوجيا: فقدان الاتصال بحاجات وشعور الذات العميقة. لكن هناك توافقا عاما لذلك مع الرأى القائل إننا نعيش فى مجتمع "استلابي" ، مع إشارات محـددة إلـى طبيعة العمل الحديث والتربية الحديثة ونوع الجماعات الحديث. وهناك تصـنيف حديث (Seeman، ١٩٥٩) يعرّف (أ) العجـز powerlessness : عـدم القـدرة أو الشعور بعدم القدرة للتأثير فى المجتمع الذى نعـيش فيـه ؛ (ب) فقـدان المعنـى meaninglessness: الشعور بفقدان موجّه هـادٍ للسـلوك والإيمـان ؛ (ج) فقـدان النموذج normlessness: شعور بأن الوسائل غير المشروعة ضـرورية للتوصـل للأهداف المرجوة ؛ (د) انعزال isolation: ابتعاد عن المعايير والأهداف السـائدة ؛ (هـ) اغتراب ذاتى self-estrangement: العجز عن العثور على نشاطات مرضية بشكل فعلي. هذا التصنيف المجرد، الذى يُختـزل بطريقـة دالّـة إلـى حـالات سيكولوجية دون إشارة إلى عمليات اجتماعية محدّدة، مفيد فـى توضـيح المـدى الواسع جداً الذى يتضمنه الاستعمال الشائع للمصطلح. يتداخل مصطلح دوركهـايم anomie الذى تم تبنيه كذلك فى الإنجليزية مع اسـتلاب alienation خاصـة فيمـا يتعلق بمعنيى (ب) و (ج): غياب – أو الفشل فى الحصول على – نماذج مناسـبة كافية ومقنعة للعلاقات الاجتماعية وتحقيق الذات.

واضح من مدى وكثافة استعمال "استلاب" فى الحاضر أن هناك بهذه الطرق المتفاوتة تجربة مهمة وشاملة تستطيع هذه الكلمة ومفاهيمهـا المحـددة المختلفـة وصفها وتفسيرها. كان هناك تبرم من صعوباتها ونزعة لرفضها بحجة أنها ليست إلا مسايرة للنمط السائد. لكن يبدو من الأفضل مجابهة صـعوبات الكلمـة ومـن خلالها الصعوبات التى يبينها ويسجلّها تاريخها الاستثنائى وتنوع اسـتعمالها. فـى إبرازها للشعور العميق بانقسام بين الإنسان والمجتمع هى عنصر حاسم فى بنيـة عامة جداً للمعانى.

## الفوضوية ANARCHISM

دخلت الكلمة الإنجليزية anarchy في م ق ١٦ من (س م) anarchie (فرنسية)، (س ب) anarchia (يونانية قديمة) - دولة دون قائد. لم تبتعد استعمالاتها الأولى كثيراً عن الاستعمالات الأولى المعادية لـ"ديمقراطية" DEMOCRACY (ا م): "هذه الحرية أو الرخصة المخالفة للقانون التى يتصف بها العامة تسمى "Anarchie" (١٥٣٩). لكنها برزت بشكل رئيسي كوصف لأى نوع من الاضطراب والشواش chaos (يونانية تعنى هوة أو فراغ). مع ذلك بقيت anarchism "الفوضوية"، من م ق ١٧ وanarchist "فوضوي" من أواخر ق ١٧ أكثر قربا إلى المعنى السياسي: "فوضوية"، هى مبدأ ومواقف أو فن الذين يلقنون الفوضى ؛ كذلك هى كون الشعب دون أمير أو حاكم (١٦٥٦). ويكون الفوضويون، وهم موصوفون بهذه الطريقة، قريبين جداً من ديمقراطيين democrats وجمهوريين republicans فى معنييهما القديمين ؛ كذلك كان هناك ربط بين فوضويين وملحدين aetheists (Cudworth، ١٦٧٨). من اللافت أنه حتى وقت متأخر - ١٨٦٢- كتب سبنسر: "ينكر ... الفوضوى حق أى حكومة فى المساس بحريته الشخصية" ؛ هذه الآن فى الغالب، عبارات ليبرالية جديدة معيّنة أو ، والحق يقال ، محافظة متطرفة.

لكن بدأت المصطلحات فى التزحزح فى سياق الثورة الفرنسية الخاص عندما هاجم الجيرونديون أعداءهم المتطرفين على أنهم فوضويون، بالمعنى العام القديم. كان هذا سبباً فى تماهى "فوضوية" مع سلسلة اتجاهات سياسية متطرفة، ويبدو أنه تم تبنى عبارة الشتم بشكل لا يقبل الجدل من قبل برودون Proudhon فى ١٨٤٠. من هذه الفترة تبدأ "فوضوية" فى تكوين اتجاه رئيسى داخل الحركات الاشتراكية والعمال، غالباً فى خلاف مع الصيغ المركزية للماركسية MARXISM والأشكال الأخرى للاشتراكية SOCIALISM (ا م م). بناء على اقتناع، تبنت مجموعات من سبعينيات ق ١٩، عرّفت نفسها فى الماضى كتبادلية تعاونية mutualists، فيدراليين federalists، معارضى التسلط، "فوضويين" كهوية لها،

وتطورت هذه الحركة العريضة إلى منظمات ثورية أصبحت مناوئة لـــ "اشتراكية الدولة" و لـــ "دكتاتورية البروليتاريا". أسست حركة نقابة الفوضويين syndicalist - anarcho المهمة تنظيماً اجتماعياً على مبدأ تجمعات ذاتية الإدارة ، معتمـــدة علــى اتحادات العمال، وسعت إلى أن تحل هذه محل كل أشكال تنظيم الدولة.

مع ذلك، تبنى اتجاه أقلية فى "الفوضـــوية"، بشـــكل رئيســـى بـــين ١٨١٧ و١٩١٤، وسائل عنف واغتيال فردية ضد الحكام السياسيين. لم يفقد معنى متبـــق من anarchist فوضوى صلته "بإرهابي" "terrorist" (وجدت فى اللغة هى وإرهاب terrorism من ق ١٨) رغم أنه منفصل تماماً عن حركة الفوضوية الرئيسية.

ما زالت "الفوضوية" المتعمدة والمنتحلة حركة سياسية مهمة لكن من اللافت أنه تم تبنى أفكار ومقترحات فوضوية كثيرة فى مراحل لاحقة من الفكر الماركسى والفكر الاشتراكى الثورى الآخر، بالرغم من العناية بإبقاء بعد كاف فى العادة عن الكلمة بكل إيحاءاتها القديمة.

## أنثروبولوجيا – علم الإناسة ANTHROPOLOGY

دخلت أنثروبولوجيا الإنجليزية فى أوائل ق ١٦. يظهر أول استعمال موثـــق لها عند R. Harvey فى ١٥٩٣ وله نبرة حديثة: "شجر أنسابهم ونسلهم، فنونهم التى درسوها، الأعمال التى قاموا بها. هذا الجزء من التاريخ يسمى انثروبولوجيا. لكن يطغى معنى مختلف فى الثلاثة قرون التاليـــة. اســـتخدم ارســـطو Anthropologos (يونانية) – خطاب ودراسة الإنسان – ومعهـــا الصـــيغة الاســـمية المتضـــمنة anthropologia، ثـــم فـــى ١٥٩٤-١٥٩٥ أحيـــا الكلمـــة كاســـمان Casmann: *Animae Humanae Doctrina Anthropologica: II، Psychologica Anthropologica sive* Corporis، *Anthropologia: II, hoc est de fabrica Humani* . المصـــطلحان الحـــديثان لجـــزأى مؤلَـــف Casmann همـــا ســـيكولوجيا PSYCHOLOGY (ا م) وفيسيولوجيا، لكن الغرض كان الربط بينهما بمفهوم كان لا يزال ساريا فى تعريف

ق ١٨ المعتمد: "تشمل الأنثروبولوجيا اعتبارات كل من الجسد والروح ، وقوانين اعتمادهما ، ونتائج ذلك الاتحاد ، مثل الإحساس، الحركة الخ..) ما نجم عن ذلك كان تخصص الدراسات البدنية إما (١) فيما يتعلق بالحواس – "تحليل حواسنا فى أكثر كتب الأنثروبولوجيا انتشاراً" (كوليردج، ١٨١٠) وإما (٢) فى تطبيق ذلك على مسائل التنوع الجسدى للبشر (قارن "عرقي" RACIAL) والنشوء والارتقاء EVOLUTION (ا م) البشرى. هكذا حتى أواخر ق ١٩ كان المعنى السائد هو فرع من العلوم نميّزه الآن كـ "أنثروبولوجيا طبيعية".

إن ظهور (أو ، ربما متذكّرين Harvey، إعادة ظهور) معنى أكثر شمولاً، ما نميّزه الآن كأنثروبولوجيا "اجتماعية" و"ثقافية"، هو تطوّر فى ق ١٩ مرتبط ارتباطاً وثيقاً بتطوّر أفكار كل من حضارة CIVILIZATION (ا م) وثقافة "Culture" (ا م)، خاصة الأخيرة. عموما يعتبر مؤلف تايلور: Tylor: الثقافة البدائية ***Primitive Culture*** النص المؤسس للعلم الجديد فى العالم الناطق بالانجليزية. من ناحية ، يعود ذلك إلى تمييز هردر Herder في أوائل ق ١٨ لثقافات متعددة – سبل حياة متباينة يجب دراستها ككل بدلاً من دراستها على أنها مراحل للتطور DEVELOPMENT (ا م) فى الطريق إلى حضارة أوربية. من ناحية أخرى ، يرجع إلى مفاهيم مستمّدة من: "مراحل" التطور نفسها (الشائعة لدى مفكرى عصر التنوير فى ق ١٨)، وبشكل ملحوظ ترجع كذلك إلى كتابى "كليم": التاريخ الثقافى العام للبشرية G.F Klemm: ***Allegmeine Kulturgeschichte der Menschheit*** (١٨٤٣-١٨٥٢)، وعلم الثقافة العام ***Allgemeine Kulturwissenschaft***(١٨٥٤-١٨٥٥). ميّز "كليم" ثلاثة مراحل للتطور البشرى: الوحشية، التدجين، والحرية. فى ١٨٧١، حدّد بطريقة عميقة الأثر الأمريكى لويس مورجان، وهو رائد فى الدراسات اللغوية للقرابة، ثلاثة مراحل فى كتابه المجتمع القديم ***Ancient Society***، وعنوانه الفرعى بحوث فى مسار التطور البشرى من الوحشية عبر البربرية إلى الحضارة. من خلال إنجلز ، كان لهذا أثر عظيم فى بداية الماركسية، لكن تكمن أهمية هذا التوجّه لمفهوم الأنثروبولوجيا فى تركيزه على الثقافات البدائية (أو "الوحشية") ، سواء كان ذلك أم

لم يكن ، من وجهة نظر "التطوّر". فى فترة الاستعمار والإمبريالية الأوربية ، وفى المرحلة المقاربة فى علاقات الأمريكيين بالقبائل الهندية المندحرة ، كانت هناك وفرة من المواد لكل من الدراسات العلمية واهتمامات أخرى أكثر عمومية. (بعض هذه الاهتمامات نظّمت فيما بعد كأنثروبولوجيا "علمية" أو "تطبيقية"، واضعة المعرفة العلمية فى خدمة السياسات الإدارية والحكومية.) لكن التأثر الأهم كان التخصّص النسبى للانثروبولوجيا فى الثقافات "البدائية"، رغم أن هذا المجهود قدم، عندما تم انجازه، نماذج دراسات لـ "طرق حياة كاملة ومتميّزة"، مما كان له أثر فى دراسة "البنيات البشرية" structures، ومن ثم عمّمت هذه فى أحد الاتجاهات كـ "بنيوية" STRUCTURALISM (ا م) فى المجالين المتقاربين: اللغويات والأنثروبولوجيا ؛ وعممت فى اتجاه آخر كـ "وظيفية" functionalism ، وتكون فيها المؤسسات الاجتماعية استجابات ثقافية (متفاوتة) لحاجات إنسانية أساسية؛ وساهم هذا التخصص لأنثروبولوجيا كذلك فى تجميعها أدلّة مقارنة شاملة، شجعت بشكل عام فكرة ثقافات وسبل تطور بشرى بديلة ، فى تمييز حاد لها عن فكرة المراحل المنتظمة فى عملية أحادية المسار تجاه "الحضارة".

هكذا كان لا يزال هناك فى منتصف ق ٢٠ "الأنثروبولوجيا الطبيعية" المعمّرة، أنثروبولوجيا الشعوب "البدائية" المتشعبة؛ وفى مساحة ليست محددة تتعدى ذلك ، هناك معنى انثروبولوجيا كأسلوب دراسة ومصدر أدلّة لمجال أفسح ، يضم طرق الحياة البشرية الحديثة. بالطبع بحلول هذه الفترة توطدت "السوسيولوجيا"، علم الاجتماع SOCIOLOGY (ا م) فى أشكال مختلفة ، كفرع من فروع الدراسة تدرس فيه المجتمعات الحديثة (وفى بعض المدارس، "الثقافات" الحديثة)، وكنتيجة لذلك كان هناك تداخل معقّد لها بما سمى الآن (بشكل رئيسى لتمييزها عن الأنثروبولوجيا الطبيعية) أنثروبولوجيا "اجتماعية" و"ثقافية" (أصبحت "اجتماعية" أكثر شيوعاً فى بريطانيا، "ثقافية" فى أمريكا)، رغم أن أنثروبولوجيا ثقافية فى العادة تدل فى أمريكا على دراسة المنتجات الحرفية المادية artifacts.

يبين فى بعض الأحيان تاريخ الكلمات المعقد القضايا الثقافية الرئيسية المرتبطة بهذا التكتّل من المصطلحات وفروع المعرفة لكنه ربما يخفيها فى أحيان أكثر. من اللافت أن تجميعاً جديداً لهذه الاهتمامات والمعارف المتقاربة والمتشابكة يعرف بشكل متزايد منذ أواسط ق ٢٠ كـ "علوم إنسانية" (خصوصاً فى فرنسا) الذى يعيد فعلياً، فى لغة حديثة وفى صيغة الجمع، البدء مرة أخرى لما كان المعنى الحرفى ثم المتخصّص بطرق متعددة لأنثروبولوجيا.

انظر: CIVILIZATION حضارة، CULTURE ثقافة، DEVELOPMENT تنمية، EVOLUTION نشوء/تطور، PSYCHOLOGY سيكولوجيا، SOCIOLOGY علم اجتماع، STRUCTURAL بنائى

## فن ART

لا يزال المعنى الأصلى العام لفن art ، الذى يشير إلى أى نوع من المهارات ، موجوداً فى الإنجليزية. لكنه أصبح معنى شائعاً أكثر تخصّصاً، وفى حالة "الفنون" "the arts" وبشكل أدق "فنان" "artist" أصبح المعنى الأكثر تخصصاً سائداً.

استعملت "art" فى الإنجليزية منذ ق ١٣، (س م) art، فرنسية قديمة، (س ب) artem، لاتينية – مهارة. استعملت دون تخصص طاغ حتى أوائل ق ١٧ فى مواضيع متعددة مثل الرياضيات والطب وصيد الأسماك. فى منهج الدراسة الجامعى فى القرون الوسطى كانت الفنون arts ("السبعة فنون" وفيما بعد الفنون الليبرالية LIBERAL (ا م)) هى القواعد، المنطق، البلاغة، الحساب، الهندسة، الموسيقى والفلك، واستعملت "فنان" "artist": من ق ١٦، أولاً فى هذا السياق، لكن مع تطورات، معاصرة تقريباً، لوصف أى شخص ماهر (وهى بذلك مطابقة فعلاً لحرفى "artisan" حتى أوائل ق ١٦) أو ممارس، فى تصنيف آخر، لأحد الفنون

التى تترأسها الآلهة السبعة، : تاريخ، شعر، كوميديا، تراجيديا، موسيقى، رقص وفلك. ثم من أوائل ق ١٧ كان هناك بشكل متزايد استعمال شائع متخصّص لمجموعة مهارات لم تتمثل رسميا حتى ذلك الوقت: رسم painting، رسم بالرصاص drawing، نقش engraving، ونحت sculpture. لم يتوطّد تماماً المعنى السائد الآن لفن "art" وفنان artist الذى يشير إلى هذه المهارات حتى أواخر ق ١٩، لكن، ومن ضمن هذا التصنيف أنه فى أواخر ق ١٨ وبإلماع خاص لاستثناء النقّاشين من الأكاديمية الملكية الجديدة، تعزّز تمييز عام الآن بين "فنان" artist و"حرفي" artisan – الأخيرة مخصصة للعامل اليدوى الماهر دون أغراض "ثقافية" أو "خيالية" أو "إبداعية". سمح هذا التطور لحرفى artisan وتعريف منتصف ق ١٩ لعالم scientist بتخصيص "فنان" artist، وليس التمييز الآن بين الفنون الليبرالية وإنما بين "الفنون الجميلة" fine arts.

من الصعب تحديد ظهور Art "فن" المجردة والبادئة بالحرف الكبير، بقوانينها الداخلية لكن العامة. هناك استعمالات عديدة مقبولة من ق ١٨، لكن لم يصبح المفهوم شائعاً إلا فى ق ١٩. بهذا المعني، ترتبط تاريخياً بتطور "ثقافة" CULTURE و"جمالية" AESTHETICS (ا م م) .فى ١٨١٥ كتب وردزورث للرسام هايدون Haydon : "أيها الصديق : سامية هى مهنتنا، الفن الإبداعى Creative Art". يؤرخ فعليا من نهاية ق١٨ وبداية ق١٩ للربط المعتاد الآن بين فن وابداعى creative وتخيلي imaginative كشأن تصنيفي. ويؤرخ للصفة فنى artistic من منتصف ق ١٩. ويعود تاريخ "مزاج فني" "artistic temperament" "وحساسية فنية" "artistic sensibility" إلى نفس الفترة. وينطبق نفس القول على artiste التى هى تخصيص فيه تمييز إضافى لوصف المؤدين performers مثل الممثلين أو المغنيين، وبهذه الطريقة يحتفظ بفنان artist للرسام والمثال وفى النهاية (من منتصف ق ١٩) للكاتب ومؤلف الموسيقي.

من المثير للاهتمام ملاحظة كلمات فى فترات مختلفة تتميّز ، فى العادة ، عن فن art أو تتعارض معها. قبل وسط ق ١٧ عنت artless دون تكلف – "غير

ماهر" unskilled أو "خال من المهارة" "devoid of skill" وتبقى هذا المعنى. لكن كان هناك تعارض مبكر معتاد بين "فن" "art" و"طبيعـــة" "nature : أى بـــين نـــاتج مهارة الإنسان وناتج ميزة متأصلة. ثم اكتســـبت "artless مـــن منتصـــف ق ١٧، وخصوصاً من أواخر ق ١٨، معنى إيجابيا يوضح التلقائية حتى فى الفن. بينما ما زالت art تعنى مهارة ومثابرة وINDUSTRY (ا م) تعنى مهارة مضنية، فإن الكلمتين كانتا وثيقتا الارتباط، لكن عندما أصبحت كل منهما مجردة ومتخصصـــة، فإنهمـــا كانتا فى الغالب، من أوائل ق ١٩، متعارضتين كمجالين منفصلين للخيال والمنفعة. حتى ق ١٨ كانت معظم العلوم فنوناً ؛ فعلياً يؤرخ من منتصـــف ق ١٩ للتمييـــز الحديث بين علم science و"فن art " كمجالين متعارضين للمهارة والجهد البشريين بمناهج وأهداف مختلفة جذرياً، رغم أن نفس الكلمتين تعارضتا أحياناً فى مرحلـــة أسبق بمعنى "نظرية" theory و"ممارسة" practice (انظرTHEORY وSCIENCE ).

بوضوح ، ترتبط هذه المجموعة من التمييزات التاريخية المعقدة بين أنـــواع مختلفة من المهارات البشرية وأغراض أساسية متنوعة فى استعمال هذه المهارات بكل من التغيرات فى التقسيم الفعلى للعمل ، ولتغيرات أساسية فى تعريفات عمليـــة لأهداف ممارسة المهارة. يمكن ارتباطها بشكل رئيسى بالتغيرات المتأصـــلة فـــى إنتاج السلع الرأسمالى ، بما فى ذلك من تخصيص وتحويل قيم الاستعمال إلى قـــيم تبادل. بالمقابل نجم هناك تخصص دفاعى لمهارات وأغراض معينة لـــ "الفنـــون" the arts أو الإنسانيات humanities ، حيث يمكن ، على الأقل ، لصيغ الاســـتعمال والهدف العام التى لا يحدّدها التبادل المباشر أن تتجرد ذهنياً. هذا الأساس الرسمى للتمييز بين "فن" art وصناعة industry ، وبين الفنون الجميلة والفنـــون النفعيـــة "useful arts" (فى النهاية، اكتسبت هذه الأخيرة مصـــطلحاً جديـــداً متخصصـــاً : TECHNOLOGY (ا م).

يتميز "الفنان" artist إذن ، ضمن وجهة النظر الأساسية هذه ، ليس فقط عن "العالم" scientist و"التكنولوجي" technologist– وكل منهما فى أوقات سابقة كان ينطبق عليه وصف "فنان" – ولكن أيضاً عن حرفى وصـــانع يـــدوى craftsman

وعامل ماهر "skilled worker" الذين هم الآن عمال operatives حسب تعريف وتنظيم العمل WORK (ا م) المحدد. بينما يتم التوكيد على هذه الفروقات العملية ضمن طريقة الإنتاج المفترضة، تكتسب "فن" art و"فنان" artist تداعيات أكثر عمومية (وأكثر غموضاً)، عارضة التعبير عن اهتمام إنسانى (أى غير نفعي) عام، فى الوقت الذي، للمفارقة، تعامل فيه معظم أعمال الفن "works of art" كسلع ، ويعامل معظم الفنانين artists فعلياً كفئة من الحرفيين أو العمال المهرة ، تنتج نوعاً معيناً من السلع الهامشية، حتى عندما يدعون عن حق أهدافاً مختلفة تماما.

انظر: AESTHETIC جمالى، CREATIVE خلاق، CULTURE ثقافة، GENIUS عبقرى، INDUSTRY صناعة، SCIENCE علم، TECHNOLOGY تكنولوجيا

## سلوك BEHAVIOUR

لا تزال behave كلمة لافتة جداً وتشكل بعض الصعوبات. كانت هناك behabban (ا ق) وتعني يحتوى to contain، من (س م) be – حول، habban – يمسك hold. لكن يبدو أن الكلمة الحديثة دخلت اللغة الإنجليزية للمرة الأولى فى ق ١٥ كنوع من التقييد للفعل have (قارن sich behaben فى الألمانية). وخاصة فى المعنى الانعكاسى لـ "أن يمسك المرء (يتحمل) نفسه" "to have (bear) oneself". فى أمثلة من ق ١٦ استعمل الفعل الماضى behad. المعنى الرئيسى الذى برز هو سلوك أو تصرف عام: ربما يكون التحديد الحديث الأقرب لذلك هو deportment أو المعنى الخاص (من ق ١٦) لتقاليد manners (قارن mannerly من ق ١٤). فى الفعل لا يزال هذا هو المعنى السائد ولا تزال "behave (yourself)" تعنى فى العامية "أن تتصرف تصرفاً حسناً"، بيد أن "behave badly" تعنى أن تتصرف بشكل سيئ. فى مسار تطور الكلمة من معناها الأصلى المحدد نسبياً والمبجّل كسلوك عام (الذى لاحظه جونسون Johnson مع تركيز على ما هو

خارجي) إلى مصطلح يلخّص، في معنى أخلاقي عام، سلسلة كاملة من النشاطات. اكتسبت behave غموضاً معيناً، وأصبح هذا مهما ، بشكل خاص ، في تطوّر سلوك behaviour المصاحب لذلك، لا يزال استعمال الاسم للإشارة إلى السلوك العام أو، بمعنى أخلاقي، إلى سلسلة عامة من النشاطات ، شائعاً بقدر كاف ؛ المثال الكلاسيكي هو: When we are sick in fortune، often the surfeits of our own behaviour "إذا ما اعتل الدهر بنا، غالبا لإفراط منا في سلوكنا" (الملك لير الفصل١، المشهد٢). لكن التطوّر الحاسم هو الاستعمال الحيادي للتعبير ، دونما أية تضمينات أخلاقية ، لوصف الطرق التي يقوم بها شخص أو شيء بفعل أو (رد فعل) في حالة محددة. بدأ هذا في الوصف العلمي في ق ١٣ لكنه لم ينتشر قبل ق ١٩. يبدو أن التحول الحاسم حدث في أوصاف الأشياء المادية التي حملت مفهوماً واضحاً لفكرة الملاحظة observation التي ترتبط على الأرجح بالمعنى الرئيسي السابق ، الذي يدل على سلوك عام تحت المراقبة observable. بالتالي: "لنشاهد ... سلوك الماء الذي يجف من ساحل منبسط من الوحل" (هكسلي Huxley، ١٨٧٨). استعمل التعبير بالنسبة للنباتات والكائنات الحية الدنيا والحيوانات، وبحلول ق ١٩ كانت شائعة الاستعمال بمعناها الحالي: "النشاط الواضح خارجياً للكائن الحي ككل" (قارن سلوك الحيوانات "animal behaviour" ومرادفتها المتخصّصة ethology علم سلوك الحيوانات ؛ كانت الاثولوجيا قد عرّفت في السابق كـ"قيام الحيوانات بالتقليد"mimicry، ق ١٧ ؛ علم الأخلاق ethics، ق ١٨ ؛ علم الشخصية character (مل Mill، ١٨٤٣). واضح هنا التسلسل من تعاريف أخلاقية إلى حيادية كما هو واضح بالنسبة لسلوك behaviour، ويمكن بالطبع ملاحظته أيضاً في شخصية character).

نجم معنى معيّن من التوسّع في منهج العلوم البيولوجية والطبيعية واستعمل في مدرسة ذات نفوذ في علم النفس وصفت نفسها (واتسون Watson، ١٩١٣) بـ"السلوكية" behaviourist و(بعد فترة وجيزة) المدرسة السلوكية behaviourism. اعتبر علم النفس "فرعاً من العلوم الطبيعية : موضوعياً وتجريبياً" (واتسون)، واستثنيت المعطيات ذات الصبغة "الذهنية أو التجريبية" على أنها غير علمية.

النقطة الأساسية فى هذا التعريف كانت مفهوم "قابل للملاحظة" التى كانت محصورة فى البداية على "قابل للقياس بطريقة فيزيائية موضوعياً"، لكن عدلتها تطورات لاحقة ، كانت لا تزال تسمى سلوكية أو سلوكية حديثة neo-behaviorist (سجل استعمال neo، يونانية – جديد new ، لتوضيح صيغة جديدة أو مراجعة لمبدأ منذ ق ١٣ ، لكن أصبحت شائعة جداً من أواخر ق ١٩) ، إلى "ممكن قياسه بطريقة تجريبية"، وفى ذلك اعتراف بأنواع مختلفة من المعطيات "الذهنية" و"التجريبية" (قارن SUBJECTIVE ذاتية) تحت شروط ملاحظة حاكمة". ربما كان أكثر أهمية من النقاش المنهجى داخل علم النفس ، التوسّع، من هذه المدرسة ومن عدة اتجاهات اجتماعية وثقافية تمت لها، فى معنى سلوك فى دلالته الجديدة الشاملة لكل نشاط (ملحوظ)، وعلى الخصوص النشاط الإنساني، باعتباره "تفاعلا" interaction بين "متعضي" (organism) وبيئته environment، وكان عادة ما يحدّد كحافز stimulus واستجابة response. فى عدد من المجالات لم يكن لهذا أثر فى حصر دراسة النشاط البشرى فقط، وإنما كذلك طبيعته فى تفاعلات تحددها DETERMINED (ا م) البيئة، ومفاهيم أخرى مثل "النية" أو "الغرض" إما رفضت أو عوملت فى أحسن الأحوال كثانوية، والتركيز الطاغى دائماً هو على النتيجة (الملحوظة): السلوك. فى العلوم الإنسانية وفى حقول اجتماعية تطبيقية (بعيدة عن الحيادية) كثيرة مثل الاتصالات COMMUNICATIONS (ا م) والإعلان advertising (التى تطورت من معناها العام كإشعار notification، من ق ١٥، إلى نظام تأثير منظم فى سلوك المستهلك CONSUMER (ا م)، خصوصاً من أواخر ق ١٩)، تطور معنيا "الحافز و" الاستجابة" ، اللذين يتسمان نسبياً بالحيادية الفيزيائية ، إلى نظام اختزالى من السلوك المحكوم كملخّص لكل النشاط الإنسانى المهم. (controlled محكومة، مضبوطة، هى كلمة لافتة بسبب التداخلات بين شروط تجربة قابلة للملاحظة – تطورت من مفهوم ونظام مراجعة فى المحاسبة التجارية، من ق ١٥ – وظروف ممارسة كبح أو سلطة على آخرين، أيضاً من ق ١٥. يبقى المعنيان منفصلين ، لكن كان هناك تنقل فعلى بينهما.) النتيجة الأهم هى وصف ممارسات وأنظمة إنسانية معينة ، فيها "قصد" وغرض . وكذلك حوافز "صنعية" و

"موضوعية" ممكن تصنيف الاستجابات لها على أنها normal "ســـويّة"، "شـــاذة" abnormal أو "منحرفة" deviant. هكذا يمكن إضعاف معنى اســتجابة "ذاتيـــة" أو "مستقلة" independent (إما بشكل عام أو بمعنى كونهـــا خـــارج شـــروط نظـــام مفترض) بما لذلك من نتائج هامة فى السياسة وعلم الاجتماع (قارن "مجموعـــات منحرفة"، "سلوك سياسى منحرف")، فى علـــم الـــنفس (قـــارن RATIONALIZAION تسويغ) وفى فهم الذكاء أو اللغة (سلوك لغوي) حيث يجرى هناك الآن جدال هـــام بين مفهوم أوسع للتفسيرات السلوكية وتفسيرات مبنية على تعـــابير مثـــل توليديـــة generative وإبداعية CREATIVE (ا م).

بمعزل عن هذه المحاولات المحورية والمحدّدة فإنه يبقى مهمـــاً أن تعبيـــراً للسلوك العام أمكن تطوره إلى تعبير هو الأكثر استعمالاً والأكثر حيادياً فى الظاهر لكل أنواع النشاطات.

## برجوازى BOURGEOIS

كلمة Bourgeois صعبة جداً فى الإنجليزية: أولاً رغم أنها شائعة الاستعمال فهى لا زالت كلمة فرنسية بشكل واضح، "أنجلزتها" السابقة كانت إلـــى burgess، مـــن burgeis (فرنسية قديمة) ومـــن burgeis (إنجليزيـــــة وســـطي)، burges، (borges) – ساكن قصبة، وظلت ثابتة بمعناها الأصلى المحـــدود ؛ ثانيـــا، لأنهـــا ترتبط بشكل خاص بالطرح الماركسى الذى قد يجذب عداءاً ونبذاً (ومن المناســـب هنا أنه فى هذا السياق لا يمكن ترجمة bourgeois ترجمـــة دقيقـــة إلـــى الصـــفة الإنجليزية المألوفة وسطى الطبقة "middle-class") ؛ ثالثاً، لأنها توسّعت، خاصـــة فى الإنجليزية فى السنوات العشرين الأخيرة، جزئياً من هذا المعنى الماركســـى ، لكن بشكل رئيسى من المعانى الفرنسية الأسبق، إلى تعبير عام ، وغالبـــاً مـــبهم ، للازدراء الاجتماعي. لفهم هذا المدى من المعانى من الضرورى تتبّع تطور الكلمة

فى الفرنسية وملاحظة صعوبة خاصة فى ترجمة الكلمة الألمانية bürgeslich إلـــى كل من الفرنسية والإنجليزية.

فى ظل النظام الإقطاعى فى فرنسا كان bourgeois تصـــنيفاً قضـــائياً فـــى المجتمع يتحدّد بشروط مثل مدة الإقامة. كان التعريف الأساسى هو لمواطن ثقـــة، طريقة حياته فى آن مستقرة وغير مدين. تصدر المعانى المبكرة المناوئة من رتبة اجتماعية أعلي: ازدراء أرستقراطى لتوسط mediocrity البرجوازى توسع، خاصة فى ق ١٨، إلى ازدراء فلسفى وثقافى للحياة والأفكار المحدودة وإن كانت مســـتقرّة لهذه الطبقة "الوسطي" (كان هناك استعمال إنجليزى مـــوازٍ فـــى ق ١٧ و ق ١٨ "لمواطن" citizen واختصارها "cit"). كان هناك ربط مستمر للبرجوازى بالتجارة، لكن للنجاح كبرجوازى وللعيش حياة برجوازيـــة bourgeoisement كـــان المعنـــى الأفضل هو التقاعد والعيش على الدخل المستثمر. كان المنزل البرجـــوازى هـــو المنزل الذى لا تدار فيه تجارة أو مهنة (استثنى فيما بعد المحامون والأطباء).

كان للنمو المستمر فى الحجم والأهمية لهذه الطبقة البرجوازية فـــى قـــرون التوسع التجارى نتائج عظيمة فى الفكر السياسي، والتى بدورها كان لها تأثير مهم ومعقد على الكلمة. تم التعبير عن مفهوم جديد للمجتمع SOCIETY (ا م) وترجم ذلك فى الإنجليزية، خاصة فى ق ١٧، كمجتمع "مدني" "civil"، لكـــن مرادفـــات هـــذه الصفة كانت، وفى بعض النواحى لا تزال، هى الفرنســـية bourgeois والألمانيـــة bürgerlich. فى استعمالات إنجليزية لاحقة تمت ترجمة هاتين كبرجوازى بمعنـــى ق ١٩ الأكثر تحديداً مما أدى فى الغالب إلى تشويش.

قبل المعنى الماركسى المحدّد، أصبحت برجوازى تعبير ازدراء ، إلا أنهـــا كانت أيضاً تعبير احترام ممن هم دون ذلك. العامل النـــازح أو الجنـــدى اعتبـــر البرجوازى الراسخ نقيضه ؛ العامل العادى اعتبر البرجوازى الرأسمالى موظِّفـــاً. هكذا توطد تماماً البعد الاجتماعى للاستعمال اللاحق بحلول أواخر ق ١٨، بـــالرغم من أن الازدراء الأرستقراطى والفلسفى المختلفين جوهرياً كان لا يـــزال مفهومـــاً فعّالاً.

كان تعريف المجتمع البرجوازى مفهوماً مركزياً لدى ماركس، لكن كان التعبير خاصة فى بعض أعماله المبكرة غامضاً، حيث أنه بالنسبة لهيجل كان "مجتمع مدني" تعبيراً هاماً يجب تمييزه عن الدولة STATE (ا م)، بينما استعمل ماركس – وفى النهاية زاوج – المعانى الأولى واللاحقة. يتبع مفهوم ماركس الجديد للمجتمع البرجوازى الاستعمال التاريخى الأسبق، من مواطنين مستقرين وغير مدينين إلى طبقة متامية من التجّار والمقاولين entrepreneurs وأرباب العمل. ارتكز هجومه على ما أسماه النظرية السياسية البرجوازية (نظرية المجتمع المدني) على ما اعتبره مفاهيم ومؤسسات لها توصف زيفا بأنها شاملة بينما هى فى الحقيقة مفاهيم ومؤسسات مجتمع برجوازى معين: أى مجتمع أصبحت فيه البرجوازية bourgeoisie (اسم الطبقة الآن هو أكثر أهمية) أو فى طورها أن تصبح سائدة. أدّت مراحل مختلفة من المجتمع البرجوازى إلى مراحل مختلفة من أسلوب الإنتاج الاقتصادى الرأسمالى CAPITALIST (ا م) أو، كما صيغت فيما بعد بطريقة أدق، أدت مراحل مختلفة من أسلوب الإنتاج الرأسمالى إلى مراحل مختلفة فى المجتمع البرجوازى ومن ثم أفكار برجوازية، شعور برجوازي، أيديولوجيا برجوازية، فن برجوازي. بمفهوم ماركس دخلت الكلمة الاستعمال العام، لكن فى الغالب يصعب فصلها فى بعض النواحى عن الازدراء الأرستقراطى والفلسفى المتبقى، ومن شكل لاحق سائد بشكل خاص بين الفنانين والكتّاب والمفكّرين خارج المؤسسة الذين قد لا يؤيدون – وفى الغالب لا يؤيدون – تعريف ماركس المركزى ولكنهم يحتفظون بمعنى المناوأة القديم ضد المحترمين والراسخين (من المتوسطين mediocre).

تعقيد الكلمة إذن واضح. هناك مشكلة حتى فى الاستعمال الماركسى الدقيق كون الكلمة نفسها "برجوازي" استعملت لوصف مراحل وفترات من التطور الاجتماعى والثقافى متميزة تاريخيا. فى بعض السياقات لا بد وأن يكون هذا على وجه الخصوص مشوشا: بوضوح الايدولوجيا البرجوازية لمواطنين مستقرين مستقلين ليست مثل الايدولوجيا البرجوازية لعمال مؤسسة شبه قومية كثيرى التنقل. تمييز "برجوازى صغير" petit bourgeois هو محاولة لإبقاء الخواص التاريخية

السابقة، لكن يستعمل التعبير أيضاً لتصنيف محدّد ضمن مجتمع أكثر تعقيداً وحركة. كذلك هناك مشاكل في العلاقة بين برجوازى ورأسمالى capitalist اللذين يستعملان دونما تمييز لكن لدى ماركس، يتم التفريق بينهما بشكل رئيسى على أنهما تعبيران ، أحدهما اجتماعى والآخر اقتصادي. هناك صعوبة محدّدة فى وصف الرأسماليين ممن هم ليسوا من أهل المدن (مثلا، أرباب العمل الزراعيين الرأسماليين) كبرجوازيين ، لما لهذه الكلمة من آثار المفهوم المديني، رغم أن العلاقات التى يقيمونها تجرى حسب مفهوم ق ١٩ المتطور. هناك أيضاً صعوبة فى العلاقة بين وصف المجتمع البرجوازى ووصف البرجوازية كطبقة. طبقاً لماركس ، المجتمع البرجوازى هو مجتمع تكون فيه الطبقة البرجوازية سائدة، لكن قد تكون هناك صعوبات فى الاستعمال، مرتبطة ببعض خلافات التحليل الأكثر حدّة، عندما تستعمل نفس الكلمة لكل المجتمع الذى تسود فيه طبقة واحدة (لكن الذى توجد فيه بالضرورة طبقات أخري) وتستعمل كذلك لطبقة محددة ضمن هذا المجتمع. نلاحظ الصعوبة بشكل خاص فى استعمالات "برجوازي" كصفة لممارسة لم يتم تصنيفها داخل المضامين الاجتماعية والاقتصادية الواصفة للبرجوازية.

• هكذا فليس من المدهش أن هناك مقاومة لاستعمال الكلمة فى الإنجليزية لكن يجب القول إنه ليس هناك بديل فعلى فى الإنجليزية لمعانيها الدقيقة فى الطرح الماركسى أو التاريخى أو السياسي. تفى ترجمة طبقة متوسطة middle-class بمعظم معانى ما قبل ق ١٩ فى الإشارة إلى نفس النوع من الناس وطرق حياتهم وأفكارهم كما كان يفهم من برجوازى ومن مواطن، ومن مدنى ؛ كانت استعمالات "citizen" و "cit" العامة شائعة حتى أواخر ق ١٨، لكن تقلّصت بعد ظهور middle-class فى أواخر ق ١٨. رغم أن طبقة وسطى middle-class (انظر CLASS) تعبير حديث، إلا أنها تستند إلى تقسيم ثلاثى قديم للمجتمع - عالي، متوسط، أدنى - كان له أهمية قصوى فى المجتمع الإقطاعى وما بعد الإقطاع مباشرة ، والتى حسب الاستعمالات اللاحقة لم تكن ملائمة أو ملائمة لكن بشكل قاصر ، كوصف لمجتمع برجوازى متطوّر أو كامل التكوين. الطبقة الحاكمة ruling class التى هى المفهوم الاشتراكى للبرجوازية فى سياق الوصف التاريخى

للمجتمع الرأسمالى المتطور ، لا تمثلها بسهولة أو وضوح الطبقة الوسطي، المختلفة جوهرياً. لهذا السبب، خاصة فى هذا السياق ورغم الصعوبات، ستستمر الحاجة إلى استعمالها.

انظر : CAPITALIST رأسمالى، CIVILIZATION حضارة، CLASS طبقة، SOCIETY مجتمع

## بيروقراطية BUREAUCRACY

تظهر بيروقراطية فى الإنجليزية من وسط ق ١٩. كتب كارلايل Carlyle فى *Latter-Day Pamphlets* (١٨٥٠) عن "الإزعاج الأوربى المسمى "بيروقراطية"، وكتب مِلْ Mill فى ١٨٤٨ عن عدم المصلحة فى تركيز كل سلطة العمل المنظم فى "بيروقراطية مهيمنة". فى ١٨١٨ كتبت السيدة مورجان Morgan مستخدمة صيغة أقدم، عن "البيروقراطية (bureaucratie) أو طغيان المكتب، التى عن طريقها حُكمت ايرلندا لأمد طويل". اشتقت الكلمة من (س م) "bureaucratie"، فرنسية، من (س ب) "bureau" – منضدة كتابة ثم مكتب. كان المعنى الأصلى لـ bureau هو "بيز" "baize" نسيج أخضر مخملى تكسى به الطاولات. يرجع الاستعمال الإنجليزى لـ bureau كمكتب إلى أوائل ق ١٨ ؛ أصبحت أكثر شيوعاً فى الاستعمال الأمريكي، خاصة فيما يتعلق بالفروع الخارجية، حيث التأثير الفرنسى سائد. أنتج الحجم المتزايد للتنظيم التّجاري، والذى جاراه ازدياد فى التدخل الحكومى والضبط القانونى ، وكذلك ازدياد أهمية الحكومة المركزية المنظمة والمهنية، حقائق سياسية يدل عليها التعبير الجديد. لكن كان هناك عندئذ تفاوت كبير فى تقويم تلك الحقائق. فى التناول الإنجليزى والشمال أمريكى استعمل التعبير الأجنبى "بيروقراطية" لإيضاح جمود أو سلطة الإدارة العامة المفرطة، بينما استعملت خدمة عامة public service وخدمة مدنية civil service لإيضاح النزاهة والمهنية المتجردة. فى ألمانيا كان لـ bureaucratie فى الغالب معنى إيجابياً، كما ورد عند شمولر Schmoller

("بمعزل عن الحكومة الملكية، العنصر الحيادى الوحيد فـــي حـــرب الطبقـــات")، ومنحها فيبر Weber معنى إضافياً: العقلانية المؤسسة قانونياً. لا يزال يمكن لتباين التعبيرات أن يشوش تفاوتات التقويم وكذلك التمييزات بين النظم السياسية المتعـــددة فى الغالب ، التى يمكن أن يخدمها جهاز من الموظفين العامين public servants أو بيروقراطية. علاوة على ذلك، كان هناك استعمال أعم لبيروقراطيـــة ، لا يوضـــح بطريقة سلبية طبقة الموظفين فحسب وإنما أيضا أنماطـــاً معينـــة مـــن الترتيـــب الاجتماعي الممركز الذى هو من نوع حديث منظّم، فى تمييز له ليس فقـــط عـــن المجتمعات الأرستقراطية القديمة ولكن أيضاً عن الديمقراطية DEMOCRACY (ا م) الشعبية. هذا مهم فى الفكر الاشتراكى حيث مفهوم "مصلحة عامة" public interest معّرض بشكل خاص للتفاوت بين "خدمة عامة" public service و"بيروقراطية" .

بطريقة أقرب إلى الواقع المحلـــي، تســـتعمل بيروقراطيـــة للإشـــارة إلـــى الرســـميات المعقدة للإجراءات المكتبية حسب وصـــف جريـــدة *Daily News* فـــي ١٨٧١ : "الوزارة ... بكل روتينها من أشرطة، شمع، أختام ومكتبية bureauism". هناك أيضاً حيّز من الالتباس بين نوعين من الدلالة كما يلاحظ من ســـك تعـــابير أكثر حياديـــة مثـــل "طـــرق عمـــل" business methods ونظـــام مكتبـــي office organization للاستعمال التجاري، والاحتفاظ ببيروقراطية فى الغالب لإجـــراءات مطابقة أو مشابهة فى الحكومة.

انظر : MANAGEMENT إدارة، DEMOCRACY ديمقراطية

## رأسمالية CAPITALISM

بدأت تظهر capitalism رأسمالية ككلمة تصف نظاماً اقتصاديا معينـــاً فـــي الإنجليزية من أوائل ق ١٩؛ وتقريباً فى نفس الوقت فـــي الفرنســـية والألمانيـــة. رأسمالى capitalist أقدم قليلاً ؛ استعملها آرثر يـــنج Arthur Young فـــي يومياتـــه *Travels in France* (١٧٩٢) لكن بشـــكل فضـــفاض نســـبياً: "رجـــال المـــال أو الرأسماليون". استعملها كولردج بالمعنى المتطـــوّر – "الرأســـماليون ... ينـــالون

العمالة عند الطلب" – فى *Tabletalk* (١٨٢٣). كتب توماس هوجْسكن Hodgskin فى *London Defended Against the Claims of Capital* (١٨٢٥): "كـل رأسـماليى أوربا ومعهم كل رأسمالهم المتداول لا يستطيعون ، معتمدين على أنفسهم ، تموين طعام وملابس أسبوع واحد"، ومرة أخرى : "بين من ينـتج الطعـام ومـن ينـتج الملابس، بين من يصنع الآلات ومن يستعملها يتدخّل الرأسمالى الذى لا يصـنعها ولا يستعملها ويستولى على إنتاج كل منهم". هذا بوضوح وصف "نظام" اقتصادي.

كان المعنى الاقتصادى لـ capital "رأسمال" موجـوداً فى الإنجليزية مـن ق ١٧ وفى شكل متطور تماماً مـن ق ١٨. تذكر دائـرة معـارف Chambers تشامبرز: *Cyclopedia* (١٧٢٧-٥١) : "أعطى البرلمان لشركة بحـر الجنـوب South-Sea صلاحية زيادة رأسمالها"، وتعريـف "رأسـمال متـداول" circulating capital موجود عند آدم سميث (١٧٧٦) .اكتسبت الكلمة هذا المعنى المتخصـص من المفهوم العام لـ "رئيس" أو زعيم chief : (س م) capital، فرنسية، capitalis، لاتينية، (س ب) "caput"، لاتينية – رأس. كانت هناك معان متخصّصـة كثيـرة مشتقّة ؛ إذ تطوّر المعنى الاقتصادى من اختصار للعبارة "رأسمال الشركة" capital stock: ممتلكات ماديـة أو اعتماد مالي. فى الاقتصاد الكلاسيكى عُرفت ووُصفت وظائف رأس المال وحددت أنواع مختلفة من رأس المال.

تمثّل رأسمالية capitalism تطوّرا للمعنى فى أنها كانت تستعمل باضطراد للدلالة على نظام اقتصادى تاريخى ومعيّن ، بدلاً من مجرد أى نظـام اقتصـادي. كانـت capital "رأسمال" وفى البداية capitalist ( رأسمالي) مصطلحين تقنيين فى أى نظام اقتصادي. اتجهت استعمالات capitalist رأسمالى المتأخرة (أوائـل ق ١٩) نحو وظائف محدّدة فى مرحلة معينة من التطور التاريخى . إن هذا الاستعمال هو الذى تبلور فى "رأسمالية" capitalism. كان هناك مفهوم الرأسمالى كوسيط مـتحكم لكن عديم الجدوى بين المنتجين ، أو كمستخدم للعمالة ، أو فـى النهايـة كمالـك لوسائل الإنتاج. اخيرا تضمن ذلك، خاصة عند ماركس، تمييزا بـين "رأسـمالية" كتصنيف اقتصادى رسمى وبين "رأسمالية" كنوع معين مـن الملكيـة المركزيـة

لوسائل الإنتاج إضافة إلى احتفاظها بنظام العمالة المأجورة wage-labour. فى هذا المفهوم الرأسمالية هى نتاج مجتمع برجوازى فى تطور ؛ هنـــاك أنـــواع مبكــرة للإنتاج الرأسمالى لكن الرأسمالية كنظام – ما يسميه ماركس "الحقبة الرأسمالية" – لا تبدأ إلا من ق ١٦ ولم تصل مرحلة الرأسمالية الصناعية حتـــى أواخــر ق ١٨ وأوائل ق ١٩.

هناك جدل كبير حول تفاصيل هذا الوصف وبالطبع حــول مزايــا النظـــام وطريقة عمله، لكن من أوائل ق ٢٠ كان لرأسمالية capitalism فى الإنجليزية وفى معظم اللغات مفهوم نظام اقتصادى مميز ، يمكن مقارنته بنظم أخرى : كمصـــطلح لا يبدو أن "رأسمالية" كانت أقدم من ١٨٨٠ عندما بدأت تســتعمل فـــى الكتابـــات الاشتراكية الألمانية، وتوسعت من ثم إلى كتابات أخرى غير اشــتراكية. يبـــدو أن استعمالاتها الإنجليزية والفرنسية الأولى لا ترجع إلا إلى السنوات الأولـــى مـــن ق ٢٠. فى منتصف ق ٢٠ وفى ردة فعل ضدّ الطرح الاشتراكى استبدل المـــدافعون عن النظام بالكلمتين "رأسمالية" و"رأسمالي" تعابير مثل "مشاريع خاصـــة" private enterprise ومشاريع حرة، غير خاضعة لضـــبط حكـــومى free enterprise. فـــى استعادة لبعض ظروف الرأسمالية الأولى طبق هذان التعبيران دون تـــردد علـــى مؤسسات كبيرة جداً أو شبه حكومية (عامة)، أو على نظام اقتصادى تتحكم فيه هذه المؤسسات. فى أحيان أخرى يتم الدفاع عن الرأسمالية تحت مسمّاها الشـــائع الآن. كذلك تطوّر استعمال "ما بعد رأسمالى post-capitalist وما بعد رأســـمالية" post-capitalism لوصف تعديلات فى النظام مثل نقل التحكم المفتـــرض مـــن حـــاملى الأسهم إلى الإدارة المهنية، أو الوجود الإضافى فى نفس الوقت لصناعات معينـــة مؤممة NATIONALIZED (ا م) أو "مملوكة للدولة". تعتمد جدارة هـــذه الأوصـــاف بالتصديق على تعريف "رأسمالية" التى اختيرت لتعديله. رغم أنها تعـــدل أنواعـــا معينة من الرأسمالية فإنها هامشية فيما يتعلق بالمفهوم المركزى للنظام. فى وســـط ق ٢٠ استعملت بشكل واســـع عبارة جديدة "رأســـمالية الدولـــة state-capitalism، ولهـــا سوابق من أوائل ق ٢٠، لوصف أنواع من ملكية الدولة لم تتغيـــر فيهـــا

الشروط الأصلية للتعريف – ملكية مركزية لوسائل الإنتاج موصلة إلى نظام عمالة مأجورة.

من الضروري أيضاً ملاحظة توسع الصفة "رأسمالي" capitalist لتشمل المجتمع ككل ، أو جوانب منه يسود فيها الاقتصاد الرأسمالي. يوجد هنا تشابك شديد وتشويش من وقت لآخر بين "رأسمالي" capitalist و"برجوازي" BOURGEOIS (ا م). فى الاستعمال الماركسى الدقيق "رأسمالي" هو وصف لأسلوب الإنتاج و"برجوازي" وصف لنوع من المجتمع. فى الجدال حول العلاقة بين وسيلة الإنتاج ونوع المجتمع تنشأ ظروف التشابك فى المعنى.

انظر : BOURGEOIS برجوازى، INDUSTRY صناعة/ جهد، SOCIETY مجتمع .

## مهنة/سيرة CAREER

تستعمل كلمة career الآن بانتظام لوصف تقدم الإنسان فى الحياة أو، اشتقاقاً من ذلك، مهنته profession أو وظيفته vocation لدرجة أنه من الصعوبة، فى نفس السياق، تذكّر معنييها الأصليين: مضمار سباق racecourse وعدو gallop رغم بقاء أثرهما فى بعض السياقات كما فى عبارة careering about (عدو، انطلاق، لكن مع about فى ذلك تباطؤ) .

ظهرت كلمة career فى الإنجليزية من أوائل ق ١٦، من (س م) carriere، فرنسية، مضمار سباق، (س ب) carraria لاتينية – طريق عربات، من carrus، لاتينية – عربة. استعملت من ق ١٦ للمضمار والعدو وتوسع مدلولها إلى أى نشاط سريع متواصل، رغم أنها استعملت بطريقة حيادية كما فى مسار الشمس، إلا أن لها معنى سائداً فى ق ١٧ وق ١٨ ليس لنشاط سريع فقط ولكن أيضاً غير مقيّد. كمثال، ليس من السهل التأكد من تغيّر الفحوى بين استعمال فى ١٧٦٧ – "فاتنة ... فى سيرها الحثيث لتحقيق انتصاراتها" " a ... beauty... in the career of her

"conquests" واستعمال ماكولى Macaulay فى ١٨٤٨ : "فى انطلاقة النجاح التامة "in the full career of success". لكن الأرجح أنه من أوائل ق ١٩ بـدأ الاسـتعمال الذى لا يتضمن انتقاصاً، خاصة فيما يتعلق بالدبلوماسيين ورجال الدولـة. بحلـول منتصف ق ١٩ أصبحت الكلمة شائعة كدالّ على التقدم فى المهنة ومن ثم المهنـة نفسها.

عند هذه النقطة، خاصة خلال ق ٢٠، يصعب فصل career عن مجموعـة كلمات صعبة أوضح أمثلة لها عمل WORK، شغل LABOUR (ام م) ومهمـة job، خاصة الأخيرة. لا تزال career تستعمل بمفهوم السياسـيين والمـرفهين المجـرّد والمثير، لكن فى الأعم تستعمل، مع بعض التمييـز الطبقـى المقصـود أو غيـر المقصود، بمعنى عمل work أو مهمة job الذى يتضمّن شيئاً من الأمل فى التقـدم. استعملت بشكل عام للمهن jobs التى تتضمن تطوّراً داخلياً واضحاً – "عمل career فى الخدمة المدنية" – لكن تم توسيع مدلولها ليشمل أية وظيفة مرغوبة أو مفضّـلة أو ممتدحة – "مهنة career فى استخراج الفحـم". تتضـمّن career فـى العـادة الاستمرارية وإن لم يكن بالضرورة الترقية أو التقدم، ومع ذلك فإن التمييـز بـين career وjob يعتمد جزئياً فقط على ذلك ويرتبط غالباً بالتمايز الطبقى بـين أنـواع مختلفة من العمل. من ناحية أخرى يلغى أحياناً هـذا الارتبـاط، توسـيع مـدلول التعبير، كما فى "إرشاد وظائف" careers advice، وهناك وصـف أمريكـى لـــ "العمال workers شبه المهرة" بأن لهم "مسار مهنة ثابت" flat career trajectory.

من اللافت أن شيئاً مشابهاً للاسـتعارة الأصـلية بمفهومهـا الانتقاصـى المرتبط بـ ق ١٧ و ق ١٨ عاود الظهور فى وصف مجالات العمـل والترفيـه كسباق جرذان. لكن بالطبع يظل المعنى الانتقاصى حاضراً فعـلاً فـى الكلمتـين المشتقتين careerism التعلق بالمهنة و careerist اللاهث وراء المهنة اللتـين يـتم إبقاؤهما بعيداً عن مـدلولات career الإيجابيـة. سـجلت careerist مـن ١٩١٧ وcareerism من ١٩٣٣ ؛ أشارت الاستعمالات الأولى للسياسة البرلمانية.

انظر : LABOUR شغل ، WORK عمل

## إحسان/بر CHARITY

دخلت كلمة charity الإنجليزية في ق ١٢ من (س م) charité، فرنسية قديمة، caritas، لاتينية، (س ب) carus – عزيز. اكتسبت الصيغ اللاتينية للكلمة مفهوم ارتفاع الثمن(dearness) بالإضافة إلى العطف (وهو ارتباط تكرر واستمر في dear عزيز نفسها من الفرنسية القديمة فصاعداً). لكن الاستعمال السائد لاحسان كان في سياق الإنجيل. (تم تمييز اليونانية agape الحب إلى dilectio وcaritas في الترجمة اللاتينية للإنجيل Vulgate، وترجم وكليف Wycliff الكلمتين كحب وإحسان. ترجم تنديل Tyndale "caritas" كحب، وفي النزاع العقائدي العنيف في ق ١٦ انتقدت هذه الترجمة واختيرت "إحسان" الكنسية كترجمة أفضل في إنجيل بيشوب Bishop ثم في النسخة المعتمدة *The Authorized Version*. كانت "حب" هي إحدى الكلمات الأساسية للنسخة المعدّلة للإنجيل *Revised Version* في ق ١٩). كان الإحسان إذن حباً مسيحياً بين الإنسان والإله وبين الناس وجيرانهم. كان مفهوم البر بالجيران ، وبشكل خاص العطايا للمحتاجين مبكراً أيضاً لكن كان ذلك يتعلق مباشرة بمفهوم الحب المسيحي، كما في الاستعمال البوليني (نسبة إلى الرسول بولص Paul) : "رغم أني أمنح كل ممتلكاتي لإطعام الفقراء ... ولا أمتلك النزعة لعمل الخير فإن ذلك لا يفيدني شيئاً" (1 Corinthians 13" الرسالة الأولى إلى الكورنثيين) ، حيث لا قيمة للفعل دونما إحساس به. مع ذلك ، فإن إحسان ، في مفهومها السائد ، كمعونة للمحتاجين ، برزت بشكل مضطرد ؛ كانت على الأرجح سائدة فعلاً في ق ١٦ وتم استعمالها بمفهوم تجريدي جديد من أواخر ق ١٧ وأوائل ق ١٨. أنشئت أول " مبرة" charity كمؤسسة بحلول أواخر ق ١٧. استمرت بالطبع هذه المفاهيم.

لكن هناك توجهًا آخر للكلمة. كانت العبارة charity begins at home ينشأ الإحسان في البيت" مقولة شعبية في أوائل ق ١٧ ولها سوابق من ق ١٤. أكثر أهمية هي عبارة "بارد مثل الإحسان" cold as charity ، التي هي عكس لافت لما كان على الأرجح الاستعمال الأصلي (إنجيل متى، الإصحاح ٢٤)، حيث التنبؤ بـ "حروب وإشاعات عنها" ، وبظهور "أنبياء كثير "أدعياء"، ثم يتوج ذلك : "لأن

الجور سيعم" فإن حب الكثيرين سيزداد برودة". هذا هو المفهوم المسيحى العام. استُعملت ترجمات أسبق (مثلاً، ريميش Rhemish، ١٨٥٢) : "إحسان الكثير سيزداد برودا". كتب براون Brown (١٦٤٢) عن "الشكوى العامة هذه الأيام أن الإحسان يزيد برودة". بحلول أواخر ق ١٨ انعكس المعنى. ليس هو الآن مفهوم نضوب أو جمود الحب أو البر ؛ إنه المفهوم الأكثر تشويقاً ، المرتبط بماهية شعور متلقى عمل الإحسان ، من الخبرة المطولة مع تقاليد وأساليب معظم المؤسسات الخيرية. ظل هذا المفهوم مهما جداً ولا يزال بعض الناس يعلنون أنهم "لا يتلقون إحساناً" take charity، حتى من صناديق الأموال العامة public funds التى أسهموا هم أنفسهم فيها. صحيح أن هذا يتضمن شعوراً مستقلاً ضد تقبل عون الآخرين ، لكن المقت الذى يتخلل الإحسان فى هذا السياق ينبع من شعور جريح بالكبرياء واحترام الذات ، ويرجع تاريخياً إلى تداخل الإحسان مع الشعور الطبقى من كلا جانبى عمل الإحسان. علامات حاسمة لهذا التداخل هى حصر الإحسان على الفقراء المستحقين (ليس حب الجيران، لكن مكافأة على سلوك اجتماعى مستحسن) والحسابات فى الاقتصاد السياسى البرجوازى التى لخصها جافونز Javouns (١٨٧٨) كما يلى : "كل ما يصرّ عليه الاقتصاد السياسى هو أن يكون الإحسان ، فعلاً ، إحساناً وأنه لن يسيء إلى الذين يقصد مساعدتهم" (ليس التفريج عن ضائقة، لكن استعمالها الانتقائى للإبقاء على حافز للعمل المأجور). ليس مدهشاً أن الكلمة التى كانت فى وقت من الأوقات التعبير السائد لحب ورعاية الآخرين أصبحت (عدا سياقات خاصة، تبعاً للتعريف القانونى القائم للمؤسسات الخيرية) عرضة للشبهة لدرجة أنه يتوجب على الحكومات الحديثة إعلان مزايا الرفاهية welfare benefits (وفى الذهن تاريخ اجتماعى غنى خلف التمييز) على أنها "ليست إحساناً ولكن حقاً" not a charity but a right.

**مدينة CITY**

وجدت كلمة city فى الإنجليزية منذ ق ١٣ لكن يرجع تاريخ استعمالها الحديث المتميز للدلالة على بلدة town كبيرة جداً، وبدأ الاستعمال اللاحق للتفريق بين المناطق المدنية والمناطق القروية أو الريفية فى ق ١٦. بوضوح ترتبط الدلالة والتمييز اللاحقين بالاهتمام المضطرد للحياة الحضرية من ق ١٦ فصاعداً، لكن حتى ق ١٩ انحصر هذا فى الغالب على العاصمة (المدينة الرئيسية capital city)، لندن. يتوافق الاستعمال العام مع التطور السريع فى الحياة الحضرية خلال الثورة الصناعية التى جعلت إنجلترا بحلول منتصف ق ١٩ أول مجتمع يعيش غالبيته فى بلدات towns.

اشتقّت city من (س م) cité، فرنسية قديمة، (س ب) civitas، لاتينية لكن لم تكن civitas مدينة بالمعنى الحديث ؛ الكلمة التى كانت تؤدى هذا المعنى هى urbs، لاتينية. كانت civitas الاسم العام المشتق من civis، لاتينية تعنى مواطن citizen، التى هى أقرب إلى مفهومنا الحديث لمواطن "national." كانت civitas إذن هى مجموع المواطنين بدلاً من مستوطنة معينة أو نوع من مستوطنة. بهذه الطريقة استعملها الكتّاب الرومانيون للإشارة إلى قبائل غال Gaul. فى تطوّر طويل ومعقّد أصبحت civitas والكلمات المشتقة منها محصورة فى البلدة الرئيسية للدولة وفى الاستعمال الكنسى وصفت المدينة التى تضم كاتدرائية. فى الإنجليزية كان هناك borough، (س م) burh، إنجليزية قديمة و town، (س م) tun، إنجليزية قديمة. تطورت town من استعمالها الأصلى كمنطقة ضرب حولها سياج، أو ساحة لمجموعة مبانى فى هذه المنطقة (تبقى كذلك فى الأسماء الحديثة لبعض القرى أو أجزاء منها) إلى بدايات معناها الحديث فى ق ١٣. أصبحت boroughو city مترادفتين إلا أن هناك تمييزات قانونية متعدّدة بينهما ، فى الفترات والأنواع المختلفة للحكومة القروسطية وما بعد القروسطية. من ق ١٦ كان وجود كاتدرائية أحد مميزات city ولا يزال هناك إصرار متبق من ذلك لكنه خاطئ. عندما بدأت city تتميز عن town فيما يتعلق بالمساحة، وذلك بشكل رئيسى من ق ١٩، رغم

وجود سوابق بخصوص مدينة لندن من ق ١٦، كان لا يزال كل منهما يعتبر إدارياً borough، وأصبحت هذه الكلمة مرتبطة بنـوع معـين مـن الحكومـة أو الإدارة المحلّية. على أية حال، من ق ١٣ أصبحت city أعلى منزلة مـن town ؛ هكـذا استعملت فى الغالب بخصوص القرى الإنجيلية أو للإشارة إلى مستوطنة مثالية أو هامّة. بشكل أعـم، بحلول ق ١٦ استعملت بشكل منتظم بالنسبة للندن وفـى ق ١٧ شاع جداً التضاد بين مدينة city والريف country. بشكل عـام اسـتعملت City بمعناها المحدّد كمركز مالى وتجارى بنـاء على موقع فعلى داخل مدينة لندن من أوائل ق ١٨ عندما توسع بطريقة ملحوظة النشاط المالى والتجاري.

لم تتوطد تماماً city مدينة، بمفاهيمها الحديثة كتنظيم استيطانى متميـز فعـلا ودالّ على طريقة حياة مختلفة تماماً إلا أوائل ق ١٩، رغم أن للفكرة تاريخاً طويلاً من عصر النهضة ، بل حتى من الفكر الكلاسيكي. يمكن تعقب التركيز الحديث فى الكلمة فى تجريد مدينة city المضطرد كصفة من أماكن محددة أو أساليب إداريـة معينة، وكذلك فى التعميمات المتزايدة لوصف حياة حضرية على مسـتوى كبيـر. هكذا تتميّز عموماً مدينة ملايين السكان الحديثة ، وإن بشكل غيـر دقيـق ، عـن أصناف عديدة مـن city – قارن مدينة كاتدرائية، مدينة جامعية، مدينة إقليميـة – وهو تمييز يرجـع إلى فترات وأنواع استيطان سابقة. فى نفس الوقـت، قسـمت المدينة الحديثة ذاتها، كما فى الاستعمال المعاصر للمدينة الداخلية inner city، وهو تعبير أصبح ضرورياً تبعاً للوضع المتغير لضاحية suburb. كانت هذه الأخيرة من منتصف ق ١٣ منطقة خارجية ووضيعة، ويبقى هذا المفهوم فى بعض استعمالات الصفة suburban للدلالة على ضيق الأفق. لكن من أواخر ق ١٩ كان هناك تحوّل طبقى فى مجالات الأفضلية؛ جذبت الضواحى مقيمين وتركت المدينة الداخلية، فى الغالب، للمكاتب والحوانيت والفقراء.

انظر : COUNTRY ريف، CIVILIZATION حضارة

## حضارة CIVILIZATION

تستعمل حضارة civilization الآن لوصف حالة أو وضع منجز من الحياة الاجتماعية المنظمّة. دلّت فى الأصل على "عملية"، وفى بعض السياقات لا يزال هذا المفهوم حاضراً كما هو فى ثقافة CULTURE (ا م) التى يربطها معها تفاعل طويل ومعقد حتى الآن.

تلت civilization فى الإنجليزية civilize، يحضّر، التى ظهرت فى أوائل ق ١٧، من ق ١٦ civilizer، فرنسية، (س م) civilizare، لاتينية وسيطة : جعل الأمور الجنائية مدنية ومن ثم، استطراداً من ذلك، إدراجها ضمن شكل من التنظيم الاجتماعي. الأصل الأساسى (س ب) civil من civilis، لاتينية : ينتمى إلى أو يخص مواطنين citizens، من civis، لاتينية : مواطن. هكذا استعملت civil فى الإنجليزية من ق ١٤، وبحلول ق ١٦ اكتسبت مفاهيم "منظّم" و"حسن التربية". فى ١٥٩٤ كتب هوكر Hooker عن "مجتمع مدنى "civil society" – عبارة ستصبح أساسية فى ق ١٧ وبشكل أهم فى ق ١٨ – لكن التطور الرئيسى نحو وصف مجتمع منظّم كان civility – (س م) civilitas، لاتينية – وسطى : جماعة community. فى الغالب استعملت civility كياسة/لطف فى ق ١٧ و ق ١٨ فى نفس المكان الذى تستعمل فيه الآن civilization حضارة. وحتى وقت متأخر عندما زار بوزول Boswell جونسون Johnson فى ١٧٧٢ "وجدته وحده مشغولاً بتحضير طبعة رابعة من قاموسه ... رافضاً إدراج civilization، مبقياً فقط على civility. مع تقديرى العظيم له شعرت أن civilization، من "يمدّن" civilize، أفضل فى مقابلة كلمة "بربرية" من "civility". حدّد بوزول بدقة الاستعمال الرئيسى الذى كان على وشك التغلّب والذى أكّد حالة التنظيم والتهذيب أكثر من العملية، خاصة فى تضاد ثقافى وتاريخى مقصود مع بربرية. ظهرت civilization فى قاموس آش Ash فى ١٧٧٥ للدلالة على الحالة والعملية. أصبحت شائعة بحلول أواخر ق ١٨ ثم بشكل ملحوظ فى ق ١٩.

من ناحية، مفهوم حضارة الجديد هو جمع معيّن بين أفكار التقّدم وحالات منجزة . وهو فهم. كانت تدعمه روح عصر التنوير العامة بتركيزها على التطوير البشرى العلمانى والتقدمي. عبّرت civilization عن هذا المفهوم للعملية التاريخية بالاضافة إلى الاحتفاء بمفهوم الحداثة المصاحب : حالة منجزة من التهذيب والتنظيم. فى رد فعل الرومانسيين ضد هذه الادعاءات للحضارة استحدثت كلمات بديلة للتعبير عن أنواع أخرى من التطوير البشرى ومعايير أخرى للرفاهية الإنسانية، وأهم هذه الكلمات هى ثقافة CULTURE (ا م). فى أواخر ق ١٨ كان الربط بين حضارة civilization وتهذيب السلوك طبيعياً فى كل من الإنجليزية والفرنسية. كتب بيرك Burke فى *Reflections on the French Revolution* : "سلوكنا manners، حضارتنا وكل الأمور الصالحة التى تتعلق بالسلوك وبالحضارة". هنا الكلمتان مترادفتان لكن يجب ملاحظة أن manners لها معنى أشمل من الاستعمال الحديث المعتاد. من أوائل ق ١٩ تطورت civilization نحو معناها الحديث الذى فيه توكيد على كل من التنظيم الاجتماعى والمعرفة المنظمة (فيما بعد علم SCIENCE (ا م)) وبنفس الدرجة توكيد مماثل على تهذيب السلوك والتصرّف، وكان هذا التطور على العموم أسرع فى الفرنسية من الإنجليزية. لكن كانت هناك لحظة حاسمة فى الإنجليزية فى ثلاثينيات ق ١٩ عندما كتب مل"Mill" فى مقالة عن كوليردج:

خذ مثلاً مسألة مدى استفادة الإنسانية من الحضارة civilization. يستوقف المشاهد بشكل واضح تعدد أسباب الراحة الجسدية ؛ تقدم وانتشار المعرفة ؛ تلاشى الخرافات، وسائل الاتصال بين الأفراد، تهذيب السلوك ؛ انحسار الحروب والنزاعات الشخصية ؛ الحد بشكل متزايد من هيمنة القوى على الضعيف ؛ الأعمال العظيمة التى أنجزت حول العالم عن طريق تعاون الجماهير ...

هذه سلسلة من الأمثلة الإيجابية للحضارة وهى سلسلة حديثة تماماً. استمر مل ليصف نتائج سلبية: فقدان الاستقلال، خلق احتياجات مصطنعة ؛ رتابة ؛ فهم

ميكانيكي ضيّق ؛ تفاوت اجتماعي وفقر لا أمل في تخفيفه. كان هناك تعارض قدّمه كوليردج وآخرون بين حضارة civilization وثقافة culture أو تهذيب cultivation:

التمييز الدائم والتعارض من حين لآخر قائم بين تهذيب cultivation وحضارة civilization ... يعتمد استمرار الأمة ... وتقدمها والحرية الشخصية على حضارة مستمرة وفي تقدم. لكن civilization نفسها ليست كلها حسنات، إن لم تكن ذات تأثير أكثر إفساداً : تورّد المرضى وليس رواء الصحة. وأمة هذه خصالها يمكن بطريقة أفضل وصفها بالمجمّلة بدلاً من المصقولة، حيث أن هذه حضارة ليست مؤسسة على التهذيب والتنمية المتناغمة لتلك الميزات والقدرات الدّالة على إنسانيتنا، *(On the Constitution of Church and State,V)*.

بوضوح كان كوليردج على علم ، في هذه الفقرة ، بارتباط الحضارة بصقل السلوك polishing ؛ هذا هو مغزى الملاحظة عن التجميل، ويذكّر هذا التمييز بالتداخل اللافت في إنجليزية وفرنسية ق ١٨ بين مصقول polished ومؤدب polite اللتين لهما الأصل نفسه. لكن وصف حضارة بأنها "ليست كلها حسنات"، مثل وصف "مل" الأكثر إسهابا للآثار الإيجابية والسلبية، يحدّد النقطة التي أصبحت فيها الكلمة تمثّل كل العملية الاجتماعية الحديثة. من هنا فصاعداً ساد هذا المفهوم سواء اعتبرت الآثار إيجابية أو سلبية أو خليطاً منهما.

مع ذلك اعتبرت بشكل رئيسي عملية عامة بل عالمية. كانت هناك لحظة حرجة عندما استعملت في الجمع. حصل هذا في حضارات civilizations بعد حصوله في ثقافات cultures ؛ استعمالها الواضح الأول كان في الفرنسية (Ballanche) في ١٨١٩. سبقت ذلك في الإنجليزية استعمالات ضمنية للدلالة على حضارة مبكّرة، لكنها لم تصبح شائعة في أي مكان حتى ستينيات ق ١٩ .في الإنجليزية الحديثة لا تزال حضارة تشير إلى حالة أو وضع ، ولا تزال تتم معارضتها مع وحشية savagery أو بربرية barbarism. لكن النسبية المتضمّنة في الدراسات المقارنة ، والتي تنعكس في استعمال الجمع – حضارات – أثرّت على هذا المفهوم الرئيسي ، وترتبط الكلمة الآن بانتظام بوصف محدد : حضارة غربية،

حضارة حديثة، حضارة صناعية، حضارة علوم وتكنولوجيا. بهذا أصبحت نمطاً حيادياً نسبياً لأى تنظيم اجتماعى منجز أو طريقة حياة. وفى هذا المعنى لها علاقة معقدة ومثيرة جداً للجدل مع المفهوم الاجتماعى الحديث لثقافة. لكن لا يزال مفهومها كوضع منجز قوى بدرجة كافية لمنحه صفة معيارية ؛ بهذا المعنى يمكن فقدان أو اكتساب حضارة civilization، طريقة حياة متحضرة أو شروط مجتمع متحضر .

انظر : CITY مدينة، DEVLOPMENT تطور، MODERN حديث، SOCIETY مجتمع، WESTERN غربى

## طبقة CLASS

من الواضح أن class كلمة صعبة سواء فى نطاق المعانى التى تشملها أو فى تعقيدات معناها المحدّد الذى يصف فئة اجتماعية. دخلت الكلمة اللاتينية classis – "تقسيم اجتماعي" بناءً على ممتلكات سكان روما – الإنجليزية فى أواخر ق ١٦ فى صيغتها اللاتينية، والجمع هو إما classes أو classies. هناك مفهوم من أواخر ق ١٦ (King 1594)، له نبرة حديثة تقريباً : "كل تقسيمات classies وتصنيفات الغرور والزهو". لكن استعملت classis بشكل رئيسى فى إشارة واضحة إلى التاريخ الرومانى ومن ثم توسعت أولاً كمصطلح فى تنظيم الكنيسة (التجمعات إما أن تكون طبقات classes أو مجمعات كنسية synods، ١٥٩٣) وفيما بعد كمصطلح عام لفئة أو مجموعة ("أصناف classis النباتات"، ١٦٦٤). جدير بالملاحظة أن الكلمة اللاتينية المشتقة classicus، التى دخلت الإنجليزية فى أوائل ق ١٧ بصيغة classic من (س م) classique، فرنسية، كان لها مفهوم اجتماعى ضمنى قبل أن تكتسب معناها العام كسلطة معيارية ومن ثم معناها المحدد : انتماء إلى العصور اليونانية والرومانية العتيقة (الآن تتميز عادة فى صيغة كلاسيكى classical التى كانت فى البداية بديلاً لكلاسيك classic). كتب

Gellius جليس: "non proletarius،classicus ... scriptor". [الكتابة الكلاسيكية ليست هى البرولتارية]. لكن الصيغة class التى دخلت الإنجليزية فى ق ١٧ اكتسبت ارتباطا خاصا بالتربية education. فى شرحه لـ classe، شمل بلاونت Blount المفهوم الذى لا يزال رومانيا بشكل رئيسى كتصنيف وتوزيع الناس حسب درجاتهم المختلفة لكنه أضاف : "فى المدارس (حيث تستعمل الكلمة أكثر من أى مكان آخر) صف أو محاضرة تقتصر على مجموعة معينة من الدارسين" وهذا الاستعمال لا يزال شائعاً فى التعليم. تأثر بشدة تطور كلاسيك classic وكلاسيكى classical بهذا الارتباط مع الأعمال الرسمية المقررة للدراسة.

من أواخر ق ١٧ زاد باضطراد شيوع استعمال class طبقة كتعبير عام لمجموعة أو فئة. لكن ما فاقم الصعوبة إذ ذاك هو أن class أصبحت تستعمل بهذه الطريقة مع الناس وكذلك مع النباتات والحيوانات، مجرّدة من المفاهيم الاجتماعية المتضمنة فى النوع الحديث. (قارن ستيل Steele، ١٧٠٩ : "هذه الطبقة من الأذكياء"). ينتمى فى الأساس تطور class فى مفهومها الاجتماعى الحديث، بما فيه المسميات الثابتة نسبيا لطبقات معينة (الطبقة الدنيا، الطبقة الوسطي، الطبقة العليا، طبقة العمال ... الخ)، إلى الفترة بين ١٧٧٠ و ١٨٤٠ التى هى أيضاً فترة الثورة الصناعية وإعادة تنظيمها الحاسم للمجتمع. فى حديها الأقصيين لا توجد صعوبة فى التمييز بين (١) طبقة كتعبير عام لأى تجمّع و(٢) طبقة كوصف دقيق لتشكيل اجتماعي. ليست هناك صعوبة فى التفريق بين قول Steele "طبقة من الأذكياء" و، مثلا، بيان اتحاد برمنجهام السياسى (١٨٣٠) : "بأن حقوق ومصالح الطبقتين الوسطى والدنيا من الشعب ليست ممثلة بشكل كاف فى مجلس العموم من البرلمان". لكن فى فترة الانتقال العصيبة بل حتى لوقت قبلها كانت هناك صعوبة حقيقية فى التأكد من أن استعمالاً معيناً يتبع (١) أو (٢). حسب علمى أول استعمال – والذى يمكن قراءته بالمعنى الحديث – هو قول ديفو Defoe : "واضح أن ارتفاع الأجور يصنف شعبنا إلى طبقات أكثر مما يظهر لدى أمم أخرى" (*Review*، ١٤ أبريل، ١٧٠٥). كذلك لا بد وأن يكون هناك بعض الشك حول عنوان هانواى Hanway فى ١٧٧٢ : "ملاحظات حول أسباب الفسق الذى يسود

بين الطبقات الدنيا من الشعب". يمكننا أن نقرأ هـذه كمـا نقـرأ ديفـو بـالمفهوم الاجتماعى الدقيق لكن هناك تداخلاً كبيراً بين معنى (١) ومعنى (٢) يجعلنا نتأنى. السبب الحاسم لهذا التطور هو المفردات البديلة للتقسيم الاجتماعى ؛ فى الحقيقة أنه حتى أواخر ق ١٨ – بل وبطريقة أقل حتى وقت متأخر من ق ١٩ و ق ٢٠ – كانت الكلمات الأكثر انتشاراً هى rank مرتبة وorder رتبة، بينمـا كانـت estate منزلة و degree درجة لا تزال أكثر شيوعاً من طبقة class. كانت منزلـة estate ودرجة degree، ورتبـة order تستعمل بشكل واسع لوصف الوضع الاجتمـاعى منـذ القرون الوسطي. كانت order شائعـة منـذ أواخـر ق ١٦. كانـت هـذه الكلمات هى المعتادة تقريبا فى كل المجالات التى تسـتعمل فيهـا الآن طبقـة. وأصبحت رتبة دنيا lower order ومراتب دنيـا lower orders شـائعتين بشـكل خاص فى ق ١٨.

يتعلق التاريخ الأساسى لدخول طبقة class ككلمة تنسـخ الأسـماء الأقـدم للتصنيف الاجتماعى بالشعور المضطرد بأن الوضع الاجتماعى يُصنع بدلاً من أن يكون مجرد ميراث. كل الكلمات القديمة ، باستعاراتها الأساسية بالوقوف والتدرج والترتيب فى صفوف ، ترجع إلى مجتمـع يتحدد فيه الوضع بالولادة. ينظر إلـى الحراك الفردى كانتقال من منزلة، درجة، أو رتبة إلى أخرى. لم يكن سبب تغييـر الشعور هو مجرّد الحراك الفردى المتزايد الذى يمكن اسـتيعابه ضـمن التعـابير السابقة، لكن السبب هو المفهوم الجديد للمجتمع SOCIETY (ا م) أو نظام اجتمـاعى social system معين الذى خلق فعلاً فئات اجتماعية، بما فى ذلك أنواعا جديدة من الفئات. يظهر هذا جليا فى أحد الاستعمالات الأولى الواضحة: استعمال ماديسـون فى الفدرالى *The Federalist* (امريكا، حوالى ١٧٨٧): المصالح المالية والصناعية "تنمو بالضرورة فى الأمم المتحضرة وتصنفهم إلى طبقات مختلفة تحركها مشاعر وآراء مختلفة". تحت ضغط هذا الشعور ، الذى ازداد حدة إلـى درجـة كبيـرة ، بالتغيّرات الاقتصادية التى أحدثتها الثورة الصناعية والنزاعات السياسية للثـورتين الأمريكية والفرنسية ' بدأت كلمة طبقة فى السيطرة. لكن هذه كانت عملية بطيئـة ومتفاوتة ليس فقط بسبب الألفة المتبقية للكلمات السابقة وليس فقـط لأن المفكـرين

المحافظين كمسألة مبدأ استمروا في تجنب "طبقة" كلما أمكن ذلك وفي تفضيل التعبيرات السابقة. كانت عملية بطيئة ومتفاوتة وظلت صعبة وذلك بشكل رئيسي بسبب التداخل المحتوم بين استعمال طبقة ، ليس كفئة اجتماعية محددة ، ولكن كعبارة متوفرة عموماً وفي الغالب لأى غرض تصنيفي.

بمعرفة ذلك يمكن تتبع تكوين مفردة طبقة class المحدّدة مؤخراً. استعملت lower classes طبقات دنيا في ١٧٧٢ وكانت lowest classes الطبقات الأدنى و lowest class الطبقة الأدنى شائعة من تسعينات ق ١٨. تحمل هذه الكلمات بعض آثار الانتقال لكنها لم تكمل بعد التحول التام. من اللافت وصف طبقات وسطى middle classes الجديد الذى هو بشكل متزايد ذاتى الوعى وذاتى الاستعمال لأنه أقل اعتمادا على مفهوم قديم عام، حيث لا تختلف كثيراً طبقات دنيا عن عامة الناس COMMON (ا م). لهذا التعبير سوابق فى "رجال من حالة متوسطة" men of a middle condition (١٧٩٦) و"المحطة الوسطى للحياة" The middle Station of life (Defoe، ١٧١٩) و"أهل إنجلترا المتوسطون .. عموماً طيّبون وشجعان"، The Middling People of England ... generally Good-natured and Stout-hearted (١٧١٨) و"الطبقات الدنيا والوسطى"(١٧٨٩). فى ١٧٩٥ كتب جيسبورن Gisborne "بحث فى واجبات رجال من المرتبة العليا وطبقات المجتمع المتوسطة فى بريطانيا الكبرى *Enquiry into the Duties of Men in the Higher Rank and Middle Classes of Society in Great Britain*. وفى ١٧٩٦ كتب مور Hannah More عن "الطبقات المتوسطة" middling classes. فى ١٨٠٩، هناك عبارة يلقى "عبء الضريبة بثقله "على الطبقات الوسطي" (*Monthly Repository*، ٥٠١)، وفى ١٨١٢ هناك اشارة إلى أناس من الطبقة الوسطى للمجتمع عصفت بهم الأيام (*Examiner*، أغسطس) ؛ ظلت rank مرتبة تستعمل على الأقل بنسبة متساوية، كما هو عند مل James Mill (١٨٢٠) : "الطبقة التى توصف عموما بأنها الجزء الأحصف والأعف من المجتمع : المرتبة الوسطى middle rank (*Essay* on Government)، لكن فى هذه الفترة اكتسبت طبقة بالفعل مفهوماً اجتماعياً عاماً عندما استعملت بمفردها.

وصل تضخّم التمجيد الذاتى ذروة مؤقتة فى خطبة بروهام Brougham فى ١٨٣١ : "بالشعب أعنى الطبقات الوسطي، ثـروة وعقل البلد، مجد الاسم البريطاني".

هناك غرابة مستمرة فى هذا التطور. تنتمى وسطى middle إلى حيّز بين دنيا وعليا ; فى الواقع كإقحام بين دنيا وعليا اللتين فقدتا بشكل متزايد أسباب وجودهما. فى ١٧٩١ استعمل بيرك Burke (*Thoughts on French Affairs*) طبقات عليا *higher* classes وسجلت طبقات أعلى upper classes من عشرينيات ق ١٩. فى هذا النموذج لا يزال واضحاً التصنيف الهرمى القديم ؛ "طبقة وسطي" هى تدخّل ذاتى الوعى يشغل حيزاً بين أفراد ذوى "مرتبة" و"العامة". هذه كانت دائماً، حسب التعريف، غير محددة : هذا هو أحد الأسباب التى جعلت فى النهاية الكلمة التجميعية "طبقة" class بدلاً من الكلمة المحددة مرتبة rank تسود. لكن بوضوح عند Brougham وغالباً منذ ذلك الوقت اختفت تقريباً من التصنيف البادئة "عليا" higher أو upper أو بالأحرى أعطيت بعداً مختلفاً: تم حصرها على الأرستقراطية المتبقية والمحترمة لكن التى أزيحت بشكل أساسي.

هذه هى خلفية التعقيدات اللاحقة. فى الجدل العنيف حول الحقوق السياسية والاجتماعية والاقتصادية فى الفترة بين تسعينات ق ١٨ وثلاثينيات ق ١٩ استعملت "طبقة" فى نموذج آخر يبيّن تمييزاً بسيطاً : طبقات منتجة ومفيدة productive or useful classes – تعبير قوى ضد الأرستقراطية. فى ترجمة واسعة الانتشار لكتاب فولنى Voleny: *The Ruins, or A Survey of the Revolutions of Empires* (جزآن، ١٧٩٥) هناك حوار بين الذين عن طريق "عملهم المفيد يسهمون فى دعم المجتمع والمحافظة عليه" (معظم الناس: "العمال، الحرفيون، التجار وكل المهن المفيدة للمجتمع"، من ثم يسمّون الشعب People) والطبقات الموسرة ("القساوسة، رجال البلاط، المسئولون العامّون، قادة الجند، باختصار موظفو الحكومة المدنيين والعسكريين والدينيين"). هذا وصف ينطوى على مفهوم فرنسى للشعب the people يتعارض مع حكومة أرستقراطية، لكن تم تبنى هذا المفهوم بشكل واسع فى عبارات إنجليزية مما نجم عنه نتيجة محدّدة تتوافق مع

الوضع السياسى الفعلى لحركة الإصلاح بين تسعينات ق ١٨ وثلاثينيـات ق ١٩ : كل من الطبقات الوسطى الواعية لذاتها والناس المختلفين عـنهم تمامـاً ، الـذين يصفون أنفسهم بحلول نهاية الفترة كطبقات عاملة working classes تبنوا وصـف "طبقات مفيدة ومنتجة" فى تمييز وتضاد مع الطبقة الموسرة أو العاطلة. استمر هذا الاستعمال الذى لا ينسجم مع النموذج الآخر (دنيا، وسطي، عليا) مهماً ومشوّشاً.

تمت تسمية "طبقات عاملة working classes لأول مرة عن طريق الانتقـال من مفهوم طبقات مفيدة ومنتجة. هناك تشابك كبير فى ذلك : قارن "طبقات وسطى وكادّة middle and industrious classes (*Monthly Magazine*، ١٧٩٧) و"طبقـات فقيرة وعاملـة" poor and working classes (Owen، ١٨١٣) – الأخيـرة علـى الأرجح هى أول استعمال إنجليزى لطبقات عاملة working classes، لكنها كانـت عامة. نشر أوين Owen فى ١٨١٨ Two Memmorisls on Behalf of the Working Classes وفى نفس العام استعملت *The Gorgon* (٢٨ نوفمبر) "طبقـــــات عاملة" working classes فى سياق واضح ومحـدّد للعلاقـات بـين "عمـال" workmen و"موظّفيهم" their employers. تطور الاستعمال بعد ذلك بسرعة وبحلـول ١٨٣١ حدّدت نشرة The National Union of the Working Classes كعدو لها ليس الامتياز بالدرجة الأولى بل "القوانين التى وضعت لتحمى ... الممتلكـات أو رأس المـال." (ميزوا مثل هذه القوانين عن تلك التى لم توضع لتحمى الصناعة INDUSTRY (ا م) التى ما زالت على مفهومها القديم كعمل فعلـى applied labour). كتـب أوبـراين O'Brian فى *The Poor Man's Guardian* (١٩ أكتوبر، ١٨٣٣) عن تكوين "سيطرة تامة للطبقات المنتجة على ثمرة عملها" واستمر يصف مثـل هـذا التغييـر "كمـا تتصوره الطبقات العاملة" ؛ العبارتان – "طبقات منتجة" و"طبقات عمال" – يمكـن أن تحل إحداها محل الأخرى فى هذا السياق. هناك تعقيدات فـى تعبيـرات مثـل الطبقات الكادحة labouring classes وطبقات عمال operative classes التى يبدو أنها وضعت للتمييز بين مجموعة وأخرى من الطبقات المفيدة تتماشى مع التمييـز بين عمال وأرباب عمـل، رجال وسادة : وهـــو تمييز كـان محتوما اقتصـاديا وكـان فعّالاً من ثلاثينيات ق ١٩ على الأقـل. تبنوا تعبير "طبقات عاملة" الـذى

سماهم به آخرون واستعملوه بفخـــر، تماما كما حصل بالنسبة للطبقات الوسطى : "صنعت الطبقات العاملة working classes كـــل الثروة" (نشـــرة رولـــس Rulez لجمعية ريبوندن Ripponden التعاونية ؛ ذكرها بريستلى J.H. Priestly فى History of RCS؛ يرجع تاريخها الى١٨٣٣أو ١٨٣٩).

بحلول أربعينيات ق ١٩، إذن، كانـــت "طبقـــات وســـطي" middle classes و "طبقات عاملة" working classes تعبيرين شائعين. فى البداية أصبحت الأولـــى مفردة؛ ومن أربعينيات ق ١٩ أصبحت الأخيرة فى صيغة المفرد، لكـــن لا تـــزال حتى اليوم تتراوح بين الجمع والمفرد ، وغالباً بأهمية أيديولوجية، المفرد مـــألوف في الاستعمالات الاشتراكية والجمع أكثر شيوعاً فى الوصف المحافظ. لكـــن كـــان الأثر الأهم لهذا التاريخ المعقد هو توفر تعبيرين شائعين الآن، يستعملان للمقارنـــة والتمييز أو التعارض، نشأ ضمن نموذجين مختلفين. من ناحية دلت وســـط middle على هرمية ومن ثم تضمنت وجود "طبقة دنيا" lower class : ليس فقـــط نظريـــاً ولكن في ممارسة متكررة. من ناحية أخرى تضمنت عاملة working نشاطاً منتجاً أو مفيداً وبالتالى جعلت كل من هم ليسوا فى الطبقة العاملة غير منتجين أو عديمى الفائدة (سهل بدرجة كافية بالنسبة للأرستقراطية لكنه صعب التقبـــل مـــن الطبقـــة الوسطي). حتى اليوم هناك صدى لهذا التشويش. فى وقت مبكـــر، ١٨٤٤، أشـــار كوكبرن Cockburn إلى "ما يعبر عنه بالطبقات العاملة كما لو أن العاملين الوحيدين هم الذين يصنعون بأيديهم". مع ذلك فإن "رجل عامل" working man أو workman تشير باستمرار إلى العمل اليدوي. فى تشريع ١٨٧٥ أعطيت هذه تعريفاً قانونيـــاً : "يعنى التعبير "عامل workman ... أى شخص بصفته شغيلاً، خادماً فى الزراعـــة، عاملاً يومياً، صانعاً، حرفياً، عامل منجم ،عاملا فى أى مجال بيديه ... يكون قـــد دخل فى عقد أو يعمل حسب عقد مع صاحب عمل employer. هكذا كان الـــربط بين "عامل" و "طبقة عاملة" وثيقاً جداً لكن من الملاحظ أن التعريف يشـــمل عقـــداً مع صاحب العمل بالإضافة إلى كونه عملاً يدوياً. ينص تشـــريع ١٨٩٠ علـــى أن "شروط فقرة ١١ من تشريع إسكان الطبقـــات العاملـــة، ١٨٨٥ ... ســـيكون لهـــا مفعولها كما لو أن تعبير "طبقات عاملة" شمل كل طبقات النـــاس الـــذين يكســـبون

معيشتهم عن طريق الأجور أو الرواتب". سمح هذا بتمييز عن أولئك الذين اعتمدت معيشتهم على أتعاب fees (الطبقة المهنية professional class)، أرباح profits (طبقة التجار) وممتلكات property (المستقلون independent). مع ذلك وخصوصاً مع تطور المهن المكتبية والخدمية كان هناك التباس خطير حول الوضع الطبقي للذين يعملون مقابل راتب أو حتى أجر ولكن لم يقوموا بأى عمل يدوي. (ترجع راتب salary كجزاء ثابت إلى ق ١٤ ؛ "أجور ورواتب" wages and salaries هو تعبير مألوف من ق ١٩ ؛ لكن فى ١٨٦٨ "قيل إن مدير بنك أو سكة حديد - أو حتى مراقباً أو كاتبا فى مصنع - يستلم راتباً" وواضح هنا محاولة التمييز الطبقي بين رواتب وأجور ؛ بحلول أوائل ق ٢٠ تم التمييز بين مستلمى الرواتب salariat والبروليتاريا proletariat. مرة أخرى هنا، وفى لحظة حاسمة واضح أثر نموذجى "طبقي". الطبقة الوسطى التى ينحاز إليها أصحاب الرواتب هى تعبير عن وضع اجتماعى نسبي، وبالتالى تمييز اجتماعي. الطبقة العاملة، وهى محددة بناءً على مفهوم مختلف للطبقات المفيدة أو المنتجة، هى تعبير عن علاقات اقتصادية. هكذا يرتكز تعبيرا الطبقة الحديثة الشائعين على نموذجين مختلفين، ووضع أولئك الذين هم على علم بالموقع الاجتماعى النسبى وبالتالى التميز الاجتماعى ولكن، مع ذلك، يبيعون عملهم ويعتمدون عليه، ضمن علاقات اقتصادية، هو نقطة تداخل حاسمة بين النموذجين والتعبيرين. من العبث الاستنتاج بأن الطبقات العاملة هى الوحيدة التى تعمل WORK (ا م) لكن إذا وصف الذين يعملون فى عمل غير يدوى أنفسهم بعبارات موقع اجتماعى نسبى ("طبقة وسطي") فإن التشويش محتوم. أحد الآثار الجانبية لهذه الصعوبة كان التفصيل الإضافى لتصنيف حسب الطبقة classing ذاتها (الفترة من أواخر ق ١٩ إلى أواخر ق ١٩ زاخرة بهذه الكلمات المشتقة : "classify"، "classification"، "classifier"). من ستينيات ق ١٩ بدأت الطبقة الوسطى تنقسم إلى قسمين دنيا lower وعليا upper وفيما بعد انقسمت الطبقة العاملة إلى مهرة skilled و شبه مهرة "semi-skilled" وعمالة labouring. تبعت ذلك نظم تصنيف أخرى مختلفة برزت منها "مجموعة

اقتصادية اجتماعية" socio-economic group، التى يجب اعتبارها محاولة لمزاوجة نموذجى الطبقة والمنزلة STATUS (ام).

فى الختام من الضرورى دراسة صيغ "طبقة" كفكـرة مجـردة. فـى أحـد الاستعمالات الأولى للتعبير الاجتماعى المفرد تكاد تكون "طبقة" فى قـول كـراب Crabbe :

لكـل طبقـة اخترنا مدرسـة To every class we have a school assign'd

وقواعد لكل مرتبة، وقوت لكل ذهن Rules for all ranks and food for every mind

معادلة لمرتبة "rank" وهكذا استعملت فى تعريف طبقة وسـطى "middle". لكن تأثير مفهوم (١) لطبقة كتعبير عام للتجميع كان لا يزال قويا بدرجة مسـاوية ونجم عن ذلك بشكل رئيسى طبقات "مفيدة أو منتجة". لكن تمييز "المنتجة" كإدراك لنظام اقتصادى فعّال أدى إلى مفهوم لطبقة ليس هو بـالمرادف لمرتبـة ولا هـو طريقة تجميع وصفي، وإنما هو وصف علاقات اقتصادية سياسية. فى الاسـتعمال الحديث، لا يزال مفهوم مرتبة، رغم أنه ضـئيل، فعـالاً ؛ فـى اسـتعمال مـن الاستعمالات، لا تزال "طبقة" تتحدد بشكل أساسى بالولادة. لكن تتوزع الاستعمالات الجادّة بين تجميع وصفى وعلاقات اقتصادية. من الواضح أن مصـطلح علاقـات اقتصادية أساسية (كما هى بين أصحاب العمل والمستخدمين أو المـلاك وعـديمى الأملاك) سيعتبر غير دقيق وعاماً بالنسبة لغرض التجميع الوصفى الدقيق الذى هو مختلف تماماً. من ثم النقاش المستمر بين الذين يقترحون، مستعملين "طبقة" بمفهوم العلاقات الأساسية، اثنين أو ثلاث "طبقات" أساسية والـذين يجـدون، مسـتعملين "طبقة" للتجميع الوصفي، ضرورة تقسيم هذه التصنيفات إلى فئات أصغر وأصغر. يضم تاريخ الكلمة هذا الالتباس الأساسي.

يمكن ملاحظة كل النزعات عندما كانت تتطور تعابير "طبقة" فى أوائل ق ١٩. أشارت *The Gorgon* (٢١ نوفمبر ١٨١٨) بطريقة طبيعية تماماً إلى طبقة صغرى من التجار تسمى عمال العليّات garretmasters. لكن فى ١٨٢٥ عرف كوبيت Cobett المفهوم الأحدث: "حتى تكون هناك طبقة من المجتمع متحدة لمعارضة طبقة أخرى". فى ١٨٠٥ جادل هول Charles Hall بأنه:

**"يمكن تقسيم الشعب فى دولة متحضّرة إلى رتب orders مختلفة ؛ لكن لغرض البحث فى الطريقة التى يتمتعون فيها أو يحرمون من المتطلبات التى تسهم فى صحة أبدانهم وعقولهم فإنه يجب تقسيمهم فقط إلى طبقتين: الأثرياء والفقراء *Effects of (The Civilization on the People in European States)*"**

هنا يوجد تمييز بين رتب orders (مراتب ranks) وتجمعات اقتصادية فعالة (طبقات). فى ١٨١٨ وصف غازل قطن (وردت فى *The Making of the English Working Class* لمؤلفه E.P. Thompson، ص ١٩٩) أصحاب العمل والعمال "بطبقتين متميزتين من الناس". بطرق مختلفة أصبح هذا التصنيف الثنائى تقليدياً رغم أنه وجد بمحاذاة تجمعين ثلاثيين: " تجمع اجتماعى (عليا، وسطي، دنيا) وتجمع اقتصادى مستحدث: "ثلاث طبقات" جون ستيوارت مل J.S. Mill : "ملاك أراضي، رأسماليون وعمال" (*Monthly Repository*، ١٨٣٤، ٣٢٠) أو قول ماركس "ثلاث طبقات اجتماعية كبرى... عمال بالأجر، رأسماليون وملاك أراضى ( *III.Capital* ). فى التطور الفعلى للمجتمع الرأسمالى حل تقسيم ثنائى جديد محل التقسيم الثلاثى : فى لغة ماركسية، البرجوازية، والبروليتارية (التعقيدات التقسيم الثلاثى وبسبب التعريف الاجتماعى بشكل رئيسى للتعبير الإنجليزى "طبقة وسطي"، فإن برجوازى وحتى بروليتارى غالبا ما تكون صعبة الترجمة). تبرز بعد ذلك صعوبة إضافية: تكرار على مستوى آخر للاختلاف بين تجميع وصفى وعلاقة اقتصادية. يمكن أن تكون "طبقة" تصنيفاً (كاسبى الأجر wage-earners) أو

تشكيلاً (الطبقة العاملة) لو نظر إليها حسب العلاقات الاقتصادية. كان وصف ماركس للطبقات ينحو فى اتجاه التشكيلات:

**"يشكل الأفراد المستقلون طبقة فقط لأنه يتوجب عليهم مواصلة المجابهة ضد طبقة أخرى ؛ عدا ذلك فهم فى نزاع بينهم كمتنافسين. من ناحية أخرى، تكتسب الطبقة بدورها وجوداً مستقلا فى مواجهة الأفراد بحيث أنهم يجدون ظروف معيشتهم مقررة مسبقاً ومن ثم يكون قد تم تحديد وضعهم فى الحياة ونموهم الشخصى عن طريق طبقتهم ...". (*German Ideology*)**

يشمل هذا النقاش الصعب مرة أخرى تشويشاً. فى بعض الأحيان "طبقة" هى تصنيف اقتصادى يضم كل الذين هم بطريقة موضوعية فى ذلك الوضع الاقتصادي. لكن "طبقة" فى أحيان أخرى (ولدى ماركس غالباً) هى تشكيل تطور فيه لأسباب تاريخية شعور بهذا الوضع وتنظيم للتعامل معه. هكذا نقرأ:

**"بقدر ما يعيش ملايين من الأسر تحت ظروف معيشة اقتصادية تفصل أسلوب حياتهم واهتماماتهم وثقافاتهم عن تلك التى تخص طبقات أخرى وتضعهم فى معارضة عدائية معها، فإنهم يكونون طبقة. بقدر ما يوجد مجرد تواصل محلى بين هؤلاء الفلاحين من صغار المستأجرين ولا يؤدى تطابق اهتماماتهم إلى تكوين مجتمع، أو رابطة وطنية ولا تنظيم سياسى بينهم فإنهم لا يشكلون طبقة." (*Eighteenth Brumaire of Louis Bonaparte*)**

هذا هو التمييز بين تصنيف وتشكيل، لكن حيث أن طبقة تستعمل لكليهما فقد نجم عن ذلك كثير من التشويش. لا تزال المسألة حرجة كونها تشكل أساس جدال متكرر حول علاقة وعى طبقى class consciousness مفترض بطبقة محددة موضوعيا وحول تقلبات وصف الذات وتحديدها بناءا على مقياس طبقى. تعيد كثير من التعبيرات المشتقة هذا الالتباس. بوضوح لا يمكن أن يرتبط وعى طبقى إلا

بالتشكيل. تعتمد صراع طبقي class struggle، ونزاع طبقي class conflict، حرب طبقية class war وتشريع طبقي class legislation، وتحيز طبقي class bias على وجود تشكيلات (رغم أن هذا قد يكون متفاوتاً أو جزئياً بين الطبقات). من ناحية أخرى، يمكن لثقافة وطنية أن تتأرجح بين معنيين: ثقافة طبقة عاملة -working class culture يمكن أن تكون معاني وقيم ومؤسسات التشكيل، أو ذوق وأسلوب حياة هذا التصنيف (انظر أيضاً ثقافة CULTURE). فى نطاق واسع من الجدل والنقاش المعاصر يمكن ملاحظة كل هذه المعانى المتقلّبة لطبقة class مستعملة دونما أى تمييز واضح. لذا من المفيد تكرار المدى الأساسى (خارج نطاق المعانى غير الخلافية فى التصنيف العام classification والتعليم):

مجموعة group (موضوعي) : تصنيف اجتماعى أو اقتصادى على مستويات متفاوتة.

مرتبة rank: وضع اجتماعى نسبي، بسبب الولادة أو الحراك الاجتماعي.

تشكيل "formation" : علاقة اقتصادية مدركة ؛ تنظيم اجتماعى وسياسى وثقافي.

انظر: CULTURE ثقافة، INDUSTRY صناعة، MASSES جماهير، ORDINARY مألوف، POPULAR شعبى، SOCIETY مجتمع، UNDERPREVILEDGED غير ميسور

## تجمع COLLECTIVE

(١) ظهرت كلمة تجمع collective فى الإنجليزية كصفة من ق ١٦ وكاسم من ق ١٧. بشكل رئيسى كانت تطوراً خاصّاً من collect يجمّع (س م) collectus، لاتينية : يضمّ معاً (هناك أيضاً (س م) collecter، فرنسية قديمة: يجبى ضرائب أو أموالاً أخرى). استعملت collective كصفة منذ ظهورها المبكر لوصف أشخاص يعملون معاً ، ووجدت كذلك فى

تعابير مشابهة مثل "collective body" "هيئة متجمعة". (Ecclesiastical Polity، VIII،iv،١٦٠٠:Hooker). كان أول استعمالات الاسم فى النحو أو فى الوصف الفيزيائي. يرتبط المفهوم الاجتماعى والسياسى لوحدة معينة – "إخوتكم فى التجمّع "your brethren of the Collective (Cobbett: Rural Rides، II، ١٨٣٠،٣٣٧) – بالشعور الديمقراطى DEMOCRATIC (ا م) الجديد. أحيى هذا الاستعمال فى فترات عدة لاحقة بما فيها وسط ق ٢٠ لكنه ليس شائعاً بعد. أصبحت collectivism "جماعية"، التى استعملت بشكل رئيسى لوصف النظرية الاقتصادية الاشتراكية وبشكل اشتقاقى فقط بالمفهوم السياسى لتجمّعى collective، شائعة فى أواخر ق ١٩ ; وصفت فى ثمانينات ق ١٩ بأنها كلمة جديدة رغم أن استعمالها سجل من خمسينيات ق ١٩. فى فرنسا استعمل التعبير فى ١٨٦٩ كطريقة لمعارضة "اشتراكية الدولة" .

(٢) انظر COMMON عام، DEMOCRACY ديمقراطية، MASSES جماهير، SOCIETY مجتمع

## تجارية COMMERCIALISM

كانت commerce كلمة إنجليزية عادية للتجارة من ق ١٦؛من (س م) commerce، فرنسية، commercium، لاتينية، (س ب) com، لاتينية: سويا، merx، لاتينية: سلعة أو بضاعة. توسعت commerce أيضاً من ق ١٦ لتشمل كل أنواع "التعاملات" dealings – اجتماعات، تفاعلات بين الرجال. ظهرت commercial تجارى من أواخر ق ١٧ فى المفهوم الأكثر تحديداً : نشاطات ترتبط بالتجارة فى تمييز لها عن النشاطات الأخرى. كانت فى البداية وصفية بالدرجة الأولى لكن اكتسبت من وسط ق ١٨ معانى إضافية حاسمة. لكن الكلمة الحاسمة تماماً هى تجارية، من وسط ق ١٩، التى تدل على نظام يقدم الربح المالى على أية اعتبارات أخرى. فى الوقت نفسه احتفظت commerce بمعناها الحيادي، ويمكن استعمال commercial إيجابياً أو سلبياً.

هناك استعمال معاصـــر لافت لتجـــــارى commercial لوصف إعـــــلان مذاع، وفى بعض الترفيه الشعبى المرتبط بذلك كان هنــــاك من ســتينيات ق ٢٠ استعمال لتجارى commercial يعنى ليس فقط عمـــلاً ناجحاً وإنما أيضــاً مــؤثراً ونافذاً كمـــا فى تعبير الموســيقى الشعبية الإيجابي: صـــوت تجارى commercial sound. لكن فى الوقـــت نفســـــه، فضّـلت الإذاعـــة التجاريـــة " commercial broadcasting" وصف نفسها بالمستقلّة (قارن CAPITALISM رأسمالية ومشاريـــع خاصـــة أو حـــرة "free or private enterprise").

## عام / شائع / فج / مشترك COMMON

للكلمة common مجال شاسع من المعانى فى الإنجليزية ولا يمكن عزل أى عدد من معانيها المحدّدة عن التاريخ الاجتماعى الـــذى مـــا زال فعـــالا. ســـابقتها المباشرة (س م) هى communis لاتينية، اشتقت إمـــا مـــن com لاتينيـــة: ســـويا وmunis لاتينية: ملزم، أو من com وunus لاتينية: واحد. يمكن ملاحظـــة انـــدماج هذه المعانى فى الاستعمالات الأولى بدء بـــ common و community (مـــن ق ١٤: جماعة منظمة)، الى مجموعة محددة ومن ثم عموم البشر. هناك تمييزات فى هذه الاستعمالات لكن أيضا هناك تداخلات كبيرة ومتشبثة. اللافت إذن هو استعمال "common " المبكر كصفة واسم لتصنيف اجتمـــاعى – common وthe common و commons (العموم) – معارض للوردات والنبالة. اســتمر هـــذا التـــوتر بـــين المعنيين. يمكن أن تدل common على مجموعـــة كاملـــة أو مصـــلحة شـــاملة أو مجمـــــــوعة كبيـــرة محـــــــددة وتابعـــة. (قـــارن محاجّـــة إليـــوت Elyot (Governor، I، i، ١٥٣١ ) ضد weale commune، فيما بعد commonwealth: يبدو أن هنك تنوعا مماثلا فى الإنجليزية بين publike weale و commune weale كما فى اللاتينية بين Res puplica و res plebeia ".)

يظهر نفس التوتر في استعمالات معنى المجموعة الكاملة: أي التعميم. يمكن استعمال common لتأكيد شيئ مشترك أو لوصف شيء معتاد ordinary (نفسها ملتبسة فهي تنتمي إلى order (رتبة) كسلسلة أو تتابع ومن ثم ordinary – مجرى الأمور المعتاد، لكن أيضا تنتمي إلى order كمرتبة اجتماعية وعسكرية ومن ثمordinary (النزع لا يمكن تمييزه)؛ أو لوصف شيء وضيع أو فج vulgar (التي تحدّد معناها من أصل مشابه، vulgus، لاتينية : عامة الناس common people. من الصعب تحديد تاريخ المعنى الازدرائي العام common. في المجتمع الإقطاعي كان الوصف منهجيا ولم يتضمن أية معان إضافية. من المهم أن أعضاء في الجيش البرلماني في الحرب الأهلية في وسط ق ١٧ رفضوا التسمية بجنود عاميين "common soldiers" وأصرّوا على جنود خاصين "private soldiers". لابد وأن يدل هذا على مفهوم ازدرائي مهم كان للكلمة، رغم أن هذا الجيش نفسه كان يحارب من أجل العامة "the common" وواصل الحرب حتى أنشأ كومنولث "commonwealth". كان البديل الذي اختاروه لافتا حيث إنه تبع للروح الحقيقية لثورتهم، أنهم هم القائمون على أمورهم. هناك عمق من التاريخ الاجتماعي في هذا الانتقال عبر سلسلة الوصف المعتاد من common إلى private: بطريقة ما كان التناقل بين معان كانت توّا متعارضة: كونهم جنودا خاصين في قضية عامة. في الجيوش البريطانية اللاحقة فقدت private اهميتها وخفضت الى مصطلح تقني عمّن هم في المرتبة الدنيا.

من أواخر ق ١٦ فصاعدا يتعذر تمييز استعمالات حيادية نسبيا للكلمة كما في "common ware" (سلع عامة) عن استعمالات مفصودة ولكن اكثر ابهاما تدل على فج vulgar او غير مهذب unrefined وفي النهاية low class وضيع المنزلة. بالتأكيد يبدو أن الاستعمال الازدرائي اوا صبح يزداد من اوائل ق ١٩ في فترة يتعاظم فيها التمييز الطبقي لكن حتى ذلك الحين دون تحديد (قارن CLASS طبقة). بحلول اواخر ق ١٩ كان تعبيرة مثل حديثهم common عادي تماما وقع لا مجال فيه للخطأ. واستمر هذا الاستعمال ليشمل نطاقا [illegible] من السلوك. في الوقت نفسه كان هناك استعمال شائع لمعنى آخري سوء حديثه [illegible]

إيجابية. يقول الناس أنـــه من غير الدماثة common أكل الآيس كـريم فـى الشارع (وفى الواقع هذه فى دورها أن تصبح common بمعنى آخر)؛ لكن أيضـا من الشائع common التحدث عن حاجة الى مجهود مشترك common (الذى قد يكون صعب التحقيق لـو اعتبر الناس المرجو مساهمتهم أفجاجا common) .

انظر: CLASS طبقـة، FOLK شـعب، MASSES جمـاهير، POPULAR شعبى، PRIVATE خاص

## اتصالات / مواصلات COMMUNICATION

بمعناها الحديث الشامل وجدت كلمة communication فى اللغة الإنجليزيـة منذ ق١٥. كانـت سـابقتها المباشـرة communicacion، فرنسـية قديمـة مـن communcationem، لاتينية، اسـم فعـل مـن جـذر مـن اسـم المفعـول لــ communicare، لاتينية، من (س ب) communis، لاتينية: عام common؛ ومـن ثم "communicate": يجعل مشاعاً لكثيرين، يبث. فى البداية كانت communication هى هذا العمل ومن ثم مـن أواخـر ق ١٥ الشـيء الـذى جعـل عامـا: a communication: اتصال، رسالة. استمر هذا كمجال أساسى لاستعمالها. لكن مـن أواخر القرن ١٧ كان هناك انتشار هام لوسائط means الاتصال، خاصـة فـى عبارات مثل خطوط مواصلات "lines of communication". فـى فتـرة التطـور الرئيسـية للطرق والقنوات والسكك الحديدية كانت communications (مواصلات) التعبير العام المجرد لهذه الوسائل الفعلية. لم تصـبح communications تـدل وبشكل طاغ على وسائل اتصال MEDIA (ا م) مثل الصـحافة والإذاعـة إلا فـى ق٢٠ مع تطـور وسائل أخرى لنقـل المعلومـات والحفـاظ علـى الاتصـال الاجتماعي، رغـم أن هـذا الاستعمال (الذى كان أسـبق فـى أمريكـا مـن بريطانيا) لـم يستقر قبل منتصف ق ٢٠. هكـذا تميـزت عـادة صـناعة الاتصـالات "communications industry" عـن صناعـة النقـل " transport

"industry : communication اتصالات للمعلومات والأفكار مطبوعة أو مذاعة ؛ transport نقل لانتقال الناس والبضائع الفعلي.

من المفيد غالبا فى الجدل حول نظم الاتصالات ونظرية الاتصال تذكر اسم الفعل الأصلى غير المحدد والذى يمثله فى طرفيه الأقصيين (transmit يرسل) وهى عملية أحادية الاتجاه وshare يشارك (قارن communion لعشاء الربانى وخاصة communicant متناول هذا العشاء)، عملية مشتركة أو متبادلة. يمكن فهم المعانى الوسيطة - يجعل مشاعا لكثيرين، يبث - فى أى من الاتجاهين واختيار الاتجاه عادة ما يكون حاسما. من ثم هناك محاولة تعميم التمييز فى عبارات متعارضة مثل "mainipulative communications" اتصالات موجّهة واتصالات مشاركة "participatory communications".

انظر COMMON عام / مشترك

## شيوعية COMMUNISM

ظهرت كلمة communism شيوعية و communist شيوعى فى وسط ق١٩. أصولهما المعروفة على نطاق أوروبا هى البيان الشيوعى ( *Communist Manifesto*) لماركس وإنجلز الصادر فى ١٨٤٨ والعصبة الشيوعية ( Communist League) المرتبطة بذلك. لكن الكلمة كانت متداولة قبل ذلك. أسس بارمبى Goodwyn Barmby جمعية لندن للدعاية الشيوعية "The London Communist Propaganda Society" في ١٨٤١ وهناك ارتباط واضح لهذا الاستعمال بالعشاء الربانى communion: "يعطى الشيوعى مائدة العشاء Communion Table أهمية بالغة عن طريق اعتبارها نمطا من تلك الحياة الجماعية الألفية المقدسة". حيث أن هناك تشابهات وتداخلات للكلمات المشتقة من COMMON (ا م) فانه من المتوقع وجود هذا النطاق الواسع من المعاني، وقد تبنى اشتراكيون طوبائيون مسيحيون بعض هذه الدلالات. واضح كذلك التداخل مع اصطلاحات علمانية وجمهورية

مستمدة بشكل أساسي من الثورة الفرنسية. زعم بارمبي Barmby أنه "أول من نطق اسم communism شيوعية التي اكتسبت من ذلك الوقت سمعة عالمية". كان هذا في ١٨٤٠، وقد تم "في حديث مع أكثر العقول تقدما في الحاضرة الفرنسية" وبشكل خاص "في صحبة طلاب Babeoeuf (هكذا وردت) الذين كانوا يسمون بمناصري المساواة Equalitarians. سجل استعمال كابيه Cabet للكلمة communiste أيضاً في ١٨٤٠ وتبعتها على وجه السرعة في نفس العقد communisme و communism (في الإنجليزية إضافة إلى ذلك كانت هناك communionism). في كل من فرنسا وألمانيا ولكن ليس في بريطانيا أصبحت communist كلمة أصعب من اشتراكي "SOCIALIST" (ا م). شرح انجلز فيما بعد كيف انه لم يكن في إمكانه وماركس تسمية البيان الشيوعي "مانيفستو اشتراكي" وذلك لأن إحداهما كانت حركة طبقة عاملة والأخرى كانت حركة طبقة وسطى ؛ "كانت الاشتراكية محترمة، على الأقل في القارة الأوروبية وكانت الشيوعية عكس ذلك تماماً". يرجع التمييز الحديث بين شيوعي واشتراكي في الغالب لهذه الفترة لكن هذا مضلل ليس فقط لأن اشتراكية واشتراكي كانتا أكثر انتشارا في الأحزاب الشيوعية ولكن أيضا لأن شيوعية كانت لا تزال تفهم بشكل واسع في إطار صلتها بجماعة community وبالتالي بتجارب في الملكية المشاعة. في ثمانينات ق١٩ كانت اشتراكية في الانجليزية هي الأصعب حيث أنها ارتبطت دون مواربة، مع كل نزاعاتها المختلفة، بإعادة تنظيم المجتمع ككل. استعملت communist في مفهومها الحديث بعد تجربة كميون باريس Paris Commune في ١٨٧٠ لكن اعترض عليها البعض لعدم دقتها ؛ كانت الكلمة الأدق هي communard. في تسعينات ق١٩ عبر وليام موريس William Morris عن معارضته للاشتراكية الفابية Fabian Socialism بتعبيري شيوعية Communism وشيوعي Communist الصريحين.

ظل التعبير العام السائد socialism اشتراكية حتى قيام الثورة الروسية. في ١٩١٨ غير حزب العمال الاجتماعي الديمقراطي الروسي اسمه من قبل القسم البلشفي المهيمن عندئذ إلى الحزب الشيوعي لكل روسيا (بلاشفة) وأصبحت كل الاستعمالات الحديثة تتبع ذلك. استرجعت إعادة التسمية التمييز الذي شعر

به كل من ماركس إنجلز ، وذكرت بكميون باريس، لكنها كانت إعادة تكوين تاريخية للكلمة ، بدلا من استمرارية تدل على التواصل. ضمن هذا التراث أصبحت شيوعية عندئذ في مرحلة أعلى من اشتراكية التي يجب على الأولى أن تمر عبرها. كان لذلك أثر أدنى على المعاني العامة من التمييز الذي تلا عام ١٩١٨ (لكن مع سوابق مبكرة كثيرة وهامة وإن لم تكن تحمل أسماءً) بين اشتراكين ثوريين وديمقراطيين ثوريين Revolutionary and Democratic Socialists (ا م م). أنتجت الانشقاقات التالية في الشيوعية صيغا إضافية رغم أن "شيوعي" تستعمل غالبا للأحزاب المرتبطة بالتعريفات السوفيتية، وتشيع استعمالات ثوري وماركسي- لينيني Marxist-Leninst لوصف أحزاب شيوعية بديلة أو منشقة.في هذا التاريخ المعقد والحاد انجدل هناك استعمال ذو صعوبة معينة : ماركسي Marxist. تكاد تزعم كل الأحزاب والمجموعات الاشتراكية، بما فيها الأحزاب الشيوعية، أنها ماركسية Marxist رغم أنها في الغالب تنفي في الجدل هذه الصفة عن أحزاب أخرى منافسة مع أنها كلها تنضوي تحت نفس التصنيف العام. خارج الحركة الاشتراكية استعملت marxist أيضاً بشكل واسع ؛ جزئيا كوصف شامل للأحزاب والمجموعات الاشتراكية والشيوعية والثورية المختلفة ؛ جزئيا كطريقة لوصف اتجاهات وأعمال ثقافية ونظرية على وجه الخصوص، وذلك دونما معاني سياسية أو سياسية بشكل مباشر. (في هذا الاستعمال الأخير تكون ماركسي marxist تعبيرا مهذبا لشيوعي أو اشتراكي ثوري رغم أن المبدأ الماركسي لإقران النظرية والتطبيق يعطي انتشار استعمال marxist المعاصر شيئا من الأهمية) .

انظر : SOCIALISM اشتراكية

## جماعة COMMUNITY

كانت كلمة community في اللغة الإنجليزية منذ القرن ١٤، من (س م) comuneté، فرنسية قديمة، communitatem، لاتينية: اتحاد علاقات ومشاعر، من

(س ب) communis، لاتينية: عام COMMON (ا م). توطدت فى الإنجليزية بمعـــان متعـــددة :

(١) العموم أو عامة النـــاس the common people أو the commons فـــى تمييز لهم عن أصحاب المراتب (ق١٤ - ق١٧) ؛ (٢) دولة أو مجتمع مـــنظم - فى استعمالاتها اللاحقة كان هذا المعنى محـــدودا نســـبيا (ق١٤ فمـــا بعـــد)؛ (٣) أهـــل منطقـــــة ( ق١٨ - ) ؛ (٤) حالـــــة ملكية مشتركة كما فى اتحاد مصالح community of interests، جماعـــة مالكى سلع community of goods (ق ١٦ -) ؛ (٥) شـــعور بالهويـــة والخصال المشتركة (ق١٦-). ســـنرى أن معانى (١) الى (٣) تدل على مجموعات اجتماعية فعلية و(٤) إلى (٥) طبيعة معينة لعلاقة كما فى communitas. من (ق١٧) كانت هناك علامات على التمييز الـــذى أصـــبح هامـــا خصوصا من (ق١٩) والذى ظهر فيه أن جماعة community تدل علـــى قـــرب ومباشرة أكثر من مجتمع SOCIETY (ا م) رغم أنه يجب تذكر أن مجتمع نفســـها كان لها هذا المفهوم المباشر حتى ق ١٨، وكذلك كانت فـــى الأصـــل مجتمـــع مدنـــى civil society ، (راجع CIVILIZATION) ، مثلها مثـــل مجتمـــع وجماعـــة، محاولة لتمييز مجموعة العلاقات المباشرة عن المؤسسة المنظمة المتمثلة فى مملكة realm أو دولة state. من (ق ١٩) تطور مفهوم المباشرة أو المحليـــة فـــى ظـــل المجتمعات الصناعية الأكبر والأكثر تعقيداً. كانت جماعة community هـــى الكلمـــة المحبذة عادة للتجارب فى أى نوع بديل من الحياة المشتركة. لاتزال تستعمل كذلك وألحق بها، بمفهوم أكثر تحديدا كميون commune (الفرنسية commune: أصـــغر الوحدات الإدارية، والألمانية Gemeinde: تقسيم مدنى وكنســـي. تفاعلـــت هاتـــان الكلمتان مع بعضهما ومع جماعة community وتسربت هذه الكلمات إلـــى الفكـــر الاشتراكى (خاصة commune) وإلى علم الاجتماع (خاصة Gemeinde) لتعبر عن أنواع معينة من العلاقات الاجتماعية). أضفى تونيز Tönnies فـــي١٨٨٧ بطرق فعالة شكلا رسميا على التعارض الذى تم الإفصاح عنه بشكل متزايد فى (ق ١٩)، بـــين العلاقات الأكثر شمولية والأكثر مباشرة وبالتالى أكثر أهميـــة للجماعـــة ، وبـــين العلاقات الأكثر رسمية والأكثر تجردا والأكثر نفعيـــة للدولـــة state أو المجتمـــع

society فـــى مفهومهـــا الجديـــد، ووســـمه كتعـــارض بـــين Gemeinschaft و Gesellschaft، ويستعمل هذان التعبيران اليوم أحيانـــا دون ترجمـــة فـــى لغـــات أخـــــرى. يتّضح تمييز مشـــابه فـــى اســـتعمالات منتصـــف (ق٢٠) لجماعـــة community. فى بعض الاستعمالات كان لها جانـــب جـــدلي، كمـــا فـــى سياســـة الجماعة community politics التى تتميز ليس فقط عن السياسة الوطنيـــة national politcs ولكن أيضاً عن السياسة المحلية local politcs الرسمية، والتى تتطلب عادة أنواعاً مختلفة من العمل المباشر والتنظيم المحلى المباشر، "العمـــل مباشـــرة مـــع الناس"، وفـــى هذه الصيغة هى تختلف عـــن "خدمـــة الجماعـــة" service to the community التى لهـــا مفهوم قديم كعمل طوعى يسند الدعم الرسمى أو الخدمـــة المأجورة.

هكذا يرتبط تعقيد community بالتفاعل المعقد بين نزعات تميزت أصلا فى التطور التاريخى : من جانب، هناك مفهوم الاهتمام المشترك المباشر ؛ ومن جانب آخر هناك تجسيد الأشكال المختلفة للتنظيم المشترك الذى قد يعبّر أو لا يعبر عـــن ذلك. قد تكون community كلمة مقنعة بشكل فعال لوصـــف مجموعـــة علاقـــات موجودة أو قد تكون كلمة مقنعة بشكل فعال لوصف مجموعة بديلة لتلك العلاقات. ربما الأكثر أهمية هو أنه، فى مغايرة لكل تعابير التنظيم الاجتماعى (دولـــة، أمـــة nation، مجتمع .. الخ)، يبدو أنها لا تستعمل أبداً بطريقة سلبية ولم يكن لهـــا أبـــدا تعبير مقابل أو مميّز إيجابي.

انظـــر : CIVILIZATION حضـــارة، COMMON عـــــام، COMMUNISM شـــيوعية، NATIONALIST قـــومي، SOCIETY مجتمع

**إجماع CONSENSUS**

دخلت consensus الإنجليزية فى وسط (ق١٩)، فى الأصل بمفهوم سيكولوجي ثم من (ق ١٦) أصبح لها معنى محدّد: (س م) consensus، لاتينية: اتفاق أو شعور مشترك: (س ب) con، لاتينية :سوياً، sentire: شعور. هكذا تستعمل في١٨٦١: "هناك علاقة عامة بين الأجزاء المختلفة فى حضارة أمة ؛ سمّها إن شئت اجماعاً consensus شريطة الا يتسرب مفهوم مجموعة أعضاء بشرية إلى هذا التعبير". كانت consensual إجماعى أسبق، من وسط (ق ١٨)، فى سياقيين خاصّين: قانونى (consensual contract) عقد بالتراضى فى القانون الرومانى ؛ فسيولوجى: يرتبط بأفعال غير طوعية (سمباتية sympathetic أو انعكاس لا إرادى للجهاز العصبي. تطورت consensus وتبعتها consensual باضطراد عن طريق التحول لتدل على اتفاق عام: "بإجماع consensus المبشرين البروتستانت" (١٨٦١). هناك استعمالات ثانوية مساندة فى صيغ أكثر تحديدا مثل consensus of evidence إجماع البينة، وهو من نفس الفترة.

شاعت الكلمة أكثر فى (ق ٢٠) وأصبحت منذ وسط القرن تعبيرا سياسيا مهما. فى الغالب يتم بطريقة دقيقة تحوير الاستعمال العام، فى مفهومه كاتفاق قائم فى الرأي، عند تطبيقه فى مجال السياسة. يمكن أن تعنى consensus politics "سياسة الإجماع"، حسب المعنى العام، سياسات يتم اتخاذها بناء على توافر جملة آراء متفق عليها. ويمكن أن تعنى أيضا، وبالفعل عنت ذلك فى الغالب، سياسة تجنب أو تهرب من اختلافات أو انقسامات الرأى فى محاولة للاحتفاظ بالمركز أو احتلال الأرضية الوسطى. فى الواقع، يختلف هذا كثيرا عن coalition تحالف (فى الأساس، نمو متضافر للأجزاء، من ق ١٧ ؛ (س م) coalitionem، لاتينية من coalescere : نمو متضافر، وهو مفهوم لا يزال حاضرا فى coalesce التئام، اندماج ؛ لكن من ق ١٧، اتحاد أو تضافر الأجزاء، ومن ق ١٨ تضافر عن طريق الاتفاق المقصود وغالبا الرسمي). دلّ المفهوم السلبى لسياسة الإجماع consensus politics على التملص المقصود من النزاعات التى تبنى على مبادئ أساسية، لكنه دل كذلك على العملية التى تقصى فيها بطريقة فعلية مواضيع معينة عن النقاش

السياسي - ليس لوجود اتفاق عليها أو لأن تحالف الأطراف توصل إلى حل وسط ، ولكن في التنافس على أرضية وسطى middle ground للاستيلاء عليها لا يوجد هناك حيز لمواضيع على قدر كبير من الأهمية (لأن هذه المواضيع بعيدة فعليا عن الحياة اليومية المألوفة - نائية أو أجنبية أو لأن أثرها طويل الأجل، أو لأنها لا تمس إلا الأقليات). إذن بينما تحتفظ consensus بمفهوم إيجابي عن الاتفاق العام فإنها اكتسبت أيضاً مفاهيم سلبية في التجنب اللامبالي والجائر لمواضيع أو مناقشات ضرورية. هي كلمة صعبة جداً في الاستعمال لأن نطاق مفهومها الفعلي يمتد من مفهوم ايجابي يدل على البحث عن اتفاق عام عبر مفهوم موافقة خاملة نسبيا أو حتى لاواعية UNCONSCIOUS (ا م) (قارن، رأى قويم محافظ orthodox opinion ومعرفة تقليدية conventional wisdom) إلى معنى نوع من السياسة الموجّهة "manipulative" التي تسعى إلى خلق أغلبية صامتة " silent majority " كمركز قوة يمكن كبت أو إقصاء أفكار أو حركات منشقة عنه. من اللافت أن تجذب كلمة في ظاهرها معتدلة مثل هذا الشعور العنيف، لكن يمكن أن تفسر ذلك تفسيراً واضحاً نسبيا عمليات سياسة الانتخابات الحديثة وسياسة الرأى العام "public opinion".

من الجدير بالملاحظة أن الكلمة تتم في الغالب تهجيتها الآن كالتالي "concensus" في مواضع مثيرة للدهشة، مثل كتابات بعض الذين يشكون عموما من عدم القدرة في الحاضر على التهجية الصحيحة. من الراجح أن هذا نشأ من ترابط الكلمة مع "census " إحصاء، ولو صح هذا الافتراض فإن ذلك لافت لأنه يدل على علاقة مألوفة الآن، إن لم تكن لاشعورية، تكمن في ممارسة إحصاء الآراء كما في استفتاءات أراء الجمهور. لكن هناك التباس منذ مدة طويلة بين الحرفين(s و c) في كلمات من هذا النوع (قارن الكلمة البريطانية defence بالأمريكية defense اللتين ترجعان إلى اختلافات تهجئة من الانجليزية الوسطى). تمت تهجئة الكلمة consent نفسها في معظم الأحيان كـ concent حتى ق ١٦.

انظر : CONVENTIONAL تقليدى

## مستهلك CONSUMER

فى الإنجليزية الحديثة الكلمتان consumer وconsumption استهلاك هما اسما الوصف السائدان فى كل أنواع التعامل مع السلع والخدمات. هذا الانتشار مهم كونه يتعلق بنوع معين من النشاط الاقتصادى الذى ينشأ من طبيعة نظام اقتصادى معين كما يبين تاريخ الكلمة.

كانت consume يستهلك فى الإنجليزية منذ ق ١٤، من (س م)consumer، فرنسية، والتهجية الأخرى consommer، فرنسية (لهذه الصيغ المختلفة تاريخ معقد لكن فى النهاية مميز فى الفرنسية)، (س ب) consumere، لاتينية: يستنفذ، يلتهم، يتلف، يبدد. تقريبا فى كل استعمالاتها الإنجليزية الأولى كان معنى consume سلبيا ؛ عنت تدمير، استنفاذ، إتلاف، استنزاف. لا يزال هذا المعنى حاضراً فى consumed by fire أتلفته النار، وفى التسمية الشعبية للمرض الرئوى pulmonary phthisis : سل consumption . لاستعمالات consumer الأولى من ق ١٦ نفس معنى الدمار والتلف العام.

بدأت consumer من أواسط ق ١٨ تظهر كمفهوم حيادى فى وصف الاقتصاد السياسى البرجوازي. فى الهيمنة الجديدة لسوق منظم تم توا تعريف أعمال صنع واستعمال السلع والخدمات فى ثنائية منتج producer ومستهلك consumer وإنتاج production واستهلاك censumption، ذات الطابع التجريدى باضطراد. لكن استمرت إيحاءات consumer السلبية على الأقل حتى أواخر ق ١٩، وفى الواقع لم تنتقل الكلمة حتى منتصف ق ٢٠ من الاستعمال المحدد فى الاقتصاد السياسى إلى الاستعمال الشعبى والعام. من هنا نلاحظ أفول customer زبون النسبى التى كانت مستعملة منذ ق ١٥ للدلالة على مشتر "buyer" و "purchaser"، حيث أنها أشارت دائما إلى قدر ما من العلاقة المنتظمة والمستمرة بالممون (supplier)، بينما توضح consumer الشكل الأكثر تجريداً فى سوق أكثر تجريداً.

التطور الحديث أمريكى بشكل رئيسى لكنه انتشر بسـرعة كبيـرة. هيمنـة التعبير كبيرة جدا لدرجة أن مجموعات مشترين ذوى معرفـة وحصـافة أنشـأوا جمعيات مستهلكين (Consumers' Associations). يرتبط التطور بشـكل رئيسـى بتنظيم الأسواق ومحاولة التحكم فيها وهذا يقع فى صلب الإنتاج الرأسمالى (بما فى ذلك الإنتاج الرأسمالى للدولة) الصناعى كبيـر الحجـم حيـث يـرتبط التصـنيع manufacture، خاصة منذ كساد أواخـر ق ١٩، ليس فقط بتزويـد الاحتياجـات المعروفة (التى تصفها وصفاً مرض كلمة زبـون consumer أو user مسـتعمل) وإنما أيضا بالتخطيط لأنواع وكميات إنتاج معينة تتطلب استثماراً كبيرا فى مرحلة مبكرة وغالباً قراءة للمستقبل. يرتبط تطور الدعاية advertising (إقناع أو اقتحـام وتغلغل فى سوق) التجارية الحديثة إلى نفس المرحلـة مـن الرأسـمالية: خلـق احتياجات ورغبات وطرق معينة لإشباعها فى إضافة وتمييز لذلك عـن الإشـعار والإحاطة والتعريف notification بالمؤن المتوفرة الذى كان هو العمل الرئيسـى السابق للدعاية (حيث يعتبر هذا النوع من الإقناع إطـراء مسـرفاً puff ومـديحاً مبالغاً فيه puffery ). كتعبير مهيمن كانت consumer من اختراع مثـل هـؤلاء الصناع ووكلائهم. تعنى الكلمة ضمنياً، والمفارقة هنا كما هو فى المعانى السابقة، استنفاد ما سيتم إنتاجه ، رغم أنه أعطى ، وقت توطد التعبير ، مظهر الاسـتقلال (كما فى العبارة اللافتة "اختيار المستهلك" consumer choice). من الملائـم فيمـا يتعلق بتاريخ الكلمة إن نقد مجتمع مبذِّر ومبدِّد عبّر عنه فى وقت لاحق الوصـف consumer society مجتمع الاستهلاك. لكن هيمنة النموذج الرأسمالى كفلت انتشاره الواسع وغالباً الساحق إلى مجالات مثل السياسة والتعليم والصحة. فى أى من هذه الحقول بالإضافة إلى المجال المعتاد فى السلع والخدمات لا يزال اسـتخدام user، مستعملا بدلا من consumer مستهلك، يعبر عن تميز ملائم.

انظـر : WEALTH ثـروة

## تقليدى CONVENTIONAL

فى الأصل عنت الكلمة conventional تقليدا اجتماعيا أو تجمعا، من (س م) convention، فرنسية، conventionem ، لاتينيــة: اجتمــاع، (س ب) convenire، لاتينية : تجمع. استعملت كذلك فى الانجليزية منذ ق ١٦ ولا تــزال فــى الغالــب تستعمل بهذا المعنى. هناك توسع طبيعى فى الاستعمال يعنى "اتفاق"، وهذا شــائع فى الانجليزية منذ ق ١٥ .

ترتبط استعمالات convention الأكثر تعقيدا وبشــكل أكبــر اســتعمالات conventional بتوسع فى معنى "اتفاق" إلى شيء يعنى ضمنيا "معتــاد" أو "متفــق عليه"، وبنوع آخر من التوسع خاصة فى الأدب والفن إلى طريقــة متفــق عليهــا ضمنيا. يرجع التوسع إلى معنى "العادة" إلى أواخر ق ١٨. كان هذا مهمــا فــى الجدل السياسى حول الحقوق "rights" التى كانت للمفارقة تحدد فى أماكن أخــرى (الولايات المتحدة وفرنسا) بواسطة مواثيق conventions. لكن الاستعمال الأكثــر شيوعا كان فى مواضيع التقاليد والسلوك ، وبرز فى الحال مفهوم سلبى عنت فيــه كلمة conventional مصطنع أو رسمي واستطرادا "مجرد محافظ"، old-fashioned عفي عليه الزمن. يمكن بسهولة من وسط ق ١٩ فصاعدا العثور على اعتراضات على conventional ideas أفكار بالية. معظم الاستعمالات المحددة المبكرة فى الفن والأدب تأتى بنفس المفهوم كجانب مــن التفضــيل الرومانســي ROMANTIC (ا م) المألوف للعفوية والابتداع. لكن يتضح أيضا منذ ق١٩ مفهوم أكثر تقنية ، تعتبــر فيه جميع أنماط الفن محتوية تقاليد conventional جوهرية، غالبا ما تكون ضمنية، للمنهج والهدف، ومنذ ذلك الحين استمر هذا المفهوم مهما فى النقاش المتخصــص. تكاد تكون نسبة الرسمية التى كانت مهمة قد زالت تماما، إلا فى هــذا الاســتعمال المحدد. فى الاستعمال المعتاد تقابل convention اتفاق رسمى formal agreement، ويمكن استعمالها حياديا تماما. لكن الصفة conventional تقليــدى تعطى عــادة المفهوم السلبي. مــن ناحية أخــرى، بعـــد اختــراع القنابــل الذريـــة والهيدروجينية، تعارضت (مــن ١٩٥٠ تقريبـــا) بطريقـــة ايجابيـــة

"conventional weapons" أســــلحة تقليديـــة مـــع "nuclear weapons" أســلحة نوويـــــــة.

انظــــر : CONSENSUS إجماع

## ريف COUNTRY

فى الإنجليزية الحديثة هناك معنيان مختلفان لكلمة country: بشكل رئيسى أرض الوطن أو الأجزاء الريفية والزراعية منه. تاريخيا الكلمة لافتة جـدا حيـث إنها مشتقة من الصفة المؤنثة contrata، لاتينية وسيطة، (س ب) contra، لاتينية : ضد كما فى عبارة "contra terra" التى تعنى أرضا "تقع فى المقابل، تجـاه أو فـى مواجهة". فى أول استعمال مستقل لها كانت تعنى قطعة أرض تمتد أمام المشـاهد. (قارن الاستعمال اللاحق "landskip"، ق ١٦، "landscape"، ق ١٨ ؛ فى الإنجليزية القديمة landscipe بقعة أو قطعة أرض ؛ تم تبنى الكلمـــة لاحقــا مـــن landschap الهولندية كتعبير فى الرسم.) دخلت "contrata" الإنجليزية عبر الكلمتـين cuntrée و contrée من الفرنسية القديمة. كان لها مفهوم أرض الوطن من ق١٣ والمساحات الريفية المتميزة من أواخر ق١٦. ترجم تيندل Tyndale (١٥٢٦) قسما من إنجيـل مرقص (*Marks* 5:14) على انه تم "ذكره فى المدينة وفى الريف countre".

بدأ الاستعمال المتخصص الشائع لريف country كمضاد لمدينـــة city فـى أواخر ق ١٦ مع ازدياد التحضّر وخاصة نمو العاصمة لندن. فى ذلك الحـين تـم تمييز التعبير country people أهل الريف و country house منزل أو مقــر ريفــي. من ناحية أخرى، كانت تريّف countryfied و country bumpkin عبيط مـن عاميـة (متروبول) حاضرة ق ١٧. فى ق ١٩ أصبحت countryside، التى هى فى الأصل تعبير اسكتلندى يدل على منطقة محددة، تعبيرا عاما لا يصف فقط المناطق الريفية وإنما جميع نواحى الحياة والاقتصاد الريفي .

فى استعمالها العام بمعنى أرض الوطن للكلمة country (بلد) تداعيات أكثـر ايجابية من أمة nation أو دولة state؛ قارن العبارة "يعمل شيئا من أجل الـوطن" بـ "يعمل شيئاً من أجل الأمة" أو الدولة. فى المعتاد تشمل country وطـن النـاس الذين يعيشون فيه، بينما أمة nation أكثر تجريداً، وتحمل state دولة مفهوم بنيـة السلطة. فى الواقع يمكن لوطن country أن تحل محل شعب people فى السـياقات السياسية: قارن السيدة الانجليزية التى قالت فى ١٩٤٥ : "انتخبوا حكومة اشتراكية لكن country الوطن لن يؤيدها". فى بعض الاستعمالات يتم بانتظام تمييز country وطن عن government حكومة : قارن "الرجوع للوطن country ": أى الدعوة لانتخابات. هناك أيضاً استعمال متروبولى محدد، كما فى الخدمة البريدية، حيـث تعتبر كل المناطق خارج العاصمة country ريـف.

تحمل countryman معنيين ؛ أحدهما سياسى والآخر قروى لكـن الأخيـر أقوى، ويتوسع الأول ليشمل التعبير fellow countryman ، من أبناء الوطن.

انظر : CITY مدينة، DIALECT لهجة، PEASANT فـلاح، REGIONAL إقليمي

## خلاق / إبداعى CREATIVE

فى الإنجليزية الحديثة للكلمة creative معنى عام كأصيل ومبتـدع ومعنـى خاص إضافى هو منتج. تستعمل أيضا لتمييز أنواع معينة من العمل، كما فى كتابة إبداعية creative writing والفنون الإبداعية the creative arts. من الجدير بالاهتمام تتبع الكيفية التى أصبحت تستعمل فيها هذه الكلمة العاديـة الآن والمدهشـة عنـد تأملها، وارتباط ذلك ببعض صعوباتها الحالية.

دخلت creative الانجليزية من جذر اسم المفعـول لكلمـة (س ب) creare، لاتينية: يصنع أو ينتج. هذه الصلة الضمنية بمفهوم شيء تم عمله وبالتالى حـدث ماض كان دقيقا لأن الكلمة استعملت فى الأساس فى السياق الدقيق للخلق الربـانى

الأول للعالم : للكلمتين Creation الخلق وcreative نفس الجذر. ضمن هذا التفكيـــر الإيمانى وكما أصر أوغســطين، "creative non protest creare": المخلــوق the creature - الذى خُلق - لا يمكنه نفسه أن يخلق. ظل هذا التفكير حاســما حتــى ق١٦ على الأقل، وتوسع الكلمة لتدل على صنع فى الحاضـــر أو المســتقبل - أى نـــوع من الصنع يقوم به الناس - هو جــزء من التحول الفكرى الرئيسي الــذى نصفه الآن بإنسانية humanism عصر النهضة. كتب تورجواتو تاســو Torguato Tasso (١٥٤٤-٩٥) : "هناك مبدعان creators: الله والشـــاعر". هـــذا المفهــوم للإبداع الإنسانى خاصة فى الأعمال الخيالية، هو المصدر الحاسم للمعنى الحديث. فى "دفاع عن الشعر" Apologies for Poetrie اعتبـــــر فيليـــب ســـدنى Sidney (١٤٥٤-٨٦) أن الله خلق الطبيعة لكن خلق أيضاً الإنسان فى صورته معطيا إيـــاه المقدرة "بقوة الروح الإلهية" أن يتخيل ويخلق أشياء سوى الطبيعة".

لكن استمر استعمال الكلمة صعبا بسبب السياق الأصلي. أشار دون Donne إلى الشعر كخلق زائف "counterfeit Creation" ولا يجب اعتبار counterfeit هنا بمعناها المتطرف كـــ "زيف" وإنما يجب هنا تذكر مفهوم الفـــن القـــديم كمحاكـــاة imitation. لدى الكتاب اليزابيثيين Elizabethan عـــــدة استعمالات ازدرائية لخلق creation ويخلق create:

ما أنت إلا Or art thou but

خنجر فى العقل، مخلوق زائـــف A Dagger of the Mind, a false Creation

ينبع من مخ صـــهرته الحـــرارة Proceeding from the heat-oppressed Brain. (*Macbeth*)

ما هذا إلا اختلاق من ذهنك

This is the very coinage of your Brain .

فالجنون جد بارع This bodiless Creation extasie.

في تجسيد ما لا جسد له        Is very cunnying in. (*Hamlet*)

هل أنت إله؟ هل تعيد        Are you a God ? Would you create me new

خلقي من جديد؟

(*Comedy of Errors*)

Translated thus from poor creature to a creator; for now must I Create intolerable sort of lies. (*Every Man in his Humour*)

حولت من مخلوق معدم إلى خالق ؛ فالآن يجب أن أخلق (أختلـــق) كل أنواع الكذب الممجوج.

في الواقع كان التوسع الأوضح للكلمة "create" دونما ظـــلال ســلبية إلـــى المنزلة الاجتماعية التي تمنح بسلطة الملك: "جلالة الملـــك جعلـــه created دوقـــا" (١٤٩٥) ؛ "جعلتكم create أصدقاء لشخصي" (*Cymbeline*). لا يزال هـــذا لـــيس تماما خلقا إنسانيا.

لكن بحلول أواخر ق ١٧ انتشرت كل من "create" و "creation" بـــالمعنى الحديث وخلال ق١٨ اكتسبت الكلمتان ارتباطا بـــالفن Art (ا م)، وكانـــت هـــذه الأخيرة نفسها كلمة تتحور في اتجاه متمم. ضمن هذه العلاقة تم سك كلمة creative خلاق/إبداعي. وحيث أن الكلمة كما هو بين تدل على قدرة فإنه كـــان لا بـــد وأن تنتظر تقبل الناس عموما لخلق creation ويخلق create كأفعـــال بشـــرية دونمـــا الرجوع بالضرورة إلى حدث إلهي ســـابق. بحلـــول ١٨١٥ اســـتطاع وردزورث Wordsworth أن يكتب بثقة إلى الرسام Hayden : "مهنتنا سامية، يا صديقي، الفـــن الإبداعي Creative art". هذا يرجعنا إلى الإشارة الخاصة الأولى التـــي صـــادفتها: "رفيق آلهـــة الفـــن، القـــوة الإبداعيـــة Creative Power، الخيـــال Imagination " (Mallet،1728). هناك استعمال اســـبق (١٦٧٨) للكلمـــة creative عنـــد كـــدورث Cudworth وإن كان في جملة لم تزل تحمل جزئيا المعنى القـــديم : "هـــذه القـــدرة الإبداعية creative power الإلهية الخارقة ". كان التطور الحاســـم هـــو الارتبـــاط

المقصود ثم المألوف لخلاق creative مع فن art وفكر. بحلول أوائل ق ١٩ كان ذلك مقصودا وفعالاً. تبعت ذلك في ق ٢٠ إبداع creativity، كاسم عام للقدرة.

بوضوح هذا تاريخ مهم جدا، وفي توكيده على المقدرة البشرية أصبح التعبير باضطراد أكثر أهمية لكن هناك صعوبات واضحة. تضع الكلمة تركيزا ضروريا على الأصالة والتجديد وعندما نتذكر التاريخ يمكننا أن نلاحظ أن هذه ليست ادعاءات تافهة. في الواقع نحاول أن نوضح ذلك عن طريق التمييز بين innovation تجديد و novelty جدة، رغم أن للأخيرة معنيين، أحدهما تافه والآخر جاد. تنشأ الصعوبة عندما يقصد من كلمة أن تجسد فكرا جادا وساميا لكنها تصبح تقليدية جدا، كصفة لأنواع معينة من النشاط، لدرجة أنها تستعمل لممارسات لا يمكن لأحد في غياب هذا التقليد أن يدعي لها مثل هذا الادعاء. هكذا يمكن تسمية عمل أدبي مقلد أو نمطي، حسب التقليد، كتابة إبداعية creative writing، ويصف كتاب الإعلانات أنفسهم رسميا كمبدعين creative. مع وجود عناصر كبيرة من عملية بسيطة لإعادة الإنتاج الايدولوجية والمهيمنة IDEOLOGICAL و HEGOMONIC (ا م) في معظم الأعمال الفنية المكتوبة والمرئية فإن وصف كل شيء من هذا النوع بأنه خلاق creative يمكن أن يكون مشوشا وفي بعض الأحيان مضللا تماما. إضافة إلى ذلك حين تصبح creative كلمة نفاق مبتذلة يكون من الصعب التفكير بوضوح عن التركيز الذى قصد من الكلمة أن ترسخه : ما يصنعه الإنسان ويبتدعه. لا يمكن عزل هذه الصعوبة عن الصعوبة المرتبطة بمعاني imagination خيال التي يمكن أن تتجه نحو حلم dreaming وفنتازيا fantasy دونما صلة ضرورية بالممارسات المحددة التي تسمى "فنون خيالية" imaginative أو إبداعية creative أو، من ناحية أخرى، نحو extension بسط وانطلاق، innovation تجديد و foresight بصيرة التي ليس لها فقط آثار ونتائج عملية وإنما يمكن أن تكون أيضا ملموسة في بعض النشاطات والأعمال الإبداعية. تكون الصعوبة واضحة بشكل خاص عندما تتوسع creative لتشمل، بطريقة صحيحة حسب التطور التاريخي، نشاطات في الفكر واللغة والممارسة الاجتماعية لا يكون فيها معنى imagination خيال المحدد تعبيراً مناسباً. مع ذلك فإن مثل هذه

الصعوبات محتومة ، عندما ندرك حجم وتعقيد تفسير نشاط الإنسان ، الذى تجسده الآن بطريقة لا بديل لها كلمة creative.

انظـــــر : ART فن، IMAGE صورة، FICTION عمل خيالى

## نقد CRTICISM

أصبحت criticism كلمة صعبة جدا لأنه بالرغم من أن معناها العام هــو تصيد الأخطاء إلا أن لها مفهوما ضمنيا كحكم، ومعنى مشوشا جدا فيمـــا يتعلـــق بالفن والأدب يعتمد على افتراضات قد تكون الآن فى طور التفكك. دخلت الكلمـــة الإنجليزية فى أوائل ق ١٧ من critic ناقد وcritical نقدي/حاسم، منتصـــف ق ١٦، (س م) criticus لاتينية، kritikos يونانية، من (س ب) kritēs يونانية: قاض. كان معناها السائد السابق ترصـــد الأخطاء: "قـــف عنـــد العلامة criticisme ... لتتلقى التصويبـــات" (Dekker، 1607 ). كذلك استعملت فى التعليق على الأدب وخصوصا من أواخر ق١٧ كمفهوم لعملية الحكم على الأدب وكذلك الكتابة التى جسدت هـــذه العملية. إن الأكثر إثارة للاهتمام هو أن المعنى العام كترصد أخطاء أو على الأقل تقييم سلبى استمر كمفهوم رئيسي. أدى ذلك إلـــى اختيـــار appreciation تـــذوق، ككلمة ألطف لتقييم الأدب. لكن المهم فى تطـــور criticism وcritic وcritical هـــو افتراض الحكم كاستجابة سائدة بل حتى طبيعية. (هناك استعمال آخر محدد لكنـــه مهم ومستمر للكلمة critical لا يصف الحكم لكنه يدل، بناء على استعمال محدد فى الطب، على نقطة تحول ؛ ومن ثم حاسم. بالطبع توسعت الكلمـــة القريبـــة crisis أزمة لتشمل أية صعوبة، بالإضافة إلى معناها كنقطة تحول.)

بينما تطورت criticism فى مفهومها العام نحو censure لـــوم/اســـتهجان (التى اكتسبت نفسها من ق١٧ معنى معاديا بدلا من حيـــادي) تطـــورت criticism فى معناها المحـــدد نحـــو TASTE ذوق (ا م) و cultivation تهـــذيب، وفيمـــا بعـــد CULTURE ثقافة (ا م) وتمييز discrimination (وهذه نفسها كلمة منفصمة بمعنـــى

ايجابى للتنظيم الجيد أو الحكم المبنى على معرفة، لكن أيضاً بمعنى سـلبى للغايـة للعزل غير العقلانى أو المعاملة الجـائرة لمجموعـة غيريـة - قـارن RACIAL عرقي). من الصعب جداً فهم التشكيل الذى كان خلف التطور العام ، لأنه اسـتولى بشدة على عقولنا. فى المرحلة الأولى كان المعنى متعلقا بقدرة مكتسـبة أو مبنيـة على معرفة. لاتزال تحاول فى الغالب الاحتفاظ بهذا المعنى. لكن اعتمد تطورهـا الحاسم من منتصف ق١٧ على عزل تلقى الانطباعات : قد يجوز القـول الآن أن القارئ مستهلك CONSUMER (ا م) لسلسة من الأعمال. اعتمد تعميمها ، ضـمن مهنة وطبقة معينة ، على افتراضـات أحسـن ممثـل لهـا هـو taste ذوق وcultivation تهذيب: نـوع من التطور الاجتماعى والاستجابات الشخصية يصـل إلى الدرجـة التى يمكن فيها تقديم هـذه الانطباعات والاستجابات علـى أنهـا STANDARDS (ا م) معايير الحكم. يبدو أن هذا الاستعمال استقر بحلـول زمـن كتاب Kames : *Elements of Criticism* (١٧٦٢). بالطبع اعتمـدت فكـرة كـون الاستجابة تقييما على الثقة الاجتماعية لطبقة وفيما بعد لمهنة. تحددت الثقة بطـرق مختلفة: فى الأصل كتعلم learning أو بحث ، وفيما بعد كتهذيب وذوق ، وبعد ذلك كحساسية SENSIBILITY (ا م). تحطمت أنواع من هذه الثقة فى مراحـل معينـة، وبشكل خاص فى ق ٢٠ كانت هناك محاولات لاستبدالها بطرق بحث موضـوعية objective (قارن SUBJECTIVE)، مقدمة بذلك نوعا آخر من ركائز التقييم. ما لـم يوضع موضع المساءلة هو افتراض "الحكـم الموثـوق authoritative judgment". بالطبع تم الاعتراض باستمرار على زعمها بالسلطة، واكتسبت ناقد critic فى أكثر صيغها الشائعة لهذا المفهوم المحدد - كمراجع reviewer مسرحيات، أفلام، كتب ... الخ - معنى ملتبساً يمكن إدراك أسبابه. لكن هذا لا يمكن حسمه بالتمييز بـين منزلتى ناقد critic ومراجع reviewr. ليس موضوع النقاش مجرد الارتبـاط بـين criticism وترصد الأخطاء وإنما أيضا الارتباط الأكثـر التصـاقا بـين والحكم "الموثوق"، واعتبار هذه الارتباطات وكأنهـا عمليـات عامـة وطبيعيـة. أصبحت criticism أيديولوجية كتعبير للتعميم الاجتماعى أو المهنى لعمليات التلقـى لأى نوع من الاتصال COMMUNICATION (ا م)، لكن خاصة للأنواع الرسمية جداً،

ليس فقط عندما تأخذ دور المستهلك consumer ولكن أيضا عندما تحجب هذا الدور عن طريق سلسلة من تجريدات لعبارة الاستجابة الفعلية (مثل حكم، ذوق، تهذيب، تمييز، حساسية ؛ نزيه، كفؤ، صارم ... الخ). إن معنى نقد criticism كترصد للأخطاء هو المؤثر اللغوى الأكثر إفادة ضد وثوقية هذه العادة، لكن هناك أيضا علامات، من خلال رفض criticism من حين لآخر كتعريف للاستجابة المقصودة، على رفض أكثر أهمية للعادة نفسها. الهدف يكون إذن ليس الحصول على تعبير آخر يحل محلها بينما يستمر نفس النشاط ولكن التخلص من العادة التى تعتمد فى الأساس على تجريد الاستجابة من وضعها وظروفها الفعلية: الارتفاع إلى "حكم" وإلى عملية فى ظاهرها عامة فى الوقت الذى ما يتوجب إدراكه هو خصوصية الاستجابة التى هى ليست "حكما مجردا" بل حتى عندما تشتمل، كما هو ضرورى فى الغالب، استجابات ايجابية أو سلبية فإنها لا تزال ممارسة محددة فى علاقات فعالة ومعقدة مع الوضع والمحيط ككل.

انظر: AESTHETIC جمالية، CONSUMER مستهلك، SENSIBILITY حساسية، TASTE ذوق

## ثقافة CULTURE

هذه كلمة من اثنين أو ثلاث كلمات هى الأعقد فى اللغة الإنجليزية. يرجع ذلك جزئيا إلى تطورها فى التاريخ الشائك فى عدة لغات أوربية لكن السبب الرئيسى هو أنها أصبحت تستعمل لمفاهيم هامة فى مجالات ثقافية عديدة وفى نظم تفكير مختلفة بل حتى متضاربة.

الكلمة السابقة مباشرة لها (س م) هى cultura، لاتينية، من (س ب) colere، لاتينية. كان لهذه الأخيرة عدد من المعاني: يسكن، يهذب، يحمي، يقدّر لدرجة العبادة. فى النهاية استقل بعض هذه المعانى فى الأسماء المشتقة لكن مع تداخل من حين لآخر. هكذا تطورت يسكن inhabit عبر colonus، لاتينية، إلى colony، مستعمرة. تطورت "يقدّر لدرجة العبادة" عبر cultus، لاتينية إلى cult،

جماعة المعجبين. اكتسبت culture معنى رئيسيا هو حراثة / رعاية أو عناية بما في ذلك كما لدى سيشرون cultura animi، لكن مع معانى ثانوية قروسطية متعلقة بالعبادة والاحترام (قارن culture فى الإنجليزية "كعبادة" عند Caxton (١٤٨٣). كانت الصيغتان الفرنسيتان للكلمة cultura هى couture، فرنسية قديمة، التى طوّرت منذ ذلك الحين معنى خاصا، وفيما بعد culture التى بحلول أوائل ق١٥ عبرت إلى الإنجليزية. كان المعنى الرئيسى إذن فى رعاية الحيوان والنبات والعناية بالنمو الطبيعي.

فى جميع استعمالاتها الأولى كانت culture اسم عملية : العناية بشيء ما وبشكل أساسى محصولات وحيوانات. انتقل الاسم الثانوى coulter شفرة المحراث عبر طريق لغوى مختلف، من culter، لاتينية : شفرة محراث إلى culter، إنجليزية قديمة ثم إلى تهجيات إنجليزية مختلفة : culter، colter، coulter وحتى وقت متأخر فى أوائل ق١٧ – culter – شفرة محراث حارقة hot burning culture وردت فى مسرحية Webster: *Duchess of Malfi* III,ii. قدمت هذه قاعدة إضافية للمرحلة التالية المهمة للمعنى وذلك عن طريق المجاز. من أوائل ق١٦ توسع مفهوم العناية بالنمو الطبيعى ليشمل عملية التطور البشرى وكان هذا، بمحاذاة المعنى الأساسى في رعاية النباتات والحيوانات، هو المعنى الرئيسى حتى أواخر ق١٨ وأوائل ق١٩. هكذا كتب مور More: لرعاية وفائدة عقولهم " to the culture and profit of their minds" وبيكون Bacon: رعاية وإخصاب العقول " the culture and manurance of minds" (١٦٠٥) وهوبز Hobbes: رعاية عقولهم " a culture of their minds" (١٦٥١)، وجونسون Johnson: أهملت العناية بإدراكها she neglected the culture of her understanding (١٧٥٩). عند نقاط مختلفة فى هذا التطور حدث تحولان حاسمان: أولا، جعل قدر من التعود على الاستعارة مفهوم الرعاية البشرية مباشرا. ثانيا، توسع عمليات معينة إلى عملية عامة ، مما مكن الكلمة من حملها بطريقة مجردة. بدأ بالطبع من هذا التطور الأخير الاسم المستقل culture تاريخه الحديث المعقد، لكن عملية التحول صعبة جدا والمعانى الكامنة فى أحيان متشابهة جدا ، لدرجة أنه لا يمكن وضع أى تاريخ محدد لتلك

البداية. لم تكن culture كاسم مستقل وعملية مجرّدة أو نتيجة مثل هــذه العمليــة مهمة قبل أواخــر ق١٨ ولم تصبح منتشرة قبل منتصف ق١٩. لكن مراحل هــذا التطور المبكر لم تكن مفاجئة. هناك استعمال لافت عند ملتون، فى الطبعة الثانيــة (المعدلة) لمنشــوره (١٦٦٠) *The Readie and Easie Way to Establisha a Free Commonwealth* "انشر معرفة وكياسة أكثر، ليس هذا فحسب بل ديناً كذلك عبــر كل أجزاء البلاد عن طريق إيصال حرارة الحكومة والثقافة الطبيعيــة بطريقــة عادلة لكل الأطراف القاصية التى تقبع الآن مهملة ومتبلدة". يبــدو هنــا أن المعنى المجازى "حرارة طبيعية" لا يزال حاضرا ولاتزال كياســة civility (قــارن حضارة CIVILIZATION) تستعمل بينما فى ق١٩ نتوقع مكانها فى العــادة "ثقافــة" culture. لكن يمكن أيضا قراءة "حكومة" و"ثقافة" بمفهوم حديث جدا. مــن فحــوى نقاشه يكتب ملتون عن عملية اجتماعية عامة وهذه بالتأكيد مرحلة من التطور. فى ق١٨ اكتسبت هذه العملية العامة فى إنجلترا ارتباطاً طبقياً واضحاً رغم أن تهذيب cultivation ومهذب cultivated كانتا تستعملان بشكل واسع. لكن هناك خطابًــا من ١٧٣٠ (قسيس Killala إلى Mrs Clayton أورده Plumb فــى *England in the Eighteenth Century* فيه هذا المفهوم الواضح: " لم يكن من المعتاد لأشخاص مــن محتد كريم أو ثقافة أن يهيّئوا أطفالهم للكنيسة". كتــب أكنســايد Akenside ســنة ١٧٤٤ Pleasures of Imagination: "... لا الحالة الأرجوانيــة (أى الكنيســة) ولا الثقافة يمكن أن تمنحه". كتب وردزورث: "حيث لم تكن معروفة أبدا لا الرشــاقة ولا الثقافة" (١٨٠٥)، وكتبت جين اوستن (*Emma*،1816) "كل ميزة مــن ميــزات التهذيب والثقافة".

هكذا واضح أن culture كانت تتطور فى الإنجليزية نحو بعض معانيهــا الحديثة قبل الآثار الحاسمة لحركة ثقافية واجتماعية جديدة. لكن لمتابعة هذا التطور خلال هذه الحركة حتى أواخر ق ١٨ وأوائل ق ١٩ يجب اعتبار التطــورات فــى لغات أخرى وفى الألمانية على وجه الخصوص.

حتى ق ١٨ كانت culture في الفرنسية دائما مصحوبة بصيغة نحوية توضح موضوع التهذيب، كما لوحظ توّا في الاستعمال الإنجليزي. يرجع استعمالها من حين لاخر كاسم مستقل إلى منتصف ق ١٨، متأخرا نوعا ما عن الاستعمالات المشابهة فى الإنجليزية. كذلك يظهر فى وسط ق ١٨ الاسم المستقل civilization حضارة، وصلته بثقافة culture معقدة جدا. (قارن CIVILIZATION والنقاش الذى يلى هنا). عند هذه النقطة كان هناك تطور مهم في الألمانية: استعيرت الكلمة من الفرنسية وتهجيتها فى البداية (أواخر ق١٨) هي CULTUR ومن ق١٩KULTUR. مازال استعمالها كمرادفة لحضارة: أولاً، فى المفهوم المجرد لعملية صيرورة الإنسان متحضراً "civilized" أو مهذبا "cultivated" ؛ ثانياً، في المفهوم الذى تم ترسيخه لحضارة civilization من قبل مؤرخى عصر الأنوار، فى صيغة ق ١٨ الشعبية للتواريخ الشاملة كوصف للعملية العلمانية للتطور البشري. ثم كان هناك تطور حاسم فى استعمال هردر Herder. فى كتابه الذى لم يكتمل *Ideas on the Philosophy of the History of Mankind* (١٧٨٤-٩١) كتب عن ثقافة culture : "لا شيء أكثر غموضا من هذه الكلمة ولا شيء أكثر تضليلا من استعمالها لكل الأمم والفترات". هاجم فرضية التواريخ الشاملة في قولها بأن "حضارة civilization" أو ثقافة - culture - التطور الذاتى التاريخى للبشرية - كانت ما نسميه الآن عملية أحادية الاتجاه تؤدى إلى الموقع السامى والمهيمن الذى يتمثل فى ثقافة أوروبا فى ق ١٨. فى الحقيقة هاجم ما أسماه هيمنة واستعبادا أوربيا للعالم، وكتب: "يا رجال المعمورة الذين هلكوا عبر العصور لم تعيشوا فقط لتخصبوا الأرض برماد كم حتى تجبر ذريتكم فى نهاية الزمن على أن تكون سعيدة بالثقافة الأوربية. مجرد فكرة ثقافة أوربية متفوقة هى إهانة سمجة لعظمة الطبيعة." جادل بأنه من الضروري، وكان هذا تجديد حاسم، التحدث عن ثقافات "cultures" بصيغة الجمع. ثقافات معينة ومتغيرة لأمم وفترات مختلفة، لكن أيضا ثقافات معينة ومتغيرة لفئات اجتماعية واقتصادية ضمن الأمة الواحدة. تطور هذا المفهوم بشكل واسع فى الحركة الرومانسية كبديل لحضارة civilization المهيمنة والمألوفة. استعملت أولا لتأكيد الثقافات الوطنية والتقليدية بما في ذلك المفهوم الجديد

"folkculture" (قارن Folk) ثقافة الفولك/الشعبي. استعملت لاحقا لمهاجمة ما اعتبر طبيعية ميكانيكية MECHANICAL (ا م) للحضارة الجديدة التى هى فى طور الظهور: لعقلانيتها التجريدية ولعدم "إنسانية" التطور الصناعى الحالي. استعملت للتمييز بين التطور"الإنساني" و"المادي". سياسيا تأرجحت، كما هو الحال غالبا فى هذه الفترة، بين الاشتراكية والرجعية ، وغالبا ما دمجت، فى خضم التغيير الاجتماعى الكبير، عناصر من الاثنين. (رغم أن هذا يضيف إلى التعقيد الفعلي، فانه يجب كذلك ملاحظة أن نفس النوع من التمييز خاصة بين تطور "روحاني" spiritual ومادى "material" قام به von Humboldt وآخرون فى وقت متأخر - ١٩٠٠- مع عكس للتعبيرين حيث أصبحت ثقافة مادية وحضارة روحانية. لكن بشكل عام كان التمييز الأصلى هو السائد).

من ناحية أخرى كانت Kultur، من أربعينيات ق١٩ فى ألمانيا، تستعمل إلى حد كبير بنفس مفهوم civilization الذى كان يستعمل فى التواريخ الشاملة فى ق ١٨. كان التجديد الحاسم هو كتاب G.F.Klemm كلم *Allgemeine Kulturgeschichte der Menscheit* : "التاريخ الثقافى للبشرية" (١٨٤٣-٥٢) الذى تتبع التطور الانسانى من الهمجية إلى التمدن ثم الحرية. رغم أن الأنثروبولوجى الأمريكى مورجان Morgan فى تعقبه المراحل المشابهة استعمل "المجتمع القديم" الذى يبلغ أوجه فى civilzation حضارة، فإن مفهوم كلم استمر وتبعه فى الإنجليزية مباشرة تايلور Tylor فى *Primitive Culture* (١٨٧٠). من خلال هذه السلسلة من الإسناد يجب تتبع المفهوم السائد فى العلوم الاجتماعية الحديثة .

عندئذ يمكن تقدير التطور الحديث للكلمة واستعمالها الحديث. بسهولة يمكننا تمييز المعنى الذى يعتمد على الاستمرار الحرفى للعملية الطبيعية كما هو الآن فى "حراثة الشمندر"sugar-beet culture" أو كما فى الاستعمال الطبيعى المتخصص فى علم البكتيريا منذ ثمانينات ق ١٩، مزرعة ميكروب ( germ culture). لكن حينما نتخطى العلاقة الطبيعية علينا أن ندرك ثلاثة أصناف عريضة من الاستعمال:(١) الاسم المستقل والمجرد الذى يصف عملية عامة للتطور الثقافى

والروحى والجمالي، من ق١٨ ؛ (٢) الاسم المستقل، سواء استعمل بشكل عـــام أو محدد، الدال على طريقة حياة معينة سواء لشعب أو لحقبة أو لمجموعة أو للبشرية ككل، من هردر وكليم. لكن يجب علينا أيضا إدراك (٣) الاسم المستقل والمجــرد الذى يصف أعمال وممارسات النشاط الفكرى والفنى وخاصة الأخيــرة. يبــدو أن هذا (٣) فى الغالب هو الاستعمال الأكثر انتشاراً: الثقافة هــى الموســيقى، الأدب، الرسم، النحت، المسرح والسينما. تشير "وزارة الثقافة" إلى هذه النشــاطات التــى تشمل أحيانا الفلسفة والمعرفة scholarship والتاريخ. هذا الاستعمال الأخيــر (٣) فى الحقيقة جاء متأخراً نسبياً. من الصعب تأريخه بدقة لأنــه فــى الأصــل أحــد الاستعمالات التطبيقية لمعنى(١) : استعملت بطريقة فعالة ونقلت فكرة عملية عامة للتطور الثقافى والروحى والجمالى إلى أعمال وممارسات تمثلها وتــدعمها. لكــن أيضا تطورت من معنى اسبق للعملية. قــارن "ثقافــة الفنــون الجميلــة التقدميــة "progressive culture of fine art" عنــد Millar ميللــر *Historical View of English Government*، (iv. 314، ١٨١٢). فــى الإنجليزيــة لا يــزال معنيــا (١) و(٢) متشابهين ؛ ولا يمكن تمييزهما أحيانا، لأسباب داخلية، كما عنــد آرنولــد Arnold *Culture and Anarchy* (١٨٦٧)، بينما قدم تايلور Tylor بطريقة حاسمة معنــى (٣) فى كتابه *Primitive Culture* مقتفياً أثر كليم. أتى التطور الحاسم لمعنــى(٣) فــى الإنجليزية فى أواخر ق١٩ وأوائل ق٢٠ .

فى مواجهة هذا التاريخ المعقد ، والذى لا يزال نشطا للكلمة ، فإنه مــن السهل القيام باختيار مفهوم واحد "صحيح" أو "ملائم" أو "علمي" ورفض المفــاهيم الأخرى على أنها مشوشة وغير دقيقة. هناك دليل على هذا الاختيــار حتــى فــى الدراسة المتميزة التى قاد بها Kroeber كروبر وKluckhon كلكيــون: *Culture: A Critical Review of Concepts and Definitions*، حيث يعطى فعلياً الاســتعمال فــي أنثروبولوجيا شمال أمريكا كمعيار. من البين أنه ضمن أى حقل لابد من يضــح الاستعمال المفهومي. لكن المهم عموما هو نطاق المعاني وتداخلها. يوضح تعقيــد المفاهيم جدلاً معقداً حول العلاقة بين التطور البشرى العام وطريقة حيــاة معينــة وبين كل منهما وأعمال وممارسات الفن والفكر. من اللافت بشكل خاص أنه فــى

الأركيولوجيا والأنثروبولوجيا الثقافية تعنى الإشارة إلى ثقافة culture أو a culture ثقافة ما (ثقافة مادية)، بينما فى التاريخ والدراسات الثقافية تكون الإشارة بشكل رئيسى إلى نظم رمزية أو دلالية. كثيراً ما يشوش هذا ، بل حتى كثيرا ما يحجب السؤال الرئيسى عن العلاقة بين الإنتاج"المادي" "material" أو الرمزى "symbolic" الذى يجب أن يتّصلا دائما، كما فى بعض الكتابات الحديثة (قارن كتاب المؤلف *Culture*)، بدلا من أن يتضادا. ضمن هذا الجدل المعقد هناك مواقف متعارضة بشكل جذرى بالإضافة إلى مواقف فعليا متداخلة ؛ كذلك هناك، كما يمكن تقديره، أسئلة كثيرة لم تحل وأجوبة مشوشة. لكن لا يمكن حل هذه الأسئلة والجدل عن طريق تخفيف حدة تعقيد الاستعمال الفعلي. هذه الملاحظة ملائمة كذلك بالنسبة لاستعمالات صيغ من الكلمة فى لغات أخرى غير الإنجليزية حيث هناك تفاوتات كبيرة. يشيع الاستعمال الأنثروبولجى فى مجموعات اللغات الألمانية والاسكنديناڤية والسلافونية، لكنه بالتأكيد ثانوى بالنسبة لمفاهيم الفن والمعرفة أو العملية العامة للتطور البشرى فى الإيطالية والفرنسية. بين اللغات كما هو ضمن اللغة الواحدة يبرز نطاق وتعقيد المعنى والإسناد اختلافا فى الموقع الفكرى وبعض الضبابية أو التداخل. بالضرورة تنطوى هذه التفاوتات، أيا كان نوعها، على آراء بديلة للنشاطات والعلاقات والعمليات التى تدل عليها هذه الكلمة المعقدة. بعبارة أخرى، فى النهاية التعقيد ليس فى الكلمة ولكن فى المشاكل التى تدل عليها بشكل ذى مغزى تفاوتات استعمالها.

من الضرورى أيضا اعتبار بعض الكلمات المشتقة والقريبة. مرت كل من cultization و cultivated عبر نفس التوسع المجازى من مفهوم طبيعى إلى مفهوم اجتماعى وتعليمى فى ق١٧ وأصبحتا كلمتين هامتين بشكل خاص فى ق١٨. كتب كولريدج ، فى تمييز كلاسيكى ، معبرا عن فترة أوائل ق١٩ ، بين حضارة وثقافة (١٨٣٠): "التمييز الدائم والتعارض الظرفى بين cultivation تهذيب وحضارة civilization". اندثر فعليا الاسم فى هذا المفهوم لكن الصفة cultivated ما زالت شائعة جدا خاصة بالنسبة للسلوك والأذواق. يبدو أن الصفة المهمة cultural ثقافى التى ترجع إلى سبعينيات ق ١٩، لم تصبح سائدة إلا فى تسعينات ذلك

القرن. لم تكن الكلمة موجودة فى مفهومها الحديث إلا عندما أصبح الاسم المستقل بمعانيه الفنية والفكرية والأنثروبولوجية مألوفا. يبدو أن العداء للكلمة culture فى الإنجليزية يرجع إلى فترة الجدل حول آراء آرنولد. اشتدت قوته فى أواخر ق١٩ وأوائل ق٢٠ بالتعاضد مع عداء مشابه ضد aesthete (محبّ أو مدّعى الفن) و AESTHETIC جمالى (ا م). أنتج ارتباطها بالتمييز الطبقى الكلمة المقلدة "culchah". كذلك كان هناك مجال عداء مرتبط بالشعور المناوئ لألمانيا خلال وبعد حرب ١٩١٤- ١٩١٨، مرتبط بالدعاية المبالغة عن "Kultur". استمر المجال الرئيسى للعداء وتؤكد أحد عناصره العبارة الأمريكية الحديثة "-culture vulture" [نهاش الثقافة]. إنه لذو دلالة أن كل العداء تقريباً (مع الاستثناء الوحيد فيما يتعلق بالشعور المعاصر المعارض لألمانيا) ارتبط باستعمالات تتصل بادعاءات معرفة أسمى (قارن INTELLECTUAL فكري)، أو صقل (culchah)، أو تمييز بين فن "سام" "high (culture) من ناحية وترفيه وفن شعبى من الناحية الأخرى. هكذا تسجل الكلمة تاريخا اجتماعيا فعليا ومرحلة صعبة جدا ومشوشة فى التطور الثقافى والاجتماعى .

من اللافت أن الاستعمال الاجتماعى والأنثروبولجى المتزايد لكل من culture و cultural وصيغ مثل sub-culture ثقافة أقلية (ثقافة مجموعة صغيرة مختلفة) إما تجاهل أو بطريقة-فعلية قلّص، عدا فى مجالات معينة (بطريقة ملحوظة الترفيه الشعبي)، العداء وعدم الارتياح المصاحب والارتباك. يحتفظ الاستعمال الحديث للكلمة culturalism (ثقافية) للدلالة على تعارض منهجى مع بنيوية structuralism فى التحليل الاجتماعى بكثير من الصعوبات السابقة ولا يتجنب دائما العداء .

انظر : AESTHETIC جمالى، ANTHEOPOLOGY أنثروبولجى، ART فن، CIVILGATION حضارة، FOLK شعب، DEVELOPMENT تطور، SCIENCE علم، WESTERN غربى

## ديموقراطية DEMOCRACY

هذه كلمة قديمة لكن معانيها كانت دائما معقدة. دخلت الانجليزية في ق ١٦ من (س م) démocratie، فرنسية، democratia، لاتينية وسيطة: ترجمة للكلمة democratia، يونانية، من (س ب) demos، شعب، kratos، حكم. في ١٥٣١ عرفها اليوت Elyot في إشارة خاصة إلى المثال اليوناني : "مجتمع عام آخر كان بين الاثينيين حيث مساواة الوضع بين الناس ...سميت طريقة الحكم هذه في اليونانية ديمقراطية Democratia وفي اللاتينية حكم عام Popularis potentia وفي الانجليزية حكم شعبى " rule of the comminaltie". واضح مباشرة من الاستعمالات اليونانية أن كل شئ يعتمد على المعاني المعطاة لناس people وحكم rule. تتفاوت الأمثلة السابقة سواء مشكوكة الأصل أو معروفة المصدر من طاعة "القانون ولا حاكم سواه" (صولون؟ Solon?) إلى "من الشعب، بالشعب، للشعب (كليون؟ Cleon?). تقترن أمثلة أحدث بين "غطرسة الطاغية" و"وقاحة العامة الجامحة" (اقتبسها هيرودوتس) أو تعرف الحكومة بأنها ديمقراطية" لأن إدارتها في أيدى الأكثرية وليس الأقلية"؛ كذلك " كل ما يعارض السلطة المستبدة يسمى ديمقراطية (أوردها ثيوسيدس Thucydides). كتب أرسطو (الشعر، ج٤) : "الديمقراطية هي وضع يمنح فيه الأحرار والفقراء الذين لهم الأغلبية السلطة في الدولة". لكن الكثير هنا يعتمد على معنى "منحت لهم السلطة": عما إذا كانت سيادة مطلقة أو، في الطرف الآخر، الحكم الفعلى الذى لا مشاركة فيه. قال أفلاطون على لسان سقراط (في الجمهورية، ج ٨) إن "الديمقراطية تنشأ بعدما يدحر الفقراء خصومهم، يقتلون وينفون البعض، بينما في الوقت نفسه يمنحون المتبقين قدرا مساويا من الحرية والسلطة".

هذا النطاق من الاستعمالات القريبة من أصول التعبير يجعل من المتعذر صياغة أية اشتقاقات بسيطة. لكن يمكن القول حالا إن عددا من هذه الاستعمالات – خاصة تلك التى تشير إلى حكم طبقة شعبية – بعيد عن أى تعريف"غربي" WESTERN (ا م) مألوف للديمقراطية. في الواقع ما يجب تتبعه هو ظهور هذا

التعريف التقليدي، الذى له غموضه أيضا. فى الغالب مـا يـتم الآن هـو تقفـى "ديموقراطية" إلى سوابقها القروسطية وتعطى مرجعية يونانيـة. لكن الحقيقة هـى أنـه فى الوثائق التى لدينا كانت الكلمة " ديموقراطية "، مع اسـتثناءات ظرفيـة، تعبيرا سلبيا للغاية حتى ق ١٩ وأنه فقط مـن أواخـر ق ١٩ وأوائـل ق ٢٠ توحدت الأحزاب والأهواء السياسية فى إعلان الإيمان بها. هذه هى أهم الحقـائق التاريخية اللافتة .

عرّف توماس الأكوينى Aquinas الديموقراطية بالسلطة الشعبية حيث حكم – اضطهد – الناس العاديون بسبب كثرة عددهم الأغنياء، فعل النـاس مجتمعـين فعل طاغية. ظل هذا المفهوم الطبقى القوى مهيمنا حتى أواخر ق ١٨ وأوائـل ق ١٩ واستمر فعالا فى النقاش حتى منتصف ق ١٩. هكذا نجد " الديموقراطية هى عندما تكون الحكومة للعامة. " فلمنج Fleming (١٥٧٦) (للمفهوم الطبقى لعامـة multitude انظر MASSES) ؛ " الديموقراطية هى حيث يكون الرجـال الأحـرار والفقراء الذين هم أكثر عددا سـادة الأرض. (١٥٨٦) ؛ ' الديموقراطيـة ليسـت سـوى سـلطة العامة'، فلمر Filmer فى *Patriarcha* (١٦٨٠). أضيف إلـى هـذا التعريف نـ"ناس" people كعامة multitude مفهوم عام للنوع الناجم عن هذا الحكم rule : الديموقراطية هى الدولة التى كان للكل فيها الحق فى الحكم وبالفعل حكموا ؛ تمت معارضتها (كما فعل سبينوزا Spinoza، مثلا) مع دولة يكون فيها الحكم عن قبل ممثلين، بمن فيهم المنتخبين. بهذا المعنى فيم الدستور السياسـى الأول تعبيـر ديمقراطية – دستور رود أيلاند "Rhode Island" فى (١٦٤١) : "الحكومة الشعبية "popular government" ؛ أى أنه فى سلطة هيئة المجتمعـين بطريقـة منظمـة أو معظمهم وضع أو صياغة قوانين عادلة. تلك التى عن طريقها يـتم تنظـيمهم وأن ينتدبوا من بينهم ممثلين يكون لهم متابعة تنفيذها بأمانة بين الأفراد" .

يجب التركيز على هذه الفقرة الأخيرة حيث أنه تم التوصل فى النهاية إلى معنى آخر للديموقراطية عن طريق تحوير الممارسة التى أوضحت هنا. فى حالـة رود آيلاند صاغ الشعب أو معظمه قوانين فى تجمّع منظم ؛ قـام الممثلـون بـــ

"تطبيقها بأمانة". هذه ليست شبيهة بالديموقراطية التمثيلية representative democracy التى عرّفها هاملتون Hamilton فى (١٧٧٧). كان يشير إلى مفهوم أسبق للديمقراطية عندما لاحظ أنه "عندما تُمنح السلطات القضائية judicial والتشاورية deliberative كليا أو جزئيا للهيئة الجماعية collective للشعب فلا بد أن نتوقع أخطاء والتباسا وزعزعة. لكن الديموقراطية التمثيلية هى حيث يكون حق الانتخاب مضمون ومنظم وحيث تمنح ممارسة السلطات التشريعية والتنفيذية والقضائية لأشخاص مختارين... الخ". من هذا الاستعمال الأمريكى المعدل تطور مفهوم حديث سائد. صاغ بنثام Bentham مفهوماً عاماً للديمقراطية كحكم أغلبية الشعب وميّز بعد ذلك بين" ديموقراطية مباشرة" 'direct democracy' و"ديمقراطية تمثيلية representative democracy" موصيا بالأخيرة لأنها توفر الاستمرارية ويمكن تطبيقها فى مجتمعات كبيرة. تم منذ ذلك الوقت التسليم بصحة هذه الأسباب العملية المهمة كما تم أيضا التخلى عنها بحيث أنه فى وسط ق٢٠ يمكن وصف أى إصرار على الديموقراطية حسب مفهوم رود آيلاند أو مفهوم بنثام "المباشر" بأنه معارض للديمقراطية anti-democracy حيث أن الحكم من قبل ممثلين منتخبين يعتبر أول مبادئ الديموقراطية. المناقشات العملية جادة بالطبع وفى بعض الأحيان حاسمة لكن أحد أهم التغيرين فى معنى ديموقراطية هو الارتباط الحصرى بأحد أشكالها المشتقة ومحاولة استبعاد أحد صيغها الأصلية ؛ فى إحدى الفترات كانت هذه هى الصيغة الوحيدة.

يتعلق التغيير الكبير بتفسير"الشعب" the people. هناك سجل مهم لمحاولات مختلفة لقصر "الشعب" على مجموعات معينة مؤهلة: أحرار، أصحاب ممتلكات، العقلاء، رجال ذوو بشرة بيضاء، رجال، وهكذا. حيث تتحدد الديموقراطية بعملية الانتخاب فإنه يمكن الادعاء بأن هذه الدساتير المقيدة كاملة الديموقراطية: تعتبر طريقة اختيار الممثلين أكثر أهمية من نسبة "الشعب" الذى يشارك فى ذلك. يتم تتبع تطور الديموقراطية عبر مؤسسات تستعمل هذه الأسلوب بدلا من العلاقات بين كل الناس ونظام الحكم. هذا هو التفسير المعتمد فى معظم التقارير عن تطور الديموقراطية الانجليزية. فى الواقع يُدعى أن الديموقراطية

"توسعت" extended تدريجيا بينما المقصود بوضوح هو التصويت لممثلين بدلا من المفهوم القديم لسلطة الشعب والذى كان حتى أوائل ق١٩ هو المفهوم الانجليـزى المعتاد. أصبح التمييز حاسما فى فترة الثورة الفرنسية. كان بيرك Burke يعبر عن وجهة النظر التقليدية عندما كتب: "الديموقراطية الكاملة كانت أكثر شيء مخز فـى العالم" (*Reflections on the Revolution in France*، ١٧٩٠) لأن "ديموقراطية" كانت تعتبر سلطة شعبية "هائجة" يتم فيها، ضمن أشياء أخرى، اضطهاد أو قمع الأقليات (خاصة الأقلية التى لديها ممتلكات كبيرة). كانت "ديموقراطيـــة" لا تزال حتـى منتصف ق ١٩ تعبيراً ثورياً أو على الأقل متطرفا وكـان التطـور المتخصـص لديموقراطية تمثيلية representative democracy على الأقـل جزئيـا، ردة فعـل مقصودة لذلك علاوة على أسباب الاستمرار ومدى شموليتها العمليـة. مـن هـذه النقطة فى النقاش يمكن ملاحظة تشعب المعنيين الحديثين لديموقراطية. فى التراث الاشتراكى استمرت ديموقراطية تعنى سلطة شعبية popular power: دولـة تكـون فيها مصالح أغلبية الشعب هى الأعلى وتقوم الأغلبية فيها بشكل يكاد يكـون تامـا بالاستفادة من هذه المصالح وتتحكم فيها. فى التراث الليبرالي، عنت ديموقراطيـة انتخابات عامة لممثلين وشروطا معينة (حقوق ديموقراطية democratic rights مثل حرية التعبير) حافظت على انفتاح الانتخابات والنقاش السياسي. هذان المفهومـان فى شكليهما المتطرفين يواجه أحدهما الآخر كعدوين. لو كان المعيار هـو سـلطة الشعب فى المصلحة الشـعبية فالمعـايير الأخـرى تعتبـر ثانويـة (كمـا فـى الديموقراطيات الشعبية People's Democracies) ويكون تركيز هـذه المعـايير محصوراً فى "ديموقراطية رأسمالية" أو "ديموقراطية برجوازية". لو كان المعيـار هو انتخابات وحرية تعبير فان المعايير الأخـرى تكـون ثانويـة أو مرفوضـة ؛ فمحاولة ممارسة سلطة شعبية من أجل مصلحة شعبية عن طريق إضـراب عـام، مثلا، توصف بأنها معادية للديموقراطية حيث أن الديموقراطية قد تحققت بطـرق أخرى ؛ اعتبار الادعاء بأن المسـاواة EQUALITY (ا م) الاقتصـادية جـوهر الديموقراطيـة، هـو الطريـق المـؤدى إلـى اضـطراب أو ديموقراطيـة شمولية totalitarian democracy أو حكومة اتحاد عمال. يشمل هذان الموقفان، مـع

تفاوتات كثيرة لهما، معاني ديموقراطية الحديثة، لكن لا يعتبر هـذا عـادة تنوعـاً تاريخيا للكلمة : كل موقف في العادة يوصف بأنه "المعنـى الصـحيح الوحيـد"، والاستعمال البديل يعتبر دعاية مبالغة أو نفاق.

ديموقراطي democratic (من أوائل ق ١٩) هى الصفة المعتادة لأى مـن نوعى الاعتقاد أو أى من هاتين المؤسستين. لكن يجب ملاحظة معنيين إضـافيين. هناك استعمال ملحوظ لديموقراطي democratic لوصف ظروف النقاش المفتـوح دونما الإشارة بالضرورة إلى انتخابات أو سلطة. فى الواقع، فى اسـتعمال مميـز تعتبر حرية التعبير والتجمع حقوقاً ديموقراطية كافية بذاتها دونمـا إشـارة إلـى مؤسسة أو طبيعة السلطة السياسية. هذا مفهوم مقيّد مستمد من التركيـز الليبرالـى الذى يتوجب فى صيغته الكاملة وجود انتخابات وسيادة شعبية (وليس حكماً شعبياً)، لكن الذى يعارض غالباً نشاطاً ديموقراطياً مستمراً مثل اعتراضات على انتخابات قائد أو سياسته فى ظروف غير رسمية أو "مناسبة". هناك أيضا مفهوم مشتق مـن الإشارة الطبقية السابقة للعامة multitude: أن يكون تلك أسلوب "ديموقراطي" يعنى أن تكون فى شعورك غير واع بالتميز الطبقى أو عن قصد تهمل هذا الشـعور أو تتغلب عليه فى السلوك اليومي: تتصرف كما لو أن كل الناس متساوون ويستحقون تقديرا متساويا سواء كان هذا صحيحاً أم لا. هكذا يمكن للإنسـان أن يكـون فـى علاقات "بسيطة وطبيعية" مع كل من يلاقى ويمكنه أيضاً أن يؤمن بحرية التعبيـر وحرية التجمع لكن، فى انصياعه لهذا الشعور، يمكنه أن يعارض حـق الاقتـراع الشامل ويقف ضد حكومة تتوجه كلية لمصالح الأغلبية. توسعت جزئيا المفـاهيم، وجزئياً بعدت عن هذا المفهوم السابق والذي لا يزال على الأرجح هـو المفهـوم الرئيسى لطبيعة السلطة السياسية. فـى الوقـت نفسـه، حملـت "demagogy" و "demoagogie" (من م) "demagogós"، يونانية، (من ب) demos نـاس/شـعب، agogós قائد، agein يقود – من اليونانيـة المعنـى السـلبى السـائد: المهـيج اللامسئول، بدلا من "قائد شعبي" فى صيغة مألوفة من التحيز السياسي. اسـتعملت الكلمة بشكل مشابه فى الانجليزية من ق١٧ واستعملت مهيج/مؤجج "agitator" فى

البداية بمعنى "agent" وكيل، موظف من قبل مندوبي الجنود في برلمان ١٦٤٧-١٦٤٩، لكن أعطيت المفهوم الازدرائي بشكل رئيسي من ق ١٨.

لا توجد مسائل أكثر صعوبة من تلك التي تتعلق بديموقراطية في أي من معانيها الأساسية. تحليل التفاوتات لن يحلها لكن قد يوضحها أحيانا. في قرن لا مثيل له تدّعي فيه تقريبا كل الحركات السياسية تمثيل "ديموقراطية" أو "ديموقراطية صحيحة" يجب أن نضيف للمعاني الايجابية المتعارضة في التراثين الاشتراكي والليبرالي تحريفات مقصودة لا حصر لها: اختزال مفاهيم انتخاب وتمثيل وتفويض mandate إلى شكليات مقصودة أو مجرد صيغ موجهة ؛ اختزال مفهوم سلطة شعبية أو حكومة مصلحة شعبية إلى شعارات اسمية تحجب حكم بيروقراطية أو حكم أقلية. أحياناً قد يكون من السهل الإيمان بالديموقراطية أو مؤازرتها لو أن تغيير ق ١٩ لم يحدث وأنها مازالت تعبيراً سلبياً وحزبياً. لكن سلك التاريخ طريقه ، ومعانيها المعاصرة هي السجل المشوش الذي لا يزال فعالاً .

انظر : Anarchism فوضوية، Class طبقة، Equality مساواة، Liberal ليبرالي، Masses جماهير، Popular شعبي، Representative ممثل، Revolution ثورة، Socialist اشتراكي، Society مجتمع

## يحدد / يحتم DETERMINE

للكلمة determine نطاق معقد من المعاني في الإنجليزية الحديثة وضمن هذا النطاق هناك صعوبة خاصة عندما يرتبط الفعل بكل من determinant محدد و determinism حتمية واستعمال معين لمحدد determined. هذه الصعوبة الخدمة هامة لأنها تتصل باتجاهات مهمة مختلفة في الفكر الحديث.

دخلت determine الانجليزية في ق ١٤ من (من م) determiner فرنسية قديمة، determinare، لاتينية، (من ب) terminare، لاتينية: يضع حد . . .

صيغ عدة تتقدمها البادئة اللاتينية de معقدة فى معانيها، لكن فى هذه الحالة معنى "وضع حدود" هو السائد فى كل الاستعمالات الأولى. برزت الصعوبة والالتباس اللاحق عندما اكتسب أحد المفاهيم المستعملة، الذى يتعلق بوضع حد وبالتالى نهاية لعملية ما، أهمية نهاية مطلقة. هناك عمليات كثيرة لها حد أو نهاية معتادة كانت تستعمل بالنسبة لها determine ومشتقاتها بانتظام : تحدد determined مشكلة أو خلاف من قبل سلطة، ومن هذا الاستعمال والاستعمال القانونى المرتبط به، فى أمور مثل عقود الإيجار، هناك مفهوم أكثر عمومية معادل لـ"يقرر" decide: مثلا، "فى تاريخ سيحدد to be determined". يرتبط بهذا معنى يعادل "يحسم مسألة " settle ؛ يعطى شكلا ثابتا عن طريق الملاحظة أو الحساب أو التعريف definition. ما يميز كل هذه الاستعمالات هو أن determining تحديد هى نقطة أو عمل ثابت عند نهاية العملية ، وأن هذا المفهوم لا يحمل أى معان ضمنية ضرورية ، وفى العادة ليست هناك معان ضمنية البتة، وأن الطبيعة الخاصة للقرار أو الحسم أو الحكم النهائى هى فى صلب طبيعة العملية. تحسم أو تتمم determination عملية ما؛ لكنها لا تتحكم فيها أو تتنبأ بها.

لكن كما هو واضح هناك احتمال تداخل مع معنى عملية مهيأة بطريقة تجعل من الممكن اعتبار أن تحديدها determination النهائى أو المنظور هو الذى يعرفها. من هذا التداخل تنبع كل المعانى الحديثة الصعبة. المصدر الرئيسى لهذا التوكيد ثيولوجي: يمكن اعتبار أن الإله (فى مفهوم توسع من قرار معين لسلطة) حدّد determined ظروف الحياة البشرية بما فيها استحالة تجنب الموت، وبهذا المفهوم يكون حدد مصير الإنسان. من أوائل ق ١٦، عند تنديل Tyndale مثلا، لدينا العبارة الإنجيلية " علم الله بالغيب وقصده المحدد determinat counsell and foreknowledge of God". بالطبع هناك جدل طويل ومعقد حول مدى وطبيعة مثل هذه النهايات المقررة preordained وحول مضامينها ونتائجها. عموماً فى هذا النقاش استعملت بشكل أكبر كثيرا الكلمة predistination قضاء وقدر (ومعها الكلمة المخففة حرية الإرادة free-will) من determination تحديد لكن بوضوح فى أحيان كثيرة ارتبطت الكلمتان. هذا هو المصدر الرئيسى لتحديد/حد determination

كأمر تم حسمه وتثبيته بطريقة قطعية، لكن لم يسيطر المفهوم القطعى تماماً أبداً حتى فى هذا المجال من الاستعمال. لكن بوضوح كان هناك مجال كبير للتشويش عندما تنقل النقاش بين مفهومى ظروف تحدّد عملية، وعملية تتحكم فيها نهاية متطورة أو معروفة.

عندما بدأ استعمال determination تحديد/حد فى العلوم منذ منتصف ق١٧ نشأ نطاق مقابل من المعاني. كانت determination حد من حين لآخر الحالة النهائية أو الأساسية لمادة ما، لكن فى علم الطبيعة المبكر(Boyle بويل، ١٦٦٠) كانت تعنى فعلياً ميولاً واضحة: "أخرى حركتها لها اتجاه معاكس opposite determination". كتب كلارك Clarke فى (١٧١٠): "عندما يتحرك جسم بطريقة معينة، هذا هو ما نسميه اتجاه determination ". هنا النزعة الواضحة هى فى صلب طبيعة الجسم وبالتالى لا تزال العوامل المحددة determinants لأية عملية لها صبغة معينة. فى الفترة اللاحقة التى تمت فيها صياغة القوانين العامة، سواء فى العلم science أو، كما فى السابق، فى أصناف من قوانين الله أو الطبيعة، توسع المفهوم وامتد إلى المبدأ المجرد : من فكرة أسباب ونتائج معينة إلى فكرة عملية "مستحيلة التجنب inevitable ومحدَّدة " "determined". لكن من الصعب جدا عند الوصول إلى هذا المفهوم المجرد أن نميز بوضوح بين أنواع من عمليات يحكمها قانون أو قوانين عامة وأنواع من النتائج، التى - سواء استنبطت من عنصر جوهرى أو، كما هو محتمل، عرضى - تعتبر مستحيلة التجنب. تزيد الصعوبة تعقيدا عندما ندرك أن يحدد determine تستعمل بنفس القدر فى النظر إلى المستقبل كما هى فى النظر إلى الماضى prospect/retrospect ؛ يصبح مفهوم استحالة التجنب الذى يمكن أن يكون نتيجة ملحوظة لاستعادة الماضى شيئاً مختلفاً عندما يُسقط على أحداث مستقبلية.

لعدة قرون دارت أنواع مختلفة من النقاش، فى الغالب بصعوبة، حول هذه المعانى ليحدد determine : فى الثيولوجيا، والأخلاق ethics، وفى الفيزياء وختاما فى النظرية theory الاجتماعية والاقتصادية. أعطت صياغة determinism

حتمية/جبرية في منتصف ق١٩ تحريفاً خاصاً لكل النقاش. فـي معناهـا الأكثـر استعمالا تفترض حتمية ظروفاً سابقة الوجود، عموماً "خارجية"، تقـرر عمليـة أو حدثا ما. غالباً تعني "خارجية" مجرد خارجة عن رغبة أو مشيئة الأفراد المرتبطين بعملية كهذه؛ لا تزال الشروط المحدّدة determining في صلب العمليـة العامـة نفسها. لكن هناك أيضاً استعمال مستمد من حجم بعض هذه العمليات التي يتم فيها، بطريقة واضحة في الغالب، توكيد الطبيعة الخارجيـة المحـدّدة determining. لا يتحكم الناس في عمليات محدّدة determinate مثل النظام الشمسي في طـرف، أو عمليات النشوء والارتقاء والتوريث البيولوجي في مرحلة وسطى، وفـي الطـرف الآخر نظام اقتصادي. استعملت حتمية/جبرية determinism التي كانت في السابق (رغم أنها لم تعط هذا الاسم) مذهبا ثيولوجيا أو مبدأ فلسفياً خصوصاً من منتصـف ق١٩ في البيولوجيا والاقتصاد رغم أن استعمالها الأوثق كان لا يزال في الفيزياء. في حالة الفيزياء، أصبح المعنى الأكثر تقييدا لحتمية determinism - أحـداث تـم التنبؤ بها تماما بناء على الأسباب المعروفة - مألوفا لدرجة أن مشاهدة الأحـداث التي لا يمكن ضمنيا التنبؤ بها أو أنها مجرد مرجحة حثت على سك تعبير سـلبي جديد: indeterminism لا حتمية الذي توسع استعماله فيمـا بعـد منتصـف ق٢٠ بطريقة متلاحقة إلى حقول أخرى بطريقة مماثلة لما حدث للتعبير السابق البسـيط determinism. بحلول هذه الفترة كان واضحا في الاستعمال العام أن حتميـة لـم تحمل فقط معنى السبب الذي لا يمكن تجنبه وإنما أيضا السـبب الخـارجي فـي جوهره. لهذا كان توسع لا حتمية indeterminism من عمليات مشاهدة معينة إلـى ظروف الحياة الأشمل متهور ومثير للاهتمام في نفس الوقت.

أصبحت determinism في مفهومها العام مرتبطة بظروف الحياة العامـة، سواء البيولوجية أو الاقتصادية. هذه العمليات قد تكون ضمن المعرفـة الإنسـانية لكن خارج تحكم البشر؛ ترسخت أساليبها. في الواقع فـي كـل المناقشـات ذات العلاقة كانت هناك محاولات تمييز دقيقة بين determination تحديد. مهما كانـت معتقدات المفهوم اللاعقلاني irrational القديم المتجسد في fate قدر (فـي الأصـل حكم الآلهة، (من ب) fari أتكلم؛ لاحقا عملية محدّدة. لا شخصانية ومـن ق١٤

نهاية محدّدة ؛ اكتسبت من ق١٧ مفهوم كارثة فى fatal مهلك بينما نهايات أخـرى مقررة تم وصفها بالحظ fortune – صـدفة تنحصـر فـي الحـظ الطيـب – أو providence: التحكم العطوف والحاني. تشير طروحات من أجل حتميـة عقلانيـة "rational determinism" إلى مقدرة فهم العمليات العامة وعبر هذا الفهـم اكتسـاب بعض السيطرة عليها، مهما كان ذلك محدودا. المفهوم، إذن، أكثر تمييـزا كونـه يسمح بالتفريق ضمن العمليات العامة بين ظروف محدّدة determining أو محدّدات determinants – عوامل أساسية تضع، كما فى استعمالات سابقة، حدودا معينة أو تمارس ضغوطا معينة – وعوامل أخرى عرضية أو لا يمكن التنبؤ بها أو طوعية. يعتمد معظم النقاش العقلانى لظروف محددة أو محددات على إيضاح هذا التمييـز. خلاف ذلك، يمكن لمشاهدة عوامل فعلية محدّدة – قوى تضع حـدودا أو تمـارس ضغوطا – أن تتضخم بسرعة إلى fatalism قدرية (determinism حتمية/جبريـة) يكون فيها كل شيء قد تقرر – قرّر مسبقاً predetermined كما تصاغ في العـادة بغرض التوكيد – وليس علينا إلا ترقب حدوثها. بطريقة بديلة، يمكن أن يوهننـا شعور بالصعوبات إلى حالة غموض ولا مبالاة لا يمكن فيها الاعتـراف بوجـود عوامل ضرورية ليس فقط افتراضيا ولكن عمليا. فى الواقع، هـذا ضـرب مـن الجنون ؛ لا يجعل من الممكن تجنب التعرف على تلك الطريقة إلا الوصف الواثق المتخصص لوجهات نظر أخرى على أنها حتمية. كان هذا الطرح مهمـا بشـكل خاص فى الماركسية حيث تم فى الغالب تشجيع الحد determination الاقتصـادي المطلق، سويا مع العواقب السياسية والاجتماعية والثقافية التابعة – قوانين التـاريخ وقـانون القاعـدة 'base' (بنيـة المجتمـع الاقتصـادي) والبنيـة الفوقيـة "superstructure" (كل الحياة الاجتماعية الأخرى) – بينما فى طروحات ماركسـية أخرى كان هناك مفهوم محددات معينة يتصرف الناس ضمنها أو فى علاقة معهـا لصنع تاريخهم. أنتجت الأنواع الوضعية POSITIVIST (أ م) الأكثر تطرفا لعمليات تم التنبؤ بها تماما أو بشكل عام أنواعاً مقابلة مختزلة لتلاعـب الأحـداث "play of events" تسمى(بتخصص شعبى مقابل للمعانى الدقيقـة) إمبريقيـة EMPRICICISM وبراجماتية PRAGMATISM (ا م م) .

لا يمكن حسم أمور على هذه الدرجة من الجدية والتعقيد عن طريق تعريف الكلمات، لكن يمكن أن يكون النقاش حول هذه الأمور مشوشاً تماماً باستعمال ملح وشبه جازم لمعنى ثابت لهذه الكلمة شديدة التقلب ومشتقاتها. في النهاية، يشمل تاريخ الكلمة كذلك مسارا آخر من المعاني ترتبط فيه determination و determined و determine، ليس بحدود أو نهايات وليس بأسباب خارجية ولكن بشكل معين بقرارات أو أفعال الإرادة "acts of will" كما في "قررت أن أحقق ذلك" ... I am determined to". في البداية يبدو أن هذا المعنى استنبط من المعنى السابق المذكور أعلاه : الوصول إلى قرار "come to a decision" ؛ هناك عدة استعمالات سابقة في صيغة يقرر مع نفسه determine with oneself، كما هو الحال في تطور مشابه ليحسم resolve وحسم resolution . ربما لم يقل أحد بعد " قررت ألا أتحدد "I'm determined not to be determined" لكن هذا يبين نطاق المعاني الفعلي. منذ أوائل ق ١٦ تستعمل determined وdetermine بشكل عام بمعنى قرار ثابت أو حاسم اتخذه شخص بناء على رغبته. على الأقل بحلول ق ١٩ نشأ مفهوم اشتقاقي عام لا يتطلب عادة تعريفاً إضافيا للفعل - قررت determined فعل أو عدم فعل شيء - في صيغته صفة عامة تدل على "مستمر بتشبث persistent" أو غير متردد unwavering: مفهوم يرتبط بالتأكيد بمعنى عملية محسومة settled ومتعذر تجنبها inevitable، لكن كذلك يعطي في الاستعمال الفعلي نوعا معاكسا من التفسير للأفعال والأحداث البشرية. للأغراض العامة الكثيرة يبقى التمييز الفعلي الحديث بين determinism وdetermination، بدرجة كافية من الوضوح، على هذا المدى من التفاوت والتعارض، لكن يصعب إدراك التمييز الأكثر صعوبة في استعمالات determine و determined كما نشاهد بانتظام.

انظر : DEVLOPMENT تطوير، EMPIRICAL إمبيريقي، EVOLUTION نشوء و ارتقاء، PRAGMATIC برجماتي

## تنمية / تطور DEVELOPMENT

دخلت develop(ed) الانجليزية فى منتصف ق ١٧ فى أعقاب كلمة إنجليزية سابقة disvelop (أواخر ق ١٦) من (س م) développer ، فرنسية desvolper، فرنسية قديمة، بمعنى فى جذر الكلمة معاكس ليغلف wrap ، يحزم bundle – بالتالى يفض unfold، يبسط unroll. توسع المعنى مجازيا فى ق ١٨ وأصبح يشمل مفهوم تنمية "قدرات ... الإنسان العقلية"، واربرتون Warburton، ١٧٥٠ (قارن CULTURE ثقافة ونشوء وارتقاء EVOLUTION). تبعت ذلك development فى منتصف ق ١٨، لكنها مازالت تستعمل من قبل شسترفيلد Chesterfield، ١٧٥٢، فى صيغتها الفرنسية. كان أول توسع رئيسى لها فى البيولوجيا الجديدة فى علاقة قريبة لأفكار نشوء EVOLUTION (ا م).

يتعلق الاستعمال الجديد اللافت لمجموعة كلمات تتمحور حول develop بأفكار معينة عن طبيعة التحول الاقتصادي. فى منتصف ق١٩ تم التعبير بهذه الطريقة عن فكرة مجتمع يمر خلال مراحل تطورية evolutionary محددة : "تتقدم الأمم على طريقة تنمية Development، سماتها اللاحقة لها جذور فى العناصر الأولى". علاوة على ذلك، المفهوم الضمنى فى هذه الفكرة هو " التنمية التقدمية progressive development" التى سجلت من ١٨٦١ (انظر PROGRESSIVE ). من ١٨٧٨ هناك إشارة إلى صناعة INDUSTRY (ا م) : "يرجع التطور development الحقيقى للصناعة الاسكتلندية إلى اتحاد ١٧٠٧"، (ليكى Lecky)، بينما تقول جريدة فى ١٨٨٥ "يمكن تنمية development التجارة إلى أى مدى تقريبا".

بوضوح تعزز هذا الاستعمال لعمليات الاقتصاد الصناعى والتجارى من أواخر ق ١٩ وأصبح معتاداً فى ق ٢٠. قد يكون لها مقابل بسيط فى undeveloped، لكن التحول المهم حدث بعد ١٩٤٥ مع الكلمة الجديدة والمؤثرة underdeveloped. يرتبط هذا مع الفكرتين:(١) الأراضى التى لم تتم تنمية أو استغلال EXPLOIT (ا م) الموارد الطبيعية "natural resources" فيها بقدر كاف ؛ من

أواخر ق ١٨ استعملت resources في صيغة الجمع بهذا المعنى وعُرّفت " natural resources" في ١٨٧٠: "الركاز في المنجم، الحجارة التي لم تقتلع، الأشجار التي لم تقطع، ... الخ ؛ (٢) اقتصاد ومجتمعات مقرر لها أن تمر بمراحل من التطــور يمكن التنبؤ بها حسب نموذج معروف. من المثير للاهتمام أن المفهــوم المــوازى لتطور development وتطورى developmental في علم النفس، الذى يصف عمليــات النمو "growing-up" يمكن أن يؤثر في مفهــوم مجتمعــات ناميــة (دون تطــور) underdeveloped، بشكل علنى أو خفي، سواء كتفضّل ورعاية أو كتحديد لوضعها بالنسبة للاقتصاد المتطور developed. تم في السابق التعبير عن ذلك بطريقة أقــل حصافة، وذلك بوصف تلك المجتمعات بالمتخلفة backward، التي هي نفسها تعبير تطورى developmental. ارتبط كــل مفهــوم لناميــة underdeveloped باعتبــار المجتمعات الفقيرة والمستعمرة أو المستعمرة سابقا مواقع يجب فيها تطبيق الأفكار الراسخة للتنمية. تبع هذا الوصف المجامل لهذه المجتمعات بأنها نامية developing أو في طريقها إلى النمو "in the course of development".

حجبت البساطة الظاهرة لهذه التعبيرات أمورا اقتصادية وسياسية صــعبة جداً ومثيرة للنزاع. هكذا يمكن تطوير أرض معينة لأغراض خاصة بها، كما فــي بعض أنواع اقتصاد الكفاف، لكن تعتبــر دون تطــور underdeveloped بالنســبة للسوق العالمى الذى يسيطر عليه آخرون. ثــم اعتبــر اقتصــاديون راديكــاليون underdevelopment التطور المتدنى حالة ناجمة عن ضغط اقتصادى خارجى حيث أن التنمية يمكن أن تكون إما استغلال مجتمع لموارده لأغراضه الذاتية أو – وهذا يؤدى إلى نتائج اقتصادية مختلفة تماماً – استغلال بعض موارده حســب الســوق والطلب الخارجي. تخضع في الواقع فكرة "مناطق تنمية development areas" في دول نفس البديلين. من وجهة نظر فضلت dependent تابعــة علــى developing نامية، كوصف للحقائق المفروضة في عملية التطور المتدنى underdevelopment، لكن تكمن هناك أيضا مشاكل فعلية في أن التنمية التى تتولد داخليا قد لا تكون فقط مختلفة عن تلك التى تفرض من الخارج، ولكن قد تكون، حسب اختلاف مصــالح داخلية، متفاوتة.

مـــن الواضـــح، مـــن خلال هـــذا التشابك اللفظي، تشوش فكرة مساعدة الدول النامية 'aid to the developing countries'، التي عـــادة مـــا تكـــون نبيلـــة، بممارسات تفقد كل سخاء وتلغى هويات الآخرين عن طريق تعريف تلـــك الـــدول بأنها underdeveloped دول نامية أو 'less developed' أقل نمواً، وبعمليات تنمية مفروضة تلبى حاجة سوق عالمى يتحكم فيه آخرون. هناك شكوك مماثلـــة حـــول معانى سائدة لتعبير "عالم ثالث "Third World الذى يرجع أصله إلى 'Tiers Monde" فى فرنسا فى أوائل خمسينيات ق ٢٠، قياسا بالسلطة الثالثـــة 'Third Estate' فـــى الثورة الفرنسية. فى اللغة السياسية الحديثة، يعتمد الوصف على افتـــراض وجـــود "عالمين" أول وثاني، والزعم أنهما رأسمالية واشتراكية، رغم أن هذا لم يفصّل فى الغالب. التعبير فى الغالب كريم فى مقصده لكـــن فـــى التـــداخل المتكـــرر مـــع underdeveloped يمكن أن يدل إما على منطقة عامة يعمل ويتنافس فيها "العالمان" الأول والثانى أو على بلدان مختلفة جدا تقبع فى حالة غير متمايزة فى جوهرهـــا. يمكن إن يحجب مقدار اعتماد "عالم ثالث" على تعاريف شرق/غـــرب East-West (قارن WESTERN غربي) السائدة، كما فى التعبير المقارب فى الغالب non-aligned (دول عدم الانحياز)، علاقات أكثر حسما من النوع الذى يدل عليه الأن باضطراد وصف شمال/جنوب North-South، رغم أن له صعوباته الخاصة. فى الواقع يمكن أن يقيد ويشوش ضغط فكرة التنمية development، التى فى الغالب لم تفحص، أى وصف معمم للنظام الاقتصادى العالمى الحالي. لا يكون مزيد من التمييز المحـــدد ضرورياً وممكناً إلا فى تحليل الممارسات الفعلية التـــى تنضـــوى تحـــت تنميـــة development.

انظـــر : EVOLUTION نشـــوء / تطـــور، EXPLOITATION استغلال، IMPERALIASM إمبريالية، NATIVE وطنى / محلـــي، WESTERN غربى

## لهجة DIALECT

دخلت dialect الإنجليزية فى أواخر ق ١٦ من (س م) dialecte، فرنسية، (س ب) dialektos، يونانية. كان المعنى اليونانى الأصلى حـديث "discourse" أو محادثة conversation قد توسع فعلاً ليدل كذلك على طريقة الكلام أو لغة بلـد أو منطقة. بخلاف استعمالات عرضية، أصبحت الكلمة متخصصة من ق ١٧ وخاصة من ق ١٨ فى معناها الحديث السائد الذى ليس هو مجرد لغة منطقـة، بـل كمـا يعرفها قاموس أكسفورد *OED*، "إحدى الصيغ أو التنويعات الثانوية التابعة للغة التى تنتج عن خصوصيات محلية للمفردات والنطق والاصطلاح". الكلمة الأساسية هنـا "ثانويـة" أو تابعـة "subordinate" التى يجب فهمها فى سياق تعريـف"OED" الإضافي: "نوع من الكلام يختلف عن "اللغة" الفصحى أو الأدبية".

يمكن اعتبار وضع "لغة" بين مزدوجتين فى التعريف السابق كفكرة تاليـة متبصرة. تاريخياً ليست نقطة الخلاف الحقيقية الواضحة أن أساليب الكلام تختلـف فى أجزاء مختلفة من البلد أو مناطق لغوية أخرى، لكن الجرأة تكمن فى تسـميتها "تابعة". يرتبط ذلك بشكل وثيق بتطور فكرة لغة إنجليزية فصحى STANDARD (ا م) أو أية لغة أخرى فصحى، يكون فيها استعمال منتقى (فى الإنجليزية مبنى على أساس طبقي) رسمى وسائد correct. ليست الإشارة البديلة "للغة أدبية" إشارة بشكل رئيسى للغة الأدب "LITERATURE " (ا م) فى معناها الحديث ككتابة إبداعية، لكـن للمفهوم القديم للغة مناسبة فى "المعرفة الرفيعة" وأهم من ذلك فى هذا النـوع مـن الكتابة المؤدبة .

الالتباس إذن واضح. لا تحمل الاستعمالات الأولى مفهوم "تـابع" لكنهـا تحدد موقعاً يدل على تنويع. فى الواقع هناك استعمال من ١٦٣٥ يمكن أن تسمى فيه لغات، حسب تصنيفنا الحالي، "لهجات": " فاللغـة السلافية تشمل لهجات كثيرة، مثل الروسية، البولندية، البويهمية، الأليرية ..." حيث نتحدث الآن عن "عائلة لغات قومية". بالفعل فى إقرار لغة "قومية" ومن ثم ضمن عملية تمركز "فصـحى" هـذه أصبحت تصنف تنويعات قومية "NATIVE" (ا م) أصيلة وقديمة تماماً على أنها تابعة

ثقافياً. عندما ننظر إليها نظرة حيادية، توجد اللغة فى هذه التنويعات. لكن ضمن عملية الهيمنة الثقافية، ما يتم تقديمه ليس فقط صنفاً رسمياً مختارا يمكن منه الحكم على كل التنويعات الأخرى بالوضيعة أو فى الواقع غير دقيقة، لكن أيضاً مفهوماً شبه ميتافيزيقى للغة وكأنها توجد خارج تنويعاتها الفعلية. ليس فقط هناك انجليزية فصحى ثم لهجات، لكن هناك أيضاً، عبر هذا التقديم، انجليزية فريدة ثم لهجات للانجليزية.

من اللافت ملاحظة تعديلات فى هذا النوع من الوصف حسب تغير علاقات اجتماعية أخرى. مثال دال هو الانتقال من "لهجة يانكية Yankee dialect" إلى إنجليزية أمريكية "American English" الذى لم تكتمل (على هذا الجانب من المحيط الأطلنطي) إلا فى منتصف ق ٢٠. الحالة مشابهة فى العبارة الشائعة "لغات ثانوية/أقليات " minority languages" التى تحمل ضمنياً معنى "أقل أهمية" فى اقترانها المألوف بلغات رئيسية "major languages". هذا أيضاً شكل من الهيمنة. فعلا هناك لغات أقليات، غالباً أقليات فى ذلك الوضع الاجتماعى ، لأن وطنهم أو إقليمهم تم ضمّه أو دمجه فى الوحدة السياسية الأكبر. هذا لا يجعلها "لغات أقليات" سوى من منظور الهيمنة. فى موقعهم (لو تمكنوا من مقاومة ما يكون فى الغالب ضغوطا هائلة) هى لغتهم - لغة خاصة مثل أية لغة أخرى. بطريقة مشابهة، اللهجة ببساطة هى طريقة الكلام فى مكان معين .

انظر: LITERATURE أدب، NATIONAL وطنى/قومى، REGIONAL جهوى، STANDARDS معايير

## جدلي/ديالكتيكى DIALECTIC

ظهرت dialectic فى الإنجليزية من ق ١٤ فى معناها اللاتينى المقبول لوصف ما نسميه الآن منطق logic. فى معانيها الأساسية كانت dialectique، فرنسية قديمة، dialectica، لاتينية، dialektike، يونانية تعنى فن النقاش والمناظرة

ومن ثم، بالاستنتاج، تحرى الحقيقة عن طريق النقاش. فسرتها المدارس المختلفة تفاسير مختلفة ولشرح أفلاطون تاريخ لاحق هام: عنت **dialektike** فن تعريف الأفكار وكذلك طريقة تحديد العلاقة بين الأفكار فى ضوء مبدأ واحد. بالتالى سيتم تمييز هذين المفهومين فيما بعد كمنطق **logic** وميتافيزيا **metaphysics**. فى الاستعمال الإنجليزى المبكر كما فى الاستعمال القروسطى عموما، كانت **dialectic** هى فن التفكير المنهجي: " العلم الثانى المنطق الذى يسمى 'جدل'" (**Caxton**، ١٤٨١)؛ "ديالكتيك أو المنطق، أى معرفة الحقيقة فى كل شيء عن طريق الجدال" (١٥٨٦)؛ "ديالكتيك هى فن المحادثة حيث يؤكد أو يدحض أى شيء عن طريق سؤال وإجابة المتجادلين" (**Stanly**، ١٦٥٦). كان هناك مفهوم أشمل للكلمات **dialectic** و **dialectics** و **dialectical** من ق ١٧ يتصل بالنقاش بشكل أعم واستمر هذا المفهوم.

كان هناك استعمال خاص ومؤثر لجدلى **dialectic** فى الفلسفة المثالية الألمانية. وسع ذلك مفهوم التناقض خلال النقاش أو الجدل إلى مفهوم التناقض فى الواقع. عبر سلسلة معقدة من النقاش انتقل هذا المفهوم الموسع للكلمة (الذى له صلة بمفهوم أفلاطون : تحديد العلاقة بين الأفكار فى ضوء مبدأ واحد) إلى الاستعمال العام نسبيا لكن الذى تكتنفه فى الغالب صعوبة. بالنسبة لكانط يبين النقد الدياليكتيكى **dialectical** الطبيعة التبادلية المتناقضة لمبادئ المعرفة عندما يتم تطبيق هذه المبادئ على الوقائع الميتافيزيائية. بالنسبة لهيجل، تم تجاوز هذه التناقضات، فى كل من الفكر وفى تاريخ العالم الذى كان سمته الموضوعية، فى حقيقة واحدة اسمى : كانت العملية الديلكتيكية إذن، الاتحاد المستمر للأضداد فى علاقة الأجزاء المعقدة بالكل. أعطى فيختة **Fichte** صيغة من صيغ العملية الثلاثية المشهورة: "الطريحة **thesis**، النقيضة **antithesis**، الجميعة **synthesis**. ثم أعطت الماركسية معنى ديالكتيك، الذى يدل على اتحاد متنام **progressive** عن طريق تناقض الأضداد، مرجعية معينة فى ما أسماه انجلز الجدلية المادية **dialectic materialism**. جعلت صيغة هيجل العملية الجدلية الروح فى المقام الأول أما العالم فكان ثانويا. تم عكس هذا الترتيب وأصبحت الجدلية **dialectics** "علم

قوانين الحركة العامة لكل من العالم الخارجي والفكر البشرى - مجموعتان من القوانين المتطابقة فى جوهرها لكن المختلفة فى صياغتها" (Engles، *Essay on Feurbach*). كانت هذه هى الجدلية المادية 'materialist dialectic' التى أعيدت صياغتها فيما بعد كمادية جدلية "dialectical materialism" وطبقت على كل من التاريخ والطبيعة (Dialectics of Nature جدلية الطبيعة). اعتبرت المبادئ الأساسية التى تكمن فى صلب هذه العملية هى تحول الكمية إلى نوعية، تحديد هوية الأضداد أو دحض النقيضة ؛ هذه هى "قوانين" التاريخ والطبيعة.

كان هناك خلاف شديد حول علاقة "المادية الجدلية" بفكر ماركس الذى لم يستعمل هذا التعبير، وكذلك علاقتها بأصولها المثالية، وعلاقتها بالعلوم الطبيعية. يفضل بعض الماركسيين التعبير الأدق : مادية تاريخية "historical materialism" ولا يرغبون فى توسيع نطاق صفة جدلى dialectical لتشمل العمليات الطبيعية، بينما يصر آخرون على أن نفس القوانين تنطبق على الاثنين. هناك أيضا أقسام من الفكر الماركسى ترفض فكرة القوانين الجدلية برمتها فى الوقت الذى تحتفظ فيه بمفهوم فضفاض لجدلى dialectic يصف تفاعلات القوى المتناقضة أو المتعارضة. وجد هذا المفهوم الفضفاض طريقه إلى الاستعمال العام، بمحاذاة مفهوم عملية النقاش أو طريقة النقاش الأقدم. ليس من اليسير فى الغالب ملاحظة أى من هذه المعانى المختلفة هو المستعمل وبأية تضمينات خلال النقاش المعاصر.

انظر : MATIRIALISM مادية، SCIENCE علم

## نظرى/لا عملى DOCTRINAIRE

هذه الكلمة غريبة لأنها تستعمل الآن بشكل واسع فى سياق سياسى لتدل على مجموعة أو فرد أو موقف يمكن اعتباره معتمداً على مجموعة أفكار معينة ؛ المعنى الضمني، السلبى دائما، هو أن الأفعال أو المواقف التى لها هذا المرتكز

غير مفضلة وسخيفة. هذا تحول مهم من معنى التعبير فى مجال السياسة. دخلت الكلمة الفرنسية من ١٨١٥ تقريبا لتصف طرفا يحاول التوفيق بين موقفين على طرفى نقيض، وكان الازدراء فى "نظري/لا علمي" doctrinaire تعبيرا عن الاعتقاد بالطبيعة النظرية فحسب لهذه المحاولات التى لم تشمل أى فهم فعلى لمصالح وأفكار الطرفين المتعارضين الحقيقية. يمكن القول أن اللانظريين doctrinaires الأصليين حاولوا التوسط والوصول إلى تسوية بين ما يسمون الآن doctrinaires الطرفين الملتزمين بمواقف سخيفة. يصعب تتبع التحول لكنه ترسخ بحلول أواخر ق ١٩ وأصبح شائعا بشكل خاص فى منتصف ق٢٠ وعلى الأرجح اعتمد هذا التحول على تدهور معنى doctrine (مذهب، عقيدة، تعليم) من مجموعة تعاليم (حيادية أو ايجابية) إلى وضع مجرد جامد (قارن التطور المقارب لدوغما dogma التى لها الآن معنى أكثر سلبية). حدث هذا خاصة بالنسبة للمذاهب الثيولوجية وانتقل بشكل كبير إلى السياسة خلال ق ١٩. طورت الكلمتان indoctrinate (يعلم مبادئ المعرفة، يلقن) و indoctrination، اللتان كان لهما من ق ١٣ معنى حيادياً أو ايجابياً يدل على تدريس أو تعليم، مفهوما سلبيا بشكل واضح من أوائل ق ١٩ وهما الآن مثل doctrinaire سلبيتان تماماً. من الملفت قراءة ما ذكره مارك باتيسون Mark Pattison في(١٨٦٨): "لا يمكن أن يعلم indoctrinate العلوم الفيزيائية إلا مدرس قدير". يتم الآن التمييز بشكل واضح بين تعليمنا our teaching وتلقينهم indoctrination، ويتضمن ذلك معنى مصاحبا ولكنه ليس قاطعاً بوجود توجيه وضغط فى التعبير السلبي. فى نفس الوقت يعتمد معنى doctrinaire الحديث على تضاده الواضح غالباً مع التعبيرات المحددة(التى عادة ما تكون ذاتية الاستعمال) مثل sensible (واع، معقول)، practical (عملي) وفى الغالب كذلك PRAGMATIC برجماتى (ا م). لهذا صلة وثيقة جدا بالتمييز بين أفكارى ومبادئى my ideas or principles، وأيديولوجية ودوغمائية الآخر. أصبحت الصيغة مهمة فى السياسة منذ نمو حركات وأفكار تعتمد على مواقف ومبادئ على خلاف أو فى تعارض مع تلك التى تحكم النظام الاجتماعى القائم. عورضت تهمة

doctrinaire باستعمال متخصص مشابه يميز بين برامج وأعمال سياسية principled (ذات مبادئ محددة من المثل) وأخرى unprincipled (مجردة من المبادئ).

انظـــــر: IDEOLOGY أيديولوجية

## دراماتيكى DRAMATIC

هذه واحدة من مجموعة كلمات لافتة توسعت مــن اســتعمالها الأصــلى والمستمر فى فن معين إلى استعمال أشمل كوصف لأحداث وأوضاع فعلية. بشكل رئيسى ترجع dramatic دراماتيكى بمعنى حدث أو وضع له صفات مشهد لافــت spectacle أو دهشة مشابهة لتلك المرتبطة بالدراما المكتوبة أو الممسرحة إلــى ق ١٨. كذلك الوضع بالنسبة للكلمة picturesque رائع: منظر أو زِى أو فعل يعادل مشاهدة صورة أو له خصائص واضحة تجمعه مــع صــورة picture. يبــدو أن theatrical مسرحى التى تصف خصلة معينة مبالغ فيها فى فعل ما ترجع إلــى ق ١٩. على الأرجح يعود تاريخ tragic تراجيدي/مأساوى التى تصف حدثا فاجعــا بنفس الدرجة مثل ذلك الذى يحدث عادة فى التراجيديا إلى ق ١٦، لكن أصــبحت أكثر شيوعاً من أوائل ق ١٩. تم توسيع role (دور) مشــاركة أو شخصــية فــى مسرحية ليصف وظيفة اجتماعية أو نوعا من النشاط الاجتماعى حســب مدرســة مثالية idealist سائدة فى علم الاجتماع ومن ثم استعملت بشكل عام منــذ أوائــل ق٢٠. فى منتصف ق٢٠ توسعت scenario سيناريو، من خطة للعمــل الــدرامي، خاصة فى الأوبرا، لتصف تنبؤاً سياسيا أو عسكريا وبشكل متزايــد خطــة فعليــة للأحداث .

بعض المعانى الضمنية فى الاستعمالات الموسّعة فى هذه المجموعة مثير للجدل. ينتمى بعضها مثل picturesque إلى عادة ذهنية يمكن تقفيها وتــتم فيهــا مشاهدة الحياة أو يُزعم فيها مشاهدة الحياة عن طريق الفن. يبدو أن معانى ضمنية أخرى مثل دراماتيكى أو تراجيدى تطورت بطريقة طبيعية مــن خــلال الترافــق

الناشئ عن العادة. رغم أنها تستعمل الآن دونما أية إيحاءات معينة فإنـــه يبـدو أن role دور تعتمد على نوع معين مجرد من الفعل والتنظيم الاجتماعى وتعتمد كذلك بشكل خاص، كما فى أغلب استعمالات سيناريو، على نوع شكلانى formalist من النشاط الاجتماعي. الصفة theatrical مسرحى فظة لكنها ربما تكون ضرورية.

أهم أمثلة على كل هـذه المجموعـة هـو بـالطبع "person" شـخص وشخصية "personality" اللتان تتطلبان نقاشا مستمرا.

انظـــر : PERSONALITY شخصية

## إيكولوجيا/علم البيئة ECOLOGY

لم تكن ecology شائعة فى اللغة الإنجليزية قبل منتصـف ق ٢٠ رغـم أن استعمالها العلمى (فى الأصل oecology) يرجع إلـى سـبعينيات ق ١٩، بشـكل رئيسى عبر ترجمة عن عالم الحيوان الألمـانى هيكيـل Haeckel. لكـن هنـاك استعمالا واضح الاستقلال، وللغرابة ملائما، لدى ثورو Thoreau من ١٨٥٨. جاء عن (س ب) oiko، يونانية: أهل البيت ومعها اللاحقة logy مـن logos: حـديث، ومن ثم دراسة منظمة. تشاركها economy نفس الإسناد مع اللاحقة البديلـة nomy (قارنAstronomy علم الفلك) من nomia يونانية nomos إدارة ،: قانون (ناموس). تطورت economy اقتصاد من معنـاها الأصلى كـإدارة منـزل (ق١٦) إلـى اقتصـاد سياسـى political economy (مـن الفرنسـية، ق ١٦- ق ١٧) وإلـى economics علـم اقتصاد فى معناها الحديث العـام مـن أواخـر ق ١٨. طورت ecology (عند oklogie Haeckel) معنى habitat بيئة/موطـن (اسـم لموقـع إقامة متميز من ق ١٨ عن صيغة الفعل اللاتينى "يعيـش") وأصـبحت دراسـة علاقات النباتـات والحيوانات بعضـها ببعض وبموطنهـا. تبـع ذلك فى الاستعمال العلمي: ecotone (منطقة انتقاليـة بين مجتمعيـن نباتيين مختلفين) ecotype (نموذج بيئي)، ecospecies (نوع بيئي). فـى ١٩٣١ اعتبـر

هـ.ج. ولز H. G. Wells أن علم الاقتصاد هو "فرع من علم البيئة ... علم بيئة الجنس البشرى the ecology of the human species". يمهد هذا لتطورات لاحقة مهمة تكون فيها ecology محط اهتمام اجتماعى عام، لكن فى البداية كانت الكلمة الأكثر ذيوعا لهذا الاهتمام بالموطن البشرى والطبيعى هى environmentalism بيئية. فى الواقع كان مصطلح environmentalism أكثر دقة كمبدأ تأثير المحيط الطبيعى على التطور؛ ارتبط أحيانا بالنظرة اللاماركية Lamarkian أكثر من ارتباطها بالنظرة الداروينية للنشوء EVOLUTION (ا م). ترجع environment بمعنى محيط، كما فى environs ضواحى إلى أوائل ق١٩ من(س م) environner، فرنسية: يحيط، (س ب) viron، فرنسية قديمة: دائرة ؛ توسعت كما لدى كارلايل Carlyle (١٨٢٧): "محيط من الظروف environment of circumstances". أصبحت environmentalist بيئي/خبير بيئى وكلمات مزاملة لها شائعة من خمسينيات ق ٢٠ للتعبير عن اهتمام بالمحافظة conservation ("preservation" الإبقاء) واتخاذ إجراءات ضد التلوث. بشكل كبير حلت ecology وكلمات مرافقة لها محل environment ومشتقاتها من أواخر ستينيات ق ٢٠ وواصلت هذه الاهتمامات وزادت منها. من هذه الفترة نجد الكلمات: ecocrisis أزمة بيئية، ecocatastrophe كارثة بيئية، ecopolitics سياسة بيئية، وecoactivist ناشط بيئي، وتشكيلات أكثر تحديدا لمجموعات وأحزاب إيكولوجية. أعيد النظر فى تفسير علم الاقتصاد والسياسة والتنظير الاجتماعى بسبب هذا الاتجاه المهم والمتنامى وذلك من منطلق اهتمام مركزى بعلاقات الإنسان بالعالم الطبيعى كأساس ضرورى للسياسة الاقتصادية والاجتماعية.

انظر : CONSUMER مستهلك، EVOLUTION نشوء،
EXPLOITATION استغلال، NATURE طبيعة، WORK عمل

## متعلم EDUCATED

فى الأصل كانت educate تعنى ينشئ rear ويربى أطفالاً، مـــن (س ب) educare لاتينية: يرعى، ينشئ (وليس من educere: يقود، ينمي، التى منها صيغة التأكيد: educare) و( س م) educationem، لاتينية، بنفس المعنى العام. لـــم يُفقــد أبداً المعنى العام، لكن تم حصره على التعليم والتدريس المنظمين منذ أوائل ق١٧، وبشكل سائد منذ أواخر ق ١٨. فإذا لم يتحصل معظم الأطفال علـــى مثـــل هـــذا التعليم المنظم كان التمييز بين متعلم educated و uneducated غير متعلم، واضحا إلى حد معقول، لكن من المثير أن هذا التمييز أصبح أكثر شـــيوعاً منـــــذ تطـــور التعليم النظامى بشكل عام بل حتى منذ تطور التعليم العام. هنـــاك مفهـــوم طبقـــى واضح فى هذا الاستعمال وتم باستمرار تعديل المستوى الذى تشـــير إليـــه مـــتعلم educated ليتسنى إسقاط معظم الناس الذين تلقوا تعليماً دونه. أسهم فـــى هـــــذا الوضع على الأرجح المعنى الباقى لتنشئة كما فى القول حســـن النشــأة properly brought-up التى يمكن أن تدل على ما تحدده أية مجموعة بذاتها. الكلمتان -over educated وافر التعلم و half-educated نصف متعلم هما صفتان من منتصف ق ١٩ وبشكل خاص من أواخر ذلك القرن؛ هما ضروريتان للاحتفاظ باستعمال مميز لمتعلم educated ذاتها. يتفاعل هذا الاستعمال مع اســـتعمال متخصـــص لكلمـــة Intelligent ذكي، ليميز مستوى أو قدراً معيناً من المقدرة يختلـــف عـــن المقـــدرة العامة التى كانت الكلمة تدل عليها فى الأصل. يظل جديرا بالملاحظة أنـــه بعـــد قرن تقريباً من التعليم العام فى بريطانيا فإن معظم السكان، حسب هذا الاســـتعمال، يعتبرون غير متعلمين أو أنصاف متعلمين ، ولكن الحكـــم متـــروك للمتعلمـــين إن كانوا ينظرون إلى هذا فى زهو أو فى تأنيب الذات أو فى تبرم من ســـخف هـــذا الاستعمال.

انظـــــر: CULTURE ثقافة، INTELLECTUAL مفكر

**نخبة ELITE**

هذه كلمة قديمة أعطيت منذ منتصف ق١٨ معنى اجتماعياً معيناً وأعطيت منذ أوائل ق٢٠ معنى اجتماعياً آخر مشابها لكنه مختلف. فى الأصل وصفت elite شخصاً منتخباً أو تم اختياره بطريقة رسمية، من (س م) elit، فرنسية قديمة، من elire : ينتخب، من (س ب) eligere، لاتينية: يختار ومنها electus، لاتينية: خيار، وكل مجموعة الكلمات الإنجليزية المشتقة منها: elect ينتخب، election ا نتخاب، electoral انتخابي. توسعت elect فى ق ١٥ من أشخاص تم اختيارهم بطريقة رسمية فى عملية اجتماعية إلى مفهوم كونهم منتخبين بشكل خاص من قبل الإله ("the elect" الصفوة المنتخبة فى الثيولوجيا والفكر الاجتماعى المرتبط بها)، وفى اتجاه مختلف، إلى مختار select أو منتقى choice، الأشخاص المفضلين والبارزين. هكذا اتسع ما كان فى الثيولوجيا أو فى النشاط الاجتماعى نوعا من الاختيار الرسمى إلى عملية امتياز أو تمييز discrimination، حيث لم يعد هناك تفريق بين elect مُنتخَب والأفضل best والأهم "most important". وبين كثير من هذه الكلمات التى تصف هذه العمليات المعقدة والمتشابكة – distinguished متميز، preferred مفضّل، select مختار، choice منتقى (كلها صفات) – نفس التعقيد والتداخل.

صارت كلمة elect عموما معادلة (عدا استعمالها الخاص كنتيجة الانتخاب election) لاستعمال elite بعد منتصف ق ١٨ ، والتى أصبحت المفضلة بشكل شبه دائم بهذا المعنى. لكن على الأرجح، كنتيجة لاستعمال elect الثيولوجى المثير للجدل الذى تميز بشكل محدد عن "الاختيار الاجتماعى أو البروز الاجتماعي"، تمت إعادة تبنى الصيغة الفرنسية elite التى حلت فى النهاية محل elect فى كل معانيها العامة كاسم. استمر بالطبع الفعل وبقيت elected منتخب و the elected المنتخب لتصف المختارين رسميا (سوى المتبقى فى Bishop-Elect الأسقف المنتخب أو Professor-Elect الأستاذ المنتخب وأمثالهما).

عــبّرت elite من منتصف ق ١٨، وبشكل أكثر شيوعا مــن أوائل ق ١٩، فى المقام الأول عــن التميز الاجتماعى عن طريق الرتـــب، لكـــــنها كانــت تستخدم كذلك للتفريق بين أعضاء المجموعة الواحــدة. قارن قــول بــايرون فـــى ١٨٢٣: "فى تصنيف واحــد مع 'كونتيسات بلانك' الأخريات إلا فى الرتبة؛ فـــى الوقت نفسه كذبة lie الناس ونخبتهم elite" (XIII،Don Juan) ، حيث المعنـــى سـلبى والكلمة ما زالت نسبياً جديدة، مع بعض الالتباس فى نطقها بالإنجليزيـــة)؛ "نخبــة النبالة الروسية the elite of the Russian nobility". (فـــى ترجمة إنجليزية لكتـــاب فرنسي، ١٨٤٨)؛ "ونخبة جيل متحضر بالمقارنة بسواه" (١٨٨٠). أصـــبحت elite فى تطورها على هذا المنوال مساوية تقريباً للأفضل best وكانت لها أهمية فـــى ظروف مجتمع ق ١٩ الجديدة ولفها غموض مثل أنواع أخرى من التمايز تجسدها rank مرتبة، order رتبة، وCLASS طبقة (ا م).

لم يكن مدهشاً إذن ظهور الكلمة بمعنى حديث محـــدد يتصـــل بالمناقشـــات الدائرة حول طبقة class. ولذلك عنصران رئيسيان: أولهما: الشعور بـــأن هنـــاك تفككا فى أساليب اختيار الأنسب للحكم، أو لممارسة نفوذ عــن طريـــق مرتبـــة أو وراثة، وفشل فى إيجاد طرق جديدة لاختيار مثل هؤلاء الأشخاص عــن طريـــق انتخاب رسمى (برلمانى أو ديمقراطي)؛ ثانياً: فى رد على الأفكار الإشتراكية عن الحكم من قبل "الطبقات"، أو عن السياسة "كصراع بين الطبقات"، كان هناك القـــول بأن التشكيلات الفعالة فى الحكومة والنفوذ ليست هى الطبقات وإنما النخب. يمثـــل المفهوم الأول، وهو الأقل رسمية فى ق ١٩ كلمات بديلة كثيرة – clerisy أهـــل المعرفة (كوليردج)، الحكماء the wisest (مـــل Mill) وقـــول آرنولـــد "the best" الأفضل والبقية الباقية "the remnant". الأهمية فى كل حالة تكمـــن فـــى التمييـــز المفترض لتجمعات كهذه عن تشكيلات اجتماعية نافـــذة وقائمة. فى استعمال ق٢٠ العام، وجدت كل هذه الافتراضات طريقها إلى elite ، رغم أنـــه ذو دلالـــة كـــون الكلمة ما زالت تستبعد بسبب بعـــض تـــداعياتها (غالبـــا تســـتعمل الآن مفـــاهيم excellence امتياز أو STANDARDS معايير (ا م) "المجردة" للتعبيـــر عـــن أفكـــار مشابهة أو مقاربة). استعمل فعليا المعنى الثانى الأكثر رسمية فى اتجاه فى النظرية

الاجتماعية مستمد من Pareto باريتو و Mosca موسكا. ميز باريتو بين نخب حاكمة governing elites وأخرى غير حاكمة، لكنه أصر كذلك على أن الثورة، وغيرها من طرق التغيير السياسي، إنما تنجم عن انحطاط وعدم ملاءمة نخبة سابقة، ومن ثم معارضتها وإزاحتها أو إسقاطها من قبل نخبة فعلية جديدة كثيرا ما تدعى أنها تقوم بذلك لمصلحة طبقة. يشير معنى نخبة هذا إلى مجموعة صغيرة مؤثرة تبقى نخبة فقط عن طريق التداول والتعزيز بأعضاء جدد. إن الاستمرارية التبادلية للمراتب والطبقات يحول دون تكوين نخبة حقيقية أو استمرارية فعاليتها. واعتبر موسكا ظهور ونجاح النخب بديلا ضروريا للثورات. تتضافر بقايا نظرية "صراع طبقي" مع أفكار مجتمع فيه منافسة مفتوحة لتنتج عندئذ نخبا متنافسة competitive elites ، وهكذا تكون إما مجموعات قديرة تمثل مصالح اجتماعية متنافسة أو متعارضة وتستعملها، أو بطريقة أكثر حيادية، مجموعات قديرة بديلة تتنافس فى سبيل السلطة السياسية. استعملت كل من هاتين الصيغتين فى الأحزاب السياسية الحديثة، وكل منهما مراجعة جذرية (غالبا دون وعى منها) لنظرية الحكومة الديموقراطية DEMOCRACY (ا م) العامة المفترضة، وخصوصا للديموقراطية النيابية REPRESENTATIVE (ا م). مثل هذه النخب لا "تمثل" represent؛ بل تعبر عن أو تستعمل لمصالح أخرى (سواء لأغراضها الأنانية أم لا، وهذا مجال خلاف ؛ لأن مناصرى النظرية يدعون أن أهدافهم الفعلية كنخب هى التوجهات الضرورية الأنسب للمجتمع ككل).

أنتج الهجوم على هذه المواقف، منذ ١٩٤٥، الصفتين السلبيتين عادة: elitism نخبوية و elitist نخبوي. تجمع معظم الاستعمالات المعاصرة لهاتين الكلمتين معارضة المفهوم غير الرسمى للحكم أو النفوذ من قبل الأفضل "the best" مع معارضة الإجراءات السياسية والتعليمية المصممة لإنتاج نخب فى مفهوم أكثر رسمية. هذه إذن إما (١) معارضة حكم أقلية أو تعليم خاص بتلك الأقلية بما فى ذلك جميع الإجراءات والمواقف المتوافقة مع هذه العمليات أو (٢) معارضة أعم لكل أنواع التمييز الاجتماعى سواء وضع ومورس رسميا أم لا. هناك التباس بين هذين المفهومين ، وقد يكون هذا مهما فى العلاقة بين أفكار نخبة وأفكار "طبقة

"class" أو "طبقة حاكمة ruling class " حيث يبدو أن النقاش الاجتماعي الحقيقي يتمركز. إن وجود كلمات ايجابية بديلة للأقلية السياسية المؤثرة مثل "vanguard طليعة" و "cadres كوادر" أمر ذو معنى. تتداخل هذه بشدة في بعض الاستعمالات مع المفهوم الرسمى لكلمة نخبة رغم أن هناك تمييزا (يتعلق بالأغراض النهائية) بين أحزاب اليمين وأحزاب اليسار (مع ذلك قارن " leadersiip قيادة" كاسم جمعي وهو يستعمل في الإثنين). في الوقت نفسه يشير الارتباط الإتيمولوجي المنسى بين elite و elected إلى اهتمام معين ساخر.

انظر: CLASS طبقة، DEMOCRACY ديمقراطية،
REPRESENTATIVE نيابية أو تمثيلية، STANDARDS معايير

## إمبيريقي/تجريبى EMPIRICAL

كلمة امبيريقى emplrcal والكلمة اللصيقة بها empiricism امبيريقية/تجريبية، هما الآن فى بعض السياقات من أصعب الكلمات في اللغة الإنجليزية. دخلت empirical (مع empiric) الإنجليزية فى ق ١٦ من (س م) empiricus، [طبيب يعتمد على خبرته العملية وحدها] لاتينية، من empeirikos، يونانية، من (س ب) empeiria، يونانية: experience خبرة ، من empeiros، يونانية: من peira يونانية، ماهر "skilled" اختبار "trial"، تجربة experiment. لكن هذا التطور العام قد تأثر جذريا فى معظم الاستعمالات الإنجليزية الأولى باستعمال متخصص للمصطلح فى الطب اليونانى حيث كانت هناك مدارس متنافسة: Empiriki تجريبية، Dogmatiki دوغماتية و Methodiki ميثودية/منهجية. اعتمدت الامبيريقية على الملاحظة العملية والأساليب المقبولة وكانت تشكك فى التعليل التنظيري. تكرر هذا الاستعمال فى الإنجليزية، فى المجال الطبى غالبا، واكتسب بالإضافة إلى معناه الحيادى معنى ازدرائياً: "مشعوذون، أطباء دجالون، امبيريقيون Empiricks (Browne، ١٦٢١). توسع هذا المعنى فيما بعد إلى نشاطات أخرى

غير الطب ليدل على جهل أو ادعاء واستعملت empiricism التجريبية فى البداية، من ق ١٧، بهذا المعنى الذى تغلب عليه السلبية.

الجدل الواسع الذى أثــر فــى النهايــة فــى معــانى empirical امبيريقــى وempiricism امبيريقية هو جزء من حركة علمية وفلسفية شــديدة التعقيــد. تــدل المعانى الحديثة الأبسط على: الاعتماد على التجربة experience تحت الملاحظة، لكن كل شيء يرتكز على كيفية فهم "experience". من بين معانيها الرئيسية أنهــا كانت حتى أواخر ق ١٨ مرادفة لاختبار experiment (قارن الفرنسية الحديثــة)، عن المصدر المشترك (س ب) experiri، لاتينية: يجرب ويضع تحت الفحص. لــم تعد experience، "اختبارا" أو "فحصا مقصودا" فقط وإنما شعوراً بما تم فحصه أو اختباره، ومن ثم شعور بأثر أو حالة. اكتسبت من ق ١٦ معنى أشمل تم فيه ضــم متعمد للماضى (المجرّب والذى تم فحصه) يدل على معرفة مستمدة مــن أحــداث فعلية بالإضافة إلى تلك المستمدة مــن ملاحظــة معينــة. احتفظــت experiment تجربة بالمعنى الأبسط: الفحص والاختبار.

تكمن الصعوبة فى أن empirical وإلى حد ما empiricism استعملتا تحــت تأثير هذه المعانى المعقدة والمتداخلة. هكذا وبمحاذاة معنى امبيريقــى الازدرائــى كدجال كان هناك استعمال أصبح مهما خاصة فى الطب وعلــم ق ١٧ الجديــدين: "امبيريقي، هو ذلك العلم الذى يعتمــد علــى الاختبــارات العمليــة experiments (١٥٦٩)؛ "كان لديه مختبر، وعرف كثيرا من الأدويــة الامبيريقيــة empirical medicines" (١٦٨٥). استعملت empiricals امبيريقيات لمواد التجريب العلمــي. استمرت امبيريقية، بمعنى مهم يتعلق بالملاحظة والتجريب كاجراء علمى أساسي، مألوفة فى الإنجليزية إلى اليوم.

أصبحت الكلمة معقدة بسبب عاملين: أولهما: دل معنــى Empiriks المحــدد والمعنى الإنجليزى المستنبط: "غير مدرب" و "جاهل" ليس فقط بســبب الاعتمــاد على الملاحظة والتجريب لكن أيضاً بسبب لامبالاة ومعارضــة قاطعــة للتنظيــر. ثانيهما، أنتج الجدل الفلسفى المعقد حول الإســهام النســبى للتجربــة experience

والعقل reason في صنع الأفكار، كوصف لجانب من الجدل. يدل المصطلحان empiricism امبيريقية وempiricist امبيريقى على أن نظريات المعرفة تستمد كلية من الحواس - أى من experience (وليس experiment تجريب/اختبار) بمعناها المحدد الآن. كانت هناك ولا تزال تنويعات كثيرة على هذا الجدل لكن النقطة الحاسمة لفهم تطور الكلمة هي سلسلة المعانى بدءا من "العبارة الإيجابية: ملاحظة مباشرة direct observation" (قارن معرفة وضعية positive knowledge ووضعية POSITIVISM (ا م) إلى "العبارة السلبية": ملاحظة عشوائية random observation أو مجرد ملاحظة دونما مبدأ أو نظرية موجهة. أدى النقاش المتخصص والمعقد لنظرية المعرفة إلىاستخدامها بمفهومها التاريخى المحدد، ذلك الاستخدام المرتبط بالفلاسفة الإنجليز الامبيريقيين empirical أو empiricist من لوك Locke إلى هيوم Hume. لكن الاستعمال الحديث العام لا يرتبط بتفاصيل الجدل الفلسفى بقدر ما يرتبط بالتمييز العريض بين معرفة تعتمد على الملاحظة (experience خبرة و expirement تجربة) ومعرفة تعتمد على استعمال آراء ومبادئ موجهة تم التوصل إليها بالعقل أو أن العقل يحكمها. يقود هذا التمييز الصعب أحياناً إلى استعمال فضفاض لامبيريقى empirical لتعنى لا نظرى atheoretical أو ضد تنظيرى anti-theoretical وهذا يتفاعل مع التمييز الأكثر شيوعاً بين عملى practical ونظرى THEORETICAL (ا م).

من الصعب التعمق في الإنجليزية الحديثة دون مواجهة استعمالات مشوشة أو على الأقل صعبة لإمبيريقى وإمبيريقية: فالنظرية أو الفرضية يتم وضعها تحت فحص إمبيريقى (يعنى هذا عادة أن تختبر الملحوظة، إن لم تكن النظرية بالتحديد هى التى تختبر). عندما يوصف تقرير بأنه "إمبيريقى بشكل فج" بمعنى ليس ببعيد عن معنى أوائل ق١٧ : غير مدرب أو جاهل، يشير فى الدرجة الأولى إلى غياب أية أفكار أو مبادئ موجهة أو ضابطة (أو أنها ليست كافية)؛ بينما يكون تقرير آخر ملائما إمبيريقيا أو "مقنعا بشكل إمبيريقي" ويفهم من ذلك أن المعلومات موثوقة أو أن فرضية ما قد أثبتت. توضع بعض المواضيع الحاسمة على المحك فى النقاشات التى تطورت من خلالها الكلمات، لكن عادة ما تُحجب هذه المواضيع

بدلا من أن توضح بالاستعمال الشائع الآن لامبيريقي وإمبيريقية كمتقابلتين بسيطتين للمدح واللوم. فإذا ما امتد تحديد الكلمات أكثر بإضفاء صفات قومية - "الميول الإنجليزية الامبيريقية"، "الامبيريقية الأنجلوسكونية رديئة السمعة" - يفقد النقاش عادة كل جدية.

انظر: EXPERIENCE خبرة/تجربة، POSITIVISM وضعية، RATIONAL عقلاني، SCIENCE علم، THEORY نظرية

## مساواة EQUALITY

كانت equality تستعمل بانتظام في الإنجليزية منذ أوائل ق ١٥، وترجع إلى (س م) equalité، فرنسية قديمة، aequalitatem، لاتينية، (س ب) aequalis، لاتينية من aequus - مستو، متكافئ، عادل. ارتبطت استعمالات equality الأولى بكميات مادية لكن نشأ استعمال اجتماعي للكلمة، خاصة بمعنى "تكافؤ المرتبة" من ق١٥ وأصبح أكثر انتشارا من ق١٦. تطورت من ذلك equality التي تشير إلى حالة عامة و مثّل ذلك نقلة حاسمة. لم تعد تعني "مقارنة مراتب" ولكن توكيدا على حالة أكثر عمومية، طبيعية كانت أم معيارية. يتضح هذا الاستعمال عند ميلتون Milton (*Paradise Lost* xii,26):

... not contenet

With faire equalitie, fraternal state

... لم يكن قنوعاً

بالمساواة العادلة، بالوضع الأخوى

لكن بعد منتصف ق١٧ لم تعد شائعة بذلك المعنى مرة أخرى حتى أواخر ق ١٨ عندما أعطيت توكيداً محدداً في الثورتين الأمريكية والفرنسية. أما ما تم الإصرار عليه فقد كان أولاً "حالة جوهرية" - "خلق كل الناس سواسية -

وأخيراً مجموعة مطالب محددة، كما فى المساواة أمام القانون، أى تعديل التمييزات التشريعية السابقة بشأن مزايا ومراتب الإقطاع وما بعد الإقطاع. ولعلاقة كلمة "مساواة" equality بالفكر الاجتماعى فرعان رئيسيان: أولاً : عملية المساواة equalization المبنية على المبدأ الأساسى القائل إن كل الناس متساوون بالفطرة، لكن ليسوا متساوين بالضرورة فى صفات معينة. ثانيا: عملية إنتفاء المزايا الموروثة المتأصلة المبنية على مبدأ أن كل الناس يجب أن تكون "بدايتهم متساوية" "start equal" رغم أن هدف أو نتيجة هذه العملية قد تكون أنهم فيما بعد قد يصبحون غير متساويين فى الانجاز أو الوضع. بالطبع هناك تداخل كبير بين هذين الاستعمالين، لكن هناك فى نهاية الأمر تمييزا بين (١) عملية مساواة متواصلة تتم فيها إزالة أو تخفيف أى وضع - سواء موروثا أم جديد التكوين، يميز فيه أناس على آخرين أو يمنحهم سلطة عليهم - باسم المبدأ المعيارى (الذى يقرّب معنى المساواة من معنى الأخوة، كما فى استعمال ملتون) ؛ و (٢) عملية إزالة أو تخفيض ميزات تكون فيها فكرة المساواة الأخلاقية محصورة على وجه العموم فى الظروف المبكرة بينما تعتبر عدم المساواة inequalities اللاحقة أمراً محتوماً أو منصفا. والمعنى الأكثر شيوعاً من (٢) هو مساواة فى الفرص equality of opportunity التى يمكن أن تفسّر بأنها منح فرصة متساوية للناس ليصبحوا غير متساوين "equal opportunity to become unequal". (قارن استعمال underpreviledged غير ميسور/فاقد الميزات، حيث privilege الامتياز هو المعيار، لكن الفئة التى تحصل على قدر منه أقل من الآخرين، توصف بأنها مجموعة فقيرة أو محرومة أو حتى مضطهدة. ترتبط الشكوى المألوفة ضد مفهوم (١) الذى يسعى لجعل كل الناس متساويين تماماً ببرنامج المساواة الاقتصادية الايجابى الذى شكل فى انجلترا فى منتصف ق ١٧ مبدأ أنصار المساواة Levellers. هناك قطيعة تاريخية واضحة ضمن كل من هذين المفهومين بين برامج تقتصر على حقوق سياسية وقانونية وبرامج تشمل أيضا مساواة اقتصادية فى أى من صيغها المختلفة. فى أوائل ق ١٩ طرح الرأى بأن استمرار عدم المساواة الاقتصادي، كما هو

موجود فى نظم ملكية ملاك الأراضى أو ملكية الرأسمالية لوسائل الإنتاج، جعل المساواة القانونية أو السياسية مثالية محضة.

تم إبدال الصيغة الإنجليزية الأقدم equalitarian، التى ترجع إلى منتصف ق ١٩ تحت تأثير نقاش مستمر منذ الثورة الفرنسية، بنصير المساواة egalitarian المشتقة من الصيغة الفرنسية الحديثة.

فى النقاش الاجتماعى الدائر حول كلمة المساواة كان هناك تشبث واضح بالمفهوم المادى للكلمة كمصطلح للقياس ولا يزال هذا الاعتراض قائما حول برامج المساواة الاقتصادية أو حتى برامج المساواة القانونية والسياسية (رغم أن ذلك قد خف الآن) بالقول صراحة إن الناس غير متساوين فى صفاتهم القابلة للقياس (كطول القامة، والنشاط، والذكاء، الخ). وكان الرد على ذلك هو أن ما يجب إثباته هو أن للفرق القابل للقياس صلة بعدم مساواة محدد حسب المفهوم الاجتماعي: لن يكون للطول صلة به، أما لون البشرة فقد ظل ذا صلة، أما للنشاط أو الذكاء فهناك صلة واضحة وحول هذه النقطة يتمحور أخطر الجدل المعاصر. تتعلق معظم الفروق القابلة للقياس من هذا النوع بمعنى (٢) وتعتبر، حتى عندما تكون حقيقية ويمكن إثباتها، أنها تابعة لمعنى (١) الذى لا يمكن فيه بطريقة معقولة استعمال أى فرق بين الناس أو بين الرجال والنساء لمنح بعض الرجال سلطة على رجال آخرين أو، وهذا حاسم الآن، على نساء.

انظر: DEMOCRACY ديمقراطية، ELITE نخبة

## إثنى ETHNIC

الكلمة موجودة فى اللغة الإنجليزية منذ منتصف ق ١٤. يرجع أصلها إلى (س م) ethnikos يونانية: وثنى، همجى (هناك علاقة محتملة وإن لم تكن مثبتة بين ethnic وبين heathen وثنى (س م) haethen، انجليزية قديمة). استعملت بشكل واسع بمعانى همجي، وثنى وغير يهودى gentile حتى ق ١٩ عندما تجاوز هذا

المفهوم معنى آخر هو الصفة الجنسية RACIACL (ا م). أصبحت ethnics تستعمل في الولايات الأمريكية فيما وصف في ١٩٦١ بأنه "تعبير مهذب يوصف به اليهود والإيطاليين والسلالات الأخرى الأدنى". يرجع ethnology علم الأعراق البشرية والاثنوغرافيا ethnography وصف الأعراق، وكلمات أخرى مرتبطة بهما إلى ثلاثينيات وأربعينيات ق ١٩، على الأرجح تحت تأثير الماني، أما الصلات المبكرة مع أنثروبولوجيا ANTHROPOLOGY (ا م) فهى معقدة. تنحصر الاستعمالات العلمية الآن في مجالات متخصصة ضمن الأنثروبولجيا: فتختص الاثنوغرافيا بالدراسة الوصفية للعادات والاثنولوجيا بنظريات التطور الثقافي.

ثم عادت ethnic للظهور في منتصف ق ٢٠ ، على الأرجح بتأثير من الاستعمال الأمريكي السابق للكلمة ethnics ، بمعنى أقرب إلى FOLK (ا م) فولك/شعب كأسلوب معاصر متيسر يتمثل بشكل عام في الملابس والموسيقى والطعام. يمتد الاستعمال من انتساب وثيق إلى تراث (وطنى NATIVE (ا م) وثانوى أو تابع subordinate)، كما هو موجود عند مجموعات اجتماعية في أمريكا. إلى تعبير للنمط السائد المفضل" fashion الموضة" في التجارة الميتروبولوتية.

انظر: ANTHROPOLOGY انثروبولوجيا، CULTURE ثقافة، FOLK فولك/شعب، RACIAL عرقي.

## نشوء / تطور / ترقى EVOLUTION

نشأت evolution من معنى نشر أو بسط شيء ما لتدل في النهاية على شيء يتم بسطه. و هى الآن مألوفة بمعنيين شائعين لكن في أحدهما وفى مقابلته المحددة لثورة REVOLUTION (ا م)، يبرز مدى أهمية تاريخها المعقد.

ترجع evolve إلى (س م) evolvere، لاتينية: يبسط، ينشر، ينهض، من (س ب) volvere لاتينية: يطوي. ظهرت في الإنجليزية، مع evolution، في منتصف ق ١٧. ترجع evolution إلى (س م) évolution، فرنسية، من

evolutionem، لاتينية، سجلت بمعنى: بسط كتاب unrolling. كانت استعمالاتها الأولى فيزيائية ورياضية بمعنى جذر الكلمة، لكن سريعا ماستعملت مجازيا لكل من "الخلق الإلهي" والاستنباط أو التشكيل المتنامي لأفكار Ideas أو مبادئ مثالية Ideal Principles. واضح من معنى الجذر اللاتيني ومن الاستعمالات الأولى أن المفهوم المتضمن هو بسط شيء موجود فعلاً. يدرك الإله "تطور (بسط) evolution العصور الكامل" (١٦٦٧) في لحظة واحدة سرمدية؛ هناك "تطور (بسط) للأشكال الخارجية" (مور ١٦٤٧) ؛ وهناك "نظام كامل للطبيعة البشرية ... يجب أن يتكون تطوره من هيئة وتشكيل الطبيعة البشرية" (هيل ١٦٧٧).

ثم ظهر لها في البيولوجيا معنى يبدو حديثاً. اكتسبت evolution معنى تطور من أعضاء غير تامة النمو إلى أعضاء كاملة النمو، وكانت نظرية التطور كما طرحها بونيه Bonnet في ١٧٦٢ وصفا للتطور من جنين يحتوى بالفعل، في صورة بدائية، على كل أجزاء الكائن الحي، وكذلك إشارة إلى أن الجنين نفسه تطور من صورة سابقة لوجوده. هكذا مفهوم "البسط" من شيء موجود فعلا لايزال حاضرا بشكل حاسم. لكن خلال وصف عمليات طبيعية مختلفة أصبحت evolution تستعمل وكأنها معادلة لنمو development ( من منتصف ق ١٨، من develop، ق ١٧: يفض، يكشف للعيان، يتقدم). لكن لا يزال من الصعب التأكد مما إذا كان استعمال محدد يحمل معنى راسخا لشيء ضمني او سابق الوجود، وبالتالي يجعل الترقي evolution طبيعيا أوضروريا. في الاستعمال العام، محدود الانتشار لكن المألوف لـ evolution (تطور نقد أو فكرة) لا يزال حاضرا عادة مفهوم development الضروري والمنطقي.

أما ما حدث في البيولوجيا فهو إذن تعميد لمعنى development (كشف تام للعيان) من أشكال غير تامة النمو إلى نامية، وخاصة لمعنى development المحدد: تطور من كائنات "أدنى" إلى "أرقى". أصبح من أواخر ق ١٨ وأوائل ق ١٩ معنى عملية طبيعية عامة معروفا بالتدريج كتاريخ طبيعي علاوة على عمليات طبيعية معينة. كان ذلك واضحا لدى لايل Lyell عن تطور حيوانات برية في

١٨٣٢ وأشار إليه داروين فى "أصل الأنواع" (١٨٥٩) كما اعترف به "جميع الطبيعيين(علماء التاريخ الطبيعى) تقريبا" "بشكل من الأشكال" فى "يومنا الحاضر". وفى ١٨٢٥ عرف هربرت سبنسر نظرية للنشوء Theory of Evolution العامة على أنها تطور صور من كائنات حية أدنى إلى كائنات أرقى.

كان الجديد فى ما فعله داروين هو وصف بعض العمليات التى عن طريقها تطورت أنواع جديدة ، ثم تعميم ذلك إلى مأسماه انتخابا طبيعيا natural selection. من المفارقة أن هذه الاستعارة الجديدة تماماً، التى اعتبرت فيها NATURE (ا م) الطبيعة نابذة مثلما هى مطورة لصور مختلفة من الحياة، بقيت ضمن وصف مستمر للعملية كارتقاء evolution بمفهومها كبسط لما هو موجود فعلا أو إتمام ما هو موجود فعلاً. من الممكن أن توصف عملية يثبت بالتفصيل أنها على وجه العموم مادية، وعرضية بمعنى ما، توصف بأنها عملية "للطبيعة" فيها هدف أو أهداف. ومع ذلك فمع انتشار الفهم الجديد لأصل الأنواع فقدت كلمة evolution فى البيولوجيا مفهومها كخطة خلقية وأصبحت عملية تطور تاريخى طبيعي. لقد حدثت لأنها حدثت وستستمر فى الحدوث لأنها عملية طبيعية. اقتصرت عملية الهدف الضرورى على تفسيرات معينة (تطور خلاق creative evolution، أى بيولوجيا كاثوليكية مثلاً).

كان فى التشويش الناجم عن الجدل حول evolution بهذا المعنى البيولوجى والتشويش الأعظم المتعلق بتطبيقات مناظرة للتاريخ الطبيعى فى التاريخ الاجتماعى أن نشأ التضاد بين كلمتى evolution و revolution ثورة. أصبح لثورة REVOLUTION (ا م) الآن معناها المتطور كتغير عنيف ومفاجئ ، بجانب معناها كإقامة نظام جديد. يمكن بسهولة معارضة evolution لها بمعناها كتطور تدريجي. كان لاستعارتى "نمو" growth وعضوى ORGANIC (ا م) ارتباط واضح بهذا المفهوم. للمفارقة وفر التاريخ الطبيعى العام، كما هو ملاحظ فى تطور الداروينية الاجتماعية، صوراً لكل ما يمكن تخيله من نشاط وتغيير اجتماعي: منافسة لا رحمة فيها أو تعاون متبادل؛ تغيير بطئ فى سجل الصخور أو تغير مفاجئ فى

ظهور الطفرات mutations؛ تغير عنيف أثناء تحولات فى البيئة أو اختفاء أنـواع فى صراع قاتل - كل هـذه يمكن أن تستنبط، واستنبطت بالفعل، كـ "دروس" من الطبيعة تطبق على المجتمع. والقول بأن التغير الاجتماعى يجب أن يكـون تطوريا evolutionary قد يعنى أيا من - أو جميع - هذه الأشياء، من تطور بطيء للمؤسسات الحديثة إلى إبادة الطبقات (الأنواع) السابقة واستبدال أنواع أرقى بهـا. وعلى عكس ثورة revolution كان للمعنى الأول الأثر الرئيسى. كـان المعنـى المقصود فى العادة هو بسط شيء موجود ضمنيا بالفعل (مثل طريقة حياة قوميـة) أو تطور شيء حسب اتجاهاته المتأصلة (مثل دستور قـائم أو نظـام اقتصـادى موجود). (قارن التضاد الحديث المألوف بيـن مجتمعـات متقدمـة developed و underdeveloped نامية، حيث يؤخذ كمسلمة الافتراض بأن مصير كل المجتمعـات هو أن تصبح حضرية وصناعية - ولا أقول رأسمالية - كما لو كان "مصـطلحا تقنيا".) التغير الجذرى الذى قد يتضمن رفض بعض الأشكال القائمة أو رفـض بعضها يمكن إذن أن يوصف، داخل هذه الاستعارات ، بأنه "غيرطبيعـى" ويمكـن ربطه، فى تعارض مع معنى ثورة المتخصص، بالعنف المفـاجئ مقابـل النمـو المضطرد.

فى تاريخ المائة سنة الأخيرة الفعلي، التى أصبح فيها تعارض ثورة/تطـور revolution/evolution مألوفا، لابد أن يعتبر هذا الاستعمال عبثيا. يسـتعمل هـذا التضاد ، بعناية فقط ، بالنسبة للتغيير المخطط حيث هو فى الواقع تمييز بين بضعة تحولات بطيئة ومحدودة، يتحكم فيها ما هو قائم فعلا ، وتحولات أكثـر وأسـرع يقصد منها تغيير معظم الوضع القائم. والتمييز ليس فى الواقع تمييـز عمليـة أو منهج سياسى وإنما هو انتساب سياسي. فى التغيير غير المخطـط unplanned - أى تطور evolution القوى والعوامل المتأصلة فعلاً فى النظام الاجتماعى - كـان ثمة ما يكفى من عنف ومباغتة، أما المعارضة مع ثورة revolution فلم تكـن الا اعتباطية. لكن يصبح اذن التداخل والتشويش بـين evolution كـ (١) تطـور متأصل و(٢) تاريخ طبيعى غير مخطط و (٣) تغيير بطيء ومشروط موضـوع تحر دائب.

انظــــر: DEVELOPMENT تطـــور، NATURE طبيعـــة، ORGANIC عضوى، REOLUTION ثـــورة

## وجودى EXISTENTIAL

فى الإنجليزية المعاصـــرة تراوح existential بين معنى عام قـديم نسـبياً (على الأرجح أواخر ق ١٧، مؤكد من أوائل ق ١٩) ومجموعة معان جديدة نسبيا مستمدة من اتجاه الوجوديـــة existentialism الفلســفي. كانـــت existence فــى الإنجليزية مـــن ق١٤، من (س م) existence، فرنســـية قديمـــة، existentia، لاتينية: حالة وجـــود، من (س ب) ex(s)istere، لاتينية: يبرز، يكون مُدركاً ومن ثـم بوضوح "يكـــون". فى الاستعمال السابق لـــ ق ١٧ العلاقة غيـــر واضحة بين existence وجود والكلمة التى فى ظاهــــرها تبدو بديلة essence جــوهر، ماهية، ق١٤؛ (س م) essence، فرنسية، essentia ، لاتينيـــة: كينونة being. بالتالي: "الله هو الوحيد الكائن بذاتـــه؛ مـــن وجـــــوده existens الطبيعـــي" (١٥٥٢) ؛ " ليس هناك جوهر بشرى يستحق الحسد ســوى أبله محمر الــوجنتين There is no essence mortal, That I can envie, but a plumpe cheekt foole (Marston ١٦٠٢). لكن كان هناك استعمال ثيولوجي لكلمة essence فـــى السياق الخاص الذى يكوّن فيه ثلاثة أشخاص (كائنـــات beings) الثـــالوث كائنـــا واحـــدا (essence جوهر)، وكان هناك كنتيجة لذلك توجـــه للكلمة نحو معنـــى كينونة اساسى أو مطلق أو نحــــو الحقيقة التى تكمن خلـــف المظاهر. أصـــبح هذا فى النهاية أساس التعارض مـــع وجود existence بتركيز الأخيـــرة علـــى الكينونة الواضحـــــة والمدركة وبالتالى فعلية (رغم أنـــــه يجـــب ملاحظـــة أن existence اكتسبت أيضا معنى استمرار الكينونة الــذى لـــه بعـــض الأثـــــــر المعقد). كان هناك تمييز من أواخر ق ١٧ :" قـــد أومن بوجودهـــا دونما أتدخل

البتّة في جوهرها with its ' I might believe its Existence, without meddling at all Essence (مور ١٦٦٧؛ عن روح spirit).

اتجهت essential جوهري بثبات واطراد نحو معنى fundamental أساسي، متأصل intrinsic أو ضروري، لكن في حالات كثيرة لم يكن لذلك تعارض مع existence؛ في الواقع يكون التعارض متطلباً فقط في أنواع من الفلسفة المثالية أو الميتافيزيقية.

في هذا السياق التأملي بدأت existential تستعمل من أوائل ق ١٩ كما نجد عند كوليردج في سؤاله "عما إذا كان الإله عليماً وجوديا كما هو جوهريا" "Wheather God was existentially as well as essentially intelligent" أو في تمييزه بين الكلمتين في كتابه (III) *The Friend*: السبب الجوهري للذنب الشيطاني هو عندما يجعل نفسه وجودياً وخارجياً "the essential cause of fiendish guilt when it makes itself existential and peripheric ". لكن كان هناك أيضا استعمال عام يعبر عن الواقع أو يدل عليه: "لا يسمح التقليد أن نقول تُنفِذ" " it executes"... لكن يمكن أن نتبنى بنفس السهولة الصيغة الوجودية "كان هناك تنفيذ There was an execution (Venn ١٨٨٨).

تأثر استعمال الكلمة في ق ٢٠ بشكل حاسم بالمصطلح الألماني Existenzphilosophie الذي نترجمه • كوجودية existentialism. كان الانتشار الرئيسي لهذا المصطلح على أيدي الفرنسيين بعد ١٩٤٥، لكن كان هذا الاتجاه معروفا بناء على الفكر الألماني منذ عشرينيات ق٢٠ ويجري عادة إرجاعه إلى Kierkegaard كريكجارد في منتصف ق١٩. ضمن هذا الاتجاه "الوجود" existence هو خاصة بشرية في تمييز لها عن أشياء أخرى و (في معظم الحالات) مخلوقات يمكن القول بأنها توجد exist. تتعارض existence وجود مرة أخرى مع essence جوهر، لكن أعيد تقييم السمات الرئيسية والثانوية. حيث لا يزال متطلبا تعريف essence جوهر كشيء أساسي وحقيقي يكون ذلك مستمدا من صفات الوجود، أي من الكائن الفعلي. أحد استعمالات هذا العكس أو انقلب هو نقد المثالية

والميتافيزيقية: "الوجود يسبق الجوهر" "existence precedes essence": الحياة الفعلية هى الأساس وأية صفات جوهرية، كما لو كان، تستقطر منها. لكن تحرك الاتجاه الجديد الرئيسى (الذى كان فى العادة هناك إصرار على أنه ليس نظاماً فلسفياً) كان نحو مفهوم فرادة uniqueness وعدم القدرة على التنبؤ فى أية حياة فعلية بالإضافة إلى معنى مواز يرفض الحتمية DETERMINISM (ا م) أو أى تفسير مبنى على دوافع داخلية. رافق حالة الحرية فى الاختيار والفعل هذه، حسب طرق فريدة ولا يمكن التنبؤ بها، حالة إلحاح وقلق؛ فى صيغة شائعة، الاختيارات والأفعال التقليدية أو المتنبأ بها أو "المبرمجة" programmed هى فشل فى الوجود، هذا الوجود الذى يعنى تحمل الفرد مسئولية حياته دونما يقين محتمل لأية نتيجة معروفة حسب مخطط مدروس. لكن التولى المتعمد لمسئولية كهذه فى مواجهة ما هو بالضرورة مجهول ولا يمكن التنبؤ به (وبهذا المعنى الخاص "عديم المعنى"، حالة من العبث حسب المفهوم الخاص الشائع الآن) أثار قلقا وجوديا "angst" واضحا فيه رعب وحتمية. عاش الأفراد الذين لم يدركوا كيف يتم ذلك فى أنفسهم in themselves فقط؛ لكى يعيشوا لأجل أنفسهم for themselves يعنى تحمل مسئوليات معروفة فى سبيل هذه الحرية ضمن العبثية.

هناك تنويعات كثيرة على هذا الاتجاه وكانت هناك محاولات لدمج ذلك مع نظم تتضمن قدراً من الحتمية مثل الفرويدية أو الماركسية. تحكمت التنويعات المختلفة فى استعمالات existential وجودى الخاصة مع إشارة ضمنية إلى صيغة من صيغ الوجودية existentialism. لكن عبارات مثل "شعور وجودي existential awareness"، واستعمال existential وجودي، مع أنواع من أسماء الشعور والحركة، تجاوزت كثيراً التعبير عن أى موقف محدد. فى مفهومها الدال على عملية أو واقع أو آنية (process, actuality, immediacy)، يمكن اعتبار هذه العبارات والاستعمالات مرتبطة بمفاهيم تسبق مفاهيم وجودية بل هى ترتبط بتاريخ الكلمة الرئيسي. فى الدرجة الأولى، فيما يتعلق بمفاهيم الاختيار والقلق وعدم التنبؤ، أضاف الاتجاه الفلسفي، مهما كان فضفاضا فى حالات كثيرة، معنى خاصا للكلمة المعاصرة. لكن هذا ليس دائماً منفصلاعن استعمالات

وصفية بسيطة للعيش أو الواقـــع، وفى بعض الحالات يخلق هذا تشويشـــاً. هكـــذا يمكن ان تعنى "الطبيعة الوجودية existentialist characteristic للحياة فى المدينـــة الحديثة" (١) الحياة اليومية المشاهدة مباشرة لسكان مدينة حديثة دونمـــا افتـــراض مسبق بخصائصها الضرورية الجوهرية essential؛ أو (٢) حياة ســـكان المدينـــة الغربية فاقدة المعنى والمستلبة والمليئة بالفرص الفورية لاختيارات غيـــر متوقعـــة ومشحونة أيضا بالتهديد والقلق؛ أو (٣) الحالة العبثيـــة للمدينـــة الحديثـــة كنظـــام اجتماعى بما فيها من حالات متأصلة (جوهرية؟ essential?) للغربة وفقدان الهدف والصلات. من الأنسب، إذن، أن نبحث كلما استعملت هذه الكلمة الفعالة عن تحديد وجودى existential سابق.

انظـــــر: DETERMINE يحـــــدد، IDEALISM مثاليـــــة، INDIVIDUAL فرد

## خبرة/تجربة EXPERIENCE

قد يبدو الارتبـــاط القـــديم بـــين experience و experiment فـــى بعـــض الاستعمالات الحديثة المهمة مهجوراً تماما. (فصلت العلاقة بـــين الكلمتـــين حتـــى أواخر ق ١٨ فى مادة EMPIRICAL إمبيريقي.) المسألة الآن هى ابحث فى العلاقة بين المعنيين الرئيسيين اللذين كانا مهمين من أواخر ق ١٨. يمكن حصر هذين فى (١) معرفة تكونت من أحداث سابقة، سواء بالملاحظة المتعمدة أو التفكير والتأمـــل و (٢) نوع معين من الوعى أو الشعور يمكن فى بعض السياقات تمييزه عن "فكر" أو "معرفة". يمكن إعطاء مثل مشهور ومؤثر لكل منهما.

كتب بيرك Burke فـــى كتابـــه *Reflections on the Revolution in France* (١٧٩٠): "لو أمكننى المجازفة باللجوء إلى ما لم يعد، إلى حد كبير، النمط الســـائد فى باريس فإنى آمل أن أجرب experience ... ." هذا طرح محافظ ضد التجديـــد السياسى "المتهور"، فيه إصرار على الحاجة إلى "تطور بطيء لكن مستمر". تقتـــل

كل حدث ومراقبة تأثيره. يمكن فهم كيفية تطور ذلك من مفهوم التجربة experiment والملاحظة، لكن الجديد هو التعميم الواثق لـ "دروس التجربة": نتائج معينة بالإضافة إلى طرق معينة. ربما أجاب شخص فى باريس بأن الثورة نفسها كانت تجربة "experience" بمعنى وضع نوع جديد من السياسة تحت الفحص والملاحظة، لكن بالرغم من كل هذه المعانى السابقة للكلمة فإنه يبدو مؤكدا أنه تم التغلب عليها، على الأقل فى الإنجليزية، بمعنى أبلغ وأدق، حينئذ والآن: "دروس" مقابل "تجديدات" وتجارب "experiments".

هذا ما كان بالنسبة لـ "تجربة experience من الماضي". نستطيع الآن متابعة "تجربة الحاضر present experience فى" كتاب ت. إس. إليوت (*Metaphysical Poets*، ١٩٢١): "بالنسبة لـ "دون" Donne كانت الفكرة thought تجربة experience، فهى عدلت حساسيته". المتضمن هنا هو تمييز بين أنواع الوعى أو الشعور consciousness؛ بالنسبة لبعض الناس يبدو صعباً أن تكون "فكرة" "تجربة" بينما قد تكون فعلا (أدنى) من التفكير أو الرأي. فى هذا الاتجاه الرئيسى، تكون experience تجربة بالتالى هى النوع الأكمل، والأكثر انفتاحا والنمط الفعال للوعي، وتشمل شعورا بالإضافة إلى فكر. فى أعقاب مفهوم دينى سابق ظل هذا المعنى فعّالا فى النقاش المتعلق بالجمالى aesthetic ويمكن أن يتعارض عبر نطاق شاسع مع أنواع من الوعى ترتبط بالتفكير والتجريب experiment المقصود.

من الواضح أن أسباب الاعتماد على تجربة ماضية ("دروس") وتجربة حاضرة ("وعي" تام وفعال) مختلفة جذرياً، لكن مع ذلك هناك رابط بينهما فى بعض أنواع الشعور والفعل التى يعارضها كلاهما. ليس من الضرورى أن يكون الأمر كذلك، لكن تقارب المعنيان فعلياً من أواخر ق ١٨ ضمن وضع تاريخى مشترك.

من الصعب جداً تحديد المراحل الدقيقة التى تطور فيها ظهور هذه المعانى بناء على إشارات، كامنة دائما، فى استعمالات أسبق كثيراً. جدوى تجربة الماضى

مدركة بشكل واسع لدرجة أنه من الصعب تصور شخص يرغب فى الاعتـراض عليها، وتظل مفهوما حياديا يسمح بالتوصل إلى نتائج متباينة مبنية على ملاحظات جمعت وفسرت بطرق مختلفة. لكن بالطبع هـذا تماما ما يقف ضــده الاستعمال البلاغى للكلمتين "experiment" تجريب وتجديد "innovation". فى زمــن معاصــر لبيرك تقريباً استعمل بليك Blake خبرة experience بطريقة أكثر إشـكالية: أقـل ابتذالا، أقل وثوقية؛ فى الواقع، تعارض بقلق كلمة براءة "innocence". بعيداً عــن كونها جملة متيسرة وإيجابية من التوصيات كانــت خبــرة "experience" "مبتاعــة مقابل كل ما يملك الإنسان" "bought with the price of all a man hath" (Four Zoas, II, c 1800). لا يمكن عمليا افتراض أن يكون أى تفسير محدد لخبــرة experience موجهاً؛ من المحتمل تماماً رؤية الحاجــة إلــى تجريــب experiment أو تجديــد innovation بناء على خبرة experience.

الاتفاق على هذا أهون من الاتفاق على مشكلة تجربة الحاضر experience present. من الواضح أن هذا يتطلب مناشدة كل الوعي، أى الكائن ككــل ولــيس فقط الاعتماد على حالات خاصة أو مقدرات محددة. بهــذه الصــيغة تكــون experience جزءا من حركة عامة تشكل أساس تطــور ثقافــة CULTURE (ا م) والمصطلحات المرتبطة بها مباشرة. واضحة قوة هذه المناشدة للكل مقابــل صــيغ من الفكر تستثنى أصنافا معينة من الشعور بدعوى أنها فقط "شخصية" أو "ذاتيــة" "subjective" أو "عاطفية". لكن ضمن صيغة المناشدة هذه (كما هو الحال بالنســبة لثقافة CULTURE وفن ART) يمكن أن يصبح الإصرار على الكمــال نوعــا مــن الإقصاء لاتجاهات معينة. يكمن التاريخ الحديث هذا فى التحول فى مفهوم جمالية aesthetics (ويمكن إدراك ذلك عندما نتذكر تطــور AESTHETICS ذاتهــا) لكــن المرحلة الحاسمة كانت على الأرجح فى مذهب معين فى الدين، الميثوديــة علــى وجه الخصوص.

ينشأ المعنى من كون خبرة experience هى "عمــداً موضــوع حالــة أو وضــع" (قاموس أكسفورد OED، ٤) وخصوصا من استعمال ذلك فى تجربة دينيــة

شخصية أو "باطنية inner". بينما كانت خبرة بهذا المعنى متوفرة ضمن صيغ دينية كثيرة إلا أنها أصبحت مهمة بشكل خاص فى البروتستانية وكانت باضطراد السند الأهم فى حركات بروتستانية أكثر راديكالية. هكذا كانت فى الميثودية "لقاءات خبرة" "experience-meetings" وهى اجتماعات "تلتئم لرواية الخبرات الدينية religious experiences". يسجل وصف من ١٨٥٧ أنه "كانت هناك صلاة ووعظ وسرد خبرات وإنشاد تراتيل وجدانية". هذه إذن هى فكرة شهادة ذاتية SUBJECTIVE witness (ا م) تعرض للمشاركة. ما هو هام بخصوصها بالنسبة لمفهوم عام لاحق هو أن خبرات كهذه تقدم ليس فقط كحقائق، لكن كأصدق نوع من الحقائق. ضمن الثيولوجيا كان هذا الادعاء موضوع جدل عظيم. تحذير جوناثان إدواردز Jonathan Edwards – "تلك الخبرات التى تتوافق مع كلمة الله هى الصحيحة" (١٧٥٨) – هو أحد ردود الفعل الأكثر اعتدالاً. من ناحية تقدم تجربة (الحاضر) كأساس ضرورى (مباشر وضروري) لكل التفكير والتحليل (اللاحقين). ومن ناحية أخرى، تعتبر خبرة experience (التى لم تكن اسم المفعول المضارع لـ "feeling" إحساس وإنما لـ "trying" تجريب أو "testing" اختبار شيء ما) نتيجة لظروف اجتماعية أو نظم اعتقاد أو نظم إدراك جذرية وبالتالى ليست مكونة لحقائق ولكن دليلاً على ظروف أو نظم لا يمكن لها حسب التعريف أن تفسرها.

يبقى هذا الجدل الأساسى وليس، لحسن الحظ، قاصراً على هذين الطرفين القصيّين. لكن من البداية، تشوش معظم الجدل بسبب المعانى المعقدة والبديلة أحياناً كثيراً لخبرة experience نفسها. تشمل تجربة الماضى experience past – فى أكثر الأحوال جدية عمليات التفكير والتأمل والتحليل التى يستثنيها فى أقصى حالاته استعمال تجربة الحاضر experience present، التى تنطوى على مباشرة وصحة لاشك يساورها. بالمثل يعتمد اختزال خبرة experience فى مكونات تصدر دائما من مكان آخر على إقصاء أنواع من التفكير والتأمل والتحليل ليست من نمط نظامى مستقل عمداً. ليس المطلوب إذن ألا تفحص tested أنواع كهذه،

لكن بمعنى experience الأعمق يجب أن يختبر tried كل نوع من أنواع الشـــهادة والاعتبارات المرتبطة بها.

انظر: EMPIRICAL إمبيريقى/تجريبى، RATIONAL عقلانى، SENSIBILITIY حساسية، SUBJECTIVE ذاتـــــى

## خبير EXPERT

ترجع expert إلـــى (س م) expert، فرنســية قديمــة، (س ب) expertus، لاتينية، اسم مفعول ماض لـــ experiri: يحــاول، يجــرب to try. ظهــرت فـــى الإنجليزية كصفة فى أواخر ق ١٤، أى فى نفـــس الوقــت الـــذى ظهــرت فيـــه experience تجربة، خبرة. بدأت تستعمل - وفى هذه دلالة واضحة - كاســم an expert خبير من أوائل ق ١٩ فى مجتمع صناعى يضع تركيزاً مضـــطرداً علـــى التخصص والتأهيل. استمرت فى الاستعمال مغطية نطاقاً واسعاً مـــن النشـــاطات، وصاحبها فى بعض الأحيان إبهام معين (قارن qualified مؤهل والأكثـــر تحديـــدا formal qualifications مؤهلات رسمية). مـــن اللافت أن inexpert كاسم مـــن معنى معارض (فاقد الخبرة) استعملت أحياناً مـــن أواخـــر ق ١٩، لكـــن الكلمـــة الرئيسية التى تحمل هذا المعنى هـــى بالطبع layman "شخص عادي" التى أصبحت شائعة مـــن التضاد القديـــــم بين laymen علمانيين و clerics رجال دين. ترجع lay إلى (س م) laicus، لاتينية، ليس من رجال الدين، (س ب) laikos يونانية، من الشعب. هناك تطـــور مشـــابه فـــى profession مهنـــة، ق ١٣، مـــن (س ب) profiteri، لاتينية: يصرح علانية، التى كانت فى الأساس إقرارا باعتقـــاد دينـــى وصارت أساساً لاســـمين؛ professor: مـــدرس مصـــنف، ق١٤ مقـــرّ، ق ١٥؛ professional مهني، ق ١٨، فى نطاق أوسع من المهـــن والوظـــائف. ترجـــع amateur، هاو، إلى (س م) amatore، ايطالية (س ب) amator، لاتينيـــة: عاشـــق ومن ثم من يحب شـــيئا. مـــن ق ١٨ تطـــورت فـــى ازدواج متعـــارض مـــع

professional مهنى (أولا كموضوع مقدرة نسبية؛ وفيما بعد كتمييز طبقى ثم مادي).

انظر: INTELLECTUAL مفكر

## استغلال/استثمار EXPLOITATION

دخلت exploitation الإنجليزية فى أوائل ق ١٩ فيما يبدو أنه استعارة مباشرة من الفرنسية. ترجع الكلمة إلى (س ب) explico، لاتينية، بمعانيها الواسعة التى تشمل ينشر، يبسط ويرتب ويشرح explain (هذا الأخير يؤدى إلىexplication شرح، كما أدت المعانى الأسبق إلى explicit واضح، ظاهر). فى الفرنسية القديمة كانت الصيغة المستعملة هى explectation وكان هناك استعمال إقطاعى يعنى الاستيلاء على غلّة الأرض التى فشل المستأجر فى دفع الالتزام الإقطاعى عنها. لكن كان التطور الفرنسى الرئيسى فى الصيغة الحديثة exploitation للاستعمال الصناعى والتجارى للأرض والمواد، الذى كان لا يزال حرفيا فى اقتباسات من ق ١٨ ("استغلال الأملاح exploitation des salines ").

تم تقليد ذلك فى الإنجليزية كما فى مثال من ١٨٠٣ عن "الاستغلال المنقوص لهذه المستعمرات" لكن الكلمة كانت لا تزال حتى ١٨٢٥ تعتبر حديثة: "نجاح تفتقر إليه كل الاستغلالات "exploitations" (معذرة لاستعمال الكلمة الفرنسية)". كانت exploit بمعنى انجاز وتقدم ناجح واكتساب ميزة ومن ثم عملا عظيما موجودة فى الإنجليزية كاسم من ق ١٤ وكفعل من ق ١٥. أسهم ذلك بوضوح فى بروز المصطلح الجديد، خاصة فى صيغة الفعل. كانت الاستعمالات الصناعية والتجارية لاستغلال exploitation شائعة منذ أوائل ق ١٩ لكنها تأثرت كثيرا بتطور معنى حاسم لعمليات مشابهة كان الإنسان موضوعها. بالتالى على سبيل المثال كان هناك "الرق، استخدام الإنسان للإنسان (استغلال exploitation )" (١٨٢٤)؛ "يصبح ثرياً عن طريق التجارة أو المضاربة أو الاستغلال الناجح للعمل"

(١٨٥٧)؛ "استغلال الجمهور الساذج" (١٨٦٨)؛ "استغلال واستعباد" (١٨٨٧). كذلك تزحزحت بعض الكلمات المرتبطة بها: "رأسماليون ومستغلون **exploiters**" (١٨٨٧)؛ "ملاك أسهم رأسماليين يستغلون **exploiting** العمال المأجورين" (١٨٨٨)؛ "كل طبقة المستغلين" (١٨٨٣)؛ " طبقة مستغَلة **exploited**" (١٨٨٧). لكن لا تزال **exploitation** تستعمل لعمليات صناعية وتجارية، خصوصا فيما يتعلق باستخراج المعادن التى كانت الكلمة دائما وثيقة الصلة به. ظهرت فى ستينيات ق ٢٠ **sexploitation** (استغلال جنسي) لوصف نوع معين من الأفلام والصحافة.

**انظر: DEVELOPMENT تطور، نمو**

## عائلة FAMILY

لكلمة **family** تاريخ اجتماعى ذو أهمية خاصة. دخلت الإنجليزية فى أواخر ق ١٤، من (س م) **familia**، لاتينية: أهل بيت **household**، من (س ب) **famulus**: خادم. يبدو أن الصفة المقاربة **familiar** أسبق إلى حد ما فى الاستعمال العام ونطاق معانيها يذكرنا بنطاق المعانى التى سادت فى **family** قبل منتصف ق ١٧. هناك المعنى المباشر لأهل بيت **household** اللاتينية، إما بمعنى مجموعة خدم أو مجموعة تربطهم صلة الدم وخدم يعيشون معا فى منزل واحد. ارتبطت **familiar** بذلك فى عبارات مثل "**familiar angel**" ملك رفيق، "**familiar devil**" شيطان رفيق والاسم اللاحق "**familiar**" (عشير، رفيق) حيث المعنى إما الارتباط بشخص أو خدمته. هناك أيضا عبارة شائعة فى ق ١٥ و ق ١٦: عدو عائلى "**familiar enemy**" التى تدل على عدو ضمن الأسرة، "داخل السور"، ومن ثم بالاستنتاج عدو من داخل المجموعة. لكن المعانى الأولى الواضحة كانت تلك التى لا تزال حتى الآن سارية فى الإنجليزية الحديثة: "فى علاقة صداقة أو ود مع شخص ما" (قارن "**don't be too familiar**" " لا تكن ودودا أكثر من اللازم)؛ معروف، كثير الاستعمال، مألوف (قارن، **familiar in his mouth as household**

words  متردد على شفتيه مثل كلمات أهل البيت"، مســـرحية شكســـبير "هنـــرى الخامس"). نجمت هذه الاستعمالات من تجربة أناس يعيشون معاً فى أسرة واحدة، فى علاقات وثيقة مع بعضهم البعض ومعتادين على أساليب كل منهم، لا تـــربطهم صلة دم، كما هو الحال الآن بالنسبة لـــ "familiar".

على الأقــل من ق ١٥ توسعت family لا لتصـــف أهــــــل البيـــــت household وإنما ما سمى - وهـــذا هـــــام - بيتـــا house بمعنـــى ذريـــة أو مجموعـــة أقارب معينة عن طريق التحدر مــــــن سلف مشـــترك. توســـع هـــذا المعنى ليـــدل على نـــاس أو مجموعة من الناس، أيضا بمعنى التحـــدر مـــــــن ســـلف، وكذلك دلـــت على مفهـــوم دينى معين مرتبـــــط هـــــو ذاتـــه بمعـــانى اجتماعية سابقـــة كمـــا فـــي "The Father of Our Lord Jesus Christ of whom the whole family in heaven and earth is named" "أحنى ركبتى لدى أبى ربنا المســـيح الذى منه تسمى كل عشيرة فى السماوات وعلـــى الأرض" (Ephesians، 3:14، 15).

اقتصرت family فى نسخة الإنجيل المعتمد (١٦١١) " The Authorized Version of the Bible على هذه المعانى الشاملة: إه' مجموعة أقارب كبيرة، تعادل فى الغالـــب قبيلـــة tribe ( Genesis 10:5; 12:3 Jeremiah 1:15; 31:1; Ezekiel 20 : 32) أو مجموعة أقارب من جـــد مشـــترك : "and then shall he (a brother) depart from thee، and shall return to his own family, both he and his children with him, and

Number 36:6) "and unto the possession of his fathers shall he return

قارن ;Leviticus 25:41) "وعندئذ سيغادرك (أخوك)، هو وأطفاله معه وسيعود إلـــى أسرته وإلى أملاك آبائه سيرجع". من الملفت أن عبـــارات مثـــل طائفـــة "عائلـــة المحبة" family of love أو "الأسريين" familists من ق ١٦ و ق ١٧ استندت على مفهوم مجموعة كبيرة لكنها جعلت الدخول فيها متيسرا وطوعيا عبر الحب.

إذن لا نجد أبداً فى مفاهيم ما قبل منتصف ق ١٧ المعنى الحديث المتميـــز لمجموعة صغيرة مقتصرة على أقارب الدم. عندما كان هذا المعنى لعلاقة بين آباء

وأطفال متطلبا فى سفر التكوين فى النسخة الرسمية من الإنجيل تم استعمال نسيب قريب near kin. لكن من الواضح أنه بين ق ١٧ و ق ١٩ أصبح سـائداً معنـى مجموعة أقارب صغيرة، عادة تسكن فى منزل واحد، سائداً جداً فى الواقع لدرجـة أنـــه فى ق٢٠ سك تعبيران للتمييز بين ذلك والمعنى الثانوى لمجموعة أقـارب كبيرة: أسرة نووية nuclear family وعائلة ممتدة extended family. من الصعب تتبع هذا التطور الذى له تاريخ اجتماعى معقد. من١٦٣١ لا نزال نستطيع قـراءة "كانت أسرته family تتكون من زوجته وبناتـه وخـادمتين ورجـــل" بـالمعنى الواضح لأهـــل البيت household. استمر هذا فى الاستعمال الريفى مع وجـود خدم للمزرعة الذين ســكنوا فى الدار وكانوا يأكلون على نفس الطاولـة حتـى أولخر ق ١٨ وربما بعـــد ذلك؛ كان التمييز اللاحق بين عائلـة family وخـدم servants مكروهـاً جـداً. كذلك كان هناك تأثير طويل الأمد مـن الاسـتعمال الأرستقراطى بمعنى نسب lineage وظل هذا قويا فى العبارة الدالـة مـن ق ١٨: أنشأ أسرة "found a family". تم التعبير عن التمييز الطبقى فى فترة متـأخرة - ق ١٩ وبآثار تعدت هذا التاريخ - فى عبارات مثـل "a person of no family" "عـديم العائلة" (مقطوع مـن شجرة) حيث مجموعة القرابة الكبيرة هى المقصـودة لكـن بمعنى النسل الذى يمكن تقفى أصوله. لم تزل حتى ق ٢٠ تستعمل عبارات مثـل العائلة "the family" للدلالة على مجموعة متميزة من الطبقة العليا: العائلـة مقيمـة "the family is in residence" حيث تم بوضوح عزل معنى مجموعة النسـب عـن معنى household أهل البيت، لأن الخدم على أية حال موجودون (لكـنهم ليسـوا مقيمين inresidence حتى ولو كانوا ساكنين resident).

يمكن ربط حصر كلمة عائلة family على مجموعة نسب صغيرة فى منـزل واحد بنشأة ما يسمى الآن عائلة برجوازية bourgeois family. لكن هـذه تـرتبط، بمفاهيمها عن أهل البيت والملكية، بشكل أصح، على الأقل حتى ق ١٩، بـالمعنى الأقدم. من أوائل ق ١٩ نجد عند جيمز مل James Mill هذا التعريف: "المجموعة المكونة من أب وأم وأطفال تسمى عائلة"؛ لكن وجود ضرورة للتعريف مهم فى حد ذاته. تشير عدة استعمالات من أواخر ق ١٧ و ق ١٨ لعائلة بمعنى مجموعة نسب

صغيرة غالباً إلى الأطفال بشكل خــاص: "لكن فى حينه أرسل عائلته وزوجته but duly sent his family and wife " (*Bathurst*,Pope)، حيث لا يزال مع ذلك قد يوجد معنى أهل البيت. فى البداية أشارت family-way، الشائعة منذ أوائل ق ١٨، إلــى معنى familiar لكن فيما بعد وعبر معنى خــاص بالأطفــال دلــت علــى حمــل pregnancy. هكذا كان هناك تداخل، فى الفترة بين منتصــف ق ١٧ وأواخــر ق ١٨، بين هذه المعانى المختلفة لنسب، أهــــل بيــت، مجموعــة نســـب كبيــرة ومجموعة نسب صغيرة.

على الأرجح لم تتوطد سيادة معنى مجموعة نسب صغيرة قبــل أوائــل ق ١٩. ظهر ثقل الكلمة السائد الآن وتعريف الأنواع الكثيرة من الشعور تجاهها فى منتصف ق ١٩ وما بعده. يمكن أن يمثل ذلك تمجيد العائلة البرجوازية ثم التركيز بشدة على مفهوم العائلة المنعزلة كوحدة اقتصادية عاملة فى تطور الرأسمالية. لكن لها صلات أوثق بالإنتاج الرأسمالى المبكر ويمثل تطور ق١٩، بمعنى من المعاني، تمييزاً بين عمل الرجل work وعائلته: يعمل ليعيل عائلته؛ العائلة تعتمد على عمله. فى الواقع من المرجح أن تعريف مجموعة النسب الصغيرة، المدعوم بتطور منازل صغيرة مستقلة وبالتالى أهل بيت، يرتبط بالطبقة العاملة والطبقة "الوسطى – الدنيا" الجديدة التى تم تحديدها عن طريق العمل المأجور: ليست العائلة كنسب أو ملكيــة أو على أنها تشملهما، وليست العائلة كأهل بيت بالمعنى القديم الراسخ الذى يضــم الخدم، ولكن كمجموعة نسب وأقارب لا يمكن تحديد علاقاتها الاجتماعيــة، بــأى معنى ايجابي، إلا عن هذا الطريق. يمكن أن تمثــل family عائلـــة أو family and friends عائلة وأصدقاء الارتباط الايجابى الوحيد فى مجتمع عظيم الحجم ومعقــد يعتمد كليا على كسب أجره. من المهم أن الشعور الطبقي، الاســتجابة الأخــرى الرئيسية تجاه المجتمع الجديد، استعمل أخ وأخت للتعبير عــن الانتمــاء الطبقــي، كما فى عضوية اتحاد العمال، رغم أن فى ذلك سابقة دينية واضحة فــى طوائــف معينة. من المهم أيضا أن هذا الاستعمال لأخ وأخت أصــبح يعتبــر مصــطنعاً أو مضحكاً فى نظــر الطبقة الوسطى. هناك جمعت family عائلــة معنــى واضــحا لعلاقات قرابة الدم مباشرة وإيجابية مع معنى التملك الضمني.

إنه تاريخ صعب وآسر لا يمكن تتبعه إلا جزئياً عبر تطور الكلمة. لكنه تاريخ يستحق التذكر عندما نسمع أن "العائلة كمؤسسة فى طريقها إلى التلاشي" أو أنه فى فترات ماضية، كانت "العائلة هى الأساس الضرورى للنظام والأخلاق، والأمل أن يستمر ذلك ". فى هذه الاستعمالات وأخرى مشابهة فى الوقت الراهن قد يكون مفيداً تذكر الاختلافات التاريخية الكبيرة، وبعض تعقيداتها المتبقية، ومن خلالها يمكننا إدراك التعريفات المتغيرة جذرياً فى العلاقات الرئيسية.

انظر: SEX جنس، SOCIETY مجتمع

## خيال/تخيل/رواية FICTION

لكلمة fiction معنى مزدوج لافت كنوع من التخيل الأدبى IMIAGINATIVE LITERATURE (ا م م) ونوع من الاختراع المحض ( بل أحيانا اختلاق أو تضليل متعمد). المعنيان حاضران فى الإنجليزية منذ مدة طويلة. دخلت الكلمة اللغة الإنجليزية فى ق ١٤ من (س م) fiction، فرنسية، fictionem، لاتينية، من (س ب) fingere، لاتينية : يشكل، يصوغ ؛ أنتج نفس الجذر feign الذى له معنى يلفق، يخترع بتزييف وتضليل، من ق١٣. استعمل كاكستون Caxton الكلمتين معا: "خيال وخداع fyction and fayning" (١٤٨٣) لكن "ficcions" بمعنى أعمال متخيلة سجلت من ١٣٩٨ وفى أواخر ق ١٦ كانت هناك "poeticall fiction" خيال شعرى و"Ancient Fiction" خيال عتيق. كان شائعا بشكل مواز استعمال عام يتراوح بين فرضية مصاغة عمداً (fiction mathematical خيال رياضي، ١٥٧٩) وادعاء مصطنع مثير للشك (fiction of his own من تخيله) وظل هذا الاستعمال فى التداول. توسع معنى fictitious، من أوائل ق ١٧، من هذا الاستعمال إلى معنى اختلاق؛ وتطلب الاستعمال الأدبى البديل اللاحق fictional تخيلي. كان التطور الرئيسى للمعنى الأدبى من أواخر ق ١٨: "dramatic fiction" تخيل درامى (١٧٨٠) ؛ "works of fiction" أعمال تخيل (١٨٤١). من ق ١٩ صار هذا التعبير مرادفاً تقريبا لروايات novels. أدت شعبية الروايات إلى إعادة

تسمية غريبة من قبل المكتبات وتجار الكتب: non-fiction غير تخيلى (أحيانا تستعمل هذه كمعادلة لقراءة "جادة"؛ بعض المكتبات تحجز لروادها الكتب غير المتخيلة أو تدفع أجرة البريد لأى منها لكن ترفض تقديم هذه التسهيلات بالنسبة لكتب التخيل؛ على الأرجح يسهم معنى "اختلاق" (محض اختراع) أو التضاد المألوف بين fiction بمعنى خيال و fact حقيقة فى وضوح هذا التمييز).

لكلمة رواية novel التى هى الآن شبه مرادفة لكلمد تخيّل fiction تاريخها الخاص المثير للاهتمام. يمثل الآن المعنيان اللذان يشير إليهما الاسم " prose fiction" تخيل نثرى والصفة (جديد، خلاق، ومن ثم نوفوتيه novelty) فرعين مختلفين من التطور للسابقة البعيدة novus: لاتينية: جديد - الأول من (س م) novella، إيطالية، novela إسبانية؛ والآخر من novelle ، فرنسية قديمة. حتى أوائل ق ١٨ حملت novel كاسم معنيين: (١) حكاية tale؛ (٢) ما نسميه الآن ، بنفس المفهوم ، أخبارا news. هكذا سميت قصص بوكاشيو، وأريوستو وآخرين novella نوفيلله: قصص قصيرة، سواء تخيلية fictional أو تاريخية HISTORICAL (ا م): قارن العبارة: "فى هذه التاريخيات histories (التى أسميها بعبارة أخرى novelles) يصف حياة ... أمراء عظام" (Painter، ١٥٦٦). من ناحية أخرى، هناك أمثلة بمعنى (٢): "للاستماع إلى novells أخبار من صنعه" (سبنسر Spencer، ١٥٧٩)؛ "يوحى مظهرك الواضح ببعض الأخبار novel التى قد تفرحنا" (ماسينجر Massinger، ١٦٣٦). بل إن أحد "آباء الرواية الإنجليزية" فيلدينج Fielding كتب هذا الحوار فى إحدى مسرحياته:

- ما هذا الخبر؟

What novel's this

- حقا قد يكون مبهجا لك

Faith it may be a pleasant one to you

بناء على سلسلة المعانى هذه عنت novelist بالتتابع مبتكر innovator (ق١٧)، صانع أخبار "news monger" (ق١٨) وكاتب تخيلى نثرى (ق١٨). خلال ق ١٧ وجزء من ق١٨ تناوبت novel فعليا مع ROMANCE (ا م) الأكثر ألفة، رغم أنه بشكل عام اعتبر أنه بالإمكان التمييز بينهما على أساس أن الرواية أقصر (أقرب إلى حكاية) وعلى أساس أنها أقرب إلى الحياة الفعلية. أشار ميلتون (١٦٤٣) إلى أنها "ليست مجرد رواية حب amatorious novel" لكن بحلول منتصف ق ١٨ كانت novel فى طور تحولها إلى الكلمة المألوفة، رغم استمرار إشارات ازدرائية كثيرة كما هو لدى جولد سميث: "هذه المقدرات التى تستطيع تجميع رواية كافية تماماً لإنتاج كوميديا عاطفية" أو الأكثر إصرارا : "لا رواية Novel يمكن أن تكون أكثر أثرا أو أكثر إدهاشا من هذا التاريخ" (ويسلى Wesley، ١٧٦٩). بحلول أوائل ق ١٩ اكتمل تماماً تطور novel كتعبير مألوف لعمل من التخيل النثرى لدرجة ان كلمة جديدة للتخيل النثرى القصير دخلت اللغة: novelette (١٨٢٠). معظم الازدراء الذى حملته novel انتقل إلى هذه الكلمة كما فى novellettish (أوائل ق ٢٠). فى الواقع نستطيع الآن أن نقول أحيانا إن نوفليتز novelettes، أو روايات سيئة، هى اختلاق محض pure fiction بينما تنقل لنا روايات novels (تخيل جاد) الحياة الفعلية.

انظر: CREATIVE خلاق، IMAGE صورة، MYTH أسطورة، ROMANTIC رومانسى

## فولك/شعب FOLK

الصيغة folk هى إحدى تهجيات كلمة مشتركة فى لغات تيتونية؛ فى الإنجليزية القديمة كانت تهجيتها folc . كان لها معنى عام: "شعب" people فى نطاق يمتد من تشكيلات اجتماعية معينة، بما فى ذلك أمم NATIONS (ا م)، إلى الناس عموماً. منذ ق ١٧ أصبح الجمع folks أكثر شيوعاً بالمعنى الأخير؛ بشكل معتاد هى كلمة لطيفة وغير رسمية: الناس كما يرون أنفسهم وليست نظرة من

أعلى أو من الخارج، رغم أن هذا المعنى تم استحواذه أو استغلاله في أشكال معينة من المجال التجاري. كذلك يستعمل "المفرد" folk بطريقة محددة بعد اسم إقليم من أقاليم البلد.

في منتصف ق ١٩ بدأ استعمال محدد مهم. كتب ثومز Thoms، في رسالة إلى مجلة *Athenaeum* في ١٨٤٦) : "ما نصنفه في انجلترا آثاراً قديمة شعبية popular (رغم ... أنه ... يمكن وصفها بطريقة أكثر ملاءمة بمركب سكسوني مناسب Folk-Lore معرفة الشعب)". ترجع lore إلى (س م) lar، انجليزية قديمة. استعملت في الأصل في نطاق من المعاني يمتد من تعليم وتربية إلى تعلم ودراسة، لكنها صارت خصوصاً من ق ١٨ محصورة على الماضي، وذلك مع المعاني المرافقة: تراثي أو أسطوري. يرتبط اقتراح ثومز لفولك بدلاً من popular بنفس النزعة الثقافية مثل اقتراح مراسل في مجلة *Gentleman's Magazine* من ١٨٣٠ بوجوب إحلال lore محل اللواحق اليونانية في أسماء العلوم: starlore بدلاً من astronomy علم الفلك و earthlore بدلاً من geology ... الخ. لم يقتنع عالم العلم والمعرفة التقليدى بهذه الصبغة التمييزية للإحياء الأنجلوسكوني المتعمد، لكن تم حالاً تبني folk-lore فولكلور التي أعيدت صياغتها لاحقاً folklore، في تركيز على معنى استعادي لكل من "علم" و"ماضي". بحلول سنة ١٨٧٨ كانت هناك جمعية فولكلور وكان ثومز مديراً لها، وتم تبني الكلمة وانتشر هذا النوع من الجمعيات بشكل واسع في ثقافات أخرى. سجلت folk-song أغنية فلكلورية من سنة ١٨٧٠.

جزئياً ارتبط الاستعمال المحدد بالتطورات الصعبة في ق ١٩ لشعبي POPULAR (ا م). تطورت الاهتمامات التي تمثلها الكلمة بثبات منذ أواخر ق ١٨ وأعطيت موقعاً رسمياً عن طريق أعمال هيردر Herder والأخوين جرم Grimm. عند هيردر كانت هناك ثقافة الشعوب Kultur des Volkes وعند شليجل Schlegel شعر شعبي Volkpoesie. لم يكن الاهتمام العلمي بأصناف الشعر والقصة والمعتقدات والعادات والغناء والرقص هو العنصر الوحيد في الصيغة المحددة

حديثاً. تركزت محاولات تعريف فولكلور في أواخر ق ١٩ على معنى "survivals" مأثورات معتمدة على تعريف تايلور Tylor في *Primitive Culture* (١٨٧١) (انظر Culture ثقافة) كعناصر تبقى "بقوة العادة وتستمر في وضع مجتمعي جديد". من هذه الناحية يتعلق التشكيل بمجموعة معقدة من ردود الفعل على المجتمع الصناعي والحضري الجديد. أصبحت أغنية فولكلورية folksong محصورة بشكل مؤثر على عالم ما قبل الصناعة وما قبل المدينة وما قبل الكتابة، لكن مع ذلك كانت تنتج بنشاط أغاني شعبية popular ومن ضمنها أغاني عمل صناعي جديدة. في هذه الفترة كان لفولك folk الأثر في إعطاء تواريخ أقدم لكل عناصر الثقافة الشعبية popular culture وقدمت في الغالب كتضاد للأشكال الشعبية الحديثة، سواء تلك التي تنتمي إلى الطبقة العمالية والراديكالية أو التجارية. استمر هذا التوكيد المميز لكن قابلته اعتراضات، سواء من داخل الدراسات الفولكلورية، حيث تم باضطراد إيضاح تعقيد وتفاوت أصول عناصر folk التراث الفلكلوري المختلفة، أو ضمن الدراسات الثقافية cultural studies حيث يوجد اعتراض على كل من فصل الفولك folk الذي ينتمي إلى ما قبل الكتابة وقبل الصناعة عن سواه وعلى خلق تمييزات تصنيفية بين مراحل مختلفة من الإنتاج الثقافي الداخلي والمستقل وأحيانا الجماعي.

تغير الوضع أكثر، خاصة فيما يتعلق بغناء فولكلوري folksong في منتصف ق٢٠ ، عندما برزت حركة الغناء الفولكلوري، وأصبحت واسعة الانتشار ومتشابكة وامتدت ليسع نشاطها تسجيل وتعديل أغاني ريفية شفوية وأخرى صناعية إلى نظم وأداء جديدين بنفس الروح والأسلوب السابقين. تبقى العلاقة بين folk و popular غير مستقرة ومتبدلة والسبب الرئيسي خلف ذلك، كما في تعريف منتصف ق ١٩ ، الأصلي هو تعقيد وصعوبة POPULAR (ا م) المستمرة.

انظر: CULTURE ثقافة، ETHNIC إثني، MYTH أسطورة، PEASANT فلاح ، POPULAR شعبي

## شكلانى FORMALIST

هذه كلمة إنجليزية قديمة، لكنها استعملت بشكل واسع فى ق٢٠ فى سياق جديد نسبياً كنتيجة لاستعمالات الكلمة المقابلة لها فى اللغة الروسية. ظهر معنيان لشكلانى formalist فى الإنجليزية من أوائل ق ١٧: (١) نصير أو مؤيد لمجرد أشكال forms الدين أو مظاهر خارجية له: "formalists and time-servers شكلانيون ومسايرون" (١٦٠٩)؛ (٢) من يفسر الأمور من خلال خصائصها السطحية بدلاً من الجوهرية: "شيء مثير للضحك ... رؤية حيل هؤلاء الشكلانيين ... فهم يجعلون المظهر الخارجى يبدو قواما له عمق وجسم" (بيكون، ١٦٠٧-١٢). فقط يمكن فهم هذا الاستعمال والتشويش المعقد لبعض الاستعمالات الحديثة بالإشارة إلى التطور المعقد لشكل form نفسها. ترجع هذه الكلمة إلى (س م) forme، فرنسية قديمة، forma، لاتينية: هيئة، شكل. كررت form فى الإنجليزية تعقيدات تطورها فى اللاتينية وهناك معنيان ضمن هذه التعقيدات يستحقان بشكل رئيسى الذكر: (١) شكل ظاهرى وخارجى فيه دلالة واضحة على الجسم الفيزيائي: "بالمصادفة التقى ملكاً فى هيئة fourm إنسان" (تقريبا ١٣٢٥)؛ "شكل forme ضئيل، مشهد ممالق، باهت" (١٥٦٨)؛ (٢) مبدأ تشكيل أساسى يحول مادة غير محددة إلى كيان أو شيء محدد نهائي: "الجسد مجرد مادة تكون الروح فيه هى الشكل fourme" (١٤١٣)؛ "حسب تنوع الأشكال الجوهرية تُصنَف أشياء العالم إلى أنواعها" (هوكر Hooker، ١٥٩٤). من الواضح أن form شملت فى أقصى معانيها المدى الكامل من الخارجى والسطحى إلى الجوهرى والمحدد. غطت formality شكلية نفس المدى من "الملابس ... موضوع مجرد شكلي" (هوكر، ١٥٩٧) إلى "تلك الشكليات formalities حيث يكمن جوهرها Essence" (١٦٧٢). فى الاستعمال العام احتفظت form بكامل مداها لكن استعملت formality شكلى و formalist شكلانى ومن منتصف ق ١٩ formalism شكلانية بشكل واسع بطرق سلبية أو رافضة: "بالنسبة للشكلانيين formalists الاحتفالات أوثان" (١٦٣٧)، "تبا أيها الشكلانيون، قساة القلوب والجامدون" (ينج Young، ١٧٤٢)؛ "شكلانية عديمة الجدوى" (كنجزلى Kingsley، ١٨٥٠)؛ "نفاق

وشكلانية" (١٨٧٨). وهناك مثالان لهما صلة بالتطور المحدد اللاحق: "شكلانيون يطالبون بتفسير لأقل الكلمات إبهاما" (١٧٠٧) ؛ " شكلانية النقد المسرحي" (١٨١٤).

مع تعقيدات form ومعانى formalist المعروفة ، فإنه مدهش أن يفهم بطرق مختلفة التعبيران formal method طريقة شكلية و formalist school المدرسة الشكلانية اللذين يمكن التعرف عليهما بهذين المسميين فى الدراسات الأدبية الروسية من ١٩١٦ تقريباً. إضافة إلى ذلك أظهرت formalism شكلانية خلال تطورها اتجاهات وتوكيدات كثيرة ومتنوعة. كان تركيزها السائد على خصائص العمل الأدبى المحددة والجوهرية التى تطلبت تحليلاً تبعا لشروطه الخاصة قبل أن يكون أى نوع من النقاش، خاصة التحليل الاجتماعى والأيديولوجي، ملائما أو حتى ممكناً. تعقيدات النقاش اللاحق لافتة جداً. كان هناك تضاد بسيط (يفعّل تمييزاً معروفاً بين form بمعنى (١) وفحوى أو مضمون content) بين شكلانية formalism القاصرة على اهتمامات جمالية AESTHGTIC (ا م) صرفة وماركسية تعطى الاهتمام للمضمون الاجتماعى والاتجاهات الايديولوجية. فى تطور القوى التاريخية الفعلى وحسمها أصبح المعنى السلبى جداً لشكلانية formalism هو المعروفَ فى الإنجليزية بشكل واسع حيث استعمل كمعادل لأفكار "الفن من أجل الفن". فى نفس الوقت فى بعض تطورات formalism، كان هذا فى الغالب هو الموقف المتبع، بشكل ملحوظ فى فكرة تصنيف مستقل تماماً "للغة الشعرية"، وفى الميل إلى إنكار ملاءمة المضمون أو المعنى الاجتماعى فى أية مرحلةً. طغى الجدل بين هاتين المدرستين (فى المعانى المحددة للشكلانية formalism والماركسية) على الاستعمال حتى ١٩٥٠ تقريباً. بدون شك فى هذه المرحلة عرِّضت شكلانى formalist للشبهة المعانى الإنجليزية السابقة: "مشهد خارجي" "ومظهر سطحي". ما كان أكثر لفتًا لكن صعباً للغاية هو مفهوم كلمة شكل form بمعنى (٢) كمبدأ مُشكِل، سواء فى معناها الواسع (حيث تتداخل مع genre جنس/نوع) أو فى معناها الأكثر تحديدا حيث كانت المبدأ المنظم القابل للاكتشاف ضمن العمل (قارن العبارة "لا يجرؤ أى عمل فيه نبوغ حقيقى على غياب شكل

form ملائم له"، كوليردج). بمفهوم شكل form هذا، أى معنى (٢) مميـزا عـن (١)، يمكن بشكل معقول وصـف التركيز الماركسى كشكلانيـة المضـمون formalism of content، مستخدمين فى ذلك معنى (١) السلبى "مشـهد خـارجي"، ويمكن إثارة أسئلة مختلفة حول التشكيل الفعلى formation (معنى form ٢) للعمل وهو ما يتطلب تحليلا محددا لعناصره فى تنظيم معين. بالإضافة إلى ذلـك، كمـا حدث إلى حد ما (لكن بتحول وتشويش كبير للأسماء) كان هذا النوع من التركيـز الذى يتيح أو فعلا يتضمن توسعاً من الشكل المحدد إلى أشكال أعم وإلى أشكال من الشعور والعلاقات (مجتمع) هو أحد النزعات ضمن شكلانية formalism، مما أتاح وصـفها بشـكلانية اجتماعيـة social formalism (موكاروفسـكى Mukarovsky وفولوسينوف Volosinov). اختلط الغرض بتمييزات (شملت اختلافات عميقة لـم يفصح بالكامل عنها دائما) بين عمليات intersubjective بين أفـراد، واجتماعيـة SOCIAL (ا م) وبين تحليلات synchronic تزامنية وdiachronic متتابعـة زمنيـاً: مصطلحات مستمدة من اتجاه فى اللغويات وتستعمل إما للتعبير عن تمييز مطلـق بين نسق مكتف ذاتياً فى اللغة وبين نسق هو جزء من عملية تاريخية، أو للتعبيـر عن توكيدات بديلة، أحياناً على النسـق وأحياناً على عملية التطور التى تشكل هى لحظـة منـه وتربطهما علاقـات فعليـة وديناميكيـة. علـى العمـوم تبعـت شكلانية formalism (قارن بنيوية structuralism) التركيز السـابق (intesubjective بين الأفراد وثنائية متزامن/متتالي) بدلاً من الأخيـر، لكـن بينمـا لا تقـف فـى معارضتها إلا الماركسية، التى تعامل form شكل كـ "مجـرد تعبيـر" أو "مشـهد خارجي" للمضمون content، فإن مقدرتها فى التحليل الدقيق تظل فعالـة. سـيمر وقت قبل معرفة إذا ما كانت المعانى السلبية للكلمة ستحول دون تقدير التركيز المهم الذى أسهمت فى تكوينه – ولو جزئيا – كل من شـكلانى formalist وشـكلانيون formalists .

انظـر: STRUCTURAL بنائى

## جيـــل GENERATION

كانت الكلمة فى اللغة الإنجليزية منذ ق١٣، من (س م) generatio، لاتينيــة (س ب) generare، لاتينية: يولّد من نفــس نوعــه (جنســه genus). تراوحــت استعمالاتها الأولى بين "فعل التكاثر" و "ناتج التناســل" وهكــذا اســتعملت لذريــة offspring نفس الوالدين، نسل descendants و(هذا يوجهنا نحو الاستعمال الجديــد الأهم) أجيال متدرجة فى الأسرة. كان تطورها المهم فــى اتجــاه الاســتعمالات الاجتماعية والتاريخية أعمق من المعنى البيولوجى المحدد. يصعب تعقــب ذلــك حيث أن استعمالات مثل "الأجيال القديمة the olde generations"، من ق ١٦، تــدل بالفعل على حس تاريخى إلى حد ما وفقا للحيوات المتذكرة وأحيانــا المتعارضــة. كذلك كانت هناك استعمالات مبكرة نسبياً لــــ "جيــل" لغــرض تقــدير الــزمن التاريخي، بمعدل ثلاثين سنة أو ثلاثة أجيال فى القرن. لكن يبدو مرجحاً أن المعنى الجديد الشامل للكلمة بمفهومها المحدد والمؤثر كنوع مميز من الناس أو المواقف لم يكن مهما قبل منتصف ق ١٨ ولم يتطور تماماً إلا منذ منتصف ق ١٩. نجد أحد الاستعمالات المبكرة عند سانت بيف Sainte-Beuve: "الجيل الرومانسي". كما بيّن بيل Bell، فإن مفهوم ديلثى Dilthy لــ "وقت تمت فيه معيشة مشتركة" حاســم فــى فكرة الجيل الثقافي، وأصبح هذا النوع من التحليل منذئذ سائداً فى التاريخ الثقافي.

من المفيد مقارنة التطور، الذى هو على الأرجح مقــارب، لكلمــة period حقبة، من ق١٥، التى ترجع إلــى (س م) periode، فرنســية، (س ب) periodos يونانية: دائرة، دورة من السنين، جملة مصقولة rounded sentence. ترتبط معظم استعمالات period حقبة قبل أوائل ق ١٨ واستعمالات كثيرة منذئذ (دورات حيض periods، ق١٩؛ دورية periodical وفى بعض الأحيان دوريا periodically، يظهر فى فترات منتظمة، من ق ١٧) بفعل متكرر، عادة بانتظام. يبدأ استعمالها للدلالــة على فترة محددة من الزمن تتسم بمعالم مميزة وبالتالى ليست متكررة فى الســيرة والتاريخ فى ق ١٨، ويصبح متطوراً جداً فى الدراسات التاريخية والبيولوجية مــن منتصف ق١٩. يبدو أن generations تبعت بشكل عام نفس المسار متيحة ظهور

مفهوم فيه تركيد على تميز وقت معين أو مجموعة ناس، لكن (كمـــا فـــى حقبـــة) ضمن مفهوم استمرار عام.

هكذا نجــد "الجيل الصاعد"، التى تدل إلى حد ما على التغيير، عند جيبـــون Gibbon (١٧٨١)، ويبدو أن ذلك جزءا من تطور معنى جديد لتاريخ HISTORY (ا م)، وخصوصا التاريخ بصفته تقدمياً متطوراً وبذلك تعززت فكـــرة التميـــز بـــل وأعطيت صفة رسمية. بالتالى سجلت "أذواق الأجيال" فى ١٨٤٧ وهناك فيما بعد، فى أواخر ق ١٩، تطور واضح لمفهوم الاختلاف فى مناقشات مهـــاجرى "الجيـــل الأول" و"الجيل الثاني" خاصة فى الولايات الأمريكية المتحدة. حسب هذا الأســـلوب استقر مفهوم المعنى الزمنى والاجتماعى بشكل سائد. يتم تجاوز الصـــلة بالأســـر المهاجرة، التى تمر عبر حقب periods من التغير الثقافي، إلى استعمالات أشـــمل لاتحتفظ بأى معنى بيولوجى محدد و مضمونها بشكل رئيسى تاريخي.

تضاعفت مثل هذه الاستعمالات منذ أوائل ق٢٠. فى ١٩٣٠ سجلت عبارة "جيل الغارات الجوية" وكذلك الأكثر أهمية " شعور جيلي" التى تعنى مـــا ســـمى بتفاوت الأجيال أو فجوة جيليـــة" "generation-gap"، وهـــى علـــى الأرجـــح مـــن خمسينيات ق٢٠ (سجلت فى ١٩٦٤).

تنعكس سيطرة هذا المفهوم فى بعض اســـتعمالات "جيـــل" الغريبـــة لكـــن المتزايدة فى الانتشار لوصف انماط متعاقبة من الأشياء المصنعة؛ استعملت بالنسبة للكمبيوتر والأسلحة النووية ونظم تقنية متقدمة أخرى منذ أواخـــــر الخمســـينيات وأوائـــل ستينيات ق٢٠. تكون بالتالى الصلة بالفكرة السابقة لذرية بيولوجية فـــى الغالب من باب المفارقة أو أسوأ من ذلك.

إحدى صعوبات "جيل" بهذا المعنى المعزز هى أنه فى فترة تغيـــر ســـريع تكون على الأرجح الحقبة period المستغرقة أقصر وتنقص كثيـــرا عـــن الجيـــل البيولوجي. هناك أيضاً، كما فى معنى حقبة غير المتكرر، مشـــاكل كثيـــرة مـــن التداخل وبالتالى صعوبات فى التعريف الدقيق. مع ذلك، تبدو كلا الكلمتـــين بهـــذه

المعانى عناصر ضرورية من مفردات ثقافة فيها التغير التاريخى والاجتماعى واضح ومتعمد.

انظر: DEVELOPMENT تطور، FAMILY عائلة، GENETIC جينى/وراثى، HISTORY تاريخ، PROGRESSIVE تقدمي

## جينى/وراثى GENETIC

تشكل الكلمة فى بعض الأحيان صعوبات لأن لها معنيين: معنى عام أصبح الآن فى بريطانيا أقل ذيوعاً لكنه لايزال شائعا فى الفرنسية مثلاً، ومعنى محدد فى فرع من العلوم وهو الذى أصبح معروفاً جداً. جينى genetic هى صفة من genesis، لاتينية، genesis، يونانية: أصل، خلق، نشوء، تكوين. دخلت الإنجليزية فى أوائل ق ١٩، فى البداية بمعنى يدل على الأصل كما لدى كارلايل: "التواريخ الأصلية genetic Histories " (١٨٣١). استمر معنى الأصل هذا عند داروين حيث دلت "صلة جينية genetic connection " (١٨٥٩) على الأصل المشترك للناس. لكن حملت genetic كذلك معنى التطور كما فى "تحديدات جينية genetic definitions" (١٨٣٧) حيث الموضوع المحدد "اعتبر حسب التقدم المستقبلي، ما سيؤول إليه" وكان هذا المعنى حاضراً كذلك فى "التطور الجينى لأقسام الكلام" (١٨٦٠). فى ١٨٩٧ عرف علم الجينات genetics فى تمييز له عن telics (علم الغايات) لوصف "عملية نمو" بدلاً من وضع نهائى أو "تام النمو". أظهرت التطورات فى بيولوجيا أوائل ق٢٠ الحاجة لكلمة جديدة. أشار بيتسون Bateson فى ١٩٠٥ إلى "دراسة الوراثة" وكتب: "لا تفى كلمة فى الاستعمال العام تماماً بهذا المعنى ... ولو كانت هناك رغبة فى سك كلمة فإن Genetics قد تفى بالغرض". من هذا الاستعمال نشأ الوصف العلمى المعتاد الآن: " فسيولوجيا الوراثة والانحرافات ... علم الجينات genetics" (*Nature*، ١٩٠٦). لكن لايزال معنى "تطور" الأقدم والأعم فعّالاً كما فى "علم النفس الجيني" (١٩٠٩) الذى

نسميه الآن فى الغالب سيكولوجيا النمو "developmental psychology" دونما اشارة إلى علم الجينات البيولوجي. علاوة على ذلك يظل المعنى الأول كما فى "الزيف الجينى genetic fallacy" (١٩٣٤) زيف فى تفسير موضوع أو تفنيده عن طريق الإشارة الى أسبابه الأصلية.

فى الاستعمال الإنجليزى المعتاد تدل جينى الآن على حقائق الوراثة والانحراف فى سياق بيولوجى (وراثة جينية genetic inheritance، شفرة جينية genetic code ... الخ) لكن بالإضافة إلى الاستعمالات الإنجليزية المتبقية تظهر genetic أيضاً فى الغالب فى ترجمات، خاصة من اللغة الفرنسية، حيث المعنى فى العادة يتعلق بالتشكيل والتطور. هكذا يتم التمييز بين genetic structuralism بنيوية توليدية (جولدمان) وأنواع أخرى من البنيوية STRUCTURALISM (ا م) بتركيزها على التشكيل والتطور التاريخى (وليس البيولوجي) للبنيات structures (أنواع من الشعور). من المرجح أن يساء، فى الغالب، فهم الاستعمال المترجم أو يصبح مرتبطاً ارتباطاً فضفاضا بعلم الجينات البيولوجي.

انظر: DEVELOPMENT تطور، EVOLUTION نشوء، FORMALIST شكلاني، HISTORY تاريخ، STRUCTURAL بنائى

## نبوغ/نابغة/عبقرى GENIUS

دخلت genius الإنجليزية من ق ١٤ بمعناها اللاتينى الرئيسى - (س م) genius، لاتينية: روح حارسة. توسعت الكلمة لتشمل سجية أو ميزة خاصة من ق ١٦ كما هو الوضع حالياً فى "كل امرئ له سجيته المميزة genius (هيوم، ١٧٥٤). بنفس الطريقة استعملت بالنسبة للأماكن من أواخر ق ١٧. إن التطور نحو المعنى الحديث السائد - "مقدرة فائقة" - معقد جداً؛ حدث ذلك بتفاعل متبادل فى كل من الإنجليزية والفرنسية ولاحقا فى الألمانية. يبدو أنه ارتبط فى الأساس

بفكرة روح spirit عبر فكرة إلهام inspiration. بينما لاحظ أديسون Addison فـي ١٧١١ أنه (لاتوجد هناك صفة تعطى بشكل أكثر تكرارا لكاتب من كلمـة "نابغـة genius")، فإن هناك تعريفاً فرنسياً أوضح: "يبدو أن تعبير عبقرية هذا يشير لا إلى المواهب العظيمة دون تمييز فيما بينها ولكن إلى تلك المواهب التى يـدخل فيهـا شيء من الابتكار،" وهذا موجود أيضاً فى الإنجليزية: "دائما تعنـى genius شـيئا خلاقا أو مبدعا" (١٧٨٣). فى الواقع يقترب هذا المعنى دائماً من معنـى خـلاق CREATIVE (ا م) المتطور. يبدو أن التمييز بين عبقرية وموهبة، المتنقل أيضاً بين الإنجليزية والفرنسية والألمانية، اعتمد فى الأصل على هذه الاشارة إلـى أنـواع kinds من المقدرة بدل درجات degrees منها، رغم أنه فى الاستعمال اللاحق تغلب المعنى الأخير. تستعمل الكلمة الآن بشكل واسع جدا لوصف جميع أنواع المقدرات النادرة لدرجة أن بقايا المعنى السابق "سجية مميزة" تكون فى الغالب ملتبسة. مثال جيد هو العبارة " للإنجليزى عبقرية للحلول الوسط".

انظـر: CREATIVE خلاق، ORIGINALITY أصالـة

## هيمنة HEGEMONY

من المرجح أن اللغة الإنجليزية تبنت hegemony مباشرة من اليونانية: (س م) egemonia، يونانية، (س ب) egemon، يونانية: زعيم، حاكم، غالبا المقصـود لبلد غير بلده الأصلي. لم يكن شائعاً قبل ق ١٩ معنى سيطرة سياسية، الذى عادة ما يكون لدولة على أخرى، لكنه استمر منذ ذلك الحين وهو شائع إلى حد ما ويدل، إضافة الى الصفة hegemonic، على أسلوب فيه سيطرة سياسية أو يرمى إليها. فى وقت أحدث، استعملت hegemonism (مبدأ وسلوك الهيمنة) لوصف سياسـة قـوة عظيمة أو قوة عظمى تنوى السيطرة على آخرين (فى الواقع لليهمنة بعض الرواج كبديل لإمبريالية IMPERIALISM (ا م).

كان هناك فى الإنجليزية استعمال مبكر يشيرمن حين لآخر إلى سيادة من نوع أكثر عمومية. من ١٥٦٧ نجد "هيمنة أو سيادة على الأشياء التى تنمو عليك أيتها الأرض"، ومن ١٦٥٦ هناك عبارة "الجزء السائد أو الأسمى للروح". استمرت الصفة مهيمن hegemonic، بشكل خاص بمعنى سيطرة أو مبدأ الغلبة هذا.

أصبحت الكلمة hegemony مهمة فى إحدى صيغ ماركسية ق ٢٠، خاصة بناء على عمل جرامشى (رغم أن التعبير فى كتابته معقد ومتبدل؛ راجع أندرسون Anderson). فى أبسط استعمالات الكلمة توسع معنى سيطرة سياسية من علاقات بين دول إلى علاقات بين طبقات اجتماعية كما فى "هيمنة برجوازية". لكن يمكن اعتبار طبيعة هذه السيطرة بطريقة تنتج معنى أعم يشبه إلى حد كبير استعمالات hegemonic مهيمن الإنجليزية المبكرة. بعبارة أخرى لاتنحصر الكلمة فى أمور التحكم السياسى المباشر لكنها تسعى لوصف سيطرة أكثر عمومية تشمل، كأحد معالمها الرئيسية، طريقة معينة للنظر إلى العالم والطبيعة البشرية والعلاقات الانسانية. تختلف فى هذا المعنى عن مفهوم "رؤية العالم world-view" فى أن طرق النظر إلى العالم وأنفسنا والآخرين ليست فقط حقائق ذهنية وإنما أيضاً حقائق سياسية يفصح عنها فى نطاق يمتد من مؤسسات إلى علاقات وشعور. تختلف كذلك عن أيديولوجيا IDEOLOGY (ا م) فى أنها تعتبر معتمدة فى سلطتها ليس فقط على تعبيرها عن مصالح طبقة حاكمة ولكن أيضاً على تقبل الخاضعين لها عمليا "كواقع معتاد" أو بديهى "حس مشترك commonsense". هكذا هى تؤثر فى التفكير فى "ثورة" REVOLUTION (ا م) فى إصرارها ليس فقط على انتقال السلطة السياسية أو الاقتصادية ولكن كذلك على الإطاحة بهيمنة معينة: بعبارة أخرى، الهيمنة hegemony التى لا توجد بشكل متكامل فى حكم الطبقة فى مؤسسات أو علاقات سياسية فحسب وإنما أيضاً فى أنواع فعالة من التجربة والشعور. هكذا أصبح التركيز على هيمنة ومهيمن يشمل عوامل ثقافية بالإضافة إلى العوامل السياسية والاقتصادية؛ بهذا المعنى هى تتميز عن الفكرة البديلة: قاعدة base اقتصادية وبنية فوقية superstructure سياسية وثقافية، حيث تتغير البنية الفوقية

بتغير القاعدة مهما كانت درجة التأثير غير مباشرة أو مهما تأخر التـأثير. فـى مفهومها الواسع، فكرة هيمنة إذن فكرة مهمة، بشكل خاص فى مجتمعـات تكـون فيها السياسة الانتخابية electoral politics والرأى العام عوامل مهمة ويعتمد فيهـا العمل الاجتماعى على القبول بأفكار معينة سائدة تعكس فى الواقع متطلبات الطبقة السائدة. بخلاف أصناف قصوى من الحتميـة DETERMINISM (ا م) الاقتصـادية حيث يرتفع وينخفض النسـق أو البنيـة STRUCTURE (ا م) الاقتصـادية حسـب قوانينها الخاصة، فإن الصراع من أجل الهيمنة يعتبر ضرورة أو عاملا حاسما فى التغيير الجذرى من أى نوع بما فى ذلك أنواع كثيرة من التغيير فى القاعدة.

انظــــر: CULTURE ثقافة، IMPERIALISM إمبريالية

## تاريخ HISTORY

فى استعمالها الأول كانت history رواية سردية لأحداث. دخلت الكلمة اللغة الإنجليزية من (س م) histoire فرنسية، historia، لاتينيـــة، مـــن (س ب) istoria، يونانية، التى كان لها معنى مبكر: "بحث وتحر"، ومعنى متطور: "نتائج البحـــث"، ومن ثم رواية المعلومات. فى كل هذه الكلمات تراوح المعنى مـــن قصـــة story أحداث إلى سرد أحداث ماضية، لكن كذلك كان معنـــى بحـــث حاضـــراً (قـــارن هيرودتس: "... لماذا دخلوا فى حرب بينهم"). فى الاستعمال الإنجليـــزى المبكـــر استخدمت كل من history و story (اشتقت هذه الصيغة الإنجليزية البديلة من نفس الجذر) لرواية الأحداث سواء كانت متخيلة أو من المفترض أنها صحيحة. اســـتمر استعمال history للأحداث المتخيلة بصيغة مخففة، خاصة فـــى الروايـــات novels. لكن من ق ١٥ اتجهت history نحو سرد أحداث ماضية فعلية واتجهت story نحو نطاق يشمل روايات أقل رسمية لأحداث ماضية وروايات احداث متخيلـــة. مـــن أواخر ق ١٥ كانت history تعنى معرفة منظمة عن الماضى وكان ذلـــك امتـــدادا معمما من معنى رواية مكتوبة محددة السابق. تبعت الكلمات historian مـــؤرخ و

historic و historical تاريخى بشكل رئيسى هذا المعنى العام لكــن مــع بعــض المعانى المتبقية التى تدل على الكتابة الفعلية.

يمكن القول إن هذا المعنى العــام الراســخ لتــاريخ history اســتمر فــى الإنجليزية المعاصرة كمعنى سائد. لكن من الضرورى تمييز معنى مهــم لتــاريخ history يشمل معرفة الماضى المنظمة لكنه يتجاوزها. ليس من اليســير تحديــد تاريخ لذلك أو تعريفه لكن المصدر على الأرجــح هــو مفهــوم تــاريخ history كتطور بشرى ذاتي، ويتضح ذلك من أوائل ق ١٨ لدى فيكو Vico وفــى أنــواع أخرى من التواريخ الكلية أو الشاملة Universal Histories. كانت إحــدى طــرق التعبير عن هذا المفهوم الجديد هى اعتبــار الأحــداث الماضــية لــيس تواريخــا histories محددة وإنما عملية مستمرة ومترابطة. بعــد ذلــك تصــبح تنظيمــات وتفسيرات مختلفة لهذه العملية المستمرة والمترابطة history تاريخاً بمفهــوم عــام جديد وفى النهاية معنى مجرداً. علاوة على ذلك، مع التركيز على التطور الــذاتى تفقد history تاريخ فى كثير من هذه الاستعمالات صــلتها الحصــرية بالماضــى وتصبح مرتبطة ليس فقط بالحاضر ولكن أيضاً بالمستقبل. فى الألمانية هناك تمييز لفظى يجعل هذا أوضح: تدل Historie بشكل رئيسى على الماضى بينما يمكــن أن تشير Geschichte (والكلمة المرتبطة بها Geschichtsphilosophie) إلــى عمليــة تشمل الماضى والحاضر والمستقبل. تعتمد history بهذا المفهوم الحــديث المثيــر للجدل على عدة أنواع من النسق الفكري: بشكل ملحــوظ علــى مفهــوم الأنــوار Enlightment لتقدم أو تطور الحضارة CIVILIZATION (ا م)؛ على المفهوم المثــالى idealist، كما هو عند هيجل، فى عملية العالم التاريخى world-historical ؛ وعلــى مفهوم سياسى للقوى التاريخية historical forces المرتبط بشكل رئيســى بــالثورة الفرنسية ولاحقاً بالحركة الاشتراكية وعلى وجه الخصوص بالماركســية - نتــائج الماضى التى هى فعالة فى الحاضر والتى تحدد المستقبل بطرق يمكن معرفتهــا. من الطبيعى كان هناك جدل بين هذه الصيغ المتباينة لمفهوم العملية وبينها جميعــا وتلك التى تستمر فى اعتبار التاريخ رواية أو سلسلة من الروايات لأحداث ماضية حقيقية لا يمكن بدقة تبين أية خطة فيها أو، أحياناً كبديل لذلك، لا تحتوى على أيــة

إشارات ضرورية للمستقبل. حسب استعمالاتها في منتصف ق٢٠، هنــاك ثلاثــة معانى لتاريخانية historicism: (١) تعريف حيادى نسبيا لمنهج دراسة يعتمد علــى حقائق الماضى ويتتبع سوابق للأحداث الحالية ؛ (٢) توكيد متعمد على ظــروف وسياقات تاريخية متقلبة يجب عن طريقها تفسير كل الأحداث المحددة؛ (٣) معنـــى معاد فيه مهاجمة كل أنواع التفسير أو التنبؤ عن طريــق "ضــرورة تاريخيــة" أو اكتشاف "قوانين تطور تاريخي" عامة ( قارن بوبر Popper). ليس مــن الســهل دائماً تمييز هذا النوع من الهجوم على تاريخانية الذى يرفض أفكار مستقبل حتمى أو حتى مرجح من هجوم مشابه علــى مفهــوم أى مســتقبل future (فــى معنــاه المتخصص كحياة أفضل أو أكثر تطوراً) يستعمل دروس التاريخ بطريقة معممــة جداً (تاريخ history كحكاية حوادث، أحداث غير متوقعة، إحباط أهداف مقصــودة) كطرح خاصة ضد الأمل. رغم أن هذا المعنى الأخير لتاريخ لا يقبل أو يدرك بهذه الطريقة إلا أنه على الأرجح صيغة خاصة من ق ٢٠ لتاريخ history كعملية عامة لكنه يستخدم الآن فى تضاد مع مفهوم الإنجاز أو الأمل الذى كان للصيغ الســابقة والمستمر الفعالية وذلك للدلالة على نمط عام للإحباط والهزيمة.

لذا ليس من السهل القول أى مفهوم لتاريخ history هو السائد حالياً. تبقــى historian مؤرخ دقيقة بمعناها السابق. ترتبط historical تاريخي. بشكل رئيســى ولكن ليس حصرياً بهذا المفهوم "للماضي" لكن تســتعمل historic تــاريخي. فــى الغالب لتشمل مفهوم عملية أو مصير [يشمل الماضــى والحاضــر والمســتقبل]. تحتفظ تاريخ history نفسها بكامل معانيها ولاتــزال تســرد أو توضــح. حســب القراءات المختلفة، معظم أنواع الماضى الذى يمكن معرفته وتقريبــاً كــل أنــواع المستقبل الذى يمكن تخيله.

انظــر : DETERMINE يحدد، EVOLUTION تطور/نشوء

## إنسانية HUMANITY

تنتمي الكلمة humanity إلى مجموعة معقدة من الكلمات تشمل human إنسان/إنساني، humane شفوق، humanism حركة أو فلسفة إنسانية، humanist الصفة منها، humanitarian، خيرى، إحساني، وتمثل هذه الكلمات في بعض أو جميع معانيها تعيينات محددة للكلمة الجذر لإنسان man (homo، hominis ، لاتينية: رجل، يتعلق برجل؛ humanus، لاتينية: يخص أو يتعلق برجال).

من الضروري في البداية إدراك الفرق بين human انسان و humane شفوق، الذى أصبح مستقرا فى صيغته الجديدة فقط من أوائل ق ١٨. قبل ذلك كانت humane هى التهجية المعتادة لنطاق من المعانى يمكن تلخيصه بأنه العناصر المميزة او الفارقة للرجال بالمفهوم العام (قارن MAN) للجنس البشري. (كل الرجال human بشر، أو كما فى التهجية السابقة humane ، لكن كل الناس humans ، هم إما رجال (بمعنى ذكر المحدد) أو نساء أو أطفال.) دلت استعمالات humane الأولى على الفطرة البشرية، لغة بشرية، عقل بشري، لكن كان هناك أيضا من أوائل ق ١٦ استعمال لـ humane يعنى رؤوف، رفيق، دمث، عطوف. بعد أوائل ق ١٨ انحصرت التهجية القديمة على الكلمة المستقلة humane بالمعانى المذكورة توا بينما أصبحت human مألوفة للاستعمال الأعم.

لإنسانية humanity تطور مشابه، لكن فيه اختلافا. استعملت أولا في أواخر ق ١٤، من (س م) humanité، فرنسية، وكان لها مفهوم أولى أقرب إلى humane شفوق التى يحدد تعريفها من human إنسان/إنسانى العامة. ظهرت فى الاستعمال القروسطى مرادفة لدماثة وأدب ولباقة، ولا بد أن يرتبط هذا، دونما أن يكون مطابقاً، بتطور umanità، إيطالية، humanité، فرنسية من humanitas، لاتينية، التى تضمنت معنى واضحاً للطف والكياسة civility. كذلك كان لـ humanitas، معنى محددا هاما يدل على التهذيب الذهنى والتربية العقلية liberal education؛ هكذا هى ترتبط بمجموعة الكلمات الحديثة cultivation

تهذيب/رعاية، CULTURE ثقافة و CIVILIZATION حضارة (ا م م). التطور فـي الإنجليزية من أوائل ق ١٦ معقد. توسع مفهوم دماثة وأدب إلى لطــف وكــرم: "إنسانية ... هى الاسم العام لتلك الفضائل التى تظهر المحبة والوئام المتبادل كجزء من طبيعة الإنسان" (إليوت Elyot، ١٥٣١) لكن هناك أيضــاً من أواخــر ق ١٥ استعمالا لإنسانية humanity يميزها عن divinity ألوهية/لاهوت. ارتكز هذا (قارن Panofsky) على الاستبدال القروسطى للتعارض بين إنســانية humanity قاصــرة وألوهية مطلقة بالتضاد الكلاسيكى الأقدم بين انسانية humanity وما هو أدنى مــن الانسان human سواء أكان ذلك حيوانا أو (وهذا مهم) بربريا. إذن كان هناك من ق١٦ جدل وتعقيد فى التعبير يشمل معانى تمتد من إنجاز مصقول إلــى قصــور طبيعي. بناء على هذا المفهوم عــن بعــض ممثلــى المســرح "كفاقــدى لهجــة المسيحيين، مشية المسيحيين أو الوثنيين أو حتى الإنسان" فكر هاملت شكســبير أن "بعض صناع الطبيعة المهرة خلقوا رجالاً لكن لم يحسنوا خلقهــم، إنهــم يقلــدون الانسان(ية) Humanity بشكل ردئ" (هاملت). لكــن قــارن: " ســأبدل إنســانيتى humanity ببابون (قرد)".(عطيل)

مع ذلك لم يكن شائعاً بالفعل استعمال إنسانية بمفهومها الأكثر تجريداً لتــدل على جملة خصال أو سجايا بشرية قبل ق ١٨ ، رغم أنها أصبحت شــائعة تمامــاً بعد ذلك. كانت هناك لا تزال بقية من المعنى الذى يشمل دماثة ولطــف ، وكــان هناك كذلك المعنى المتطور من humanitas، و umanità الذى يدل على نوع معين من التعليم. كانت هناك استعمالات فى ق ١٥ و ق ١٦ لإنسانية humanity كنــوع من التعليم متميز عن اللاهوت ، وحدد بيكون " ثلاثة معارف: فلسفة إلهية، فلســفة طبيعية وفلسفة إنسانية أو إنسانيات Humanitie (*Advancement of Learning*). لكن فى الاستعمال الأكاديمى أصبحت humanity معادلــة لمــا نســميه الآن classics كلاسيكيات، وعلى وجه الخصوص الكلاسيكيات اللاتينية (لاتزال هناك استعمالات متبقية بهذا المعنى). من ق ١٨ اصبحت الصيغة الفرنســية the humanities ( les humanités) الإنسانيات، أكثر شيوعاً بطريقة متزايــدة فى الاستعمال الأكــاديمى وما يتصل بــه ، مؤدياً فى النهاية الى إضافة الأدب والفلســفة الحــديثين إلــى

الكلاسيكيات. استمر هذا الاستعمال معتادا فى الإنجليزية الأمريكية ، فى تمييز له عن التصنيف البريطانى الأكثر ذيوعا THE ARTS الآداب (ا م).

تنعكس بعض هذه المعانى فى تطور humanist وفى النهاية humanism. على الأرجح استعيرت humanist مباشرة من umanista الإيطالية التى كانت من أوائل ق ١٦ كلمة مهمة فى عصر النهضة. لقد كانت لها فى أواخر ق ١٦ معان معادلة لكل من classicist دارس الكلاسيكيات ودارس المواضيع الإنسانية human وليست الإلهية. هذه صعوبة حقيقية ترتبط من جهة بالتمييزات الباقية بين علم "وثني" وعلم "مسيحي"، ومن جهة أخرى بتمييزات بين "متعلمين" learned (كما هى محددة حسب اللغات الكلاسيكية) وسواهم. هناك أيضاً صلة أبعد تتعلق بالصفة المزدوجة للنهضة: ميلاد جديد أو إحياء rebirth المعارف القديمة؛ الأنواع الجديدة من الاهتمام بالإنسان وبالنشاطات البشرية. مع هذا التعقيد فإنه ليس مدهشا وجود استعمال من أوائل ق ١٧ لإنسانى humanist (موريسون Moryson، ١٦١٧) لوصف شخص مهتم بتاريخ وشئون الدولة. يبدو أن استعمال humanist لوصف فرد فى مجموعة دارسين بارزين فى عصر النهضة وإحياء العلوم أتى لاحقاً فى ق ١٧ لكنه شاع منذ ذلك الوقت.

من ناحية أخرى ، فالأرجح أن humanism استعيرت مباشرة من Humanismus، صيغة ألمانية من أواخر ق ١٨ اعتمدت على مفهوم إنسانية humanity المجرد المتطور. إن النقاش المعقد الناجم ، الذى ينتمى فى جوهره إلى التطور المعاصر لـ "ثقافة" CULTURE و"حضارة" CIVILIZATION (ا م م) ، هو فى الحقيقة موقف من الدين وأصبحت humanism شائعة بهذا المعنى (ككلمة إيجابية مفضلة على إلحاد atheism السلبية). لكن استقر فى ق ١٩ معنى أوسع لإنسانية humanism يرتبط بأفكار ما بعد الأنوار عن التاريخ HISTORY (ا م) كتطوير وتحسين إنسانى ذاتي، وتداخل هذا مع مفهوم جديد لإنسانية humanism يدل على معنى متطور لإنسانى humanist وإنسانيات the humanities: نوع معين من التعليم يرتبط بمواقف معينة من الثقافة CULTURE والتطور أو الكمال البشري.

ظهرت humanitarian أول مرة في بداية ق ١٩ في سياق الجدل حول الدين: تصف الوضع الذي تم منه إثبات كون المسيح إنساناً وليس إلها. لاحظ مور Moore (مذكرات، ١٨١٩) أن أحد معارفه "صدم كنحوى بالكلمة أكثر من كونه رجل دين في طائفة". اتخذت الكلمة هذه الصيغة بالقياس مع unitarian موحد و trinitarian مؤمن بالثالوث. لكن هذه سرعان ما تم تجاوزها. عن طريق الارتباط بمعنى humanism الدال على التطور ، وأهم من ذلك عن طريق الارتباط بأنواع جديدة من النشاط والمواقف المتعلقة بمعنى humane عطوف المحدد الآن، أصبحت humanitarian مستقرة من منتصف ق ١٩ بمعنى ممارسة أو اهتمام عام مدروس بالرفاهية WELFARE (ا م). (هناك معنى خاص فيه مفارقة: قاتل رحيم humane killer، منتصف ق ٢٠.) من اللافت أنه خلال معظم ق ١٩ كان استعمال humanitarian عدائي أو ازدرائي (كما هو الحال في منتصف ق ٢٠ للعبارة do gooder فويعل خير) لكنها الآن من أقل الكلمات إثارة للنزاع. من الأرجح أن تعميمها الاجتماعي لما اعتبر أعمالا ومواقف فردية ومحلية هو ما أثار ذلك العداء (قارن رفاهية welfare في ق٢٠).

من الضروري إضافة ملاحظة نهائية عن human في وسط ق٢٠. بالطبع هي الآن مألوفة بمعاني عامة ومجردة. كذلك تستعمل بشكل شائع للدلالة على حميمية وود (شخص آدمي human جدا). لكن هناك أيضا استعمالا مهما يدل على ما يمكن تسميته قابلية الخطأ المغفورة condoned fallibility (غلطة بشرية "human error"، غلطة بشرية طبيعية "natural human error") ويتوسع ذلك في بعض الاستعمالات ليدل على شيء أبعد من هذه الملاحظة المحايدة نسبيا. العبارة "كان له بالرغم من ذلك جانب إنساني human" لاتعني بالضرورة أن رجلا محترما كان عرضة للخطأ فحسب؛ وإنما يمكن أن تعني أيضا أنه كان مرتبكا أو، في بعض الاستعمالات، أنه ارتكب أعمالا عدة من النزق أو الخديعة أو حتى جرما. (قارن، كانت جين أوستين إنسانة جدا أيضا: أي أنها كانت حاقدة بل قاسية وفجة أحيانا (مجلة التلفزيون TV Times ١٥-٢١- نوفمبر ١٩٧٥). يرتبط المعنى، بوضوح، بالمعنى التقليدي: من طبيعة الانسان human

ليس فقط ان يخطئ ولكن أن يرتكب إثماً. لكن اللافت بخصوص الاستعمال المعاصر، خاصة فى الثقافة البرجوازية الحديثة السائدة، هو أنه أعيد تقييم إثم "sin" بحيث أن أفعالا كانت توصف فى السابق بهذه الصفة كدليل على أخطاء البشرية humanity (مقارنة بكمال الإله) تقدم الآن، بمعنى الاستحسان الذى ليس هو على الدوام ساخرا أو مقنّعا، كبرهان على كون الشخص إنساناً human (ووصف "محبوب" ليس بالبعيد).

انظر: ISMS أسماء صناعية، CULTURE ثقافة، CIVILIZATION حضارة، MAN رجل/إنسان، SEX جنس، WELFARE رفاهية

## مثالية IDEALISM

هناك معنيان رئيسيان لمثالية idealism: (١) معناها الفلسفى الأصلى حيث يعتقد، مع تنويعات كثيرة فى التعريف، أن الأفكار تشكل الأساس وتحدد كل الواقع؛ (٢) معنى حديث أشمل لطريقة تفكير حيث تعتبر حالة أفضل أو أسمى هى طريقة الحكم على السلوك أو للدلالة على فعل. إحدى الصعوبات الحاسمة لمعنى (٢) هى أنها تستعمل خصوصاً فى بعض مشتقاتها، بطريقة فضفاضة فى الغالب، لكل من المدح والذم.

استعملت idealism فى الإنجليزية من أواخر ق ١٨، وكانت سابقتها المباشرة (س م) هى idealisme، فرنسية، وخاصة idealismus، ألمانية. سبقتها بهذا المعنى الفلسفى idealist مثالي، من أوائل ق ١٨. ترجع الإحالة الحاسمة إلى الفكر اليوناني، خاصة افلاطون، وكانت idea موجودة فى الإنجليزية بهذا المعنى من منتصف ق ١٥، رغم أن صيغتها الأكثر شيوعاً حتى أواخر ق ١٦ كانت idee. أصلها البعيد (س ب)هو idea يونانية، من الفعل "يرى" ولها معانى تمتد من مظهر appearance وشكل form إلى النموذج أو النمط الأفلاطوني. للكلمة idea

معان مختلفة: (١) نموذج مثالى ideal type، شائعة من ق ١٥، (٢) شكل، صورة، من ق ١٦، (٣) فكر أو اعتقاد، من ق ١٧. لم يتطور اسم عام لمعنى (٣) مثل ideation أو ايديولوجيا إلا فى أوائل ق ١٩ بعد استعمالات idealism المحددة.

يشير الاستعمال الفلسفى المحدد بشكل واضح إلى الفلسفة الكلاسيكية الألمانية فى أواخر ق ١٨ وأوائل ق ١٩، لكن مع إلماع إلى الماضي، ليس فقط إلى أفلاطون وإنما أيضا لفلاسفة إنجليز مثل بريكلي. لكن تقريباً فى نفس الفترة كان هناك قلب للمعنى فيما يتعلق بالفن والفكر الاجتماعي. افترضت المثالية idealism فى الفلسفة فى كل تنويعاتها المهمة، أن الأفكار idea أساسية، سواء كانت هذه هى الفكرة idea أو الأفكار ideas سماوية أو شاملة، أو كانت هذه الأفكار هى المكوّنة للوعى البشري. واضح أن قلب المعنى بدأ من الإشارة إلى الوعى البشرى. بدأت idealism و idealist مثالى تستعملان من أواخر ق ١٨، وخصوصاً من أوائل ق ١٩ ليس للدلالة على الوعى كنشاط أساسى ومكوّن بقدر ما هى دلالة على نوع خاص من الوعى يُضفى بصورة تخيلية صفات معينة على شيء ما (وذلك فى تعارض مع المعنى الرئيسى للمثالية الفلسفية الذى يستمد فيه الشيء خصائصه بالضرورة من الوعي). وصف الفعل الجديد idealize، من أوائل ق ١٩، خاصة فى استعمالاته الأولى، عمليات الفن ART (ا م). لم يكن شائعاً توسع الكلمة إلى عملية أكثر شمولاً للسموّ التخيلى قبل منتصف ق ١٩ عندما بدأت تكتسب معنى سلبياً للزيف المصاحب (idealization). كذلك تطورت معانى idealism و idealist السلبية من ق ١٩؛ بحلول ١٨٨٤ كانت هناك العبارة الدالة الآن: مجرد مثالى "mere idealist".

يمكن توضيح تعقيدات المعنى اللاحقة بازدواج التضادين pairing opposites. كانت هناك idealism فى تضاد مع MATERIALISM مادية (ا م): فى الأساس معارضة فلسفية لكن فى ق ٢٠ توسعت، بشكل خاص عن طريق توسع كل من التعبيرين، إلى تمييز هو فى الواقع بين نكران الذات "إيثار" altruism واستئثار: تمييز ليست له أية صلة بالنقاش الفلسفى، مهما قد تكون له من جدارة

أخرى، رغم أنه فى الغالب يلتبس معه فى الجدل الاجتماعي. وهناك تعارض idealism مع realism واقعية: فى الأصل هو أيضاً تمييز فلسفي، وله تطور مقارب لوصف أنماط وعمليات فن، لوصف تضاد هو فى الواقع بين غير عملى وعملى practical/impractical، خاصة فى الكلمتين المشتقتين: idealistic و realistic. ثم هناك idealism كمفهوم اجتماعى وأخلاقى إيجابى فى تضاد مع إما أنانية، مصلحة ذاتية أو لامبالاة، مع ضيق أفق شامل general narrowness of outlook. حيث أن كل هذه الاستعمالات الحالية تتعايش فى نقاش فلسفى مستمر ومهم، هو فى حد ذاته معقد بشكل فائق، فإن مثالية idealism هى بوضوح كلمة تتطلب فحصاً دقيقاً كلما تستعمل.

انظر: IDOLOGY ايديولوجيا، MATERIALISM مادية، NATURALISM طبيعية، PHILOSOPHY فلسفة، REALISM واقعية

## أيديولوجيا IDEOLOGY

ظهرت ايديولوجيا أول مرة فى الإنجليزية فى ١٧٩٦ كترجمة مباشرة للكلمة الفرنسية الجديدة idéologie التى اقترحها ذلك العالم الفيلسوف العقلانى rationalist ديستت تريسى Destutt Tracy. كتب تايلور Taylor (١٧٩٦): " قرأ تريسى بحثا واقترح تسمية فلسفة العقل ايديولوجيا". كذلك كتب تايلور (١٧٩٧) "... ايديولوجيا أو علم الافكار Ideas، من أجل تمييزها عن ميتافيزيقية القديمة". بهذا المعنى العلمى استعملت ايديولوجيا فى الابيستمولوجيا والنظرية اللغوية حتى أواخر ق ١٩.

روّج نابليون بونابرت معنى مختلفا وبذلك مهد للمعنى الجديد الرئيسى. فى هجوم على مناصرى الديمقراطية - "الذين ضللوا الناس بمنحهم سيادة ليس فى مقدورهم ممارستها" - هاجم مبادئ التنوير على أنها "أيديولوجيا": "يجب عزو كل

المحن التى ألمت ببلدنا فرنسا الجميلة الى تعليمات الأيديولوجيين ideologues – لهذه الميتافيريقية المسهبة التى تسعى بطريقة بارعة محتالة للتوصل إلى الاسباب الرئيسية وعلى قواعدها ترسى تشريع الناس بدلاً من تبنى قوانين حسب معرفة القلب البشرى ودروس التاريخ". دوى هذا الاستعمال طيلة ق١٩. لا يزال شائعاً فى النقد المحافظ لأية سياسة اجتماعية تستمد جزئياً أو كلياً من نظرية اجتماعية بطريقة مدروسة. تستعمل بشكل خاص فيما يتعلق بالسياسات الديمقراطية أو الاشتراكية، وفى الواقع فى ق١٩ كانت أيديولوجى ideologist، تبعا لاستعمال نابليون، معادلة فى الغالب لثورى revolutionary. لكن كذلك اكتسبت ideologist وideology و ideological عن طريق توسع من مفهوم نابليون معنى نظرية متعصبة، غير عملية أو مجردة. من اللافت قراءة ما كتبه سكوت Scott (نابليون، ج ٤، ٢١٥) أخذين فى الاعتبار تاريخ الكلمة اللاحق: "اعتقد نابليون أن ايديولوجيا، وهى الكنية التى استعملها الحاكم الفرنسى لتحديد كل أنواع التنظير الذى لا يرتكز بأى شكل على قاعدة مصلحة ذاتية، يمكن أن تسود فقط عند صبية سريعى الاهتياج أو متحمسين مختلى العقل". حاول كارلايل Carlyle الذى كان على علم بهذا الاستعمال أن يعارضه: "هل يسمى القارئ الإنجليزى ... مبدأنا البغيض هذا أيديولوجيا؟" (*Chartism*، vi.1839;148).

هناك إذن، استمرارية واضحة بين معنى أيديولوجيا الازدرائى ، كما استعمله المفكرون المحافظون فى أوائل ق ١٩ ، والمعنى الازدرائى الذى روجه ماركس وإنجلز فى "الأيديولوجية الألمانية" (١٨٤٥-٧) وبعد ذلك. ميز سكوت أيديولوجيا كنظرية "لاترتكز بأى شكل على قاعدة مصلحة ذاتية" رغم أن البديل (المبيم بطريق مناسبة) الذى قدمه نابليون فعلاً هو "معرفة القلب البشرى ودروس التاريخ". فى نقدهما لفكر معاصريهما الألمان الراديكاليين، ركز ماركس وانجلز على تجريدها بناء على عمليات التاريخ الفعلية. كما ذكرا، خاصة فيما يتعلق بالأفكار المسيطرة لحقبة، "الأفكار ليست أكثر من التعبير النموذجى للعلاقات المادية المهيمنة، العلاقات المادية مدركة كأفكار". الفشل فى إدراك ذلك ينتج أيديولوجيا: نسخة مقلوبة للواقع. "لو كان الناس وظروفهم فى كل الأيديولوجيا

يظهرون بالمقلوب كما في الحجرة المظلمة فإن هذه الظاهرة تنبع بنفس المقدار من عملية حياتهم التاريخية كما هو الحال في قلب الأشياء على شبكة العين من عمليـة حياتها الفيزيائية". (*الايديولوجية الألمانية*، ٤٧). أو كما صاغها إنجلز لاحقاً:

"كل أيديولوجيا... حالما تنشأ ، تتطور بالنسبة للمادة – المفهـوم، وتطـور بدورها هذه المادة أكثر؛ وإلا فإنها ستكف عن كونها أيديولوجيا، أى انشغال بأفكار يعادل الانشغال بكيانات مستقلة، وتتطور هذه الأفكار باسـتقلالية وتخضـع فقـط لقوانينها الذاتية. كون ظروف الحياة المادية للناس الذين تجرى هذه العملية الذهنية داخل رؤوسهم تحدد في المقام الأخير مسار هذه العملية الذهنية يبقـى بالضـرورة مجهولاً من قبل هؤلاء الناس ، وإلا فستكون هنـاك نهايـة لكـل الأيـديولوجيا". (*فيورباخ*، ٦٥ – ٦٦) وكذلك: "أيديولوجيا هي عملية تنجـز من قبـل ما يـدعى مفكـر بطريقة واعية بالفعل لكن بوعي زائف. تبقى الدوافع العقلية التي تحرضـه غائبـة عنـه، وإلا فلن تكون أبداً عملية ايديولوجية. مـن ثم يتخيل دوافع زائفـة أو ظاهرية. لأنها عملية تفكير فإنه يستمد شـكلها ومحتواها مـن فكـر محـض، سـواء فكره هـو أو فكر سلفه (*Letters to Mehring*، 1893 ). الأيـديولوجيا، إذن، فكر زائف ومجرد يرتبط بشكل ما ارتباطاً وثيقاً بالاسـتعمال المحـافظ الأصـلي للكلمة لكن مع طرح البديل بطريقة مختلفة: معرفة الظروف والعلاقـات الماديـة الفعلية. فيما بعد استعمل ماركس وإنجلز هذه الفكرة بطريقة نقدية. "مفكرو" الطبقة الحاكمة هم "إيديولوجيو مفاهيمها النشطين الذين يجعلون اتمام وهم تلك الطبقة عن نفسها مصدر رزقهم الرئيسي". (الأيديولوجية الألمانية، ٦٥). أو كما في استشـهاد آخر: "كان الممثلون الرسميون للديمقراطية الفرنسية منغمسـين فـي أيـديولوجيا الجمهورية لدرجة أنه لم يبدأ يساورهم شعور بأهمية صراع يونية إلا بعـد عـدة أسابيع" (الصراعات الطبقية في فرنسا، ١٨٥٠). يسـود فـي أعمـالهم مفهـوم ايديولوجيا كوهم، وعي زائف، عدم واقعيـة، واقـع مقلـوب. اعتقـد انجلـز أن الأيديولوجيتين الأسميين "higher ideologies" – الفلسفة والدين – كانتا أبعـد عـن الاهتمامات المادية من الأيديولوجيتين المباشرتين – السياسة والقـانون – لكـن الصلة بينهما، رغـم كونها معقـدة، كانـت لاتـزال حاسـمة (فيوربـاخ

*Feuerbach*، ٢٧٧). كانت هذه الأيديولوجيات الأسمى "عوالم مـن الأيـديولوجيا تحلق عاليا ... تصورات مختلفة زائفة عن الطبيعة وكينونة الإنسان والروح وقوى السحر، الخ ." (*Letters to Schmidt*، ١٨٩٠). اسـتمر هذا المفهوم.

لكن كان هناك معنى آخر لأيديولوجيا يبدو أكثـر حياديـة نجـده فـى بعـض كتابات ماركس، بشكل ملحوظ فى فقرة مشهورة فى *The Contribution to the Critique of Political Philosophy* (١٨٥٩) : "يجب التمييز بين التحول المادى لظروف الانتاج الاقتصادية ... والأشـكال القانونيـة أو السياسـية أو الدينيـة أو الجمالية أو الفلسفية - باختصار الايديولوجية التى يصبح فيها الناس علـى وعـى بهذا النزاع ومن ثم يتقاتلون بشأنه". بوضوح يرتبط هـذا بطـرف مـن المفهـوم السابق: "الأشكال الايديولوجية هى تعبير عن (تغيـرات فـي) ظـروف الانتـاج الاقتصادية. لكن ينظر إليها هنا كأشكال يصبح فيها الناس على "وعـي" بـالنزاع الناشئ من ظروف وتغييرات فى تلك الظروف المتعلقة بالانتاج الاقتصادي. مـن الصعب التوفيق بين هذا المفهوم ومفهوم أيديولوجيا كمجرد وهم.

فى الواقع كان فى القرن الماضى لمفهوم أيديولوجيا هذا، كجملة أفكار تنشأ من مجموعة مصالح مادية مفترضة أو، بشكل أعم، من مجموعة أو طبقة محددة، على الأقل نفس الدرجة من الذيوع مثل مفهوم أيديولوجيا كوهم. علاوة على ذلك، استعمل كل من المفهومين، أحيانا بطريقة مشوشة، ضـمن التـراث الماركسـي. بوضوح ليس هناك أى مفهوم لوهم أو وعى زائف فى فقرة مثل هذه عند لينـين: "للمدى الذى تكون فيه الأيديولوجيا هى صراع الطبقة الكادحة (البروليتاريا) فـإن الاشتراكية تخضع لظروف ميلاد وتطور وترسيخ تلك الايديولوجيا؛ بعبارة أخـرى تعتمد على كل مكونات المعرفة البشرية وتفترض درجة عالية من العلـم science وتتطلب عملا علميا scientific، الخ ... فى صراع البروليتاريا الطبقى الذى ينشـأ تلقائيا، كقوة طبيعية، بنـاء علـى علاقـات رأسـمالية، يقـدم الأيـديولوجيون: "الاشتراكية" (*Letter to the Federation of the North*).

هناك إذن "ايديولجيا بروليتالية" "و ايديولوجيا برجوازية" وسواهما، والايديولوجيا في كل حالة هي نسق الأفكار الملائم لتلك الطبقة. يمكن الادعاء بأن ايديولوجية ما صحيحة وتقدمية في تضاد مع أيديولجية أخرى. بالطبع من الممكن إضافة أن الايديولوجية الأخرى التي تمثل العدو الطبقي، وتعبّر فيه عن مصالح طبقتها، تكون زائفة بالنسبة لأية مصلحة انسانية عامة؛ عندئذ يمكن ربط مفهوم وهم ووعي زائف السابق بطريقة فضفاضة بما هو بشكل رئيسي وصف للطبيعة الطبقية لأفكار معينة. لكن في الواقع أصبح هذا المفهوم لأيديولوجيا، الحيادي نسبياً والذي يتطلب عادة إضافة صفة تحدد المجموعة أو الطبقة الاجتماعية التي تمثلها أو تخدمها، شائعاً في أنواع كثيرة من النقاش. في الوقت نفسه، في الماركسية كما في سواها، هناك تمييز مألوف بين أيديولوجيا وعلم SCIENCE (ا م) بغرض الاحتفاظ بمفهوم فكر وهمي أو فكر تجريدي فقط. هذا يطور التمييز الذي اقترحه إنجلز والذي تنتهي فيه الأيديولوجيا عندما يدرك الناس ظروف حياتهم الفعلية وبالتالي دوافعهم الفعلية ويصبح بعد ذلك وعيهم علميا scientific بطريقة صادقة لأنهم سيكونون على صلة بالواقع ( قارن Suvin). بالطبع كانت محاولة التمييز هذه بين الماركسية على أنها علم science وبين الفكر الاجتماعي "الآخر" على أنه ايديولوجيا، موضع خلاف بين الماركسيين أنفسهم. في نطاق مصطلح "علوم اجتماعية" العريض، هناك تمييز مألوف بين ايديولوجيا (نظم تأملية speculative systems) وعلم science ( حقائق مثبتة demonstrated facts).

في الوقت الراهن، في النقاش الرائج، لايزال يستعمل بشكل رئيسي المعنى الذي حدده نابليون. يعتمد الناس العقلاء على الخبرة EXPRRIENCE (ا م) أو تكون لهم فلسفة ويعتمد السخفاء على ايديولوجيا. بهذا المعنى تعتبر ايديولوجيا بشكل رئيسي الآن تعبير استهجان كما كانت عند نابليون.

انظر: DOCTRINAIRE نظري/غير عملي، EXPERIENCE خبرة، IDEALISM مثالية، PHILOSOPHY فلسفة، SCIENCE علم

صورة IMAGE

كان معنى image المبكر في الإنجليزية، من ق ١٣ هو: شكل مجسّم أو تشابه. هذا هو أيضا المعنى الأول للأصل البعيد imago (لاتينية) التي مع ذلك تطورت كذلك لتشمل معنى شبح، خيال، طيف، ومعنى فكرة أو مفهوم. هناك على الأرجح صلة بين تطور جذر كلمة "صورة" وتطور جذر كلمة imitate يقلد، لكن كما في كلمات كثيرة تصف هذه العمليات فإن (قارن vision رؤيا و idea فكرة) هناك توترًا شديدًا بين أفكار "نسخ" copying وأفكار خيال imagination وخيالي imaginary. كل من هذه دلت في الإنجليزية، على الدوام، على مفاهيم ذهنية، بما في ذلك معنى سابق لرؤية مالم يكن موجوداً ، فضلا عن مالم يكن مرئيا بوضوح. لم يكن لها ذلك المعنى السلبي الذي التصق بها فيما بعد.

كان المعنى المادي للكلمة image سائداً حتى ق ١٧، لكن من ق ١٦ استقر المعنى الأعم الذي حمل إشارة ذهنية طاغية، ومن ق ١٧ كان هناك استعمال مهم ارتبط بالنقاش حول الأدب ودل على "تشبيه" أو استعارة (figure of writing or speech). ولم تفقد معناها المادي في الإنجليزية المعاصرة لكنه اكتسب ايحاءات غير مواتية فيها تداخل مع idol وثن، تمثال. لايزال المعنى العام لتصور ذهني (قارن "... the image of"، صورة ... : نموذج دال أو ممثّل) معتادا والاستعمال المتخصص في الأدب شائعاً.

لكن في بعض الأحيان يبدو أنه تم تجاوز كل هذه الاستعمالات من قبل استعمال image المرتبط بالدعاية publicity الذي يمكن اعتباره قائما على معنى "تخيل" conception أو "نموذج دال" السابقين، كما في "brand image" صورة العلامة التجارية أو اهتمام رجل السياسة بصورته his image. في الحقيقة هذا تعبير اصطلاحي (رطانة) في مجال الاعلان والعلاقات العامة. تعززت صلته وتوثقت بسبب الاهتمام المتزايد لوسائل الاعلام المرئي مثل التلفزيون. تطور بالفعل معنى image في الأدب والرسم لدرجة أن الكلمة استعملت لوصف الوحدات الأساسية المكونة للفيلم. في الواقع يدعم هذا المعنى التقني عمليات صورة image

التجارية والموجّهة بصفتها "سمعة" أو "صيت" مدرك. من اللافت أن معانى خيال، تصور imagination وبوجه خاص imaginary خيالى يتم تجنبها فى استعمال صورة image فى الدعاية والسياسة فى منتصف ق٢٠.

انظـــر: FICTION خيال/رواية، IDEALISM مثاليـــة، REALISM واقعية

## إمبريالية IMPERIALISM

تطورت إمبريالية ككلمة خـــلال النصـــف الثـــانى مـــن ق ١٩. إمبريـــالى imperialist أكثر قدما، لكنها حتى أواخر ق ١٩ عنت موالٍ لإمبراطور أو لنظـــام حكم إمبريالي. كانت إمبريالى imperial ذاتهـــا فى الإنجليزية بنفـــس المعنـــى القديم من ق ١٤؛ (س م) imperialis، (س ب) imperium، لاتينية: سلطة، ســيادة عليا.

تطورت إمبريالية، وإمبريالى بمعناها الحديث، بشكل رئيسى فى الإنجليزية، خاصة بعد ١٨٧٠. كان معناها دائما موضع نزاع حيث قدمت تبريرات وتفسيرات مختلفة لنظام تجارة استعمارية منظّم وحكـــم اســـتعمارى مـــنظّم. مـــع ظهـــور إمبرياليات منافسة تبدل الجدل داخل بريطانيا بشكل واضح. كان هناك نقاش مؤيـــد ومعارض للتحكم فى المستعمرات عسكريا بغرض ابقائها ضمن نظـــام اقتصـــادى واحد، الذى عادة ما يكون حمائيا portectionist. كذلك كانت هناك حملة سياســـية طويلة الأمد من أجل مساواة "الإمبريالية" بالحضـــارة CIVILIZAION (ا م) الحديثـــة والمهمة الحضارية "civilizing mission".

اكتسبت امبريالية دلالة محددة فى أوائل ق ٢٠ فى أعمال عدد من الكتاب – كوتسكى Koutsky، باور Baur، هوبسن Hobson، هيلفردنج Hilferding، ولينـــين – الذين يربطون بطرق مختلفة ظاهرة الإمبريالية الحديثة بمرحلة معينة من تطـــور الاقتصاد الرأسمالى CAPITALIST (ا م). هناك أدبيات ضخمة ومستمرة عن هـــذا

الموضوع. كان لتأثيرها الرئيسى على استعمالات الكلمة انقسام واضح ، وأحياناً التباس بين تركيز على نظام سياسى أو نظام اقتصادي. لو كانت الامبريالية، كما عرفت عادة فى أواخر ق ١٩ فى إنجلترا بالدرجة الأولى، نظاماً سياسياً يتم حكم المستعمرات فيه من مركز امبريالى لأسباب اقتصادية إلى جانب أسباب أخرى اعتبرت مهمة ، فإنه يمكن وصف منح الاستقلال أو الحكم الذاتى لاحقا لهذه المستعمرات، كما حدث فعلاً، "بنهاية الإمبريالية". من ناحية أخرى، لو فهمت الإمبريالية فى المقام الأول كنظام اقتصادى للاستثمار الخارجى والتغلغل والتحكم فى أسواق ومصادر المواد الأولية ، فإن التغييرات السياسية فى وضع المستعمرات أو المستعمرات السابقة لن يؤثر كثيراً على وصف النظام الاقتصادى المستمر بإمبريالى، وفى الطرح السياسى الحالى غالبا ما يلفها الغموض فتبدو ذات معنى ملتبس. هذا هو الوضع بالنسبة لـ "الإمبريالية الأمريكية"، حيث للدلالة السياسية عموماً أهمية أقل، خصوصاً إذا ما حملت الكلمة معنى ق ١٩ كحكم مباشر من مركز إمبريالى، لكن لا تزال صحيحة حيث الدلالة بشكل رئيسى اقتصادية، بما يتضمنه ذلك من تحكم سياسى وعسكرى. استعملت الكلمة بشكل واسع منذ منتصف ق ٢٠ بصيغتها المركبة neo-imperialism امبريالية جديدة وبصيغة أضيق neo-colonialism كولونيالية جديدة لكى تصف هذا النوع الأخير من الإمبريالية. فى الوقت نفسه تم إحياء صيغ تحمل المعنى القديم فى أوصاف معارضة: " إمبريالية سوفياتية"، وفى الصيغة الصينية "إمبريالية إشتراكية" لوصف إما الطبيعة الاقتصادية أو السياسية لعلاقات الإتحاد السوفيتى بالدول التابعة (قارن "الإمبراطورية السوفياتية Soviet Empire"). هكذا تستخدم نفس الكلمة النافذة، والتى يكاد يكون الآن معناها دائما سلبيا، للدلالة علي: نظم سياسية واقتصادية مختلفة جذرياً أو متعارضة. لكن كما فى حالة ديمقراطية DEMOCRACY (ا م) التى تستعمل بمعنى ايجابى لوصف نظم سياسية متعارضة فإنه لايمكن اختزال إمبريالية دلاليا إلى معنى واحد صحيح، مثلها فى ذلك مثل أية كلمة تدل على صراعات

سياسية واقتصادية أساسية. تشير تنويعات المعانى التاريخية والمعاصرة الهامة لهذه الكلمة إلى عمليات فعلية يجب دراستها وفقاً لمعطياتها.

انظر: HEGEMONY هيمنة، NATIVE وطني، WESTERN غربي

## يُحسّن IMPROVE

الكلمة improve مثال لافت لانبثاق معنى عام شامل من معنى ضيق محدد. دخلت الإنجليزية، فى البداية بصيغ تهجية كثيرة، من (س م) en preu فرنسية قديمة، (س ب) pros : يربح profit. فى استعمالاتها الأولى أشارت إلى عمليات ربح مادى حيث كانت غالبا معادلة لـ "يستثمر invest " وأشارت بشكل خاص إلى عمليات [بيع وشراء] أراض أو ما يتعلق بها، فى الغالب تحويش أراضى عامة أو قاحلة. من ق ١٦ الى أواخر ق ١٨ كان المعنى السائد هو عمليات استثمار "رابحة" مرتبطة بالأرض؛ فى ق ١٨ كانت كلمة أساسية تعبر عن نمو الرأسمالية الزراعية الناهضة، و لا تزال عبارات مثل: "using to make a profit" استعمال لجنى ربح" و"improve the occasion يحسن استغلال الفرصة" و " improve the hour يغتنم الوقت" مستخدمة حتى وقتنا هذا. تطور المعنى الأشمل making something better" جعل شيء ما أفضل، من ق ١٧ ، وأصبح مستقراً. غالبا فى تداخل مباشر مع عمليات اقتصادية، فى ق ١٨. لاحظ كاوبر Cowper هذا المعنى وانتقده:

كذلك "التحسين" هو معبود العصر

Improvement too, the idol of the age, is fed with many a victim.

يقدم له قرباناً ضحايا كثيرون

(*The Task*.iii. 764-5.1785)

مــن منتصــف ق ١٨ كانــت هنــاك العبــارة الدالـــة "improve oneself" "تحسين/تطوير الذات" وعبارات أخرى مثل "improving reading" "تحسين القراءة". كانت جين أوستن Jane Austen على وعي بمعاني "تحسين" التي أحيانا ما تكــون متناقضة فليست كل العمليات الاقتصادية تؤدى إلى تهــذيب/ تحســين اجتمــاعى وأخلاقى بل قد تكون معوقة له كما تصــف فــى روايتهــا Persuasion (الفصــل الخامس) عائلة "ملاك أراض" بأنها "فى حالة تغيير و"ربما" تحسين". فيمــا بعــد أصبح فصل المعنى العام مــن المعنى الاقتصادى معتادا، لكن الصلة الأساسية بين "جعل شيء ما أفضل" و "جنى ربح من شيء" مهمة عنــدما يــتم تــذكر التــاريخ الاقتصادى والاجتماعى الذى تطورت خلاله الكلمة بهذه الطرق. من المفيد مقارنة تطور كلمة interest حصة/مصلحة الموازي.

انظر: DEVELOPMENT تطــور/نمــو: EXPLOITATION
استثمار/استغلال، INTEREST حصة/مصلحة

## فــرد/مفــــرد INDIVIDUAL

فى الأصل عنت individual غير قابل للانقسام، لايتجزأ. ومهما يكن المعنى متناقضا مع نفسه فإن "فردي" تحمل بين طياتها تمييزا عن الآخرين فى حين تؤكــد الصيغة الجديدة indivisible على صلة الترابط بين الأجزاء. تطور المعنى الحــديث من المعنى القديم هو سجل فى اللغة لتاريخ سياسى واجتماعى استثنائي.

اشتقت الكلمة السابقة مباشــرة مــن indiviualis، لاتينيــة وســطى، مــن individuus، لاتينية ق٦، الصفة السلبية (in) بالإضــافة إلــى (س ب) dividere، لاتينية: يجزئ، يقسم. استعملت individuus لترجمــة atomos، يونانيــة: لايمكــن قطعــه، لايتجــزأ. حدد بوثيوس Boethius، ق ٦، معاني individuus:

"يمكن تسمية شيء "مفرد" individual بطرق مختلفة: مايسمى مفردا هو مالا يمكن تجزئته أبــدا مثل وحدة unity أو روح(١)؛ مالا يمكــن تجزئتــه لقســوته

مثـل الفـولاذ يسمى "فـــردا" (٢)؛ يســمى individual فـــردا أوحـــد مــن لاينطبـــق وصفه علـــى ســواه مـــن نفـس النـــوع مثل ســـقراط (٣).( In (Porphyrium commentarium liber secundus

يمكن العثور على indiviualis و indiviual بمعنى عدم التجزئة الجوهرى فى الجدل الثيولوجى القروسطي، خاصة فيما يتعلق بالنقـاش حـول وحـدة الثـالوت (استعملت عندئذ أيضا الصيغة البديلة indivisible): "من أجل ... جـلال الثـالوت السامي والذى لايتجزأ" (١٤٢٥). استمر معنى (١) فى الاستعمال العام حتى فترة متأخرة من ق ١٧: رباط الزوجية "وحدة individuall لاتتجزأ إلى رجل وزوجته" (١٦٢٣)؛ "يقسم ... الكنيسة الكاثولكية الواحدة individuall إلى جمـاهير متعـددة" (ملتون، ١٦٤١). استحوذت "ذرة" atom فى الفيزياء من ق ١٧ بشكل عام علــى معنى (٢). لكن معنى (٣) الذى يدل على شخص واحد متميز هو الذى لــه مــن أوائل ق ١٧ السجل الأكثر تعقيداً.

يحـدد التحـول بشكل واضـح اسـتعمال عبــارة " in the individuall" مقابـــل "in the general" فى العموم. يمكن قراءة هــذه الاســتعمالات المبكــرة بمفهوم جديد فالكلمة لاتزال معقدة: "فيما يتعلق بسلوك المتعلمين فإن ذلك شخصى وفــردى personal and individual" (Bacon، *Advancent of Learning*, I، 1650؛iii). بالنسبة إلى الصفة [فردي/فرداني] كان المعنى المتطــور فـــى البدايـــة "غريب" و "شاذ": "يجب أن يكون المرء مختلفاً عن بقية الناس وغريبـــاً individuall يحيد بشكل ما عن طبيعته التى فطر عليها (بــراون Browne، ١٦٤٦). المعنـــى، كما هو هنا، غالبا ازدرائي. استعملت الكلمة بطريقــة مشـابهة لاحتجـاج "دون" Donne ضد الكلمتين الجديدتين "singularity" فرادة و "individualism" فردانية:

For everyman alone thinks he hath got

فكل شخص وحيد يعتقد أنه يجب

To be a Phoenix,and that then can be

أن يكون عنقاء

**None of that kind of which he is but he**

**ولايمكن أن يكون أحد من هذا النوع الفريد سواه**

(*First Anniversarie* ، 1611)

يعتمد هذا النوع من التفكير على المفهوم السائد للطبيعة البشرية، لذلك فـإن كلمة فرد individual تعامل في الغالب على أنها نوع من الانحراف عن ذلك فيـه شذوذ وغرور. لكن في بعض النقاش أدى التضـاد بـين "فـي العمـوم in the general" وفي الحالة المفردة in the individual"" إلـى الظهـور الحاسـم للاسـم الجديـد. يكاد يكون موجوداً عـند جاكسون Jackson (١٦٤١): "السلم ... هو السند الفعلي للأفراد individualls والأسر والكنائس وجماعات الكومنولث"، رغم أن "individualls أفراد" لاتزال تعني هنا طبقة. ربما لم يبـرز المعنـى الاجتمـاعي الحديث حتـى لـوك (Locke: *Human Understanding*، III، vi، 1690) لكـن فقـط كصفة: "فكرتنا عن أي رجل فرد "any individual Man".

فعلياً لم يكن التطور حاسما للاسم المفرد في الفكر السياسي أو الاجتمـاعي فيما عدا حقلين خاصين: المنطق، ومن ق ١٨ البيولوجيا: (الفرد... في المنطق... يعني ذلك الذي لايمكن قسمته الى أجزاء بنفس الاسم أو من نفس الطبيعة) (فيلـبس Phillips،١٦٥٨). فصـل تشـامبرز Chambers (١٧٢٧-٤١) هـذا التصـنيف المنهجي: " يكون التقسيم المعتاد في المنطق إلى أجناس ... هـذه الأجنـاس إلـى أنواع species، وهذه الأنواع إلى أفراد individuals. من ثم كان نفـس التصـنيف المنهجي متاحاً في البيولوجيا الحديثة. حتى ق ١٨ نادراً ما اسـتعملت 'individual فرد" دون صلة واضحة بمجموعة يشكل فيها الجزء أقصى درجات التقسيم. هـذا هو الوضع حتى فيما يبدو استعمالاً حديثاً عند درايدن Dryden:

**That individuals die, his will ordains;**

**كون الأفراد يموتون، هذا قضاؤه؛ يبقى مع ذلـك النــوع متكاثرا.**

**The propagated species still remains. (*Fables Anicent and Modern*, 1700)**

حتى أواخر ق ١٨ لم يمكن بوضوح ملاحظة تحول حاسم فى استـعمالات الكلمة: "بين الشعوب المتوحشة من صيادين وقناصين يقوم كل فرد **individual** ... بعمل مفيد". (آدم سميث، ثروة الأمم، المقدمة، ١٧٧٦). كان هناك ازدهار ملحوظ للكلمة خلال ق ١٩، سواء فى البيولوجيا أو فى الفكر السياسي. فـى البيولوجيـا التطورية أدرك داروين (*أصل الأنواع*، ١٨٥٩) "أن لا أحد يفترض أن كل الأفراد **individuals** من نفس النوع يسبكون فعلاً فى نفس القالــب". باضــطراد لحقـت بالكلمة فرد **individual** – مثال واحد لمجموعة – وتجاوزتهـا كلمــة الفــرد "**the individual**" لتعني: ترتيب جوهرى للوجود.

يمكن عزو ظهور مفاهيم فردية **individuality** بالمعنى الحديث إلــى تفتـت النظام الدينى والاجتماعى والاقتصادى القروسطي. فــى الحركــة العامــة ضــد الاقطاع كان هناك تركيز جديد على وجود الإنسان الشخصى بالإضافة إلى موقعه ووظيفته فى مجتمع تراتبي. كان هناك توكيد مشابه فى البروتستانتية علــى صــلة الانسان المباشرة والفردية **individual** بالله، فى تعارض مع تلــك العلاقــة التــى تتوسط فيها الكنيسة. لكن لم يعتمد حتى أواخر ق١٧ و ق١٨ أسلوب جديــد مــن التحليل فى المنطق والرياضيات ينص على أن الفرد **individual** مفرد/فــرد هــو الكيان الجوهرى (قارن "**monad**" الفيلسوف **Leibniz** ليبنز: عنصر الوجود الأولى) الذى تبنى عليه تصنيفات أخرى وخصوصا التصنيفات الجامعة. ولقد تبنى الفكــر السياسى التنويرى هذا النموذج بشكل أساسي. استهل النقاش أفراد لهم وجود مبدئى وأساسي، ومنهم استنبطت نظم المجتمع وصيغت أشكاله: عن طريق الخضوع (كما لدى هوبز) عن طريق الموافقة والعقد، أو عن طريق الصيغة الجديدة من القــانون الطبيعى (كما فى الفكر الليبرالي). فى علم الاقتصاد الكلاسيكى افتــرض نمــوذج

التجارة أفرادا مستقلين يقررون فى مرحلة مبكرة الدخول فـــى علاقـــات تجاريـــة واقتصادية. في علم الأخلاق النفعى قدّر "الأفراد" المستقلون نتائج كـل فعـــل قـــد يقومون به. انتُقد الفكر الليبرالى المعتمد على "الفرد" كنقطة انطلاق من قبل مواقع محافظة: "الفرد أحمق ... الجماعة حليمة" (بيرك Burke)، لكن كـــذلك فـــى ق ١٩ انتقد من قبل مواقع اشتراكية كما هو بشكل ضليع عند ماركس الذى هاجم تضـــاد التصنيفين المجردين: فرد "individual" ومجتمع "society" وجادل بأن الفرد اختراع نشـــأ ضمن علاقات تحدده DETERMINED (ا م).

معنى individual الحديث هو، إذن، نتيجة لتطور مرحلة معينة مـــن الفكـــر العلمى ومرحلة من الفكر الاقتصادى والسياسي. لكن بدأ يظهر فعلاً تمييز ضـــمن ذلك يمكن تلخيصه فى تطور كلمتـــين مشـــتقتين: individuality فرديـــة/شخصـــية و individualism فردانية. تنسجم الأخيرة مع الحركة الرئيسة للفكـــر الاقتصـــادى والسياسى الليبرالي. لكن هناك تمييز بيّنـــه شـــميل Simmel: "فردانيـــة اســـتثناء Einzigheit مقابل فردانيـــة وحدانية Einzelheit . يجادل شميل بأن singleness - الفردانية المجردة - تعتمد على فكر كمى يتمركز فى الرياضيات والفيزياء ق ١٨. بالمقابل الفرادة uniqueness هى تصنيف نوعى ومفهـــوم مـــن مفـــاهيم الحركـــة الرومنسية، كذلك هى مفهوم من البيولوجيا التطورية التى يتم التركيز فيها عنـــى النوع species والفرد المرتبط به، لكن مع إدراك الفرادة ضمن النوع. يخلط الآن كثير من النقاش عن الفرد individual ما بين المعنيين المميزين اللذين تشير إليهمـــا الفردانية individualism والفردية individuality. تاريخ الأخيرة أطول وهو نتيجـــة لمجموعة المعانى التى تطورت فيها individual مركزة على كل من الفرد الوحيـــد unique والعضوية (التى لا تتجزأ indivisible) فى مجموعة. سكت individualism فى ق١٩: "تعبير جديد ولدته فكرة جديدة" (توكفيل، ١٨٣٥): نظرية ليســـت فقـــط لأفراد مجردين abstract individuals وإنما كـــذلك للأهميـــة الأساســـية لمواقـــف ومصالح فردية individual.

انظر: MAN رجل/إنسان، PERSONALITY شخصية، SOCIALISM إشتراكية، SOCIETY مجتمع، SUBJECTIVE ذاتي/شخصي

## صناعة/جهد/كد INDUSTRY

هناك معنيان رئيسيان للكلمة Industry: (١) الخصلة البشرية للانكباب على، أو المجهود المستمر من أجل؛ (٢) مؤسسة أو مجموعة مؤسسات للإنتاج أو التجارة. ينقسم المعنيان بطريقة واضحة ودقيقة عن طريق صفتيهما Industrious مجد، كادح و industrial صناعي.

كانت industry فى الإنجليزية منذ ق ١٥، من (س م) industrie، فرنسية، (س ب) industria، لاتينية: مثابرة. كتب إليوت Elyot فى ١٥٣١: "لم تكن industrie قيد الاستعمال فى الإنجليزية لمدة طويلة مقارنة بـ Providence العناية الإلهية، لذا فهى أغرب وتتطلب شرحاً بسيطاً"، واستمر ليعرّفها كإدراك سريع، وابتكار جديد و استشارة فى وقتها. لكن كانت هناك استعمالات معاصرة كمضاد لكلمة بلادة أو خمول، ومرادفة لمثابرة ؛ وفى استعمال خاص عنت وسيلة أو طريقة عمل. كانت industrious، التى تعنى إما ماهر أو مجتهد، هى الصفة المشتقة الشائعة من منتصف ق ١٦، لكن ظهرت كذلك فى ق ١٦ industrial للتمييز بين فواكه متعهدة بالعناية industriall وأخرى طبيعية natural. بالتالى كانت industrial نادرة أو غائبة حتى أواخر ق ١٨ عندما بدأت التطور الذى جعلها شائعة بحلول منتصف ق ١٩، وربما كان ذلك فى شكل استعارة جديدة من الفرنسية.

من ق ١٨ بدأ معنى industry كمؤسسة أو مجموعة مؤسسات فى الظهور. فى ١٦٩٦ كان هناك ذكر لـ "كلية صناعة College of Industry لكل زراعة وتجارة مفيدة"، وذكرت لاحقا "مدارس صناعة Schools of

Industry" مرتبطة بمدارس الأحد. لكن كان الاستعمال الأكثر ذيوعــا فـــى ق ١٦ فى " دار الصناعة House of Industry": إصـــلاحية أحـــداث workhouse ، حيـــث تتضافر أفكار الانكباب الاجبارى والعمل المفيد. ثم هناك عند آدم سميث استعمال معمم حديث: "... ودائع مالية موجهة للمحافظة على الصناعة" (*ثروة الأمم*، جـــ ٢، فصل ٣، ١٧٧٦). على الأقل بحلول أربعينيات ق ١٩ كان هذا الاســتعمال شائعاً: "صناعتنا الوطنيــة (دزرائيلـــى Disraeli، ١٨٤٤)؛ "زعمـــاء الصـــناعة"، (كارلايل، ١٨٤٣). بشكل عام كانت industry كخصلة بشرية بدلاً من مؤسسة إلا أنه بعد هذه الفترة أصبح هذا المعنى ثانوياً وتبقى بشكل رئيسى محصوراً فى أنواع مختلفة من إشارات التفضل.

تأثر بشكل جذرى معنى industry كمؤسسة من فترة اســتعمالتها الرئيســية الأولى باشتقاقين إضافيين: industrialism التى سكها كارلايل فى ثلاثينيـــات ق ١٩ للدلالة على ترتيب جديد للمجتمع يعتمد على إنتاج ميكانيكى منظم، وعبارة ثـــورة صناعية industerial revolution التى هى الآن مصطلح مركزي. بشـــكل خـــاص يصعب تتبع تطور الاشتقاق الأخير. يسجل فى العادة أن آرنولد تـــوينبى Arnold Toynbee استعملها لأول مرة فى محاضرة ألقاها فى ١٨٨١. لكن هناك استعمالات أسبق فى الفرنسية والألمانية. تتبـــع بيزانسون Bezanson (١٩٢٢) عـــدة كلمـــات فرنسية مقاربة لـــ revolution و industrielle بين ١٨٠٦ و ١٨٣٠، لكن يعتمد تحليلها على فهم الطرق التى كانت فيه كل من REVOLUTION (ا م) و industurial تتحول فى كل من الإنجليزية والفرنسية. أشـــارت معظم الاستعمالات الأولى إلى تغييرات تقنية فى الإنتاج- معنى شائع لاحق لـــ "ثورة صناعية" نفســـها – وكـــان هـــذا لايزال المعنى الرئيسى حتى وقت متأخـــر، "الثورة الصناعيـــــة الكبـــرى" (١٨٢٧). كان التحول الأساســـى فى معنـــى ثـــــورة revolution المتطـــــور كمنشئة لنظام اجتماعى جديد فى ١٨٣٠، كما هو بشكل ملحوظ عنـــد لامـــــارتين Lamartine: "Le 1789 du comnerce et de l'industrie" ثورة معادلة للثورة الفرنسية (فى ١٧٨٩) فى التجارة والصناعة، التى وصفها بالثورة الحقيقية. كتـــب ويـــــد Wade (١٨٣٣، *History of the Middle and Working Classes*) بعبارات مشابهة

عن "هذه الثورة الاستثنائية". كان مفهوم التغيير الاجتماعى العظيم هذا الذى يرقى إلى نظام حياة جديدة معاصراً لمفهوم industrialism المقارب لدى كارلايل، وكـــان هذا تعريفاً معتمداً على جملة أفكار متمايزة فى الإنجليزية كما فى الفرنسية مـــن تسعينات ق ١٨. كانت فكرة نظام اجتماعى جديد المعتمدة على تغيير صناعى كبير واضحة عند ساوثى Southy وأوين Owen بين ١٨١١ و ١٨١٨ وكانت مضــمرة فى وقت أبكر لدى بليك Blake فى أوائل تسعينات ق ١٨ ولــدى وردزورث عنــد منقلب القرن. أصبحت العبارة أكثر شيوعا فى أربعينيات ق ١٩ فــى كــل مــن الفرنسية والإنجليزية. "ثورة صــناعية كاملــة a complete industrial revolution" (Mill. *Principles of Political Economy*، III، xvii)؛ فى ١٨٤٨ عدلت إلى "نوع مــن الثورة الصناعية a sort of industrial revolution"أولى الثورات الصناعيــــة premére des révolutions industrielles، " (Gilbert 1847) لكـــن علـــى الأرجـح كانـت الاستعمالات الحاسـمة عنـد بلانكـى Blanqui) *Histoire de L'economie Politique*، 38;1837 II): "نهايـة ق ١٨ ... وات Watt واركرايـت Arkwright... وضعت الثـورة الصناعيـة فى حـوزة إنجلترا". وكتب إنجلـز *Conditions of the Working Class in England* بالألمانيـة فـى ١٨٤٥): "هـذه الاختراعات أعطت حافزاً لثورة صناعية، ثورة غيرت فى نفس الوقت كل المجتمع المدنى". رغم أن العبارة لم تكن شائعة الاستعمال فى الإنجليزية حتى أواخـر ق ١٩ إلا أن الفكرة كانت شائعة من منتصف ق ١٩ وكانت بوضوح فى طور التكوين فى أوائل ق١٩. من اللافت أنها استمرت بمعنيين مختلفين (لكن متداخلين): معنـى سلسلة من الاختراعات التقنية (التى تتيح لنا الحديث عن ثورة صـناعية ثانيـة أو ثالثة)؛ ومعنى أشمل ، لكن أيضاً تاريخيا ، أكثر تحديدا لتحول اجتماعي: مؤسسـة تصنيع industrialism أو رأسمالية صناعية industrial capitalism. (كـذلك يجـب ملاحظة أن العلاقة بين صناعية ورأسمالية إشكالية وأن المصطلحات تحجب ذلـك أحيانا. فى أحد الاستعمالات، industrialism صناعية هى عبارة ملطفة لرأســمالية لكن مشاكل التصنيع الاشتراكى لها عناصر مشــتركة مـع تـاريخ "الرأسـمالية الصناعية".

من أوائل ق ١٩ أعطى الارتباط بالانتاج الميكانيكي وسلسلة الاختراعات الميكانيكية " صناعة" industry معنى مؤسسات إنتاجية من هذا النوع، وتطورت بالنسبة لذلك تمييزات مثل heavy industry صناعة ثقيلة و light industry صناعة خفيفة. تمت بانتظام معارضة industrialists صناعيين - وهم أصحاب عمل وموظفين employers في هذا النوع من المؤسسات - ليس فقط مع عمال workpeople ولكن مع أصناف أخرى من الموظفين: تجار، ملاك أراض، الخ. هذا التعارض بين صناعة كانتاج مصانع وأنواع أخرى من العمل المنظم معتاد حتى منتصف ق ٢٠، ومازال سائداً. لكن منذ ١٩٤٥ وربما تحت تأثير أمريكي عُممت "صناعة" industry مرة أخرى على مسار ابتدأ من مجهود إلى مجهود منظم ووصل إلى مؤسسة. من المعتاد الآن سماع كلمة صناعة مرتبطة بالإجازات وأوقات الفراغ والترفيه: "صناعة إجازات holiday industry، liesure industry صناعة الراحة والفراغ، صناعة الترفيه entertainment industry، وبديلا لما كان في الماضي تمييزا: لصناعة زراعية agricultural industry. يعكس هذا الزيادة المضطردة في "رسملة capitalization " و تنظيم و"ميكنة" ما كان في السابق يعتقد أنها مجالات من الخدمة والعمل غير صناعية nonindustrial. لكن التطور ليس كاملا: لاتزال industrial workers، مثلا، تشير بشكل رئيسي إلى "عمال مصنع" في تمييز لهم عن أنواع أخرى من العمال وينطبق هذا على industrial areas مناطق صناعية، industrial town مدينة صناعية، industrial estate أراض صناعية. لكن أصبحت industrial relations علاقات صناعية (عمالية) محصورة على العلاقات بين أصحاب العمل والعمال في معظم أنواع العمل: قارن industrial dispute نزاع عمالي و industrial action (إضرابات، الخ)، حيث يعتمد المعنى على تعارض، ضمن الحركة العمالية، مع عمل سياسي political action.

انظر: CAPITALISM رأسمالية، CLASS طبقة، EXPLIOITAION استغلال، LABOUR شغل، REVOLUTION ثورة، TECHNOLOGY تقنية، WORK عمل

## مؤسسة INSTITUTION

هذه الكلمة هى أحد الأمثلة العديـدة ( قـارن CULTURE ثقافـة، SOCIETY مجتمع، EDUCATION تربية) لاسم فعل أو عملية يصبح فى مرحلة معينـة اسـماً عاماً ومجرداً يصف شيئاً يبدو موضوعياً ومنتظماً؛ وهذا هـو عمليـاً "مؤسسـة"، بالمعنى الجديد. استعملت فى الإنجليزيـة منـذ ق ١٤، مـن (س م) institution، فرنسية قديمة، institutionem، لاتينية، من (س ب) statuere، لاتينية: ينشئ، يقيم، يعيّن. فى استعمالاتها المبكرة ، كان لها معنى واضح يدل على عمـل أصـلي - شيء يؤسس instituted فى وقت محدد - لكن بحلول منتصف ق ١٦ كان هنـاك تطور لمعنى عام يتعلق بممارسات أنشئت بطرق معينة ويمكن فهم ذلك بمعنى يكاد يكون حديثاً تماماً: " بلسان واحـد، وسـلوك ومؤسسـات institutions وقـوانين متشابهة" (ترجمة روبنسون ليتوبيـا *Utopia* مـور More، ١٥٥١)؛ "كثيـر مـن المؤسسات الجديـدة، القوانيـن، السلوك وفـن الحكـم (آشـلى Ashley، ١٥٩٤). لكن كان لايـزال هناك فى السياق معنى واضح للعـادة، كمـا فـى المعنى المتبقى فى "one of the insitutions of the place" أحد أعراف المكان. ليس من اليسير تحديد وقت ظهور المعنى المجرد تماماً؛ الذى يبدو مرتبطاً دائماً بتجريد SOCIETY مجتمع (ا م) المقارب. بحلول منتصف ق ١٨ يكون المعنـى المجـرد واضحاً تماماً، وتتضاعف الأمثلة فى ق ١٩و ق ٢٠. فى الوقـت نفسـه ، مـن منتصف ق ١٨ بدأت تستعمل institution مؤسسة ولاحقـا institute (التى حملـت نفـس المعنى العام مثل مؤسسة مـن ق ١٦) فى أسـماء منظمـات معينـة أو أنـواع مـن التنظيم: "charitable institutions" مؤسسات خيرية (١٧٦٤) وأسماء عـدة من أواخـر ق ١٨، "Mechanics' Institutes معاهـد ميكانيكيـة"، Royal Institute of British Archeticts المعهد الملكى البريطانى للمعمـاريين" ومنظمـات مشابهة من أوائل ق ١٩، ويبدو أن هذا كـان تقليـدا للمعهـد الـوطنى Institut National الذى أنشئ فى فرنسا فى ١٧٩٥ بمصـطلح حـديث. منذئـذ اسـتعملت

institute بشكل واسع للمنظمات المهنية والتعليمية والبحثية؛ و institution مؤسسة للمنظمات الخيرية والاحسانية. فى الوقت نفسه ، ترسخ المعنى العام لشكل من التنظيم الاجتماعي، محدد أو مجرد، فى تطور institutional مؤسساتى و institutionlize يؤسس فى منتصف ق ١٩. فى ق ٢٠ أصبحت institution المصطلح المعتاد لأى جزء منظم من المجتمع.

انظر: SOCIETY مجتمع

## مفكر/مثقف/فكرى INTELLECTUAL

تدل intellectual كإسم على نوع معين من الأشخاص أو شخص يقوم بنوع معين من العمل ويرجع تاريخها فعلياً إلى أوائل ق ١٩ رغم أنه كانت هناك فى وقت أبكر بعض الاستعمالات المتفرقة. يعود تاريخ intelligence بمعناها كملكة أو كعقلية أو كمقدرة على الفهم إلى ق ١٤، لكن يرجع التطور اللافت لكل من intelligent وintelligence كتعبيرين للمقارنة بين الناس بشكل رئيس إلى ق١٦: من بين الاستعمالات الواضحة يمكن ذكر "بعض علماء الإنجليز ذوى المعرفة الشاملة "of good intelligence (جرافتون Grafton، ١٥٦٨) حيث يمكن فهم intelligence كمعرفة knowledge أو معلومات information (كما لايزال المعنى حاضراً فى intelligence service مصلحة استخبارات). كان هناك استعمال مبكر: "شخص ينقصه الذكاء" " man devoyde of intelligence" (١٥٠٧؟). سجلت " intelligent the more" "الأكثر ذكاء" بمعنى مستقل من ١٦٢٦؛ هناك أيضا "اشخاص رزينون وأذكياء intelligent".(كلاريندون Clarendon، ١٦٤٧). يبدو أن هناك صلة بين هذه التمييزات، التى تشمل ذكاء نسبياً أو مطلقاً، ونقاشا حول طبيعة الحكم government. ارتبط عدد من الاستعمالات المحددة والمميزة لكل من intelligence و intelligent فى ق ١٧ وأواخر ق ١٨ و ق ١٩ بمواقف سياسية محافظة فى نوع من النقاش بقى مألوفاً: الحكم للأذكياء أو للأكثر ذكاء. على أية حال من المهم أن

intellectual كاسم سلكت طريقاً مختلفاً. كانت صفة عادية من ق ١٤ للاسم intelligence بمعناه العام، وأصبحت اسماً للدلالة على قدرات أو عمليات الذكاء. ثم من أوائل ق ١٩ كان هناك استعمال لافت لصيغة الجمع للدلالة على صنف من الناس، في الغالب بطريقة سلبية: "أتمنى أن أكون متعافيا (مؤهلا) بقدر كاف لأتمكن من الاستماع لهؤلاء المثقفين intellectuals (بايرون Byron، ١٨١٣). رغم أن intellectual كصفة احتفظت بالحيادية في الاستعمال العام إلا أن هناك تضمينات سلبية تحوم حول مثقفين intellectuals بالمعنى الجديد. كانت "الثقافوية" intellectualism بديلا بسيطاً لعقلانية rationalism. اكتسبت، بناءً على ذلك ولأسباب عامة كثيرة، معاني تدل على برودة coldness، تجريد وعدم فعالية، والصفة الأخيرة هي الأهم. احتفظت كل من intelligence و intelligent بمعانيهما العامة والإيجابية في معظمها، بينما تجمعت معان سلبية حول intellectual. الأسباب معقدة لكنها تشمل بالتأكيد اعتراضاً على النقاش السياسي والاجتماعي المبني على التنظير أو على مبادئ عقلانية. يرتبط هذا، للغرابة، بالاستعمال المميز لأذكى أو الأكثر ذكاءا كطبقة حاكمة، ويرتبط كذلك بمعارضة "الفصل"، كما في الحركة الرومانسية، بين "رأس" و "قلب" أو "عقل" و"عاطفة". كذلك لايمكن إغفال نوع حاسم من المعارضة ضد مجموعات تقوم بجهد فكري اكتسبت خلال التطور الاجتماعي بعض الاستقلال عن مؤسسات قائمة في مجال الدين والسياسة، وما هو مؤكد هو سعي هذه المجموعات إلى هذا الاستقلال وإصرارها عليه خلال أواخر ق ١٨و ق ١٩ و ق ٢٠. في النهاية وتحت تأثير هذه التطورات يمكن استخدام intellectual و intelligent كتعبيرين متضادين وبحلول أواخر ق ١٩ كانت هناك صيغة دالة: "من يدعون مثقفين so-called intellectuals". من أوائل ق ٢٠ استعير التعبير الجمعي الجديد intelligentsia الإنتلجنسيا من الروسية. هذا المصدر مهم لأن معنى مجموعة متميزة وواعية ذاتيا كان، لأسباب اجتماعية وجيهة، مهما في روسيا من منتصف ق ١٩.

حتى منتصف ق ٢٠ سادت في الإنجليزية استعمالات سلبية للكلمات intelligentsia، intellectualism، intellectuals وواضح أن الوضع لايزال قائماً.

لكن على الأقل تستعمل intellectuals الآن في الغالب حيادياً وفي بعض الأحيان إيجابياً لوصف أناس يقومون بأنواع معينة من الجهد الفكري وعلى وجه الخصوص تلك الأنواع الأكثر عمومية. داخل الجامعات يكون التمييز أحياناً بين متخصصين specialists أو professionals مهنيين لهم اهتمامات محددة ، ومثقفين intellectuals لهم اهتمامات شاملة. بشكل عام هناك في الغالب توكيد على "منتجين مباشرين في مجال الأيديولوجيا والثقافة culture" في تمييز لهم عن "الذين يتطلب عملهم جهداً ذهنياً" لكن بشكل رئيسي يقتصر على الإدارة والتوزيع والتنظيم و التكرار، كما في بعض أنواع التعليم (قارن ديبراي Debray ). التوتر الاجتماعي حول الكلمة مهم ومعقد ويمتد من الاعتراض القديم على مجموعة من الناس تستعمل التنظير أو حتى معرفة منظمة لاصدار أحكام بخصوص أمور عامة إلى اعتراض مختلف، لكنه يمت بصلة إلى ذلك، على النخب ELITES (ا م) التي لا تدعي فقط أنواعا متخصصة من المعرفة وإنما تزعم أيضا التأهيل لإدارتها. إن النقاش حول علاقة المثقفين بالنظام الاجتماعي القائم وبالتالي حول استقلالهم النسبي عنه أو اندماجهم فيه وثيق الصلة بهذا الاعتراض. لكن بما أن النقاش وصل الى درجة منزلة أو وضع STATUS (ا م) المثقفين الاجتماعي أو وظيفتهم الاجتماعية فإن الكلمة نفسها دخلت بوضوح مرحلة جديدة عامة في تاريخها، وتدعمها في ذلك استعمالات مشابهة في لغات وثقافات أخرى. الشيوع المضطرد للتعبير anti-intellectual (ضد العقلانية) لوصف مواقف معارضة للفكر والتعليم المنظم هو جزء من نفس هذه الحركة معتمدا على معنى أقدم وأشمل للكلمة intellectual.

رغم أن intelligence و intelligent تستمران في الحفاظ على معانيهما الشاملة والعامة إلا أن الاستعمال المقارن المميز لكل منهما ربما يكون أكثر شيوعا عن أي وقت مضى (أليس لديك أي ذكاء؟ haven't you any intelligence? سيتضح حالاً لأي شخص واع intelligent person). في نفس الوقت عزز وصف ذكاء عال أو منخفض high or low intelligence نظام قياس خلافي يبدو في الظاهر موضوعياً: intelligence quotient أو IQ معدل الذكاء وهو الآن شائع الاستعمال.

لكن لايزال واضحاً توتر قديم، كما هو فى هذه الحالـــة، عنـــدما تقـــارن وأحيانـــاً تعارض ميزة مجردة قابلة للقياس مع معنى intelligent الذى يعتمد، مهما كان ذلك ضمنياً، على أفكار تتعلق بخبرة experience ومعلومات information بالإضافة إلى مقدرة محددة.

انظـــر: EDUCATION تربيـــة/تعلـــيم، ELITE نخبـــة، EXPERT خبير، THEORY نظرية

## حصة/مصلحة/أهمية INTEREST

هذا مثال مهم (قارن IMPROVE) لكلمة لهـــا معـــانٍ اقتصـــادية وقانونيـــة متخصصة توسعت ضمن تاريخ اقتصادى واجتماعى معين إلى معنى عـــام جـــداً. الكلمة معقدة الأصل خاصة فيما يتعلق بالكلمة السابقة interess التى تتبادل وتتداخل معهـــا حتى ق ١٧. أصلها البعيد (س ب) هو interesse، لاتينية: يكون وســـطاً، يميز، يهتم، لكن السوابق المباشـــرة (س م) كانـــت interesse، لاتينيـــة وســـطى: تعويض عن خسارة والكلمتان المشـــتقتان interesse، فرنســـية قديمـــة وinterest، فرنسية وسطى، اللتان امتدت معانيهما من تعويض عن خسارة إلى استعمال كفعل متعد للاستثمار بحصة أو سهم. أشارت معظم اســـتعمالات interest قبـــل ق ١٧ إلى حصة قانونية أو موضوعية فى شئ ما، وكان الاستعمال الموسع، الذى دل فى البداية على حصة طبيعية أو اهتمام مشترك، فى العادة استعارة مقصودة:

| | |
|---|---|
| Ah so much interst have (I) in thy sorrow | أوه مقدارمشـــــــــاركتى حزنك |
| As I had in thy Noble Husband. | تعادل اهتمامى بزوجـــك النبيل. |

(*Richard III*)

من العسير جداً تتبع تطور interest، فى البداية الى اسم عام لاهتمام شـــامل أو طبيعى ومن ثم إلى شيء يجذب انتباهنا أولا "بشكل طبيعي" وبعدئـــذ " فعليّـــا". لكن لم تكن "interesting" لافت و "interestingly" بطريقة لافتة بمعانيهما الحديثـــة العامة جداً واضحتان قبل منتصف ق ١٨. كذلك كانت interest بمعنى اهتمام عام أو امتلاك المقدرة على جذب الاهتمام تطوراً من منتصف ق ١٨. لم تكن interest بمعناها السائد الان كحب استطلاع أو اهتمام أو امتلاك المقدرة على جذب الاهتمام أو الاستغراب واضحة قبل ق ١٩. لكن المشكلة هى أن معنى اهتمـــام وانهمـــاك موضوعيين objective المستمد من استعمالات قانونية ورسمية ليس دائمـــاً ســـهل التمييز عن تلك المعانى اللاحقة الأكثر ذاتية SUBJECTIVE (ا م) وطوعية. أصبح التمييز رسمياً الآن فى الصيغ السلبية: تحتفظ disinterested بمعناها السابق: نزيه، غير متحيز، أى لا يتأثر بالتورط الفعلى فى شأن ما، بينما عبّـــرت uninterested وuninteresting، اللتان كانتا مرادفتين لمعنى disinterested من ق ١٩، عن معانى عدم الانجذاب لشيء أو عدم امتلاك القدرة على الجذب. (لاتـــزال disinterested تستعمل بمعانى إيجابية للدلالة على "عدم التحيز" أو "نزاهة" لكنها تدل أيضاً علـــى اهتمام مستنير أو غير دوجماتى undogmatic. كذلك تستعمل بشكل متزايـــد فـــى الغالب للدلالة ببساطة على "عدم الاهتمام"، وهذا بالإضافة إلى كونه مشوشاً أحيانـــاً فإنه يسبب إساءة لأولئك الذين لايزال لديهم المعنى الأول مهما.)

كمصطلح رسمى فى الأمور النقدية لـــ interest تاريخ آخـــر مهـــم. فـــى الاستعمال القروسطى مُيّزت عن usury ربا؛ كانت interest أو interess تعويضـــاً عن تخلف فى إيفاء دين (استعمال متخصص للمعنى السابق) بينما كانت ربا أخذ ما نسميه الآن interest فائدة عن دين مرتـــب/مـــدروس deliberate loan. ظهـــرت interest بمعناها المالى الحديث من ق ١٦ عندما عدلت القوانين المتعلقة بـــإقراض المال وعندما أصبح الربح من استعمال المال، فى تمييز له عن التعـــويض مقابـــل التخلف عن الإيفاء بالدين، ممارسة مقبولة.

يظل مهما كون كلماتنا الأعم للاهتمام أو الانهماك ، تطورت من مصطلح موضوعى رسمى فى الممتلكات والتمويل. يبقى المعنى الأسبق بصيغة خاصة فى أنماط معينة من نظرية النزاع "conflict theory" حيث يعتبر "تعارض المصالح" "conflict of interest" جزءا متأصلا لايتجزأ من البنية الاجتماعية، وذلك كثيرا ما يكون فى أمور ممتلكات. ليس من الصعب فهم المعنى الأشمل كاهتمام أو مشاركة عامة موضوعية مما يجعله يتواصل مع المعنى اللاتينى الأصلى والذى استعمل فى عبارات مثل having an interest له مصلحة و taking an interst يولى اهتماما و being interested يكون مهتما. ربما يكون أكثر أهمية من ذلك توسع وإسقاط هذه المقدرة على الاهتمام وجذب الانتباه وحب الاستطلاع مثلما يحدث عندما نقول عن أشخاص أو أشياء أو أحداث أنها لافتة interesting. يظل السؤال هو عما إذا كان هذا المعنى لشيء يولد مثل هذا الاهتمام يرتبط بالمعنى الفعال لفائدة interest- مال يولد مالا- بعد تمييزها عن إثم الربا ومعنى intrest السابق الخامل الذى يدل على تعويض واستعادة. يبدو مرجحا أن هذه الكلمة المركزية الآن للانتباه والاهتمام والجذب مشبعة بخبرة مجتمع يعتمد على علاقات مالية.

انظر: IMPROVE يحسن

## مصادر/أسماء صناعية ISMS

كانت هناك منذ بدء التاريخ المسجل "isms"، وكذلك "ists". اللاحقتان ism و ist يونانيتان. استعملت ism فى الإنجليزية لتكوين إسم فعل (baptism معمودية)؛ نوع من الفعل (heroism بطولة)، وأفعال ومعتقدات تميز مجموعة ما (Atticism الأتيكية، Judaism يهودية) أو اتجاهات (Protestanism بروتستانية، socialism إشتراكية) أو منهج فكرى (Platonism إفلاطونية). استعملت ist لتكوين اسم فاعل (psalmist مزمارى) وكذلك أسماء تدل على مناصرى نظام أو معلم/رائد فكرى (altruist إيثاري، Thomist توماسى). كان هناك نحت موسع لكلمات لاتينية جديدة

من هذا النوع في الفترة القروسطية وكانت هناك صيغ إنجليزية من ق ١٣. تضاعفت من ق ١٦ وصارت شائعة. ما كان جديدا من أواخر ق ١٨ وأوائل ق ١٩ هو على الأرجح ردة فعل تجسدت في عزل isms و ists ككلمات مستقلة: "ستتشاجر حالاً حول Socianism أو بعض هذه الإيزمات isms (والبول Walpole، ١٧٨٩)؛ "ليس له اعتبار، لايحمل ist، لايعلن اعتقاده بأى ism سوى تشامخية superbism ولا عقلانية Irrationalism" (شيلى Shelley، ١٨١١)؛ "ليس مؤمناً بوحدة الوجود Pantheism أو بوحدة القدر Pot-theist [لعب على لفظى pan و pot في الإنجليزية]، أو أى موحّد Theist أو أية ist كلمة تنتهى بهذه اللاحقة. حيث هناك احتقار لاجدال فيه لكل أساليب بناة النظم أو مؤسسى الفرق من هذا النوع (كارلايل Carlayl، ١٨٣٥)؛ "تشكل اللاحقتان isms و ists ضجرا متزايدا (ايميرسون Emerson، ١٨٤١)؛ "تلك المجموعة من النظريات الاجتماعية التى تسم تجرب والتى تعرف باسم isms" (لويل Lowell، ١٨٦٤).

عبّر هذا التطور عن عدة اتجاهات. أولا: كان هناك ضيق من الجدل الثيولوجي؛ معظم الأمثلة المبكرة هى من هذا النوع. ثانيا: ضيق من التنظير (كما في مثال كارلايل) الذى يمكن التعبير عنه بسهولة واحتقار بهذه الصيغة دون سواها. ثالثا: كان هناك التحول المهم من الجدل الثيولوجى إلى الجدل السياسى الذى كان سائدا بحلول زمن مقولة لويل. لاتزال اللاحقتان ism و ist تستعملان ببراعة أو باحتقار (غالبا بمعنى أصالة طاغية)، لكن يصدر هذا عادة من مواقف تقليدية ومحافظة، بل حتى من قبل العلماء scientists و economists الاقتصاديين والمؤمنين بالوطنية patriotism.

## رطانة، لغة اصطلاحية JARGON

يمكن القول أن jargon نفسها أصبحت في بعض الاستعمالات الحديثة كلمة رطانة. تستعمل الآن بشكل واسع، سلبياً أو ازدرائيا، لوصف مفردات فروع معينة من المعرفة أو المواقف الفكرية. لكن لو عنت فقط مفردات متخصصة غير مألوفة

فإن استعمالها النابذ يمكن بنفس السهولة أن يسم من يطلق عليها اسم "رطانة" بـأن حكمه على غرضها المفترض مزاجي مستبد. في الواقع صـارت jargon سـهلة الاستعمال، بطريقة فضفاضة، بسبب معانيها الأولى الأشمل. كانت في الإنجليزية من منتصف ق ١٤، من (س م) jargon، فرنسية قديمة: تغريد الطيـور، زقزقـة العصافير. أصولها المبكرة غامضة. يمكن العثور على استعمال مباشـر بمعنـى غناء الطيور birdsong حتى وقت متأخر، منتصف ق ١٩، لكن الاستعمال الموسع لأصوات أو كلام أو كتابة يتعذر فهمها يرجع إلى نفس الوقت واستمر لفترة أطول. (قارن gibberish، بربرة، غامضة الأصل، من ق ١٦.) طورت من أواخر ق ١٦ معنى متخصصا يقرب من cipher شـفرة واللاحقـة (ق ١٩) code كـود، لكـن تطورهـا العام كان في اتجاهين: (١) لوصف صيغ كلام (قارن DIALECT لهجـة (ا م)) غير مألوفة وهجينة على وجه الخصوص أو محلية بطريقة سلبية - "رطانة jargon ولهجة patois أقاليم عـدة" (بـراون Browne، ١٦٤٣)؛ "رطانـة jargon الزنوج في الولايات المتحدة" (١٨٧٤)؛ (٢) لوصم مصطلحات موقف فلسـفي أو ديني معارض- " مايفهمه الرومانيون Romanists من هـذه الرطانـة" (١٦٢٤)، "لتفسير هذه الرطانة" (هوبز Hobbes، ١٦٥١). على الأرجح كان هنـاك بعـض الأثر من كل هذه الدلالات في معنى لغة مهنة متخصصة الذي يرجع بشكل رئيسي الى ق١٨ - لغة القانون "the jargon of the Law" (١٧١٧)، لكن لاتـزال بشـكل واضح قريبة من المعاني القديمة لعدم الفهم أو الزيف المشوش. قارن "لهجـة cant أو رطانة التجار" (سويفت Swift، ١٧٠٤) حيث تطورت cant، على الأرجح مـن (س م) cantare، لاتينية: يغني، من وصف احتقاري لبعض أنواع الانشاد الـديني إلى لغة متسولين دينين ومن ثم إلى لغة خاصة بالشحاذين والمتشردين. لـم يكـن دائماً ممكناً التمييز بين معنى كذب ونفاق الواضح في cant وفي استعمالات jargon العدائية ومعنى لغة مهنية أو متخصصة.

من الواضح أن المشكلة الأساسية صعبة جداً. لاتجذب مفردات متخصصـة في علوم وفروع من المعرفة مختلفة وصف jargon إذا استمرت متخصصة بقـدر كاف. تكمن المشكلة عادة في دخول مثل هذه المصطلحات في الكـلام والكتابـة

العامة. هذا شائع جداً فى حالة القانون والإدارة الواضحة، حيث فى الغالب لايمكن التحكم فى العلاقة بين مصطلحات عامة وأخرى دقيقة. لكن المشكلة أكثر حدة فى فروع المعرفة التى لها صلة بمواضيع لها فعلاً مفـردات عامـة وشـائعة حيـث الأسباب الأساسية لدقة متخصصة أقل وضوحاً أو مفقودة. من اللافـت أن معظـم الاستعمالات الرافضة لرطانة jargon توجد بشكل رئيسى فى علم الـنفس وعلـم الاجتماع والدراسات التى تعتمد عليهما، لكنها كذلك توجد فـى موقـف فكـرى معارض مثل الماركسية. صحيح أنه يمكن تطوير مفردات متخصصة فى أى مـن هذه المجالات وأخرى سواها إلى حد الإفراط. لكن أيضـاً صـحيح أن اسـتعمال مصطلح جديد أو تعريف جديد لمفهوم هو فى الغالب أسلوب ضرورى للاعتراض على طرق أخرى من التفكير أو إبراز طرق جديدة وبديلـة. لكـل موقـف عـام معروف فى أمور الفن والاعتقـاد مصـطلحاته المحـددة. والفـرق بـين هـذه المصطلحات التى تعرّف بأنها jargon فى الغالب ليس أكثر من ألفة نسبية وفتـرة زمنية. ضم معانى jargon ووصفها بأنها مفردات متخصصة، غير مألوفة و تنتمى لموقف مناوئ وثرثرة غير مفهومة يكون إذن فى بعض الأحيـان فعـلاً رطانـة jargon: عادة محلية موثوقة ببساطة، تفترض انتشارها وقابليتها هى للفهم.

انظـر: DIALECT لهجـة

## شغل/عمـل LABOUR

يوجد ضمن أول استعمال للكلمة labour فى الإنجليزيـة هـذان المثـالان: "اشرع فى العمل... واصنع العذاب" و "اترك الشغل تترك الحزن quit o labur, and o soru"

(كلاهما من ١٣٠٠ تقريبا). ارتبط هذان المعنيان عن شغل - ألم و بلاء - ارتباطا وثيقا بالسابقة المباشرة (س م) labor، فرنسية قديمـة، laborem، لاتينيـة؛ أصل الكلمة غير معروف لكنه قد يتعلق بالانزلاق أو التأرجح تحت وطأة حمـل.

كفعل كان لشغل labour معنى شائعا يدل على الحرث أو "تشغيل"(حــرث) الأرض work the land، لكن توسعت كذلك لتشمل أنواعا أخرى من الشـــغل اليــدوى وأى نوع من المجهود الصعب. كان العامل/الشغال labourer بشكل رئيسى شغالا يدويا: "عامل تعيس يعيش على ما تصنعه يداه" (تقريبا ١٣٢٥). استعملت labour بمعنـــى عناء أو ألم فى الولادة من ق ١٦ ودلت على المخاض. يــتلخص معنــى الكلمـــة كشغل شاق ومجهود تلخيصا وافيا فى قول ملتون Milton:

So he with difficulty and labour hard

Mov'd on with difficulty and labour hee .

( II، *Paradise Lost*)

لذا بصعوبة وشغل شاق تقدم هو،

بصعوبة وعناء.

فى نسخة الإنجيل المعتمدة *the Authorized Version*، المعنيان فعالان:

For thou shalt eat the labour of thine

hands; happy shalt thou be ... (Psalm 128:2)

The days of our years are three score and ten;

and if by reason of strength they be fourscore years

yet is their strength labour and sorrow

(Psalm 90:10)

فتستمتع بنتاج عمل(شغل) يديك

سعيداً ستكون

أيامنـــــا المعدودة ستون وعشر

ولو كان بسبب المقدرة

أصبحت ثمانين عاما

فإن معاناة تلك السنين هى مشقة وأســـــى.

من ق ١٩، عدا الاستعمال الخاص بالولادة، فقدت labour بالتدريج ارتباطها المعهود بالالم، و مع ذلك ما زال معنى مشقة العام واستعمالاته واضـــحا. بـــرز بوضوحٍ معنى labour كنشاط اجتماعى عام وبمفهوم أكثر تجريدية. دافـــع لـــوك Locke عن الملكية الخاصة بناء على حقيقة (فى سياقها ومغازيها عالية التجريـــد) خلطنا الشغل فى الأرض(لم تكن بالفعل لأولئك الـــذين عـــادة مـــاحملوا بوضــــوح وصمات هذا الخلط أية أملاك). شُخِّص الشغل labour كما فعـــل جولـــد ســـميث Goldsmith فى *The Traveller* (١٧٦٤): " الطبيعة... لاتزال تمنح بركاتهـــا كلمـــا أطلق الشغل نداءه الجاد". لكن التحول الأهم كان في استعمال labour كمصـــطلح فى الاقتصاد السياسي: فى البداية بمعنى عام قائم فعلاً، "العمل السنوى لكـــل أمـــة" (آدم سميث، ثروة الأمم، المقدمة)، لكن لاحقاً بمعنى عنصر يمكن قياسه وحسابه: "العمل labour... هو مقياس فعلى للقيمة المتبادلة لكل السلع" (المصـــدر الســـابق). بينما دلت labour فى معناها العام على كل العمل المنتج فقد أصـــبحت تعنـــى الآن ذلك الجزء من الانتاج الذى يصنع بالتضافر مع رأس المال والمواد سلعاً. ينتمـــى هذا المعنى المتخصص مباشرة إلى المفهوم النسقى لعلاقات الانتـــاج الرأســـمالية CAPITALIST (ا م). اكتسبت عبارات مثل "price of labour قيمة العمل" (مـــالثيوس MALTHUS، ١٧٩٨) و "supply of labour عرض العمل" معانى أكثر دقة وأكثـــر تخصصا. لخصت لاحقا هذا التأثير تلخيصا وافيا بياتريس ويب Beatrice Webb:

> "كنت بالطبع على إلمام بالكلمة labour. متزاملة بطريقـــة غامضة مع رفيقتها "رأسمال" كانت هذه الكلمة تتخلـــل دائمـــاً حديث أبـــي، وجـــاء ذكرها مرة بل مرات فى مجلات وتقارير الشركات التقنية التى وضعت على طاولة المكتبة. "الماء وفير والعمالة labour طيّعة"، "أجـــور العمالـــة فـــى هبـــوط إلـــى

**مستواها الطبيعي" ... كانت هاتان العبارتان محيرتان لي ... لم أتصور "عمالة" على أنها رجال ونساء مستقلين عن أصناف وأنواع أخرى مختلفة ... كانت "عمالة" تجريدا بدا أنه يدل على جمهور من الناس يمكن عده حسابيا، كل فرد نسخة من الآخر..." (*My Apprenticeship*).**

لكن كما تبين العبارتان التى تقتبسهما، طورت labo more ur بحلول هذا الوقت معنيين حديثين: أولاً، تجريد اقتصادى للنشاط activity، ثانياً، تجريد اجتماعى لتلك الطبقة من الناس التى قامت بهذا النشاط. كما لاحظنا، المعنى الأول أسبق. كانت "labour عمل" كفكرة مجردة تدخل فى مكونات العملية الانتاجية : بين العامل labourer وموضوع عمله labour، بالمعنى الوارد فى الاستعمالات الأولى، تم فصل رأس المال باعتباره مكونا إنتاجيا، وكانت بمعناها المتخصص والقابل للقياس جزءا من نفس عملية التجريد. هذا هو معنى عبارة السيدة ويب الثانية: "أجور العمالة". لكن بوضوح عبارتها الأولى "عمالة طيّعة" هى وصف لطبقة.

ليس من اليسير تتبع ظهور هذا الوصف الطبقى (قارن CLASS طبقة) بدقة. مهدت عادة الإشارة إلى "عرض العمل" الطريق لذلك. لكن ربما يرجع الاستعمال الاجتماعى الواسع، الذى استجاب لهذا النوع من الافتراض بشكل متكافئ أو حتى بقدر أكبر، إلى المدافعين عن العمالة labour، خاصة من عشرينيات ق ١٩. هكذا نجد "*Labour Defended Against the Claims of Capital*" دفاع عن العمل ضد مزاعم رأس المال لمؤلفه "عامل A Labourer" (توماس هودجسكن Thomas odgskin) حيث وضع مكوّناً ضد الآخر لكن بعبارات حددتهما كطبقتين اجتماعيتين. لا زال كتاب *Labour Rewarded* (تومبسون Thompson، ١٨٢٧) يشير فى عنوانه إلى العمل كنشاط، لكن محاضرات براى F. Bray فى ثلاثينيات ق ١٩ التى نشرت فى كتاب *Labour's Wrongs and Labour's Remedies* كان لها بوضوح تام معنى طبقة اجتماعية. سيصبح هذا الاستعمال شائعا بعد ذلك. بينما استعملت labour بطريقة منتظمة، سواء كعنصر يمكن استئجاره أو مجموعة

أشخاص متوفرة للإيجار( قارن "سوق العمل labour market "من منتصف ق ١٩) في توصيفات رأسمالية فقد عارضتها "حركة عمل Labour Movement"، التي كانت تسميتها لنفسها مقصودة واستحوانية. كانت هناك تفاعلات معقـدة مـع الكلمـة الأكثر شيوعاً trades (التي أعطتنا بمعناها السابق trade unions نقابـات عمـال) ومع معان معقدة لشغل work، worker شغال وطبقة شغالة working class (انظـر WORK و CLASS) لكن برز المعنى الأشمل لحركة واهتمام سياسي واقتصادي في الإنجليزية في الكلمة labour. فـي بريطانيـا تعينـت بشـكل أدق فـي Labour Representation League (١٨٦٩) عصـبة التمثيـل العمـالي، Labour Electoral Committee (١٨٨٧) لجنـة الانتخـاب العماليـة، Independent Labour Party (١٨٩٣) حزب العمال المستقل وفي النهاية باسمه الحـالي Labour Party (١٩٠٦) حزب العمال.

من اللافت ملاحظة آثار هذه التطورات الحديثة على المعاني العامة القديمة لعمل labour. استمر معنى مخاض، لكن سوى ذلك لاتستخدم الكلمة غالبا خـارج نطاق دائرتها الحديثة المحددة. تبقى في عبـارات (مثل "ارتاح من متاعبي rest from my labours") تفهم مباشرة. تحتفظ laborious (يتطلب جهدا) بمعناها العـام القديم. لكن تحديدات الفترة الرأسمالية أصبحت سائدة: مـن ناحيـة، labour cost أجور العمالة، labour market سوق العمل، labour relations علاقات عمـل؛ مـن الناحية الأخرى، حركة عمل labour movement، labour party حزب العمل الـذي يحمل هذا المعنى الشرفي. مع ذلك لاتزال labourer متداولة كنـوع خـاص مـن "الشغّالة" بينما استولت work عمل/شغل بكل صعوباتها على معظم المعاني العامـة الأخرى.

انظـــر: CAPITALISM رأسـمالية، CLASS طبقـة، WORK عمل/شغل

## ليبرالي/تحرري/مناد بالحرية LIBERAL

من أول نظرة، للكلمة liberal معنى سياسى واضح جداً لدرجة أن معانيها الأخرى محيرة. لكن بالمقارنة، المعنى السياسى حديث ، ومعظم تاريخ الكلمة المشوق يسبق ذلك.

بدأت كامتياز اجتماعى محدد ، وكانت تشير إلى طبقة من الرجال الأحرار free men فى تمييز لهم عن آخرين لم يكونوا أحراراً. دخلت الإنجليزية فى ق ١٤، من (س م) liberal، فرنسية قديمة، liberalis، لاتينية، (س ب) liber، لاتينية، رجال أحرار. فى استعمالها فى "artis liberalis" الفنون الليبرالية (١٣٧٥) كانت بشكل سائد مصطلحاً طبقياً، كما نقول الآن: مهارات ومهن مناسبة لرجال ذوى موارد مالية مستقلة ووضع اجتماعى مضمون فى تمييز لها عن مهارات ومهن أخرى مناسبة لطبقة أدنى (قارن ميكانيكى MECHANICAL). لكن كان هناك تطور هام لمعنى آخر تكون فيه للمهن استقلالها الذاتي: "liberal sciences علوم ليبرالية... علوم حرة (free)، مثل النحو، الفن، الفيزياء، الفلك وسواها" (١٤٢٢). لكن كأى مصطلح يفرق بعض الرجال الأحرار عن سواهم بقى هناك توتر. توافق نموذج liberal arts فنون ليبرالية المصقول مع معنى ليبرالى كـ "كريم" ( "in giffynge liberal، ١٣٨٧، فى عطاء سخي)، لكن فى نفس الوقت قابلها معنى سلبي: مفرط. رغم أن لليبرالية معنى عاما سابقا هو حرية freedom، إلا أنه كان لها من ق ١٥ معنى واضحاً هو امتياز privilege، أو إذن أو ترخيص permission رسمي؛ يبقى هذا فى العبارة البحرية liberal boat (إجازة غياب) وكذلك فى العبارة المحافظة liberties of the subject امتيازات التابع حيث لا يوجد معنى liberty حرية الحديث بل المعنى القديم لحقوق ممنوحة ضمن خضوع لا نزاع فيه لسلطة معينة. كانت الكلمة الأخرى لمثل هذا الحق الرسمى هى licence إذن/رخصة، ويمكن بوضوح ملاحظة التوجه نحو " unrestrained مفرط" فى تطور licentious فاسق من ق ١٦. بالإضافة إلى الاستعمال الشائع لليبرالى liberal فى العبارة السائدة

"liberal arbytre" (ق١٥) حرية الإرادة فإنها كانت قريبة لفاسق في استعمالات أخرى كما هو عند شكسبير:

من كانوا مثل مجرمين فسقة

Who hath indeed most like a liberal villaine

اعترفوا بالمناوشات الخسيسة التي قاموا بها.

Confest the vile encounters they have had.

I ،IV، (*Much Ado About Nothing* )

تتضح صيغة أضعف لكن مقاربة لهذا المعنى في تطور معنى " not rigorous" التي يمكن فهمها على أنها تعني إما "ليس قاسيا not harsh" وإنما "ليس منضبطا not desciplined".

تم ترسيخ liberal في محيط اجتماعي مختلف عن ذلك المرتبط بطبقة خاصة من الرجال الاحرار وذلك بشكل رئيسي في أواخر ق ١٨ وأوائل ق ١٩ بناء على معنى liberty (حرية) العام الواضح من منتصف ق ١٧. استعملت بمعنى -open minded متفتح الذهن وبالتالي "غير جامد التفكير unorthodox"، من أواخر ق ١٨: "liberal opinions" آراء متحررة، (جيبون Gibbon، ١٧٨١). الصفة واضحة جدا بمعنى سياسي في مثال من ١٨٠١: "انعدام كل أثر للحرية وكل فكرة متحررة liberal idea يرتبطون بها". أدى هذا إلى صياغة الاسم كمصطلح سياسي أعلن عنه بفخر بل وبتحد في عنوان دورية: *The Liberal* الليبرالي (١٨٢٢). لكن أضفى أعداء هذا المصطلح المرتبط بالرأى السياسي غير التقليدي نكهة أجنبية. كان هناك حديث عن "Ultras" متطرفي باريس و"Liberals" ليبرالي باريس في ١٨٢٠، وكانت بعض الاستعمالات بتهجية أجنبية Liberales (ساوثي Southey، ١٨١٦)؛ Liberaux (سكوت Scott، ١٨٢٦). استعمل التعبير بهذا المعنى ككنية للرادكاليين و"الوجز Whigs " المتقدمين من قبل خصومهم؛ ثم تم تبنيه بطريقة متعمدة، وخلال جيل أصبح نافذا وبدوره تقليديا. من أوائل ق ١٩ تبعت "ليبرالية"

liberalism (بمعناها السياسي) liberality، التى حملت منذ ق ١٤ معنى "سخاء" وفيما بعد "تفتح ذهن". دلت libertarian فى أواخر ق ١٨ على "مؤمن بالإرادة الحرة" فى معارضة للجبرية أوللحتمية determinism (قارن DETERMINISM)، لكن اكتسبت من أواخر ق ١٩ معانى اجتماعية وسياسية تقترب أحيانا من liberal" ليبرالي". صارت libertarian شائعة بشكل خاص فى منتصف ق ٢٠ فى عبارة libertarian socialism اشتراكية ليبرتارية، التى هى ليست ليبرالية liberalism ولكن صنفا من الاشتراكية SOCIALISM (ا م) يعارض التحكم المركزى والبيروقراطى BUREAUCRACY (ا م).

فى المفهوم السياسى الحزبى الحالى واضحة liberal الآن بقدر كاف. لكن liberal كمصطلح فى الخطاب السياسى معقدة. وقعت تحت هجوم عنيف ومنظم من مواقف محافظة حيث ألصقت بها معانى "إفراط" وعدم انضباط وكذلك معنى "سخاء" (أحمق وعاطفي). كذلك اعتمد فى النقاش الفكرى على معنى فقدان الصرامة lack of rigour. مقابل هذا الهجوم كانت liberal فى الغالب مصطلحاً جمعياً لأراء راديكالية RADICAL أو تقدمية PROGRESSIVE (ا م م)، ولاتزال واضحة بهذا المعنى خاصة فى أمريكا. لكن liberal كمصطلح قدحى استعملت بشكل واسع من قبل الاشتراكيين وخصوصاً الماركسيين. يشارك هذا الاستعمال المعنى المحافظ لفقدان الصرامة ومعنى الإعتقادات السخيفة والعاطفية. إلى هذا الحد يفسر الليبراليون ذلك بأنه شكوى مألوفة، وهناك حدة خاصة فى ردهم على الاشتراكيين بأنهم يتميزون عليهم باهتمامهم بالحرية السياسية. لكن هذا يحجب المعنى الأخطر للاستعمال الاشتراكى الذى يعبر عن ملاحظة تاريخية دقيقة بأن liberalism الليبرالية مبدأ يعتمد على نظريات فردانية INDIVDUALISM (ا م) للإنسان والمجتمع وبالتالى فى نزاع أساسى ليس فقط مع نظريات اشتراكية SOCIALIST (ا م) وإنما أيضا مع نظريات المجتمع SOCIAL (ا م) التى تتسم بالدقة. مفيدة أيضاً الملاحظة الإضافية بأن ليبرالية هى الصيغة الأسمى للفكر الذى تطور ضمن مجتمع برجوازى BOURGEOIS (ا م) وحسب شروط الرأسمالية CAPITALISM (ا م) لأنه عندما لاتستعمل liberal كشتيمة فضفاضة فإن السبب

يرجع لهذا المزيج من الأفكار المحرِّرة liberating والمقيِّدة limiting التى قصد منها أن تدل عليها. الليبرالية إذن مبدأ لأنواع ضرورية من الحرية، لكن أيضا وبشكل أساسى مبدأ لفردانية استئثارية.

**انظر: ANARCHISM فوضوية، ART فن، INDIVIDUAL فـــرد، LIBERATION تحرير، PROGRESSIVE تقـــدمي، RADICAL راديكـــالى، SOCIALIST اشـــتراكي، SOCIETY مجتمع**

## تحرير/إطلاق/تحرر LIBERATION

دخلت liberation الإنجليزية من ق١٥، من (س م) liberation، فرنسية، (س ب) liberatio، لاتينية: يطلق سراح، يخلى سبيل. كانت استعمالاتها الأولى بشـــكل رئيسى قانونية وإدارية كما فى تسديد دين أو إعفاء من الخدمة العسكرية. يـــرتبط هذا مع الاستعمال المقيد لـــ liberty حرية (قـــارن LIBERAL) كإجـــازة أو إذن أو امتياز franchise (نفسها تعنى اعفاءً قانونياً أو امتيازا من ق ١٤، وتوســـعت مـــن ق١٨ كحق الإنتخاب elective franchise). عرفت المعـــانى الإيجابيـــة للكلمتـــين liberty و liberation من اللاتينية وكان للأولى وللكلمـــة liberator محـــرِّر معنـــى سياسياً من منتصف ق ١٧؛ كانت liberation أقل شيوعا لكن كان لها معنى سياسياً من وقت لآخر منذ ق ١٦، وصارت أكثر انتشاراً فى منتصف ق ١٩ وخصوصـــاً فى منتصـــف ق٢٠ (بالتحديد، هنا كاسم لحركات المقاومة ضد الفاشية فى الـــدول المحتلة، بشكل ملحوظ فى فرنسا، ومن ثم للإطاحة العسكرية بســـلطات أو قـــوات الإحتلال). عرف الجيش البريطانى الذى هبط فى فرنسا فى ١٩٤٤ بجيش التحرير البريطاني. ثم تم تبنى الكلمة على نطاق واسع، كما حصل فى الجزائـــر وفيتنـــام، لحركات مقاومة لسلطات احتلال استعمارية، خاصة من خمسينيات ق ٢٠.

فى منتصف ق ١٩ فى إنجلترا كان لايزال يعتبـــر "محـــرر liberationist" مناصراً لسحب اعتراف الدولة بالكنيسة. اكتسبت libertarian التى كانت تســـتعمل منذ أواخر ق ١٨ لـــ "المؤمن بحرية الإرادة free will" (التى دخلت الإنجليزيـــة ق ١٣ من اللاتينية liberum arbitrium) معناها السياسى الحديث مـــن أواخـــر ق١٩.

كان هناك بالطبع تطور مواز لكلمتين مشتقتين إحداهما من اللاتينية "liber" والأخرى من التيوتنية "freo" (التى وجدت فى الإنجليزية القديمة). فى كل حالة اعتمد المعنى على مصطلح معارض فى اللاتينية servus: عبد، وفى اللغات التيوتنية: "من لا يمتون بصلة لأهل البيت"؛ عملياً "عبيد" أيضاً. "عزيز dear" هى أصل معنى الكلمات المرتبطة بـ free كما هى مستعملة فى عبارات تتعلق بالأسرة مثل: أهل الدار الأحرار free household.

تطورت المعانى السياسية الموسعة بشكل رئيسى حول المجموعة اللاتينية، كما هو الحال بالفعل فى اللاتينية نفسها، رغم أنه فى دولة حرة Free State، مناضل من أجل الحرية freedom fighter، مشاريع بشروط السوق الحر free enterprise، مثلاً، كان هناك استعمال واسع فى ق٢٠ للمجموعة البديلة.

كان استعمال الحركة النسائية لتحرير liberation (ومن ثم liberationist منادية بالتحرير والصفة liberated متحررة) المختصرة إلى Lib فى أواخر ق٢٠ مرتبطاً بالحركات السياسية من ١٩٤٠. كانت كلمة emancipation الشائعة فى الإنجليزية من ق ١٧، واتبعت فى البداية معنى emancipo، لاتينية، الذى دل فى القانون الرومانى على إعفاء (طفل فى العادة، لكن أحيانا زوجة)، من "السلطات القانونية Patria Potesta " لرب الأسرة pater familias؛ يمكن للشخص المحرر emancipated بهذه الطريقة التصرف sui juris – أى بتمام الأهلية القانونية. (تتكون الكلمة اللاتينية من e أو ex: من أو بدون و emancipium: عقد أو صفقة قانونية، من manus و capio: هكذا حرفياً أخذ باليد (وضع يد) لعقد صفقة أو اتفاق. كان هناك توسع مجازى قديم كما هو عند بيكون Bacon: "طبيعة بشرية ... تستحق أن تحرر fit to be emancipated" (١٦٠٥) وكان هناك استعمال لدى "دون" Donne: "لتحريرهم to emarcipate من الطاغية" (١٦٢٥). لكن من ق ١٨ أصبح المصطلح محصوراً تماماً على فعل التحرر من العبودية، وبلغ ذلك الذروة فى يوم التحريرEMANCIPATON DAY فى أمريكا فى ١٨٦٣. فى بريطانيا انحصر المصطلح كذلك، لكن لمدة قصيرة ،على تحرير الكاثوليك (١٨٢٩) من

اللاتأهيل الشرعى المدني. لكن خلال ق ١٩ استعملت الكلمة بانتشـــار مضـــطرد بمعنى إزالة اللاتأهيل القانونى والسياسى للنساء (سجل اســـتعمال ســـياقى ســـلبى لمتحررة emancipatress من ١٨٨٢) وكان شائعاً فى بريطانيا وأمريكا فى ق ٢٠. كذلك استعملته الحركة العمالية أو استخدمه آخرون بخصوصها كما فـــى تحريـــر الطبقة العاملة emancipation حيث كان هناك ارتباط قائم من خلال عبارة عبوديـــة الأجر Wage-slavery.

يبدو أن التحول اللاحق من emancipation إلى liberation يبين تحولاً مـــن أفكار إزالة اللاأهلية أو منح امتيازات privileges (قارن UNDERPIVILEGED) إلـــى أفكار فعالة لكسب الحرية وحق تقرير المصير. اكتسبت self-determination حـــق تقرير المصير، التى كانت فى السابق تشير إلى "حرية الإرادة" من ق ١٧، معنـــى سياسيا من منتصف ق ١٩ ("تجمع سياسى حر ومقرر لمصيره"، جـــروت Grote، ١٨٥٣) وصارت شائعة خاصة بعد ١٩١٨ ("حق الأمم فى تقريـــر مصـــيرها"). يبدو أن بعض الاستعمالات الحديثة تجمّع المعانى الشخصية والسياسية.

انظر: FAMILY عائلـــة، LIBERAL ليبرالـــى، SEX جـــنس، UNDERPRIVILEGED محروم

## أدب LITERATURE

هذه كلمة صعبة، جزئياً لأن معناها المعاصر التقليدى يبدو عند أول نظـــرة بسيط جداً. ليست هناك صعوبة ظاهرة فى عبارات مثـــل أدب إنجليـــزى أو أدب معاصر إلا عندما نجد فرصة للاستفسار عما إذا كانت كل الكتب والمؤلفات أدبـــاً (وإذا لم تكن كذلك، فأية أنواع تم استثناؤها وحسب أية معايير) أو حتى نصادف – وهذا مثال مهم – تمييزاً بين أدب literature ودراما drama بناءً على أن الـــدراما فيما يبدو نوع من الكتب غرضه الرئيسى الأداء المنطوق (لكن فى الغالب للقـــراءة

أيضاً). ليس من السهل إدراك أسباب هذه التمييزات التى كثيرا ما تكون مشوشة حتى ننظر إلى تاريخ الكلمة.

دخلت الكلمة الإنجليزية منذ ق ١٤ بمعنى تعليم مهذب polite learning عن طريق القراءة. سابقتها المباشرة (س م) هى littérature فرنسية، litterature لاتينية، لها نفس المعنى العام. مصدرها البعيد (س ب) littera لاتينية: حرف letter (من حروف الأبجدية). بالتالى عنت a man of literature أو a man of letters ما يمكن أن نسميه الآن "رجل واسع الاطلاع". هكذا نلاحظ العبارتين: "ليس لديه اطلاع كاف sufficient literature لفهم الكتاب المقدس" (١٥٨١)؛ و "متعلم فى كل الأدب learned in all literature، والمعرفة، دينية كانت أم دنيوية (بيكون، ١٦٠٥). من مثال بيكون يمكن ملاحظة أن اسم الحالة - كونه واسع الإطلاع - أقرب أحيانا إلى اسم المفعول: الكتب التى كان الرجل مطلعاً عليها. لكن يمكن ملاحظة المعنى الرئيسى من الصفة المعتادة التى كانت literate، واسع الاطلاع، من ق ١٥، بدلا من literary أدبى التى ظهرت أولا فى ق١٧ كبديل بسيط لـ literate ولم تكتسب معناها الأعم إلا فى ق ١٨، لكن مع ذلك قارن عنوان كتاب كيف Cave اللاتينى *Literaria Historia* (١٦٦٨). حتى ظهور مؤلف جونسون *Life of Milton* كان الاستعمال السابق لايزال معتاداً: "كان لديه على الأرجح اطلاع يفوق الاطلاع literature العام حيث أن ابنه يخاطبه فى إحدى قصائده المكتوبة بـ "لاتينية بالغة الصعوبة" (١٧٨٠).

قابلت أدب literature إذن بشكل رئيسى المعانى الحديثة للكلمة literacy (معرفة القراءة والكتابة) التى كانت على الأرجح، بسبب زوال المعنى القديم فى ذلك الوقت، كلمة جديدة منذ أواخر ق١٩ ، عنت مقدرة على القراءة وحالة كون الإنسان واسع الاطلاع، يمكن تأكيد ذلك من الكلمات السلبية. فى العادة عنت illiterate (أمي) محدود الاطلاع poorly-read أو سيئ التعليم: "Judgis illitturate" (١٥٨٦) قضاة شبه متعلمين؛ "أسلوبى الفج وشبه المتعلم illeterate" (١٥٩٧)؛ وحتى وقت متأخر (١٧٤٨) نلاحظ "فى مفهومنا العام تعنى كلمة illiterate رجلاً

جاهلاً بهاتين اللغتين: اليونانية واللاتينيــة" (تشيســترفيلد Chesterfield). بشــكل أوضح كانت هناك الكلمة المنقرضة الآن Illiterature من أواخر ق ١٦: "السبب... جهل... وأمية illiterature" (١٥٩٢). على النقيض، من أوائل ق ١٣ كان الخاصة literati هم ذوى التعليم العالي.

لكن مهد معنى "تعليم مهذب" العام، الذى ارتبط ارتباطاً وثيقاً بفكرة الكتــب المطبوعة، الطريق لتخصصات الكلمة اللاحقــة: ميــز كولــت فــى ق ١٦ بــين literature و ما أسماه "blotterature"؛ هنا يتوسع معنى عدم المقدرة علــى كتابــة واضحة إلى صنف من الكتب أدنى من معايير القراءة المهذبة. لكــن العلامــات الأولى المؤكدة للتحول العام فى المعنى بدأت من ق١٨. توسعت literary أكثر من معادلتها literate. كانت فى البداية على الأرجح بمعنى عام: واسع الإطلاع لكــن من منتصف ق ١٨ دلت على ممارسة ومهنة الكتابة: "جدارة أدبيــة literary merit" (جولد سميث Goldsmith، ١٧٥٩)؛ "سمعة أدبيــة literary reputation" (جونســون Johnson، ١٧٧٣). يبدو أن هذا يرتبط ارتباطاً وثيقاً بالوعى الذاتى العالى بمهنة الكتابة فى فترة الانتقال من رعاية الأدب إلى "سوق بيع الكتب". فى الوقت الــذى استعمل جونسون literature بمعنى اتساع الاطلاع فى كتابــــــــه *Life of Milton* فإنه كتب فى *Life of Cowley*، بالمعنى الجديد: "مؤلف وضعه خياله الخصب ولغته الرائعة فى مرتبة عالية من الأدب ranks of literature". (تعريف جونسون للكمــة فى قاموسه هو "معرفة مهارة الكتابة".) لكن لم تــزل تــدل literature و literary بهذا المعنى الجديد على جملة الكتب والكتابة بأجمعها، ولو تم التمييز فإنه يظهــر فى الإشارة إلى هبوط فى مستواها عن مستوى المعرفة المهذبة بدلا من الإشــارة إلى أنواع معينة من الكتابة. ذكر هيوم Hume الفيلسوف بشكل طبيعــى تمامــا أن "حبه للشهرة الأدبية literary fame ... كان ولعه الطاغي". أصبحت كــل الأعمال ضمــن نطاق المعرفة المهذبــة تعتبــــر أدبــا literature، وكـــل الاهتمامــات والممارسات أدبية literary. هكذا يكتب هازليــت Hazlitt فـــى *Of Persons One Would Wish to Have Seen* (*II,Winterslow*): "قال آيرتون Ayrton "أعتقــد أن أول

شخصين تـــــود اختيار رؤيتهما سيكونان أعظــــم اسمين فى الأدب الإنجليـــزى السيد إســـــحاق نيوتن والسيد لوك Locke" (١٨٢٥ تقريباً).

العبارة الشائعة الآن English literature أدب إنجليزى نفسها كانت جزءا من تطور حاسم. تطورت فكرة Nationallitteratur أدب قومـــى فى ألمانيـــا مــــن سبعينيات ق ١٨ ويمكن تسجيل التالي: ... أدب ألمانى أصيل... (هردر، ١٧٦٧)؛ قرون من الأدب الفرنسى (١٧٧٢)؛ تاريخ الأدب الإيطالى (١٧٧٢). يبـــدو أن "أدب إنجليزي" تبعت ذلك رغم أنها مضمرة عند جونسون. أن يكون لـــــ "أمــة" "أدب" هو تطور ثقافى واجتماعى حاسم ومن المرجح سياسى أيضاً.

ما يجب تعقبه، إذن، هو محاولات حصر literature، التى كانت فى الغالـــب ناجحة، على أنواع معينة من الكتابة. هذا صعب لأنه ببساطة غير مكتمل؛ لايـــزال يتعامل محرر أدبى literary editor وملحق أدبى literary supplement عموماً مــع كل أنواع الكتب. لكن كان هناك تحديد لمعنى يتم تأكيده أحياناً (بســـبب غمـــوض متبق) فى عبارات مثل creative literature أدب ابداعى أو imaginative literature أدب خيالى (قارن CREATIVE إبداعي، IMAGINATION خيالى كوصفين لأنواع من الكتابة؛ قارن أيضاً FICTION خيال/رواية). فيما يتعلق بالماضى لاتزال literature كلمة عامة نسبيا لكل أنواع الكتابة: مثلاً، ينتمى كارلايل Carlyle ورســـكن Ruskin اللذان لم يكن لهما روايات أو قصائد أو مسرحيات إلى الأدب الإنجليـــزي. لكـــن كان هناك تمييز وفصل مضطردين لأنواع أخرى من الكتابة – فلســـفة، مقـــالات، تاريخ، ..إلخ – قد تمتلك وقد لاتمتلك ميزة أدبية أو تعتبر ذات اهتمام أدبى literary interest (التى تعنى أنه بالإضافة إلى اهتمامها الأصلى مثل الفلسفة أو التـــاريخ أو أى موضوع آخر فإنها حسنة الكتابة well-written) لكـــن لا توصـــف الآن كـــأدب literature الذى يمكن فهمه ككتب جيدة الكتابة ، وأبعد من ذلك يمكن فهمه بطريقة أوضح ككتب حسنة الكتابة من نوع خيالى أو إبداعي. يفهم تـــدريس الإنجليزيـــة، خاصة فى الجامعـــات، كتـــدريس أدب literature، أى بشـــكل رئيســـى قصـــائد ومسرحيات وروايات؛ و توصف أنواع أخرى من الكتابة "الجـــادة" بأنهـــا عامـــة

أو خطابية discursive. وهناك literary criticism نقد أدبى – أى الحكم general على كيفية كتابة عمل (إبداعى أو خيالي) – فى الغالب فى تمييز له عن مناقشة "أفكار" أو "تاريخ" أو "مواضيع عامة". فى الوقت نفسه لا يعتبر عدد كبير من القصائد والمسرحيات والروايات أدباً: تهبط دونِ مستوى الأدب، بمفهوم يرتبط بالتمييز القديم للأدب كمعرفة مهذبة؛ أى أنها ليست على درجة كافية من المتانة أو الأهمية بحيث يمكن تسميتها أعمال تنتمى إلى الأدب works of literature. يستعمل كبديل لذلك تصنيف جديد هو popular literature أدب شعبى أو دون الأدبى sub-literary، لوصف أعمال قد تكون من نظم الخيال لكنها لا تنتمى إلى الإبداع والتى تكون بذلك فاقدة القيمة الجمالية AESTHETIC (ا م) وهى ليست فنا ART (ا م).

بوضوح التحول الكبير الذى تمثل فى مجموعة المفاهيم الحديثة للأدب literature : art فن، aesthetic جمالي، creative إبداعى و imaginative تخيلى هو مجال بحث اجتماعى وثقافي. يجب اعتبار كلمة literature نفسها تمييزا من القروسطية المتأخرة وعصر النهضة لمهارات القراءة ونوعية الكتاب؛ تأكد هذا بشدة عن طريق تطور الطباعة. لكن مفهوم المعرفة مازال متأصلاً وكانت هناك أيضاً فنون arts، قواعد grammar، وبلاغة rhetoric. باضطراد، ومع هيمنة الطباعة، أصبح كتاب book وكتابة writing، مترادفين تقريباً؛ من ثم التشوش اللاحق حول "دراما" التى كانت كتابة يقصد نطقها speech (لكن بوضوح ما كتبه شكسبير يصنف كأدب، ويثبت ذلك وجود نص). ثم انحصرت literature فى "كتابة تخيلية"، ضمن المفاهيم الأساسية للحركة الرومانسية. من اللافت تذكر الكلمة التى قامت بهذه المهمة قبل تحديد معنى" أدب"، وهى بشكل رئيسى poetry شعر، التى عرفت فى ١٥٨٦ بأنها" فن الصنعة" art of making: استعملت دائما بالنسبة للشعراء الإنجليز للدلالة على ملكة الكلام الفعلية أو الكتابة بطريقة شاعرية (لاحظ ضم "الكلام" speeking). كتب سدنى Sidney في١٥٨١: "النظم ليس إلا زخرفا وليس هو الذى يصنع الشعر: لذا كان هناك عدد كبير من الشعراء المتميزين الذين لم يكتبوا نظما أبداً". حصر poetry شعر على تأليف موزون

واضح من منتصف ق ١٧، رغم أن وردزورث Wordsworth جادل فـي ذلـك: "أستعمل هنـا كلمة "شعر" (بالرغم من تحفظى على ذلك) فى تضاد مـع كلمـة "نثر" وفى تـرادف مـع تأليـف "موزون" (١٧٩٨). من المـرجح أن حصـر الشعر على النظم، بالإضافة إلى الأهمية المتزايدة لأصناف نثريـة مثـل الروايـة NOVEL (ا م)، جعل literature أدب الكلمة الشاملة الشائعة. سـبقتها مـن عصـر النهضة عبارة أدب بشرى litterae humanae التى دلت بشكل رئيسى على الكتابـة العلمانية فى تمييز لها عن الكتابة الدينية ونجم عن ذلك استعمال عام للكلمة letters آداب. تطورت belles letters آداب جميلة فى الفرنسية من منتصف ق١٧؛ كـان عليها أن تتحصر أكثر عندما استقرت فى النهاية الكلمة literature. كانـت poetry شعر هى المهارة الرفيعة للكتابة والكلام فى نطاق الخيال السامي؛ يمكـن توجيـه الكلمة نحو أى من الاتجاهين. بمفهوم ق ١٩ كررت literature ذلك، لكـن مـع استبعاد "الكلام". لكنها مع ذلك كلمة إشكالية ، لـيس فقـط بسـبب انحصـارها الإضافى على مواضيع خيالية وإبداعية (فى تمييز لـذلك عـن الكتابـة الخياليـة والإبداعية) ، وإنما أيضا بسبب الأهمية الجديدة لأصـناف كثيـرة مـن الكتابـة المخصصة للنطق (إذاعة ودراما) ، التى بدا أن حصر literature علـى الكتـب، حسب التعريف، أبعدها.

ومن اللافت، أنه فى السنوات الأخيرة اعترض بشكل متزايد على literature و literary، رغم أن لهما تداولاً فعالاً بمعانى ما بعد ق ١٨، وذلك بناء على ما هو ، تقليدياً ، مجالهما، من قبل مفاهيم writing كتابة وcommunication اتصـال التـى تسعى لاستعادة المعانى الفعالة والعامة التى يبدو أن التخصص الفائق اللاحق قـد اقصاها. علاوة على ذلك، فيما يتعلق بردة الفعل هذه، اكتسـبت literary معنيـين سلبيين: ارتباطها بالكتاب المطبوع أو بالأدب الماضى بدلاً من كتابة وكلام معاصر فعال؛ أو كدليل (لايعتمد عليه) مستمد من كتب بدلاً من "بحث حقيقي". يلامس هذا المعنى الأخير جملة العلاقات المعقدة بين literature أدب (شـعر، خيـال، كتابـة خيالية) وتجربة حقيقية أو فعلية. كذلك بالطبع كانت literary عبارة انتقـاص فـى فنون أخرى خاصة الرسم والموسيقى، حيث يعتبر العمل قاصـراً فـى اسـتعمال

أدواته الخاصة ، وليس على درجة استقلال كافية، وكونه معتمداً على دلالات "خارجية" من نوع "أدبى literay". هذا المعنى موجود فى نقاش الأفلام. فى الوقت نفسه أصبح تعلم القراءة والكتابة literacy وأمية illiteracy مفهومين اجتماعيين أساسيين فى منظور أوسع من معنى ماقبل ق ١٩. توسعت الأمية illiteracy من ق ١٨ للدلالة على عدم القدرة على القراءة والكتابة وكانت literacy، من أواخر ق ١٩، كلمة جديدة للتعبير عن إنجاز وامتلاك ما اعتبر بشكل متزايد مهارات ضرورية وعامة.

انظر: AESTHETIC جمالي، ART فن، CREATIVE إبداعي، FICTION خيال، IMAGE صورة، MYTH أسطورة، NATIONALITY وطني/قومي، NOVEL رواية

## رجل/إنسان/بشر MAN

هناك استعمال لافت وهام لكلمة Man فى المفرد وبحرف استهلالى كبير لوصف الجنس البشرى ككل، النوع البشرى أو الإنسانية. التطابق بين man (إنسان) و man (ذكر) استمر فى الإنجليزية مدة أطول عنه فى معظم اللغات الأوربية. الاستعمال المجرد فى الإنجليزية مثير للاهتمام ، إذ ليس له أداة تعريف (قارن l'homme فى الفرنسية، der Mensch فى الألمانية): "التركيب البنيوى للإنسان man والقرد". فى توصيفات النوع البشرى الفيزيائية لا تسبب man إلا مصاعب قليلة؛ تحديد الجنس sex هو الصعب فى بعض المجالات (قارن العنوان الحديث: هبوط المرأة *The Descent of Woman* [مقابل هبوط "الرجل" بمعنى البشر وهو المثال "الدينى" المتعارف عليه فى السابق] . خلق التحديد الجنسى sexual للكمة إشكالية فى بعض التنظير الفلسفى والاجتماعى العام (قارن بين Paine: *Rights of Man*، Man هنا بمعنى بشر وبين Wollstonecraft ولستون كرافت: *Rights of Woman*، (حيث تعنى woman هنا أنثى). لكن بخلاف تحديد الجنس sex فإن استعمال المفرد هو الأكثر إثارة للاهتمام فى مجالات أخرى غير

بدنية. هناك بعض الاستعمالات الموسعة كما فى "future of man مستقبل الإنسان على هذا الكوكب" الذى لايثير أية مشاكل حقيقية. لكن فى بعض الاستعمالات الأخرى يسبب المفرد، وفى الغالب يحجب، بعض المشاكل. كانت الأمور أبسط عندما كانت "إنسان Man " تعميماً مميزاً عن الإله God ؛ كلمة مفردة مقابل كلمة مفردة أخرى كما فى "الإنسان يسعى والرب يدبر man purposith and god disposith" (١٤٥٠) إلى جانب افتراض خلق الإله للإنسان (Man أو Man-kind النوع البشري) وتحكمه فى مصيره. المثير هو أنه استمر التعبير عن هذه الحالة السائدة المفترضة - روحية وميتافيزيقية - بنفس صيغة المفرد عندما كانت توصف الخصائص الاجتماعية والأخلاقية الشاملة كما حدث فى عصر الأنوار. استعمل بعد ذلك المفرد الشامل Man مستقلا. استمر ذلك الاستعمال حتى فترات متأخرة تم التركيز فيها على تطور الإنسان الذاتى (الإنسان يصنع نفسه Man Makes Himself)، و شاع بشكل ملحوظ حتى ضمن نسبية ثقافية وتاريخية متعمدة. من الصعب جداً إذن تمييز افتراضات عامة عما هو فى الواقع مسائل ثقافية واجتماعية، كما فى الأمثلة التالية: "اخترع الإنسان man العجلة والبوصلة وماكينة الاحتراق الداخلي"؛ "الإنسان man بطبيعته قناص" و"دخل الإنسان الآن مرحلة حرجة من الحضارة الصناعية". كل هذه الاستعمالات ممكنة، لكن من المهم فى العادة التنبه لإيحاءات المفردة المبتدئة بحرف كبير Man (الذى يفترض الشمولية) وكذلك لتضمينات مشابهة فى الغالب لكلمة Man فى صيغة الجمع المجردة المستعملة بنفس المعنى. لو اقتصرت الاستعمالات على مجالات ميتافريقية أو شمولية ، أو تاريخياً أحادية المسار لكانت المشكلة أبسط؛ لكن تأصّل فى اللغة الآن تكرار هذه الافتراضات لدرجة أن هناك استمرارية لهذا الاستعمال حتى عندما يكون التأكيد على التنويع التاريخى والثقافى الفعلي. تتطلب الاستعمالات فى الماركسية، حيث كانت هناك صعوبة أساسية ومهمة وربما مستحيلة الحسم حول مفهوم "كائن- نوعى" 'species-being'، اهتماما خاصا لهذا السبب وحده.

انظر: HUMANITY انسانية، SEX جنس

## إدارة/تدبير MANAGEMENT

عندما نتحدث الآن عن مفاوضات بين إدارة management ورجال men فإننا نتحدث عن نوع معين من العلاقات الاقتصادية والاجتماعية. يبدو أن كلمة manage (يدير) دخلت الإنجليزية مباشرة من maneggiare، إيطالية: يروّض وعلى الخصوص يروض أو يسوس خيولاً. كانت استعمالاتها الأولى في اللغة الإنجليزية في هذا المجال. أصلها القريب (س م) هو manidiare، لاتينية دارجة: يروض، من (س ب) manus، لاتينية: يد. توسعت manage بسرعة لتشمل عمليات حرب ومن أوائل ق ١٥ شملت معنى عاماً يدل على تولي زمام الأمور وتقلد أو قيام بالمسؤلية أو توجيه. يتأثر تاريخها اللاحق باختلاطها بـ ménager، فرنسية: يستعمل بعناية، من ménage: أهل البيت، التي ترجع إلى mansionaticum، لاتينية دارجة، من (س ب) mansionem، لاتينية: سكن (التي أدت مباشرة إلى maison، فرنسية: منزل). هناك أدلة وافرة من أواخر ق ١٧ و ق ١٨ على تداخل بين manage و menage يبرز في تنويعات التهجية. أثر ذلك على معاني manager من سائس وموجّه/مدير (maneggiare) إلى مدبّرة منزل مقتصدة (menager). لايزال نطاق المعاني هذا فعّالاً في اللغة الإنجليزية في استعمالات تمتد من الرياضة إلى الأعمال، ثم إلى تدبير المنازل (a good manager إداري جيد).

في الأصل كانت management اسم عملية لأي من هذه النشاطات. يبدو أنها انحصرت في البداية على فكرة تجمّع من الرجال collective body of men ومن ثم مؤسسة موجِّهة ومتحكِّمة في المسرح حيث لاتزال the management الإدارة عبارة شائعة. حدث ذلك في منتصف ق ١٨، لكن استعملت manage وmanager باضطراد لنشاطات ترتبط بالتمويل والأعمال business. كاسم جمع توسعت management من ق١٩ لتشمل عملية الإشراف على نشر الصحف. بمعنى مؤسّسي، توسعت the managers باضطراد من منتصف ق ١٨ لتدل على الموجّهين أو القائمين على مؤسسة عامة (مدرسة، مأوى). في مجال الأعمال لم

تكن manager بعد مميزة بشكل واضح عن agent (وكيل، فاعل) وعن الاستعمال الخاص للكلمة receiver (من يدير عملا تحت سلطة المحكمة). مع توسع التعبير في مجال الأعمال كان لايزال هناك تمييز واضح بين المالكين وأعضاء مجلس الإدارة directors من جهة ، والمدراء managers من الجهة الأخرى؛ مازال المدير كوكيل هو المعنى الاوضح هنا.

يرتبط مفهوم management العام فى ق ٢٠ باتجاهين تاريخيين. كان هناك توظيف متزايد لمجموعة من الوكلاء agents المأجورين لإدارة administer مؤسسات أعمال كبيرة. فى الإنجليزية أصبح هؤلاء، مع توكيد جديد، هم the managers المدراء أو the management الإدارة فى تمييز لهم عن الوكلاء الحكوميين الذين سموا (مع إلماعة متبقية من عهد الملكية monarchy [حيث الناس رعية] ) civil servants (موظفين مدنيين) أو، بشكل أعم، البيروقراطية BUREAUCRACY (ا م). لاتزال هذه الطبقة من الموظفين الحكوميين متميزة عن management حتى عندما تكون نشاطاتهم الفعلية متطابقة؛ يتبع هذا التمييز القائم المتعارف عليه والمتأثر أيديولوجيا بين أعمال حكومية وأعمال خاصة. كان التعبير المهذب لمؤسسات شبه حكومية هو administration (رغم أن هذا يستعمل كذلك كمرادف سياسى للحكومة). من اللافت أن هناك تنويعات كبيرة فى التعابير غير الدقيقة المتعلقة بمجال "أصحاب العمل أو الموظّفين employers" و "إداريين managers" فى لغات أوربية أخرى حيث ليس لـ "manager" بالمعنى الإنجليزى (الأمريكي) فى الغالب معادلا، وتم أحياناً ببساطة تبنى هذه الكلمة. (قارن الكلمات الفرنسية gérant،régisseur، directeur ، بالإضافة إلى employeur، وبشكل ملحوظ patron). كان الاتجاه التاريخى الآخر فعلياً إرباكاً وتعمية فى علاقات الإقتصاد الرأسمالية. كانت هناك مفاوضات (ق ١٩) بين masters أرباب العمل و men عمال، وباضطراد حملت فى ق٢٠ الكلمة الألطف والسائدة الآن employers موظفين محل mastersr. لكن فى منتصف ق ٢٠ فضّلت the management الإدارة ؛ هى مصطلح مجرد يضمر معايير مجردة وظاهرياً نزيهة. جدير بالملاحظة أنه لايزال هناك جدل مثير حول ما سمى managerial revolution

الثورة الإدارية التى يعتقد أن المدراء managers المأجورين استولوا فيها، ضمن نظام الرأسمالية، على السلطة الفعلية فى الشركات الكبرى من ملاكها ومساهميها القانونيين. لو كان هذا صحيحاً (والمعلومات معقدة جداً) فإن الإدارة the management ستكون الآن هى الموظفين employers ولظل للمصطلح المجرد والحيادى ظاهرياً مفعول أيديولوجي. بالطبع موقع أعضاء مجلس الإدارة directors فى هذه العملية هو جزء من النقاش المركزي.

فى الغالب يزيح وصف مفاوضات بين management إدارة و men الطبيعة الحقيقية لمفاوضات بين employers موظّفين و workers عمال ويحّول طبيعة المفاوضات حول الحصص النسبية لإنتاج العمال إلى نزاع بين متطلبات "العملية" (الإدارة management المجردة) العامة ومطالب أفراد فعليين (men رجال، عمال). عندئذ يمكن التحدث عن القوانين الداخلية لمؤسسة أو نظام رأسمالى على أنه قوانين تقنية أو مجردة أو عامة مقابل مجرد رغبات أفراد أنانية. لذلك تأثير أيديولجى فائق.

فى الوقت نفسه يمكن العثور على مثال من معنى manage القديم (من maneggiare) فى التعبير الشائع "الإدارة" management. بدأ ذلك فى الجيش وكانت له صلات مباشرة بسياسة الخيول والسيطرة عليها. فى ق ٢٠ توسعت بشكل كبير كتعبير مؤثر ونافذ المفعول فى أنواع كثيرة من توظيف وإدارة العمل، وتستعمل بشكل واسع فى دورات التدريب الإدارى management-training courses دونما دراية دائما بمضمون التعبير. التعبير الأكثر مرونة لأنه أكثر تجريدا ، هو management personnel إدارة أفراد ، حيث يصبح الناس على طرفى العملية مجردين ومعممين بشكل تام.

انظر: BUREAUCRACY بيروقراطية، LABOUR عمل، MAN رجل/بشر

## جماهير، العامة، طبقة عاملة MASSES

المفردة mass ليست فقط كلمة شائعة جداً وإنما هى أيضاً كلمة صعبة جداً فى التوصيف الاجتماعي. بينما "the masses" الجماهير أقل صعوبة إلا أنها مثيرة بشكل خاص للاهتمام لأنها متأرجحة: تعبير احتقار فى معظم الفكر المحافظ، لكنها إيجابية فى معظم الفكر الاشتراكي.

عبارات الاحتقار الموجهة لأغلبية الناس لها تاريخ طويل وثرى. فى معظم التوصيفات الأولي المعنى البارز هو: وضيع ودنيء وذلك بناء على نموذج مجسم، مضمر لكنه غالباً واضح، للمجتمع مرتبا حسب مراحل أو طبقات متعاقبة. حدد هذا النموذج المجسم أكثر مفردات التوصيف الاجتماعي؛ قارن standing مكانة، status منزلة، emenince سمو، علو، prominence بروز، والأوصاف الاجتماعية: levels مستويات، grades مراتب، estates منازل، degrees درجات. فى نفس الوقت توسعت تعابير معينة لوصف بعض المجموعات بأنها "دنيئة" low: plebeian من اللاتينية plebs، دهماء، villein خسيس (ولد فى الرق) و boor فظ، من المجتمع الإقطاعي. أضافت COMMON عام/سائر (ا م) معنى الوضاعة lowness إلى معنى المشاركة mutuality خاصة فى عبارة "the common people" عامة الناس. بحلول ق ١٦ فقدت vulgar (مألوف) معظم معانيها الحيادية أو الإيجابية وكانت فى طور التحول إلى مرادفة لدنئ؛ "low" و "base" وضيع؛ تبقّى معنى أكثر إيجابية فى vulgate (نص مقبول عند الجمهور). أصبحت the people الناس نفسها مبهمة كما فى حدث فى طرح فى ق١٧ حاول تمييز "better sort" الصنف الأفضل عن الأحقر "meaner" والأدنى "basest". لايزال يمكن استعمال العبارة الإجمالية the people حسب الموقف السياسى إما بشكل عام أو بطريقة انتقائية.

لتعابير الاحتقار أو الخوف السياسى الصريحة تاريخها الخاص. فى ق ١٦ و ق ١٧ كانت الكلمة الرئيسية هى multitude حشد، عامة، كما هو عند كريستوفر هيل Christopher Hill: "الوحش متعدد الرؤوس The Many-headed

في كتـــــابه Change and Continuity in Seventeenth Century "Monster England ١٩٧٤). رغم أن معظم الإشارات كانت لـــــ vulgar، الأفجــاج و the rabble الرعاع فإن الاسم البارز كان multitude، معززاً غالباً بوصف للتعدد كما في "متعدد الرؤوس". كانت هنـــاك أيضـــاً base multitude حشـــد حقيـــر، giddy multitude حشد طائش، hydra-headed monster multitude حشد متـــوحش مثـــل الأفعوان الخرافي ذي التسعة رؤوس و headles multitude حشد عـــديم القيـــادة. هذا التركيز على أعداد كبيرة مهم عندما يقارن بالتطور اللاحق لكلمة mass، رغم أنه لابد وأن كان بديهيا أن أبرز شئ بالنســبة لـــــ "the common people" عامـــة الناس هو عددهم الكبير.

بالنسبة للصفة السابقة base فإن لها معنى واضـــحا يبـــين دنـــاءة الحالـــة الاجتماعية والمستوى الأخلاقي. ربما تداخلت في الأصـــل الكلمتـــان idiot أبلـــه وgiddy طائش اللتان حملتا معنيـــي "ignorant جاهـــل و foolish أحمـــق" وأدى تشابكهما إلى معنى giddy المبكر كمجنون crazed (عنت في الأصل "تملك من قبل إله"). لكن معنى giddy "غير متزن، متقلب" أصبح تاريخياً أكثر أهميـــة؛ ارتـــبط بالعبارة اللاتينية "mobile vulgus": عامـــة الناس المتقلبين، التي اختصرت بحلـــول أواخر ق١٧ إلى "mob" الإنجليزية (رغم أنها لاقت اعتراضاً في أوائل ق ١٨ من آخرين بينهم سويفت Swift الذي شجبها بطريقة لطيفـــة لأنهـــــا كلمـــة ســـوقية vulgarism). من ق ١٨ حلت mob (غوغاء، سواد الناس) محل multitude، لكـــن مع سند من مجموعـــة الكمـــات المألوفـــة: vulgar و base و common و mean. بالطبع استمرت mob مستعملة لكنها صارت منـــذ اوائـــل ق ١٩ أكثـــر تحديـــدا: حشـــــد جامـــح unruly crowd معيّن بدلاً من حالة عامة. الكلمة التـــي بـــرزت لاحقاً للدلالة على الحالة العامة هي mass وتبعتها the masses.

استعملت mass بشكل واسع بمعان متعددة منذ ق ١٥. ســـابقتها المباشـــرة (س م) هي masse، فرنسية و massa، لاتينية: كتلة مادية يمكن قولبتها وســـبكها (على الأرجح كان المعنى في الأصل لعجن الطحين)، ومن ثم أية كتلـــة كبيـــرة.

يمكن ملاحظة معنيين مهمين لكنهما أيضـا بديلان: (١) شيء غيـر متبلور وغير مميـز؛ (٢) تجمع كثيف. واضحة التداخلات والتنويعات الممكنة. كـان هنـاك استعمال فى عطيل *Othello*: "أتذكر كتلة من الأشـياء **a mass of things** لكنـى لا أميـز شـيئا بوضوح". كان هناك الاستعمال الهـام فـى كتـاب كلارينـدون ***Clarendon*: *History of the Rebellion***، الذى يقترب كثيرا من المعنـى الحـديث: "مثل ذرات كثيرة تسهم معا فى تكوين هذه الكتلة من التشويش ***mass of confusion*** التى هى أمامنا الآن". كانت هناك استعمالات حيادية للكمة ***mass*** تتطور فى العلوم الطبيعية وفى الرسم وكذلك فى الاستعمال اليومى للدلالة على الحجم أو المقـدار الكبير. (كانت **mass** الدينية دائماً كلمة مستقلة، مـن **missa**، لاتينيـة: مرسـل، مصروف **dismissed**، ومن ثم طقس معين). لكن يمكن ملاحظة بـروز المعنـى الاجتماعى فى أواخر ق ١٧: "الجمهور الفاسـد **The "Corrupted Mass** (١٦٧٥)؛ "جمهور الناس **the mass of the people**" (١٧١١)؛ "كافة حشد البشر **whole mass of mankind**" (١٧١٣). لكن ذلك لم يكن محدداً حتى فتـرة الثـورة الفرنسـية. عندئذ ظهر استعمال معين حاسم. كما لاحظ ساوذى **Southey** فى ١٨٥٧: "التجنيد العفوى العام **levy en mass**، التلغراف وضريبة الدخل - كلها أتت مـن فرنسـا". كتبت آنا سيوارد **Anna Seward** فى ١٧٩٨: "أمتنا نهضت تقريبا كوحدة واحدة **in mass**". فى فترة ثورة وصراع اجتماعى مكشوف، كثير من الأشياء التـى قيلـت خلال الثورة الإنجليزية عن **the miltitude** العامة أعيـد قولهـا الآن عـن **mass**، وبحلـول ثلاثينيات ق ١٩ علـى الأقـل بدأت **the masses** تصبح تعبيراً شـائعاً رغـم أنه لم تـزل هناك حاجة أحيانـاً إلى الإشـارة إلـى حداثتـه. يظهـر واضـحاً الاحسـاس بعلاقـة التعبيـر بالثـورة الصناعيـة **INDUSTIAL REVOLUTION** (ا م م) فى قـول جاسكل **Gaskell**: "جمّعت القـاطرة البخاريـة الناس فى جماهـير كثيفة "**dense masses**" (***The Manufacturing Population of England***، 6;1833). كتب مـور **Moore** فى ١٨٣٧: "أحـد الأدلة القليلة على الذوق السليم التى قدمتها الجماهير **the Masses** كما تسـمى". وكتـب كارلايـل **Carlyle** فى ١٨٣٩: "رجال...بالنسبة لهم ملايين من المخلوقـات الحيـة المماثلـة

تعتبر "جماهير masses"، مجرد جماهير متفجرة "explosive masses" لنسف الباستيل بهم وللتصويت فى الانتخابات لصالحنا". يبين هذان المثالان بدقة التشعب فى المعنى. اختار موور الكلمة الجديدة فى سياق ثقافى للدلالة على "دناءة" أو "غوغائية" فى تمييز لها عن ذوق TASTE (ا م). كان كارلايل على وعى بالمعنى التاريخى الدقيق للتعبير الثورى "التجنيد العام العفوى levée en masse" لكنه كان على وعى أيضاً بدرجة كافية بالاستعمال الموجود فى العلوم الطبيعية مكنته من استخدام استعارة الانفجار. من الأهمية بمكان أيضا ربط الاستعمال الثورى الذى شجبه على أنه حيلة مدبرة manipulation بالاستعمال الانتخابى البرلمانى - التصويت فى الانتخابات لصالحنا - الذى حمل مقداراً من التوجيه المتحايل manipulation.

هكذا المعانى معقدة جداً حيث أن هناك استمرارا للمعنيين السابقين (١) و(٢) للكلمة mass. استمر معنى (١) غير متبلور وغير متميز، خصوصا فى العبارة السائرة "in the mass" إجمالاً، على وجه الإجمال"، كما هو عند روجرز Rogers (١٨٢٠): "تشجب ملايينا إجمالاً in the mass كحقودين"؛ أو عند مارتينو Martineau (١٨٣٢): "نتكلم عن المجتمع كشئ واحد، ونعتبر الرجال فى مجملهم in the mass"، حيث المقصود الفشل فى تحديد الفروق الضرورية. لكن اكتسب باضطراد معنى (٢) "تجمع كثيف"، بطريقة طبيعية فى الفرنسية والألمانية أكثر منه فى الإنجليزية، أهمية اجتماعية مباشرة تقارب جداً معنى solidarity تضامن. لا يستطيع الناس فعلا تغيير ظروفهم إلا بعملهم كـ "فرد واحد". ماكان فى معنى (١) فقدان التمييز أو التفريق أصبح بناء على معنى (٢) تجنبا للتقسيم والتشذر غير الضرورى وبالتالى تحقيق اتحاد. استمر معظم الراديكاليين الإنجليز فى استعمال the people الشعب وتنويعاتها - common people عامة الناس، working people الشعب العامل، ordinary people الناس العاديون - كتعبيراتهم الرئيسية المحبذة رغم أنه فى أواخر ق ١٩ كان هناك تضاد عام بين "the masses" الجماهير و "the classes" الطبقات: "ساند الجماهير the masses ضد الطبقات the classes" (جلادستون Gladstone، ١٨٨٦). استمرت masses وتنويعاتها - the

broad masses الجماهير العريضة، the working classes الجماهير العاملة و the toiling masses الجماهير الكادحة - في الاستعمال خصوصا في التراث الثـوري، رغم أن الترجمات كانت في بعض الأحيان غير دقيقة.

حسب المعنى الاجتماعي الحديث، اذن، لجمهور mass و masses جمـاهير نوعان مميزان من الاستعمال. جماهير masses (١) هي الكلمة الحديثة بدل حشد متعدد الرؤوس many-headed multitude و mob غوغاء، سواد الناس اللتين حملتا معاني: دنيء، جاهل، مزعزع. جماهير masses (٢) هي وصف لـنفس النـاس لكنهم يعتبرون هنا قوة إيجابية فعلية أو كامنة. أصبـح التمييز حاسـماً في كثيـر مـن الصيغ المشتقة أو المرتبطة بالكلمة. كان لـــ "اجتمـاع جمـاهيري mass meeting" ، من منتصف ق ١٩، معنى (٢): ناس تجمعـوا لغـرض اجتمـاعي مشترك (رغم أن العبارة الازدرائية like a mass meeting مثل لقـاء جمـاهيري مهمة كردة فعل على ذلك). لكن برز معنى (١)، كما في قول سـميث S. Smith ١٨٠٣: "نادرة العيون والآذان المستقلة، معظم الجمهور the great mass يـرى ويسمع حسب توجيه الآخرين"، في ق ٢٠ فيصيغ عدة: mass society مجتمـع جماهيري، mass suggestion ايحاء جمـاهيري، mass taste ذوق جمـاهيري. معظم هذه الصيغ كانت أنواعاً مصقولة نسبياً من نقد الديمقراطية DEMOCRACY (ا م) التي بدا أنها، وقد أصبحت منذ أوائل ق ١٩ كلمة محترمة، تحتاج وفقاً لتوجـه معين من التفكير بديلاً فعـالاً. يمكـن أن تصـف mass-democrcy ديمقراطيـة جماهيرية نظاماً سياسياً موجّهاً، لكنها في الأغلـب تصـف نظامـاً تحكمـه آراء واختيارات جاهلة وغير متنورة: أي الشكوى الكلاسيكية ضد الديمقراطية نفسـها. في نفس الوقت تأثرت عدة من هذه الصيغ بالصيغة الأكثر شـعبية بينهـا: mass production (إنتاج إجمالي، على نطاق واسع) التي ظهرت في عشـرينيات ق٢٠ في الولايات المتحدة. هذه لاتصف فعلياً عملية الانتاج الذي في الواقع قـام فـي الأصل، كما كان في نظام خط التجميع، على التعدد والتسلسل. ماتصفه هو نوع من الاستهلاك consumption (قارن CONSUMER مستهلك)، السـوق الجمـاهيري the mass market حيث mass هي صيغة لمعنى (١): الحشد متعدد الرؤوس لكنـه

الآن حشد له قوة شرائية. تضادت mass market مــع quality market "ســوق نوعي" واحتفظت الأولى بمعظم معنـــى (١)، لكـــن أصـــبحت mass production تعنى، عن طريق التوسع، الانتاج بكميـــات كبيـــرة. الصـــعوبة الأعمـــق فـــى استعمالات ق ٢٠ للكلمة mass إذن واضحة: إن كلمة دلت وتدل (سواءً كان ذلك ايجابياً أم سلبياً) على تجمع كثيف تعنى الآن أيضاً عدداً كبيراً جداً من الأشـــياء أو الناس. بشكل عام ساد معنى العدد الكبير جداً. مقارنة بالأنظمة الســـابقة، ليســـت mass communication اتصال جماهيرى و mass media وسائل اعلام جماهيرية موجهة نحو جماهير masses (أفراد متجمعين) وإنما نحو مشاهدين كثيرين جداً من حيث العدد لكنهم فى منازل مستقلة ونسبياً معزولة. تختلط عدة معان وتسبب خلطاً الأعداد الكبيرة التى يتم الوصول لها (حشد متعدد الرؤوس أو معظـــم النـــاس the majority of the people)؛ الأسلوب المتبع (الذى يتسم إمـــا بالمنـــاورة والتوجيـــه manipulation أو بالشعبية popular)؛ الذوق المفترض (فج أو مـــألوف)؛ العلاقـــة الناجمة (مستلبة ومجردة أو نوعا جديدا من الاتصال الاجتماعي).

العنصر الأكثر إثارة فى مركّب mass و masses فى الاستعمال المعاصر هو معانيه الاجتماعية المتضادة فعلاً. الانهماك فى mass work عمل جمـــاهيري، الانتماء إلى mass organization منظمات جماهيرية، تثمين mass meeting لقاءات جماهيرية و mass movements حركات جماهيرية، تكريس الحياة كليـــة لخدمـــة الجماهير the masses – هذه عبارات تراث ثـــورى فعـــال. لكـــن دراســـة ذوق الجماهـــير mass taste، استعمال وسائل الإعلام الجماهيرية mass media، تحكم فى السوق الجمـــاهيرى mass market، اشـــتغال بالمراقبـــة الجماهيريـــة mass observation، فهم سيكولوجيا الجماهير أو رأى الجماهير – هذه عبـــارة الاتجـــاه السياسى والاجتماعى المعارض تماماً. يمكن تفهم جزء من الاستعمال الثورى بناء على حقيقة أنه فى ظروف معينة لا تنشأ الأحزاب الثوريـــة ولاينبـــع المفكـــرون الثوريون من الناس the people ومن ثم ينظر إلى هؤلاء الناس على أنهـــم ليســـوا منهم ويعتبرون جماهير masses يجب العمل معها ومن أجلها: جمـــاهير masses كموضوع أو جمهور mass كمادة يجب صياغتها. لكن التاريخ الفعـــال للتجنيـــد

العام العفوي" كان له على الأقل نفس التأثير. فى الاتجاه المعارض ابتعدت mass و masses كثيرا عن سذاجة الإحتقار السابقة (رغم أنه فى بعض الدوائر وفى مواقف معزولة لايزال يمكن سماع نبرة mob رعاع و idiot multitude حشد أحمق). بشكل رئيسى صيغ ق٢٠ هى أساليب تعامل مع أعداد كبيرة من الناس ينظر إليهم بشكل عام بطريقة لا تمييز فيها ، لكن دورهم حاسم فى عمليات عديدة فى السياسة والتجارة والثقافة. يتم افتراض الجمهور كوحدة لكن، للمفارقة، يقسّم فى الغالب بعد ذلك الى أجزاء مرة أخرى: طرفان أعلى وأدنى للسوق الجماهيري؛ النوع الأفضل better kind من الترفيه الجماهيرى mass entertainment. يكون عندئذ المجتمع الجماهيرى mass society مجتمعاً منظماً ومدركاً بمثل هذه الطرق؛ لكن كتعقيد نهائى استعملت mass society، وفى هذا ارتباط بمجالها المحافظ السابق، كتعبير جديد فى النقد الراديكالى بل وحتى الثوري. يعتبر mass society وجمهرة massification (عادة فى إلماعة صريحة إلى وسائل الإعلام الجماهيرى mass media) أسلوباً لاسترضاء وإدماج الطبقة العاملة والبروليتاريا - الجماهير the masses: أى أنها أسلوب جديد للاستلاب والتحكم، تمنع وتعد بمنع تطور وعى شعبى أصيل. هكذا من الممكن تصور - أو على الأقل الأمل فى - انتفاضة جماهيرية mass uprising داخل mass society مجتمع جماهيرى، أو mass protest احتجاج جماهيرى ضد mass media ، أو تنظيم جماهيرى mass orgnization ضد massification. التمييز المقصود أو الذى كانت هناك محاولة بشأنه فى هذه الاستعمالات المتعارضة هو بين جماهير كفاعل SUBJECT (ا م) وجماهير كموضوع object للعمل الاجتماعي.

فى النهاية ليس مدهشاً أن تكون الأمور كذلك. فى معظم استعمالاتها تعتبر mass كلمة فنوية، لكن مشاكل المجتمعات الكبيرة ومصاعب الفعل ورد الفعل الجماعى التى تستعمل بخصوصها هذه الكلمة و مشتقاتها، عادة بطريقة مشوشة، هى حقيقية لدرجة كبيرة ويتوجب مناقشتها بانتظام.

انظـــــر: COMMON عـــام/مشــترك، DEMOCRACY ديمقراطية، POPULAR شعبى

## مادية MATERIALISM

كلمة materialism ماديـــة و الكلمتـــان المرتبطتـــان بهـــا materialist و materialistic هى مفردات معقدة فى الإنجليزية المعاصرة لأنها تشير إلـــى (١) نقاش طويل وصعب ومتنوع يقترح المادة matter على أنها المكون الرئيسى لكـــل الأشياء الحية، ومن ضمنها البشر، والأشياء الجامدة؛ (٢) جملة أحكام وتفســيرات مرتبطة بذلك أو ناجمة عنه لكنها متنوعة جـــدا للنشـــاطات الذهنيـــة والأخلاقيـــة والاجتماعية؛ و (٣) جملة مواقف ونشاطات يمكن تمييزها، ليس لهـــا بالضـــرورة ارتباط علمى أو فلسفى لكن يمكن تلخيصها على أنها اهتمـــام رئيســـى أو مهـــيمن بإنتاج أو امتلاك الأشياء والمال. يمكن تفهم كـــون معارضـــى وجهـــات النظـــر الموضحة فى معنيى (١) و (٢) كثيرا ما يستغلون معنى (٣) ودلائلـــه أو أنهـــم لا يفهمونه بدقة. فى الواقع فى بعض جوانب معنى (٢) هناك صلات معقولة بعناصر من معنى (٣) لا يمكن قصرها على مناصرى كل أشكال معنى (١) و (٢). فـــى الحقيقة الارتباط العام الفضفاض بين معنيى (١) و (٢) ومعنى (٣) ليس إلا أثـــارا تاريخية يسهم تاريخ الكلمات فى إيضاحه.

للكلمة المركزية matter مادة معنى رئيسى مادى مناسب. دخلت الإنجليزية، فى صيغ مختلفة، من (س م) matere، فرنســية قديمـــة، مـــن (س ب) materia، لاتينية: مواد بناء، عادة خشب timber (الذى قد ترتبط به الكلمة إتيمولوجيا، وكذلك مع domestic متعلق بالمسكن؛ قـــارن: "و المـــرأة التـــى تنتـــزع نفســـها وتبتـــر غصنها/عن جوهر نسغها will sliver and disbranch from her material sap" (الملك لير، مشهد ٤، فصل٢) )؛ و من ثم التوسع إلى أية مادة substance فيزيائيـــة بشكل عام وبعد ذلك المادة المكونة لأى شيء. فى الإنجليزية استقر هذا النطـــاق الكامل للمعانى مبكراً جداً، رغم أن المعنى الأول المحدد لم يكن أبداً مهمـــاً وزال

بسرعة. ضمن الاستعمالات الأولى القائمة تميزت matter على الدوام عـــن شكل FORM (ا م) الذى اعتقد أنه ضرورى لتحويل مادة matter إلى being كائن. كـــان هناك تمييز مقارب بين material مادى وشكلى formal، لكن التمييز الأوضح كـــان بين material مادى و spiritual روحي حيــث كانـــت spirit روح هـــي التعيـــين الثيولوجى الفعلى لشكل form. تضادت matter أيضاً، من أواخر ق ١٦، مع idea فكرة، لكن التعارضين الحديثين المهيمنين material/ ideal مادي/مثـــالى (فكـــري) و materialist/ idealist مـــن أوائـــل ق ١٨ تبعـــا التعارضـــين material/ formal مادي/شكلى و material/ spiritual مادي/روحي. هذا التضاد الأخير هو الذى كان مسؤولا بالدرجة الأولى عن المعانى المحددة لمادى material و materialist حسب معنى (٣). ليس من السهل تقصى ذلك، لكن كان هنـــاك اتجـــاه لـــربط material بأمور دنيوية وتمييزاً مقارباً، من نوع طبقي، بين أشخاص تشغلهم نشاطات ماديـــة وأخرين لهم اهتمامات روحية spiritual أو ليبرالية LIBERAL (ا م). هكذا قال كـــد Kyd (١٥٨٨): "ليس له ذهن خانع أو مادى servile or materiall، لكـــن ... قـــادر على البحث والتأمل"؛ و قال درايدن Dryden (١٧٠٠): " روحه المادية الفظة his gross material soul". هذا الاتجاه كان على الأرجح سيتطور فى كـــل الأحـــوال، لكنه تأثر بشكل حاسم بمجرى وسياق النقاش الفلسفي.

المواقف الفلسفية التى قد نسميها الآن materialist مادية قديمة وترجع فـــى قدمها إلى ق٥ قبل الميلاد وتمثلت فى الذريين atomists اليونانيين وكان الموقـــف الإيبقورى Epicurean معروفا بشكل واسع عن طريق لوكريتيس Lucretius. مـــن المهم أنه بالإضافة إلى تفسيرات بسيطة لأصول الطبيعة والحياة الفيزيائية، ربـــط هذا المبدأ تفسيرات الحضارة (تطور المقدرات البشرية الطبيعية ضمن بيئة معينة) والمجتمع (عقد أمن ضد الآخرين) والأخلاق (مجموعة تقاليد تقود إلى السعادة وإذا لم تقم بذلك يمكن تعديلها، حيث إنه ليست هناك قـــيم ســـابقة الوجـــود ، والـــدافع الطبيعى الوحيد هو المصلحة الذاتية). ورغم أنها لم تعط بعد هـــذا الاســـم فـــإن المنطلق الأول فى materialism المادية الإنجليزية كان عند هوبز Hobbes حيـــث الافتراض الأساسى هو أن الأجسام فى حركـــة - ميكانيكـــا MECHANICS (ا م) -

وحيث كان الاستدلال من قوانين هذه الأجسام المتحركة على السلوك البشرى الفردى (كون الإحساس والفكر صنفين من أصناف الحركة) وعلى طبيعة المجتمع: تصرف الأفراد بناء على علاقة كل منهم بالآخر (والخضوع لسلطة بهدف التنظيم الضروري). فى فرنسا ق ١٨، عند Holbach مثلاً، كان الجدل مشابها بأن كل العلاقات السببية هى ببساطة قوانين حركة الأجسام ، وفى صراحة غير معهودة أن الأسباب البديلة ، وخصوصا فكرة الرب ، أو أى نوع من الخلق أو التوجيه الميتافيزيقى ، زائفة. من منتصف ق١٧ وصفت مبادئ من هذا النوع بالمادية materialist وعرفت من منتصف ق ١٨ كمادية materialism. كان للربط المنتظم بين التفسيرات الفيزيائية لأصول الطبيعة والحياة والتفسيرات التقليدية CONVENTIONAL أو الميكانيكية MECHANICAL (ا م)، الذى ازداد وضوحاً ، عندما أصبحت هذه التفسيرات إنكاراً معلناً للدين، تأثير كبير على تحول materialism و materialist فى أحد الاستعمالات الدارجة ، إلى دلالة على مجرد أشكال ومواقف سلوك. فى الهجوم المضاد العنيف ، الذى قام به من يعتمدون تفسيرات دينية وتراثية للطبيعة والحياة ومن ثم أنواعا أخرى من الأسباب للسلوك الأخلاقى والتنظيم الاجتماعي، أُلحقت materialism و materialist بمعنى material مادى أو دنيوى worldly السابق ، ليس لوصف التعليل السابق ولكن لوصف المواقف الأخلاقية والاجتماعية المستنتجة، وعندئذ، فى تطور مشحون بالجدل، تم تحويل مفهوم مصلحة الذات كدافع طبيعى وحيد إلى أنانية selfishness على أنها أسلوب حياة يفترض تزكيته وتفضيله. واضح أن النقاش الأخلاقى المادى materialist سواء التقليدى conventional أو الميكانيكى mechanical كان مهتما بكيفية تسخير أو تنظيم هذا الدافع – مصلحة الذات self-interest – للمنفعة المتبادلة. فى ق ١٨ كان الاستعمال لا يزال بشكل رئيسى فلسفيا؛ بحلول أوائل ق١٩ أثر بعمق التوسع المتهور والجدلى من اقتراح إلى تزكية معانى materialism و materialist، وتبعت ذلك بطريقة مناسبة الكلمة الأكثر فضفضة materialistic "مادى" من منتصف ق ١٩.

لا يمكن حسم نقاش على هذه الدرجة من التعقيد عن طريق تتبع تطور الكلمات. لا يزال البعض يجزم بأن الدنيوية الأنانية selfish worldliness هي النتيجة الحتمية، حتى وإن لم تكن هي المقصودة، لإنكار وجود سلطة أخلاقية أساسية، سواء إلهية أم بشرية. يلاحظ بعض الناس هذه النتيجة بغرض تعديل النقاش الفيزيائي؛ آخرون يقبلون، علنا أو ضمناً، النقاش الفيزيائى لكن يسكون مصطلحات جديدة للتفسير الأخلاقى أو الاجتماعي. فى الاستعمال الدينى ، أو شبه الدينى ، أصبحت materialism والكلمات المرتبطة بها شعارات للتداعى الحر ولوصف أى شيء من العلم الفيزيائى إلى مجتمع رأسمالى ، وكذلك الثورة الاشتراكية ضد المجتمع الرأسمالي. يجب دراسة الطبيعة الاعتباطية لهذا الربط الشائع بطريقة نقدية وتاريخية. لكن ما يجب أيضا ملاحظته، لأن له أثرا مركزيا على هذا النقاش، هو التطور اللاحق للمادية الفلسفية. هكذا تقبل نقد ماركس للمادية - التى وصفت للتو - تفسيرات أصل الطبيعة والحياة لكنه رفض الصيغ المستمدة منها للطرح الأخلاقى والاجتماعى ، واصفا الاتجاه كله بأنه مادية ميكانيكية mechanical materialism. عزل هذا النوع من المادية الأشياء objects وأهمل أو تجاهل الفواعل subjects (أنظر SUBJECT) وخصوصا النشاط البشرى كفاعل subjective. من ثم تمييز ماركس بين مادية ميكانيكية مألوفة ومادية تاريخية historical materialism جديدة، تلك التى ستتضمن النشاط البشرى كسلطة أساسية. التمييز مهم لكنه يترك أسئلة كثيرة دونما إجابة. اعتبر النشاط الاقتصادى البشرى - رجال يُفعلون جهدهم وذهنهم فى البيئة - على أنه رئيسي وفي إحدى التفسيرات كل النشاطات الأخرى، اجتماعية، ثقافية، أخلاقية، كانت ببساطة مستمدة من (DETERMINDED محددة بـ) هذا النشاط الرئيسي. (بالمناسبة، هذا يتيح تداعياً حراً مع المعنى الشائع لمادية materialism: النشاط الإقتصادى رئيسي، و من ثم الماديون materialists بشكل رئيسي مهتمون بنشاطات كسب المال - وهو بالتأكيد ليس ما عناه ماركس.) عمم إنجلز معنى ماركس للتفاعل - رجال يؤثرون فى أشياء فيزيائية والطرق التى يفعلون بها ذلك والعلاقات التى ينشئونها لعمل ذلك، ويؤثرون فى "الطبيعة البشرية" التى يكونوها

من خلال عمل ما يحتاجونه للبقاء - كمادية ديالكتيكية DIALECTIC (ا م)، ووسّعه ليكون له مفهوم قوانين، ليس فقط للتطور التاريخي و لكن لكل العمليات الطبيعية والمادية. في هذه الصياغة، التي هي صنف من أصناف الماركسية، تشير مادية تاريخية إلى النشاط البشرى بينما تدل مادية ديالكتيكية على عمليات شاملة. المهم فيما يتعلق بتاريخ الكلمات هو أن المادية التاريخية تقدم تفسيرات لمعنى materialism مادية (٣) - انهماك أناني في السلع والمال - وبدلا من تزكية هذا التوجه تصف الطرق التاريخية والاجتماعية للتغلب عليه وإرساء التعاون والتكافل. بالطبع لا يزال هذا تعليل مادى في تمييز له عن أنواع أخرى من التعليل وصفت، بطريقة سلبية، كمثالية IDEALIST (ا م) أو أخلاقية أو طوبائية. مستعملين هنا معاني الكلمات المعقدة، يمكننا القول إنه نقاش مادى materialist، نقاش يعتمد على المادية materialism ضد مجتمع مادى materialistic.

انظر: DIALECTIC ديالكتيكي/جدلى، EXPLOITATION استغلال، IDELISM مثالية، MECHANICAL ميكانيكي، REALISM واقعية

## ميكانيكى MECHNICAL

يبدو الآن أن ميكانيكي mechanical مشتقة من machine ماكينة وأنها تحمل معانيها وتضميناتها الرئيسية، لكن هذا مضلل. كانت mechanical أسبق في الإنجليزية من machine وكانت لها عدة معان محددة مستقلة. كان لمصدرها البعيد (س ب)، كما في اللاتينية machina، معنى أداة مخترعة (حيلة contrivance) واستعملت mechanical (من س م، mechanicus، لاتينية) من ق١٥ لوصف عدة فنون وحرف ميكانيكية؛ كان مجالها العمل المنتج خارج نطاق الزراعة. لأسباب اجتماعية اكتسبت mechanical عندئذ مفهوما طبقيا ازدرائيا للدلالة على أشخاص ينخرطون في هذا النوع من العمل وخصالهم المفترضة: "ميكانيكيون Mechanicall ورجال من حالة وضيعة" (١٥٨٩)؛ "عمالة

عالية الميكانيكية والقذارة" (شكسبير، هنرى الرابع، فصل٢، مشهد٥)؛ "تسبب ميكانيكى حقير" (١٦٤٦). منذ أوائل ق ١٧ استمر استعمال ميكانيكى بمعنى نشاط روتينى لا ذهني. يمكن الآن اعتبار هذا مشابها لأعمال الماكينة، والمناظرة واضحة من منتصف ق ١٨. لكن فى الاستعمالات الأولى يبدو أن التحامل الاجتماعى كان على الأقل فى نفس الحدة.

من ق ١٦ دلت machine ماكينة على أية بنية structure أو هيكل framework، لكن من ق ١٧ بدأت تنحصر فى أجهزة تستخدم الجهد، ومن ق ١٨ تخصصت فى أدوات أكثر تعقيداً تشمل أجزاء متحركة ومتداخلة. ينتمى إلى هذه المرحلة التمييز عن tool أداة والتفريق بين machine-made صنع الماكينة و hand-made يدوى الصنع، خاصة من أواخر ق ١٨. لكن فى الوقت نفسه اكتسبت mechanical معنى جديداً ومؤثراً، و ذلك بشكل رئيسى من العلم الجديد mechanics الميكانيكا أو علم الحيل. كتب بويل Boyle فى ١٦٧١:

لا أستعمل المصطلح Mechanicks حسب المعنى الأدق والأصح كما هى العادة، حيث يدل فقط على مبدأ القوى المتحركة (مثل الذراع المتذبذب، الرافعة، البراغي، الإسفين) وجعل المحرك يضاعف قوته؛ إنما استعمله ... بمعنى أشمل ليدل على تلك الفروع من الدراسة التى تتكون من استعمالات الرياضيات التجريدية لانتاج أو تعديل الحركة فى أجسام دنيا. فى الانتقال من جملة نظريات عن ممارسات محددة إلى نظريات عامة عن قوانين الحركة بدأت ميكانيكا mechanics فى التفاعل مع نظريات دينية مختلفة، وفى الواقع تداخلت فى الغالب مع مادية MATERIALISM (ا م). هكذا نسمع بحلول أواخر ق ١٧ عن الإلحادى الميكانيكى Mechanical Atheist ، وأدى هذا فى أواخر ق ١٨ إلى mechanism التى يعتبر فيها أن كل شيء فى الكون تنتجه قوى ميكانيكية (فى السابق عنت mechanism التى يرجع أصلها إلى ق١٧ بشكل رئيسى أداة مخترعة). هكذا اعتبرت mechanical ميكانيكي، الفلسفة الميكانيكية والمبدأ الميكانيكى أشكالا من الفلسفة المادية، واستعملت أحياناً بطريقة وصفية وأحيانا أخرى بطريقة تعسفية من قبل

مفكرين دينيين ومثاليين لوصف مناوئيهم الرئيسيين. فى النهاية، من منتصف ق ١٩، كان هناك تمييز ضمن المادية MATERIALISM بين mechanical ميكانيكية من ناحية و historical تاريخية أو dialectical دياليكتيكية من الناحية الأخرى.

ليس من المتعذر فهم هذا التطور الرئيسي، لكن كلمة mechanical صارت معقدة بشكل استثنائى من أوائل ق ١٩ نتيجة لتفاعلها مع معنى جديد لماكينة machine وتوسعها لتشمل أوصافا مثل mechanical civilization حضارة ميكانيكية. يمكن أن يعنى ذلك حضارة تستعمل أو تعتمد على الماكينات بمعناها الحديث: مجتمع صناعى INDUSTRIAL (ا م) كما نقول الآن أيضاً. لكن من أوائل ق ١٩ كان هناك فى بعض أنواع التفكير ربط أو صهر أو إدماج لهذا المعنى (كما هو لدى كوليردج وكارلايل) مع المعنى الذى عارضت فيه mechanical روحى وميتافيزيقى أو مثالي. حصل فى نفس الفترة تمييز مهم بين mechanical وعضوى ORGANIC (ا م) اللتين كانتا فى الماضى قريبتين جدا فى المعنى. أوحت الماكينات الجديدة التى انطلقت تعمل لوحدها مستبدلة العمل البشرى ارتباطا بفكرة كون دونما إله أو قوة إلهية مسيّرة، وكذلك ارتباطا بالمعنى القديم (المتأثر اجتماعيا) لنشاط روتينى لا ذهنى - وبالتالى عملا دونما وعي.

بقى تعقيد الكلمة صعبا كلما استعملت خارج نطاق المعنى الوصفى المرتبط مباشرة بالماكينات حتى عندما تم نبذ بعض الارتباطات السابقة. تتطلب المصادر الفعلية لمعانى الكلمة والتعارضات الضمنية المختلفة فحصاً من حين لآخر.

انظر: INDUSTRY صناعة/جهد، MATERIALISM مادية، ORGANIC عضوى

## وسائل (إعلام) MEDIA

ترجع كلمة medium وسيلة إلى medium، لاتينية: وسط. كانت تستعمل بانتظام من أواخر ق ١٦ وكان لها، على الأقل من أوائل ق ١٧، معنى عامل أو

مادة وسيطة أو بينية. فى ١٦٢١ كتب بيرتون Burton: "للرؤية ثلاثة أشياء متطلّبة: الموضوع object، العضو organ والوسيط medium"؛ وفى ١٦٠٥ كتب بيكون Bacon: "تم التعبير عنها بواسطة medium الكلمات". بعد ذلك كان هناك استعمال تقليدى من ق ١٨ بالنسبة للصحف: "عبر وسيلة medium نشرك العجيبة" (١٧٩٥)، وتطور ذلك خلال ق ١٧ إلى استعمالات مثل "معتبراً مجلّتك إحدى أفضل الوسائل mediums الممكنة لمثل هذا المشروع" (١٨٨٠). ضمن هذا الاستعمال العام أصبح شائعاً فى أوائل ق ٢٠ وصف الصحيفة كوسيلة medium للإعلان. على الأرجح كان تطوّر media وسائل فى منتصف ق ٢٠ فى المقام الأول فى هذا السياق. صارت media واسعة الاستعمال عندما أصبحت broadcasting الإذاعة، بالإضافة إلى الصحافة، مهمة فى الاتصال COMMUNICATIONS (ام)؛ عندئذ كانت الكلمة العامة ضرورية. تتالت بعد ذلك التعابير: Mass media وسائل إعلام جماهيرية (ام)، media people رجال إعلام و media studies دراسات إعلام.

على الأرجح تضافرت ثلاثة معان: (١) معنى عام قديم لعامل أو مادة وسيطة أو بينية؛ (٢) معنى تقنى مقصود، كما فى التمييز بين وسائل media الطباعة والصوت والصورة؛ (٣) معنى رأسمالى محدّد حيث تعتبر الصحيفة أو الخدمة الإذاعية broadcasting service – وهى أمر قائم فعلاً أو يمكن إعداده – وسيلة لشيء آخر، مثل الإعلان. من اللافت أن معنى (١) يعتمد على أفكار مادية أو فلسفية معينة حيث لا بد من وجود مادة وسيطة بين إحساس وأثره أو فكرة والتعبير عنها. فى معظم الفلسفة والعلم الحديث، وعلى الخصوص فى الفكر المتعلق باللغة، تم التخلّى عن فكرة وسيط هذه؛ وبالتالى اللغة ليست وسيلة بل ممارسة رئيسية، وكذلك كل من الكتابة (للنشر) والتحدث أو التمثيل (للإذاعة) ممارسة. إذن هو موضوع جدال عما إذا كانت الطباعة والإذاعة بمعنى (٢) التقنى هما وسيلتان media أو، بشكل أكثر دقة، أشكال forms مادية ونظم إشارة. على الأرجح فى هذا السياق، تؤكد المعنى المألوف أفكار اجتماعية معيّنة تعتبر فيها الكتابة والإذاعة محدَّدة DETERMINED (ام) حسب أهداف أخرى – من

معلومات information الحيادية نسبياً إلى إعلان advertizing وبروبجندا propaganda واضحتى النزعة – لكنها تشوّش أى معنى حديث للاتصال COMMUNICATION (ام). إن معنى medium التقني، كشيء له خواصّه المعيّنة والمحدّدة determining (أحياناً تأخذ فكرة وسيلة هذه الأسبقية المطلقة على أى شيء قيل أو كتب أو عُرض فعلاً)، متوائم فى الواقع مع معنى اجتماعى للكلمة media تعتبر فيه المؤسسات والممارسات عوامل وسيطة لأغراض تختلف تماماً عن أهدافها الرئيسية.

جديربالإضافة أنه من خلال شعبيتها السريعة منذ خمسينيات ق٢٠ أصبحت media فى الغالب تستعمل كمفرد (قارن phenomena).

انظر: COMMUNICATION اتصال، MEDIATION وساطة

## وساطة، توسط MEDIATION

لمدة طويلة كانت mediation كلمة معقدة نسبياً فى الإنجليزية وأصبحت أكثر تعقيداً عن طريق استعمالها كمصطلح أساسى فى نظم عدة للفكر الحديث. دخلت الإنجليزية فى ق١٤، من (س م) mediacion، فرنسية قديمة، mediationem، لاتينية متأخرة، من (س ب) mediare، لاتينية: يقسم إلى نصفين، يحتل موقعا وسطا، يقوم بدور وسيط. هذه المعانى الثلاثة المختلفة جدا للكلمة اللاتينية حاضرة كلها فى الاستعمالات الإنجليزية لكل من mediation والفعل mediate الذى تشكّل لاحقاً من الاسم ومن الصفة mediate التى تخللتهما. هكذا يحمل مثالان مبكران لاستعمال mediation فى الإنجليزية، وكلاهما مقتبسان من كتابات تشوسر Chaucer، معنيين من المعانى الثلاثة الرئيسية التى أصبحت مستقرة: (١) التدخل بين خصمين بمعنى واضح يدل على الصلح بينهما: "عن طريق توسط mediation البابوات ... تم التوفيق بينهما" (Man of Law's Tale، تقريبا ١٣٨٦)؛ (٢) وسيلة نشر أو وكالة كوسيط medium: "عن طريق by mediacion

هذا المقال أرغب فى تعريف..." (الإسطرلاب، تقريباً عام ١٣٩١). سجل من ١٤٢٥ تقريبا المعنى الثالث، المهجور حالياً، (٣): الشطر أو التقسيم: "المناصفة mediacion هى أخذ نصف العدد من العدد الكلي".

فى الاستعمال العام أصبح المعنيان (١) و (٢) شائعين. استعمل معنى (١) تكراراً لشفاعة المسيح بين الله والبشر، وفى السياسة لفعل المصالحة أو محاولة ذلك بين خصمين. شمل معنى (٢) الوسيلة البينية التى تضم أشياء مادية: "يجب ألا تلمس إلا بواسطة by mediation عصا" (١٦١٥)، وأفعالاً ذهنية: "يتلقى الإدراك الأشياء بواسطة by the mediation الحواس الخارجية ثم الصور الذهنية" (١٦٤٦). فى الوقت ذاته حملت mediate (توسط) الفعل كلا المعنيين، بينما حملت الصفة mediate ليس فقط معنيي intermediary واسطة، وintermediate متوسط لكن أيضاً معنى علاقة غير مباشرة أو تابعة. هكذا نجد: "سبب الوفاة المباشر immediate هو خمود أو انطفاء الروح ... وما فساد الأعضاء إلا السبب غير المباشر mediate ." (بيكون، ١٦٢٦)؛ "الإدراك إما مباشر أو غير مباشر ... غير مباشر mediate كما يحدث عندما ندرك كيف ترتبط (فكرتان) ببعضهما عن طريق مقارنتهما بثالثة (نورس Norris، ١٧٠٤)؛ "الحقيقة إما غير مباشرة mediate.... مستمدة من حقيقة أخرى ... أو مباشرة وأصيلة" (كوليردج، ١٨١٧).

هكذا كان هناك مركّب من المعانى يمتد من مصالحة إلى متوسط ثم إلى غير مباشر. ضمن هذا المركب أدرجت فى نظم تفكير حديثة معينة استعمالات محددة مختلفة، مبنية فى العادة على ترجمة للكلمة الألمانية Vermittung وسط، توسط/وساطة. كان معنى (١) المصالحة والتوفيق حاضراً بقوة فى الفلسفة المثالية Idealist: بين الله والإنسان، بين الروح والعالم، بين الفكرة Idea والشيء المدرك Object، بين الفاعل Subject والمفعول Object. فى معانى الكلمة المتطورة يمكن تمييز ثلاثة مراحل لهذه العملية: (أ) التوصل إلى نقطة مركزية بين متعارضين اثنين كما فى استعمالات سياسية كثيرة ؛ (ب) وصف تفاعل مفهومين

أو قوتين متعارضتين ضمن وحدة كاملة يفترض أنهما ينتميان إليهـا، أو بالفعل ينتميان إليها، (ج) وصف مثل هذا التفاعل على أنه فى حد ذاته جوهرى له أشكاله الخاصة بحيث أنه ليس العملية الحيادية لتفاعل أشكال مستقلة ولكنه عملية فعالة يحوّل فيها شكل التوسط الأشياء التى يتم التوسط بينها mediated، أو حسب طبيعة ذلك الشكل يبين خصائص تلك الأشياء.

استمر معنى mediation السياسى كمصالحة وتوفيق واضحاً، لكن تعتمد معظم الاستعمالات الفلسفية الحديثة على فكرة وسيط جوهرى بدلا من وسيط حيادى فقط أو ذرائعى instrumental. بالطبع تختلف كيفية تعريف ذلك. فى الفكر المثالى كانت الكيانات المستقلة ظاهرياً هى فعلياً أجزاء فى وحدة متكاملة؛ بالتالى التوسط mediation بين تلك الكيانات يعمل حسب قوانين مشتركة. أكد استعمال آخر لوحدة متكاملة totality ، فى التراث الماركسي، تناقضات يتعذر التوفيق بينها ضمن ما هو، بالرغم من ذلك مجتمع متكامل total society: اكتسبت عندئذ mediation أحياناً المعنى الذى كان فعلاً موجوداً فى الإنجليزية - علاقة غير مباشرة. لاتزال تستعمل غالباً بمعنى سلبى فى تضاد بين علاقات فعلية وأخرى mediated غير مباشرة، حيث تكون mediation هى إحدى العمليات الأساسية ليس فقط للوعى ولكن كذلك للايديولوجيا IDEOLOGY (أ م). يتوافق استعمال mediation هذا مع الاستعمال الحديث لكل من MEDIA وسائل (إعلام) و MASS MEDIA (أ م) وسائل (إعلام) جماهيرية، حيث تعتبر وسائل اجتماعية معينة على أنها تتموضع بطريقة متعمدة بين الواقع والوعى الاجتماعى بغرض الحيلولة دون إدراك الواقع. يوجد معنى مشابه لعدم المباشرة، الملتوى أو المضلل فى بعض فكر التحليل النفسي، حيث يخضع محتوى لاشعورى UNCONSCIOUS (ا م) للانتقال إلى العقل الواعى conscious mind. تعتمد هذه الاستعمالات على ثنائية مفترضة - واقع reality و وعى consciousness ، و لا شعور unconscious وشعور conscious - تتدخل mediation بين كل منهما إنما بطريقة غير مباشرة أو مضللة. لكن هناك أيضاً، بالإضافة إلى هذه الاستعمالات المعتمدة بشكل رئيسى على معنى (١) أعلاه، استعمالات أخرى تتبنى على معنى (ج). هذه الأخيرة الآن

هي، على الأرجح، الأكثر أهمية. ليست mediation هنا حيادية ولا هـي كـذلك "غير مباشرة" (بمعنى ملتو أو مضلل). إنها نشاط مباشر وضرورى بـين أنـواع مختلفة من النشاط activity والوعى consciousness، لهـا دائماً أشكالها المحـددة الخاصة بها. هذا التمييز واضح فى تعليق أدورنو Adorno: "mediation هى فـى الشيء ذاته، وليست شيئاً بين هـذا الشيء المدرك object وما يتحول إليه. لكـن ما تحتويه الاتصالات communications محصور كلية فـى العلاقـة بيـن المنتـج والمستهلك" (*Theses on the* Sociology *of Art*، ١٩٦٧). كـل الأشـياء، وفى هذا السياق بشكل ملحوظ الأعمال الفنية works of art، يتم التوسـط mediated فيها عن طريق علاقات اجتماعية محددة لا يمكن اختزالها إلى تجريد لتلك العلاقة؛ التوسط mediation إيجابى وإلى حد ما مستقل. يرتبط ذلك، ولو بطريقة خلافيـة، بالشكلانية FORMALISM (ا م) حيث الشكل (الذى قد يعتبر أو قد لا يعتبر توسـطاً mediation) يحل محل أسئلة العلاقات التى تقبـع علـى جانبيـه بـين منتجـين producers و مستهلكين consumers.

فى الاستعمال الحالي، واضح جداً إذن تعقيد mediation. استعمالاتها الأكثر ذيوعاً لكن المتضاربة هي: (١) المعنى السياسى كفعل توسط intermediacy بهدف التوصل إلى مصالحة أو اتفاق؛ المعنى الثنائى لنشاط يعبر عن علاقة، إما بطريقـة غير مباشرة أو ملتوية أو مضللة، بين حقائق وأفعال وخبرات experiences لولاها لبقيت مستقلة؛ (٣) المعنى الشكلانى لنشاط يجسد بطريقة مباشرة علاقات لايمكـن بطريقة سواها التعبير عنها. يمكن القول إن كل معنى من هذه المعانى لـه كلمـة أفضـل: (١) conciliation توفيـق، استرضـاء؛ (٢) إيـديولوجيا IDEOLOGY أو تسويغ RATIONALIZATION (ام م)؛ (٣) شكل form. لكن فى التطور التـاريخى الفعلى لـ mediation كمفهوم أصبحت العلاقات بين هذه المعانى المتميزة موضوع بحث وجدل مطول، خاصة العلاقة بين (٢) و (٣). ترك التقصى والجدل المعقـد والطويل بصماته المتفاوتة على الكلمة التي، فى استعمالاتها الأكثر عمقاً، تسـتعيد ولو أنها لا تستطيع حل الصعوبات الهامة و المتعذر تجنبها.

انظر: DIALECTIC دياليكتيك، EXPERIENCE خبرة، IDEALISM مثالية، MEDIA وسائل (إعلام)، UNCONCIOUS لاشعور

## قروسطى MEDIEVAl

استعملت medieval (فى الأصل كانت تهجيتها mediaeval) منذ أوائل ق١٩ للدلالة على فترة تقع بين (العالمين) القديم والحديث (ا م). سبقتها the middle Ages (أوائل ق ١٨) العصور الوسطى و Middle Age العصر الوسيط (أوائل ق١٧)، وذلك فى اتباع للكلمتين المقابلتين فى لاتينية ق١٥: media aetas و medium aevum. حدد أحد تعاريف منتصف ق ١٨ (حسب دائرة معارف تشمبرز Chambers) تلك الفترة بالمدة بين حكم الإمبراطور قسطنطين وسقوط القسطنطينية. تطور التضاد بين القديم Ancient والحديث Modern فى عصر النهضة ودخل الإنجليزية بحلول أواخر ق١٦. أصبح منذ ق١٧ شكلا مألوفا لتحقيب التاريخ. فى فكر ق١٦ أدرجت بين القديم والحديث حقبة أخرى أو وسيطة لكن اعتمد ترسيخ تلك الحقبة الكامل على إعادة تقييم لفن وحياة العصور الوسطى medieval، الذى تم بشكل رئيسى من أواخر ق ١٨ ثم بدرجة أكبر من أوائل ق ١٩ عندما أصبح هذا التعبير يستعمل كتضاد مفضل مقابل حديث modern (كما توجد بشكل خاص فى modern industrial صناعى حديث أو modern commercial تجارى حديث). عندئذ اتخذت Middle Ages عصور وسطى تحديداً مرسوماً بالحروف الاستهلالية الكبيرة وأصبحت medieval قروسطى (من medius، لاتينية: وسط، aevum، لاتينية: عصر) الصفة المعتادة. فى منتصف ق١٩ تبعتها medievalism و medievalist، لكن دلت الكلمات الثلاث على أحد المعنيين: (١) إشارة تاريخية إلى العصور الوسطى (٢) تأييد جوانب معينة من حياة العصور الوسطى أو دينها أو عمارتها أو فنها (كما هو بطرق متنوعة عند كوبت Cobbett، بوجن Pugin، رسكن Ruskin، وموريس Morris). و فى ردة فعل ضد

معنى (٢) اكتسبت medieval من منتصف ق١٩ معنى سلبيا واضحا يمكن مقارنته بمعنى primitive بدائى السلبى أو بمعنى antiquated مهجـور. رغـم أن الجـدل مستمر حول تحديد دقيق للعصور الوسطى التى تمـت تجزئتها بطرق متعـددة إلا أن المعنى التاريخى هو السائد الآن.

انظـــــر: MODERN حديـــث

## حديث/جديد MODERN

دخلت modern الإنجليزيـــة مـــن (س م) moderne، فرنســـية، modernus، لاتينية متأخرة، من (س ب) modo، لاتينية: توّا. كانت استعمالاتها المبكرة أقرب إلى contemporary معاصر بمعنى " يحصل الآن، حالاً". (بشكل رئيسى استعملت contemporary أو معادلتها، حتى منتصف ق ١٩، co-temporary ، كمـا هـى لا تزال تستعمل غالباً، لتعنى "من نفس الفترة" بما فى ذلك فترات من الماضي، بـدلاً من "وقتنا الحالي"). ترسخ تضاد تقليدى بين قديم ancient وحديث modern قبـل عصر النهضة ؛ بدأ تحديد فترة وســيطة middle أو MEDIEVAL قروســطى (ا م) من ق١٥. كانت modern بهذا المعنى التاريخى والمقارن شائعة منـذ أواخـر ق ١٦. تبعتها modernism و modernist و modernity، فى ق١٧ و ق ١٨؛ كانـت معظم استعمالات ما قبل ق ١٩ سلبية عندما كان الغرض المقارنة. كـان للكلمـة modernize، يحدّث، التى ترجع إلى ق ١٨، إشارة خاصة مبكـرة إلـى المبـانى (والبول Walpole، ١٧٤٨: "بقية المنزل تم تحديثه modernized كليـة"؛ والتهجيـة (فيلدنج Fielding، ١٧٥٢: " أتجرأ على التجاوز مـن أجـل تحـديث modernize اللغة)؛ والموضات فى الملابس والسـلوك (ريشاردسـون Richardson، ١٧٥٣: "تردد حتى لا يحدّث modernize ولو قليلا"). يمكن مـن هـذه الأمثلـة ملاحظـة استمرار وجود معنى واضح لنوع من التغيير الذى يتطلب تبريراً.

استمر المعنى السلبى لـ modern، والكلمات المرتبطة بها، لكن خلال ق ١٩ وبشكل أوضح فى ق ٢٠ كان هناك تحرك قوى إلى الجهة الأخرى حيث أصبحت modern معادلة تقريبا لكل من IMPROVED محسَّن (ا م) أو satisfactory مرض أو efficient فعال. أصبحت modernism حداثة و حداثى modernist أكثر تحديدا وانحصرتا فى اتجاهات معينة، خاصة فى الكتابة وفى الفن التجريبى فى الفترة من ١٨٩٠-١٩٤٠ تقريباً، وسمح ذلك بتمييز لاحق بين modernist حداثى وحديث modern (التى تدل على الجدّة). أصبحت modernize يحدّث، التى قد شاعت بحلول منتصف ق١٩ (قارن قول ثاكرى Thackary (١٨٦٠): "هدف البارود والطباعة إلى تحديث modernize العالم") وmodernization تحديث (التى كانت تستعمل بشكل رئيسى فى ق١٨ للمبانى والتهجية) باضطراد شائعة فى نقاش ق٢٠. بالنسبة للمؤسسات INSTITUTIONS (ا م) أو الصناعة INDUSTRY (ا م) تستعمل الكلمتان للدلالة على شيء محبذ أو إيجابي. كشعار لنوع معين من التغيير تتطلب الكلمتان تدقيقاً. من الممكن فى الغالب تمييز modernizing فى طور التحديث وتحديث modernization عن حديث modern؛ على الأقل الآن التعبيران الأوليان (كما فى برامج فعلية كثيرة مماثلة) يدلان على بعض التغيير أو التحسين لما يزال فى الأساس مؤسسة أو نظاماً قديماً. بالتالى لايمكن أن تكون modernized democracy ديمقراطية محدّثة بالضرورة معادلة لـ modern democracy ديمقراطية حديثة.

انظر: IMPROVE يحسن، PROGRESSIVE تقدمي، TRADITION تراث

## احتكار MONOPOLY

قد تكون monopoly صعبة لأن لها معنى حرفياً شائعاً ومعنى آخر أكثر نيوعاً نسبياً وله أهمية تاريخية. دخلت الإنجليزية فى ق ١٦ من (س م) monopolium، لاتينية متأخرة، monopolion، يونانية، من (س ب) monos،

يونانية، وحيد، فقط، مفرد و polein، يونانية: يبيع. يبرز معنيان من الأمثلة الإنجليزية المبكرة : (١) الملكية الحصرية للتجارة فى صنف ما؛ (٢) الامتياز الممنوح بترخيص لبيع سلعة ما. هكذا نجد حسب معنى (١):

**"من لا يعلم أن احتكار Monopoly هو عندما يشترى شخص سلعة بكميات كبيرة ويضعها تحت سيطرته ولا يمكن لشخص آخر المتاجرة بالسلعة ذاتها إلا عن طريقه" (١٦٠٦)؛**

**"الاحتكار نوع من التجارة، فى البيع والشراء والمبادلة أو المقايضة، مغتصب من قبل قلة وأحياناً ليس إلا فرد واحد ويتم صد كل الآخرين" (١٦٢٢).**

**وحسب معنى (٢):"الاحتكار... رخصة بعدم أحقية بيع أو شراء شيء إلا من قبل شخص واحد فقط" (١٦٠٤) ؛"احتكارات الصابون، الملح، الجلود، الفحم، ... "(١٦٤١).**

**كان هذا الاحتكار المرخص أو هذا الامتياز مهماً بشكل خاص فى أوائل ق ١٧. مع ذلك فالمعنى الرئيسى الذى برز هو معنى (٢).**

تبرز الصعوبة عندما يكون هناك إصرار على المعنى الحرفى - البيع الحصرى المفرد، الذى له أساس تاريخى ويمكن أن يكون حقيقة معاصرة - مقابل استعمالات احتكار للدلالة على سيطرة فعلية على السوق. يبين المثال من عام ١٦٢٢ أن الكلمة استعملت للتملك من قبل "قلة" بالإضافة إلى "شخص واحد"، وهناك مثال أسبق من منتصف ق ١٦ (من ترجمة كتاب *Utopia* لمور) يسند ذلك:

**"لا نترك هؤلاء الأغنياء يشترون كل شيء، يكدسون ويسيطرون وعن طريق احتكارهم يتحكمون فى السوق كما يرغبون".**

بوضوح هذا وصف لنشاط طبقة وليس فردا. بهـذا المعنـى يمكـن ادراك الاستعمال المحير فى العبارة الحديثة **monopoly capitalism** رأسمالية احتكارية التى صارت رائجة فى أوائل ق ٢٠ لوصف مرحلة من الرأسمالية **CAPITALISM** (ا م) كان فيها السوق إما (أ) منظما من قبل كارتيلات **cartels** ومثيلاتها أو (ب) مسيطراً عليه من قبل مؤسسات كبرى **corporations**. يمكن انتقاد أى من هذين الاستعمالين من قبل من يعتمد المعنى الحرفى لـ **monopoly** الذى يشير إلى أن المؤسسات الكبرى، سواء باتفاقات كارتيل رسمية أو بدونها، لا تتنافس فى البيع: أى أن هناك بائعاً واحداً فقط. بما أن هذا بوضوح غير صحيح وحيث أن هناك احتكارات محددة فى صناعات ومؤسسات المنفعة العامة (خاصة المؤسسات) التابعة للدولة فإن مصطلح رأسمالية احتكارية يبدو فضفاضاً. تتهم عندئذ اتحادات العمال بكونها احتكارات تتحكم فى شروط واتفاقات بيع العمل. لكن النطاق كان تاريخياً واسعاً. يمكن بطريقة مقبولة تطبيق مثال منتصف ق١٦ من كتاب ***Utopia*** على الوضع الذى يسميه الإشتراكيون **capitalist monopoly** احتكار رأسمالي.

انظـر: **CAPITALISM** رأسمالية

## أسطورة MYTH

دخلت **myth** الإنجليزية فى أواخر ق ١٩ رغم أن صيغة **mythos** (ق١٨) قد سبقتها – من (س م) **mythos**، لاتينية متأخرة، **mythos**، يونانية: خرافة، قصة أو حكاية؛ تضادت فيما بعد مع **logos** و **historia** بمعنى "ما لم يكن ممكنا فعليا وجوده أو حدوثه". سبقت بشكل واسع كلا من **myth** و **mythos** فى الإنجليزية الكلمة **mythology** (من ق١٥) والكلمات المشتقة منها (من أوائل ق ١٧) **mythological**، **mythologize**، **mythologist** و **mythologian**. كل هذه كانت لها صلة بالسرد الخرافى **"fabulous narration"** (١٦٠٩)، لكن استعملت **mythology** و **mythologizing** فى الغالب بمعنى تفسير وتعليق على الحكايات الخرافية. لدينا

mythological interpretation من ١٦١٤، وهناك عنوان كتاب لســاندیز Sandys من ١٦٣٤ بنفس المعنى:

*Ovid's Metamorphosis Englished,Mythologiz'd and Represented in Figures.*

يمكن ملاحظة اتجاهين للكلمة فى أوائل ق ١٩. استعمل كــوليردج mythos بمعنى صار شائعاً: بنية خيالية معينة (حبكة بالمعنى الأوسع). فى الوقت ذاته (فى ١٨٣٠) كتبت الدورية العقلانية *Westminster Review*، فيما قد يكــون الاســتعمال الأول للكلمة، عن "أصل الأساطير myths" والبحث عن "أثرها فى ملابسات التاريخ الخرافي".

كل هذه الإشارات كانت استعادية وتناوبت myth مع fable خرافة وتميــزت عن legend رواية التي، رغم أنها قد تكون غير موثوقة، فإن لها صلة بالتــاريخ، وتميزت كذلك عن allegory القصة الرمزية ، التى قد تكون خرافية لكن فيها دلالة على شيء من الواقع. مع ذلك من منتصــف ق ١٩ أصــبح شــائعا الاســتعمال المختصر myth الذى يدل ليس فقط على إبداع invention خرافى وإنما أيضاً علـــى إبداع غير موثوق أو حتى مضلل عمداً واستمر ذلك بشكل واسع.

من ناحية أخرى، اكتسبت myth فى تراث بديل معنى جديــداً إيجابيــاً فـــى سياق جديد. قبل ق ١٩ رُفضت الأساطير myths لأنها مجرد خرافات (فى الغالب اعتبرت خرافات وثنية أو همجية) أو عوملت كقصص رمزية أو ذكريات مشوشة عن البدايات أو ما قبل التاريخ. لكن اتضحت الآن عدة مقاربات فكريـــة جديـــدة. أقيمت علاقات بين الأساطير و "داء اللغة" (Muller) حيث أدى اختلاط الأسماء إلى تشخيصات؛ وبين الأساطير و مرحلة أرواحية فى الحضـــارة البشـــرية (Lang)؛ وبينها وبين طقوس محددة أتاحت الأســاطير التعــرف عليهـــا ( فريــزر Frazer وهاريسون Harrison؛ يرجع الربط الشائع بين myth و ritual طقس إلـــى بحـــوث هذين المؤلفين من أواخر ق ١٩ وأوائل ق ٢٠). مع تطور الأنثروبولوجيا تطور بوضوح كل من المعنى الأخير كوصف للطقوس ومعنى آخر حيـــث أســطورة ،

بصفتها كشفا للأصول ، كانت صيغة فعالة فى التنظيم الاجتماعي. من كـل مـن الصيغتين ( اللتين استمرتا بأشكال مختلفة في التجاذب بينهما بالإضافة إلى مقاومة جهود عقلنة RATIONALIZE (ا م) الأساطير عن طريق إمـا دحضـها أو إبـراز أسبابها أو أصولها (الأخرى) الحقيقية) تطورت مجموعة من الاستعمالات الإيجابية الشائعة. اعتبرت الأسطورة myth صيغة واقـع أصـدق (أعمـق) مـن التـاريخ (العلماني) أو الوصف الواقعى أو الشرح العلمي. تمتـد هـذه النظـرة لتشـمل اللاعقلانية الساذجة وفق الطبيعة (غالبا بعد ظهور المسيحية) والدراسـات الأكثـر تعقيدا حيث تعتبر الأساطير تعبيرات جوهرية لخصائص معينة للعقل البشرى بـل وحتى للنظام الذهنى أو السيكولوجى الأساسي. هذه "التعبيـرات" خالـدة timeless (دائمة) أو جوهرية لفترات أو ثقافات معينة. قامت محاولات مقاربة لذلك بإدماج هذه الوظيفة الأسطورية بالوظائف الإبداعية CREATIVE العامـة للفـن والأدب أو، حسب إحدى المدارس، إدماج الفن والأدب فى هذه النظـرة للأسـطورة. الجـدل الداخلى والخارجى الناجم معقد بشكل فائق، والآن أسطورة myth كلمة هامة جـداً لكن أيضاً صعبة جداً. لم تدخل الكلمة اللغة الإنجليزية إلا فى المائة وخمسين سنة الماضية، فى فترة انحلال الدين الرسمى (الأرثوذوكسي)، واستعملت سلبيا كمقابـل للحقيقة والتاريخ HISTORY (ا م) والعلم SCIENCE (ا م)؛ أصبحت متشـابكة مـع المعانى الحديثة الصعبة لتخيـل imagination، creative خـلاق و fiction خيـال؛ استعملت لتوضيح وتحليل "الطبيعة البشرية" بمعنى ما بعد مسيحى واضح (رغم أنه تم استيعاب أسلوب مدارس مختلفة تستعمل أسطورة بهذا المعنى فى إعادة صياغة ودفاع مسيحي). فى الوقت نفسه و خارج هذا الإطار من الأفكار، للكلمة المعنـى العام الصريح لاعتقاد أو سرد زائف (اللذين غالباً ما يكونا متعمدين).

انظـــــر: CREATIVE خــلاق/إبــداعي، FICTION خيال/روايـة، HISTORY تـاريخ، IMAGE صـورة، RATIONAL عقلانى

## قومي/وطني NATIONALIST

كانت كلمة nation ( من س م nation، فرنسية، nationem، لاتينية: ذرية، عرق، جنس) شائعة الاستعمال فى الإنجليزية منذ أواخر ق ١٣، فى الأصل ضمن المعنى الرئيسى لمجموعة عرقية بدلاً من تجمع منظم سياسياً. بما أن هناك تداخلاً واضحاً بين هذين المعنيين فإنه ليس من السهل تأريخ بروز المعنى السياسى الحديث السائد لـ "تشكيل سياسي". استمر بالفعل التداخل بالنسبة لتشكيلات من هذا النوع وأدى من جانب إلى تعريفات محددة لـ"الدولة - الأمة nation-state"، ومن الجانب الآخر إلى نقاش معقد يدور حول nationalist قومى و nationalism قومية. كانت الاستعمالات السياسية الصريحة واضحة من ق ١٦ وصارت شائعة من أواخر ق١٧ رغم أن realm، kingdom مملكة و country بلد استمرت شائعة حتى أواخر ق ١٨. كان هناك من أوائل ق ١٧ استعمال لـ the nation الأمة يدل على شعب بلد بأكمله، عادة فى تضاد، كما هو الوضع فى الجدل السياسي، مع مجموعة أقلية ضمن هذا البلد. استعملت الصفة national قومي (كما هو الآن فى national interest مصلحة قومية) بهذا المعنى التوحيدى المقنع منذ ق ١٧. الاسم المشتق national مواطن، السياسى بوضوح، أكثر حداثة ولا زال يتناوب مع الاسم الأقدم subject تابع، فرد من الرعية. اكتسبت nationality جنسية، التى استعملت بمعنى عام من أواخر ق ١٧، معناها السياسى الحديث فى أواخر ق ١٨ وأوائل ق ١٩.

ظهرت nationalist قومى في أوائل ق ١٨ و nationalism قومية فى أوائل ق ١٩. وصار كل منهما شائعاً من منتصف ق ١٩. كان التداخل المستمر بين مجموعة وتشكيل سياسى مهماً، حيث أن المطالبة بـ nation أمة و أن تكون لها حقوق قومية national، التى عادة ما انطوت على تكوين nation بالمعنى السياسي، قد تكون ضد إرادة أمة سياسية قائمة تضم هذا التجمع و تصر على ولائه. يمكن القول - وهذا ما يكرره معارضو nationalism قومية - إن أساس ادعاءات التجمع عرقية RACIAL (ا م). (كانت race عنصر/عرق، ذات الأصل

غير المحدد، في التداول بمعنى أصـل مشترك من ق ١٦. ترجع الصـفة racial إلى ق ١٩. في معظم استعمالات ق ١٦ كانت racial إيجابية واستحسانية، لكـن بدأت في نفس الفترة تصبح نظريات العـرق race الاعتباطيـة و المميـزة أكثـر وضوحاً وعزيت السمات القومية national إلى فروق جذرية يفتـرض أن تكـون "علمية scientific". تأثرت في النهاية racial عنصرى بالنقد الموجه ضد هذا النوع من التفكير واكتسبت معانى سلبية بعضها محدد والآخر فضفاض. كـان غـرض صيغة racialism عنصرية، من ق ٢٠، وصف - وفي العادة نقد - هذه التمييزات و الفروق الواضحة.) كذلك قيل أن تلك المطالبة كانت أنانية، كونها ضد مصـالح الأمة ( المجموعة السياسية الكبرى القائمة). في الواقع، ونحن نضع في الاعتبـار انتشار الاستيلاء والهيمنة، نلاحظ أن الحركات القومية nationalist تأسسـت إمـا بناء على تجمع سـياسي قائم لكن تابع و إما على مجموعة تتميز بلغـة خاصة و إما على جماعة يفترض أن عرقها واحد. القومية nationalism هـي حركـة سياسية في الـدول الخاضعة التي شملت عدة أعـراق "races" و لغـات (مثـل الهند) أو في الـدول و الأقاليم أو المناطق التابعة حيث التمييز يكون بناء علـى لغة خاصـة أو دين مختلف أو أصل عرقي مفترض. في الواقع هناك صـعوبة في استعمال الكلمتين nationalism و nationalist مشابهة لاستعمال NATIVE (ا م). لكن تحجب تلك الصعوبة عن طريق عـزل national feeling الشـعور الـوطني (حسن) عن الشعور القومي nationalist feeling (سيء إذا كان يصدر من بلد أخر معاد لبلدنا)، أو عن طريق فرز national interest المصلحة الوطنية (حسن) عـن nationalism (المصلحة القومية المعلنة لمجموعة أخـرى). ازداد هـذا التعقيـد بـالتمييز بـين قوميـة nationalism (السـعي الأنـاني لأمـة ضـد الآخـرين) و internationalism (التعاون بين الأمم). لكن الأممية التي تشير إلى علاقات بـين أمم - دول ليست في تعارض مع nationalism قومية في سياق مجموعة سياسـية تابعة تسعى إلى إحراز هوية مميزة لها؛ إنها فقط تنـاقض السياسـات الأنانيـة و التنافسية بين الدول السياسية القائمة.

دخلت nationalize يؤمم و تأميم nationalization فى أوائل ق ١٩ للتعبير عن عمليات تكوين الأمة أو جعل أمر ما قومياً بشكل متميز. برز المعنى الاقتصادى الحديث فى منتصف ق ١٩ ولم يكن شائعا قبل أواخر ق ١٩، فى البداية بشكل رئيسى فى مجال التأميم المقترح للأرض. فى مسار الجدل السياسي، اكتسبت كل كلمة نبرة محددة بحيث أنه يمكن القول دونما صعوبة واضحة بأنه قد يكون أو قد لا يكون فى المصلحة العامة أن نقوم بالتأميم.

انظر: ETHNIC اثنى، FOLK فولك/شعب، NATIVE وطنى/محلى، RACIAL عنصرى/عرقى، REGIONAL إقليمى، STATUS منزلة/حالة

## محلى NATIVE

كلمة native هى إحدى الكلمات اللافتة التى تحتفظ بانسجام جوهرى فى المعنى لكنها فى الوقت نفسه تستعمل أيضاً فى بعض السياقات بطرق تنتج معانى ونبرات مختلفة جذرياً بل حتى متناقضة. دخلت الكلمة اللغة الإنجليزية كصفة من ق ١٤ وكاسم من ق ١٥، من (س م) natif، فرنسية، التى أخذت فى وقت أسبق صيغة naif (وهذه مصدرالكلمة الإنجليزية naive، ساذج، بمعنى طبيعى و بسيط)، من nativus، لاتينية: صفة تعنى فطري/خلقى أو متأصل و nativus، لاتينية قروسطية: اسم مصاغ من نفس الكلمة. كان الجذر اسم المفعول الماضى لـ nasci، لاتينية: على وشك الولادة.

كانت معظم استعمالات native الأولى كصفة من نوع مازال يمكننا التعرف عليه: فطري، طبيعى أو عن مسقط الرأس (قارن nation أمة المقاربة). كان المعنى السياسى والاجتماعى الإيجابي، كما فى native land أرض الميلاد و native country البلد الأصلي، واضحاً من ق ١٦ فما بعد. لكن أنتج الاستيلاء والهيمنة السياسية المعنى الآخر السلبى للكلمة فى كل من الصيغتين الاسم

والصفة، حيث كانت عموماً معادلة لقن bondman أو خسيس villein، ولد في الرق. و رغم أن هذا المعنى الاجتماعى المحدد أصبح مهجوراً إلا أنه أصبح شائعاً استعمال سلبى للكلمة لوصف السكان الوضعاء لمكان يخضع لغزو أو سلطة سياسية أجنبية، أو لمكان تتم زيارته وملاحظته من نقطة استشراف أسمى مفترضة.

كانت بشكل خاص شائعة كتعبير لغير الأوربيين فى فترة الاستعمار والإمبريالية، لكن استعملت أيضا لسكان دول و مناطق مختلفة فى بريطانيا وأمريكا الشمالية و(بمعنى مرادف إلى حد ما للاستعمال الازدرائى لـ locals محليين) لسكان مكان استقر فيه شخص ذو نفوذ. لكن طيلة هذا الوقت و بموازاة هذا الاستعمال بقيت native كلمة إيجابية جدا عندما يستخدمها المرء لوصف نفسه أو موطنه.

لا يزال يمكن العثور على الاستعمال السلبي، خاصة لـ "غير الأوربيين" حتى فى كتابات ترفض ظاهرياً مضامين الكلمة الأيديولوجية. أدت الكلمة Indigenous بلدي/ فطرى دور تعبير مؤدب واعتبرت أكثر حيادية. فى الإنجليزية يصعب استعمال هذه الكلمة البديلة بمعنى تحويل الآخرين إلى وضعاء (التعبير بالإنجليزية to go indigenous التصرف مثل المحليين أصعب فى القبول من to go native). لكن فى الفرنسية مرت indige'nes بنفس التطور مثل الإنجليزية natives وتستبدل الآن فى الغالب بـ autochthones أهل البلد الأصليين.

انظر: DIALECTIC دياليكتيكى/جدلى، ETHNIC إثنى، NATION أمة، PEASANT فلاح، RACIAL عنصرى، REGIONAL إقليمى/جهوى

## طبيعية NATURALISM

بشكل رئيسى حالياً الكلمة naturalism هى مصطلح نقدى فى الأدب أو الفن، لكنها أكثر تعقيداً، كما يبين تاريخها، مما يدرك عادة الآن. ظهرت الكلمة في الإنجليزية للمرة الأولى من أوائل ق ١٧ كمصطلح فى الجدل الديني و الفلسفي. سبقتها naturalist طبيعى فى نفس السياق، من أواخر ق ١٦. حملت naturalism معنى معينا للطبيعة NATURE (ا م) حيث كان هناك تضاد مع إله أو روح. لدراسة الأسباب الطبيعية natural causes للأحداث أو لشرح أو تبرير الأخلاق بناء على nature الطبيعة أو human nature الطبيعة البشرية، كان على المرء أن يكون naturalist طبيعياً وأن يعرض تبنى الطبيعية naturalism، رغم أنه يبدو أن الذى صاغ المصطلحات ذاتها هم مناوئو هذا المنهج. أمثلة على ذلك: "هؤلاء المجدفون الزنادقة المعارضون للحقيقة و الطبيعيون الملاحدة Atheisticall naturalists" (١٦١٢) ؛ "ملاحدة أو رجال لا يؤمنون إلا بالأخلاق Morality أو الطبيعية Naturalism والعقل البشري" (١٦٤١). بهذا المعنى الأصلى لطبيعية كان المضاد الضمنى هو supernaturalism فوق الطبيعية، و استمر هذا صحيحاً، لكن مع مصطلحات بديلة أكثر تداولاً فى الجدل المتعلق بالأخلاق و الفضيلة. لكن كان هناك معنى دراسة الطبيعة الفيزيائية، ورغم أنه تداخل فى بعض الأحيان ولأسباب جلية مع المعنى الأخلاقى فإنه برز مستقلاً. كانت naturalist طبيعى اسم شائع فى ق ١٧ للفيلسوف الطبيعى natural philosopher أو كما يجب تسميته الآن عالم SCIENTIST (ا م): فى الواقع من نسميهم الآن فيزيائيين أو بيولوجيين. كانت هذه هى المعانى السائدة لطبيعية وطبيعى (إما (١) معارضة فوق طبيعية supernaturalism أو (٢) دراسة التاريخ الطبيعى الذى هو الآن بشكل رئيسى علم الأحياء).

بالنسبة للفن والأدب كانت تطورات الكلمة أكثر تعقيداً. كان هناك أولا تأثير أحد معانى natural طبيعي، كما فى " أسلوب كتابة بسيط وطبيعي" (منتصف ق ١٨). بوضوح أثر هذا فى أحد الاستعمالات الأولى الجديدة:

"أول مثال بارز للطبيعية naturalism دونما ريب فى كل الشعر الإيطالي" (Rosetti، ١٨٥٠). ثم ثانياً، كان هناك تأثير معنى "تاريخ طبيعي" بصفته المميزة بالملاحظة المفصلة والدقيقة: "كان فيلدنج a naturalist بمعنى أنه كان مراقباً غريزياً دقيقاً". يتبقى كلا المعنيين، خاصة الثاني، فى مصطلح ق ٢٠ المتطور. لكن الذى أهمل عادة فى تاريخ و نقاش الكلمة النقدى هو التأثير الثالث: طبيعية فى المفهوم العلمي والفلسفى العام الذى تأثر هو نفسه بالتطورات الجديدة و الخلافية فى الجيولوجيا والبيولوجيا و خصوصاً نظرية داروين للانتقاء الطبيعى فى النشوء والارتقاء EVOLUTION (ا م). بشكل خاص تأثرت المدرسة الطبيعية فى فرنسا، كما هو لدى زولا، بفكرة تطبيق المنهج العلمى فى الأدب : خاصة دراسة الوراثة فى قصة العائلة، لكن أيضاً، بشكل أعم، بمفهوم وصف و شرح السلوك البشرى بمصطلحات طبيعية صارمة، مستثنية فرضية سلطة متحكمة و موجّهة خارج الطبيعة البشرية. كانت هذه الطبيعية أساساً لنوع جديد من الكتابة، وتمت مناقشة الموقف الفلسفى بلغة مباشرة: قارن سترندبيرج: "محا الطبيعى naturalist الشعور بالذنب بإلغائه الإله"؛ "يجب إعتراض الطبيعيين ... على أحكام المؤلفين المتسرعة على الأشخاص، فالطبيعيون هم الذين يعرفون ثراء المركب الروحى soul-complex ويدركون أن "رذيلة" و "فضيلة" ما هما إلا وجهان لنفس العملة" (مقدمة السيدة جولي، ١٨٨٨). مُنح اهتمام جديد لبيئة environment الشخصيات والأحداث. (كانت environment فى معناها الخاص و الرئيسى الآن للظروف، بما فيها الظروف الفيزيائية التى يعيش و ينمو فى كنفها الإنسان والكائنات، تطوراً مصاحباً لطبيعية من أوائل ق١٩، وذلك من معنى محيط surroundings العام الأسبق). اعتبرت الشخصية والحدث متأثرة أو محددة بالبيئة التى توجب، خاصة فى مفهوم اجتماعى أو فيزيائي-اجتماعي، وصفها بعد ذلك بدقة كعنصر أساسى لأى تصوير للحياة. ارتبط هذا بمعنى الملاحظة الدقيقة والمفصلة، من التاريخ الطبيعي، لكن لم تكن (كما افترض لاحقاً) وصفاً مفصلاً لغرض الوصف أو اتباعاً أميناً لتقليد؛ بالأحرى، اعتمد ذلك على المعنى الجديد والطبيعى naturalist الملائم للتأثير المحدد أو الحاسم أو الفعال للبيئة على الحياة (ضمن التفاوت بين المحدد

determining والفعال influential يمكن إدراك كثير من التطورات اللاحقة). كذلك كان هناك استعمالان متخصصان. أولاً، عنت naturalism ضمنياً تقصّياً لعناصـــر البيئة الاجتماعية التى كانت حتى ذلك الحين، وعلى الخصوص فى الفترة الســـابقة مباشرة، مستثناة من الأدب؛ هذا يفسر الإجابة المسجلة فى *Daily News* فى ١٨٨١: "ذلك الوصف الدقيق دونما ضرورة لأحداث مهينة الذى وجد له السيد زولا الاســم الجديد Naturalism". هذا وصف كاريكاتورى لكنه دال على هذه النظـــرة. ثانيـــاً، كان هناك استعمال خاص لصيغة من "الانتخاب الطبيعى natural selection"، كمـــا هى فى الداروينية الاجتماعية، يرتبط بالصراع و الخلاف فى العلاقات الإنسانية: "الطبيعية الحقيقية هى التى تبحث عن تلك النقاط فى الحياة حيث توجد النزاعـــات العظيمة" (سترندبيرج، مقدمة السيدة جولي، ١٨٨١). من كل من هذه الاتجاهـــات و كذلك من نكران فوق الطبيعية الأسبق و الأكثر تشدداً، كانت هنـــاك ردة فعـــل محافظة استمرت، لكن بطريقة ضمنية، فى التـــأثير علـــى الاســـتعمالات النقديـــة للطبيعية كمصطلح.

مع ذلك، تضافرت هذه الاستعمالات مع معنى الملاحظة المفصلة و الدقيقـــة التى نجمت من الطبيعية البيولوجية ومن المعنى الأسبق لطبيعـــى natural. كـــان هناك تفاعل معقد و غالباً مشوش بين طبيعية وواقعيـــة REALISM (ا م). بشـــكل خاص فى الرسم، اســـتعملت طبيعيـــة و الكلمـــة الجديـــدة، مـــن وســـط ق ١٩، naturalistic طبيعى ليس لوصف الملاحظة الدقيقة فحسب وإنما أيضا لـــــ "إعـــادة إنتاج reproduction" الأشياء الطبيعية بالتفصيل: "مدرستنا الجديـــدة مـــن رســـامى مناظر طبيعيين naturalistic landscape painters". التعقيد الفعلى هو أنه، لاحقـــاً، اكتشفت دراسات إضافية للطبيعة والطبيعة البشرية، فى ما كان لا يـــزال حســـب المعنى الأسبق تعبيرات طبيعية naturalist، عمليات ونتائج إمـــا لـــم تكـــن قابلـــة للملاحظة النظرية أو متعذرة الوصف فى مظاهر خارجية جامدة. الأشخاص الذين تحمسوا فى الماضى لـــ naturalism وجدوا أسماء بديلة لعملياتها و مناهجهـــا، و انحصرت الكلمة باضطراد على أسلوب وصف خارجى دقيـــق. هذا هو ما يعنيه المصطلح الآن بشكل رئيسي، لكن بسبب التحديد تـــم تجاوز جوانب حاسمة من

النقاش الأصلي. إحـــدى النتائج هي أن صيغاً متعـددة مثاليـة IDEALIST (ا م) وفـــوق طبيعية للطبيعة والإنسان استمدت دعماً ظـاهراً (ومشوشـاً) مـــن الأساليب الفنية (impressionism انطباعية، expressionism تعبيريـــة ومثيلاتهمـا) التي، بنظرة أشمل، يمكن اعتبارها استمراراً، غالباً بشكل مباشر وواضح، للنزعـة الطبيعية naturalist الأصلية. في نفس الوقت كان هناك تفاعـل بـين الطبيعيـة و الإمبيريقية EMPIRICISM (ا م) و المادية MATERIALISM (ا م) حيث كان النقـاش الحاسم المتعلق بمعنى naturalism (بمساعدة من المناهج البيئية environmental في الوصف و الشرح) عن العلاقة بـين الفاعـل SUBJECT (ا م) والأشـياء objects المراقبة (سواء كانت natural أو naturalistic).

بهذا التعقيد في تاريخها فإن طبيعية naturalism كلمة أصعب كثيراً مما يبدو من استعمالاتها الحالي.

انظـــــر: ECOLOGY علـم البيئـة، EMPIRICAL إمبيريقـــي، MATERIALISM ماديـــة، NATURE طبيعـــة، POSITIVIST وضعي، REALISM واقعية

## الطبيعـــة NATURE

ربما تكون nature أصعب كلمة في اللغة الإنجليزية. من السـهل نسـبياً تمييز ثلاثة مجالات للمعنى: (١) الميزة والخاصية الأساسية لشيء ما؛ (٢) القـوة المتأصلة التي تسير العالم أو البشر أو كليهما؛ (٣) العالم المادي، سواء شمل ذلـك البشر أم لم يشملهم. لكن واضح أن المعاني الدقيقة ضمن كل من (٢) و (٣) متقلبة وفي بعض الأحيان متعارضة، وذلك رغم أن مجال المرجعية جلي بشـكل عـام. التطور التاريخي للكلمة عبر هذه المعاني الثلاثة مهم، لكنه مهم أيضاً أن المعـاني الثلاثة كلها، بالإضافة إلى التنويعات والبدائل الرئيسية ضمن الإثنين الأكثر تعقيـدا فيها، لاتزال فعالة ومنتشرة في التداول المعاصر.

يرجع أصل nature إلى (س م) nature، فرنسية قديمة و natura، لاتينية، من جذر فى اسم المفعول الماضى لـ nasci، لاتينية: يولد (التى اشتقت منها أيضاً nation أمة، native محلي، innate متأصل، الخ). كان معناها الأول، كما هو فى الفرنسية القديمة والأصل اللاتيني، هو معنى (١): الميزة والخاصية الأساسية لشيء ما. هكذا nature هى واحدة من عدة كلمات مهمة، من ضمنها culture ثقافة، بدأت كأوصاف لميزة أو عملية، مُعرّفة مباشرة بمرجعية محددة، لكنها أصبحت فيما بعد أسماء مستقلة. العبارة اللاتينية الملائمة لهذه المعانى المتطورة هى natura rerum – طبيعية الأشياء، التى اختصرت فى بعض الاستعمالات اللاتينية إلى natura: تكوين أو قوام العالم. فى الإنجليزية برز معنى (١) منذ ق ١٣، معنى (٢) منذ ق ١٤ ومعنى (٣) منذ ق ١٧، رغم أنه كان هناك استمرار أساسى من ق ١٦ الذى بدأ فيه أيضاً تداخل كبير بين معنى (٢) و (٣). فى العادة ليس من الصعب تمييز معنى (١) عن الآخرين وفى الواقع هذا غالباً ما يتم بحكم العادة وفعلياً لاتتم ملاحظته عند القراءة.

"فى حالة الطبيعة الفجة rude nature لا وجود لشيء يمكن وصفه بشعب people ... فكرة شعب ... مختلقه تماماً؛ صيغت، مثل كل الاختلاقات fiction القانونية الأخرى، عن طريق الاتفاق المشترك. تستنتج الطبيعة nature المعينة لذلك الاتفاق من الشكل الذى تقولب فيه ذلك المجتمع."

هنا عند بيرك Burke مشكلة بالنسبة للاستعمال الأول لـ nature لكن لا إشكال بالنسبة للثانى (المعنى (١))، بل تكاد لا تكون نفس الكلمة. مع ذلك، فى بعض الأحيان لا بد من جعل الصلات والتمييزات بين المعانى الثلاثة واضحة. على سبيل المثال، يمكن أن تشتمل العبارة الشائعة "الطبيعة البشرية" human nature (دون تمييز ذلك بوضوح) أيا من المعانى الثلاثة الرئيسية بل وكذلك تنويعاتها وبدائلها الرئيسية. هناك استعمال حيادى نسبياً لمعنى (١): إنها ميزة وخاصية أساسية للبشر لعمل شيء ما (رغم أن هذا الشيء المحدد قد يكون بالطبع مدار خلاف). لكن فى كثير من الاستعمالات الصيغة الوصفية (التى يمكن

بالتالي تأكيد صحتها أو دحضها) لمعنى (١) هي أقل بروزاً من العبارة المختلفة تماماً التي تعتمد على معنى (٢)، القوة المتأصلة المسيرة، أو أحد المعاني المتفرعة من معنى (٣)، خاصية راسخة للعالم المادي، الذي هو في هذه الحالة "الإنسان الطبيعي natural man".

ما يجب ملاحظته في العلاقة بين معنى (١) ومعنيي (٢) و (٣) هو بشكل عام أن معنى (١)، حسب التعريف، مفرد محدد: طبيعة the nature of شيء ما، بينما معنيا (٢) و (٣) في كل استعمالاتهما تقريباً، هما مفردتين مجردتين: أصبحت nature of طبيعة كل الأشياء مفردة nature أو Nature. بالطبع المفردة المجردة الآن مألوفة لكن لها تاريخاً محدداً. تطور معنى (٢) من معنى (١) وأصبح مجرداً لأن المطلوب كان " ميزة أو خاصية جوهرية" واحدة شاملة. هذه مقاربة بنيوياً وتاريخياً لبروز God إله من god أو the gods. هكذا تمت صيغة "Nature الطبيعة" المجردة، القوة المتأصلة الجوهرية، عن طريق افتراض سبب واحد رئيسي، حتى عندما تمت مقابلتها من قبل بعض المتجادلين بالسبب أو القوة الأكثر وضوحا في تجريدها: God الإله. كان لهذا أثره الذي شمل معنى (٣) حيث تحتوى الإشارة إلى كل العالم المادي، وبالتالي تعدد في الأشياء والمخلوقات، افتراض شيء مشترك يجمعها وهو إما (أ) الحقيقة البسيطة لوجودها، وهذا حيادي، أو، على الأقل بنفس المقدار من المشاركة، (ب) تعميم ميزة مشتركة وهذا هو ما يرتكز عليه في عبارات من نوع (عادة حسب معنى (٣) بوضوح): "تبين الطبيعة... Nature shows us that". اختزال التعدد هذا إلى المفرد عن طريق بنية وتاريخ الكلمة الهامة هو إذاً، بشكل مثير، متوافق إما مع الجزم بميزة مشتركة، التي تتلاءم مع المعنى المفرد، وإما مع الإثبات المحدد أو الضمني لميزة مشتركة فعالة، الذي تتمكن الصيغة المفردة مع ذلك من اشتمالها.

سيكون أي تاريخ كامل لاستعمالات nature هو تاريخ جزء كبير من الفكر البشري. (للحصول على موجز مهم، راجع Lovejoy ). لكن من الممكن إيضاح بعض الاستعمالات والتحولات الحاسمة. هناك، أولاً، التشخيص

المبكر جداً، والذى هو للغرابة مستمر، للمفرد Nature: طبيعة الآلهة، "الطبيعة نفسها nature herself". يختلف هذا التشخيص المفرد بشكل واضح عن ما يسمى الآن "آلهة الطبيعة nature gods" أو "أرواح الطبيعة nature spirits": تشخيصات أسطورية لقوى طبيعية معينة. فى طرف، "الطبيعة نفسها" آلهة بالفعل، قوة كونية مسيِرة، وفى الطرف القصى الآخر (وهنا يصعب تمييزها عن استعمالات مفردة غير دينية ) قوة غير مميزة لكنها مع ذلك قوة مشكِلة وخلاقة جبارة. تقع العبارة المقاربة "الطبيعة الأم Mother Nature" عند هذا الطرف الأخير من الطيف الأسطورى والديني. هناك إذاً تعقيد عظيم عندما يتعايش هذا النوع من التجريد الدينى والأسطورى المفرد مع قوة مفردة أخرى جبارة، أى الإله التوحيدي. كان الخط المتبع فى الاعتقاد الأوربى القروسطى هو استعمال كلا المطلقين المفردين لكن تم تعريف الإله على أنه الأساس والطبيعة Nature وزيرة أو نائبة له. لكن كان هناك اتجاه معزز لرؤية الطبيعة بطريقة أخرى كملك مطلق. واضح أنه من الصعب فرز هذا الاتجاه عن نظرة آلهة أو وزيرة، لكن بشكل خاص استعمل المفهوم للتعبير عن الإيمان بالقدرية بدلاً من العناية الإلهية. كان التركيز على سلطة القوى الطبيعية وعلى الاستعمال الذى يبدو أنه اعتباطى ونزوى لهذه السلطات من وقت لآخر، مع ما له من تأثير محتوم على الناس والذى غالباً ما يكون مدمراً.

فى العادة، كما هو متوقع فى أمور على هذا القدر من الصعوبة الجوهرية، كان مفهوم nature فعليا أكثر شمولاً وتنوعاً من أى من التعريفات المحددة. كانت هناك إذاً حالات من الاستعمال المتقلب، كما فى مسرحية شكسبير الملك لير:

| | |
|---|---|
| لو لم يسمح للطبيعة بأكثرمن حاجة الطبيعة،/ لبخسة كانت حياة الإنسان، كالحيوان. | Allow not nature more than nature needs, Man's life's as cheap as beat's... |

| | |
|---|---|
| لك ابنة واحدة/ تفدى الطبيعـــة من اللعنة الشاملة التى/ أنزلتها بهــا اثنتان أخريان. | ...one daughte<br>Who redeems nature from<br>the general curse<br>Which twain have brought<br>her to. |
| فالطبيعة التى تزدرى بأصلها/<br>لا يمكن حصرها ضمن نطاقهــا باطمئنان. | which ،That nature<br>،contemns its origin<br>Cannot be border'd certain in<br>itself... |
| ...و اقصفى يا رعود مزمزمة/<br>و اســـطحى كرويـــة الـــدنيا الكثيفة!/ | |
| حطمى قوالب الطبيعة واسكبى هباء كـــل بـــذرة؟/ تصـــنع الإنســـان العقوق! | ... All shaking thunder<br>all ،Crack nature's moulds<br>، germens spill at once<br>That make ungrateful man.. |
| أيتها الطبيعة اســمعى! أيتهـــا الآلهة العزيزة/<br>اسمعى! | nature hear; dear ،... Hear<br>hear ... ، goddess |

فى هذه الأمثلة هناك نطاق من المعانى يمتد من طبيعة بدائية سبقت المجتمع البشري؛ عبر معنى براءة أصلية نشأ منها سقوط ولعنة يتطلبان خلاصـــاً؛ وعبـــر المعنى الخاص لنوع من الولادة، كما فى جذر الكلمة؛ وكذلك عبر معنـــى أشـــكال وقوالب الطبيعة التى يمكن مع ذلك، بشكل تناقضي، أن تدمرها قوة الرعد الطبيعة؛ إلى تلك الصيغة البسيطة والمستمرة لآلهة، " الطبيعة نفســـها". هـــذا التعقيـــد فـــى المعانى ممكن فى أسلوب درامى بدلاً من تفسيري. مـــا كـــان يمكـــن ملاحظتـــه كالتباس كان أيضاً توتراً: فى نفس الوقت كانت nature بريئة، محرومة، واثقـــة،

فاقدة الثقة، مثمرة، مدمرة، قوة محضة وفاسدة ولعينة. تم نقل التعقيد الفعلي لعمليات طبيعية إلى تعقيد ضمن مصطلح مفرد.

كان هناك، خاصة منذ أوائل ق ١٧، جدل مهم حول ملاحظة الطبيعة وفهمها. قد يبدو من الخطأ البحث فى أفعال ملك مطلق أو وزير إله، لكن تم التوصل إلى صيغة مرضية: فهم الخلق هو تقدير وتعظيم الخالق، ملاحظة السلطة المطلقة من خلال الأعمال الممكنة. فى الواقع أصبحت تلك الصيغة ادعاء وتم لاحقاً إهمالها. فى موازاة مع التغييرات السياسية تم تعديل " الطبيعة" من ملك مطلق إلى ملك دستوري، مع تأكيد جديد على قوانين الطبيعة. فى الواقع، كثيرا ما تم تشخيص الطبيعة فى ق ١٨ و ق ١٩ كرجل قانون دستورى. صدرت القوانين من جهة ما وتم تحديد ذلك بطرق مختلفة لكن غالباً دون إيلاء ذلك أية أهمية؛ توجه معظم الاهتمام العملى إلى تفسير وتصنيف القوانين، و استنتاج توقعات بناء على سوابق و اكتشاف أو إحياء نظم أساسية منسية وفوق كل ذلك صياغة قوانين جديدة من حالات مستجدة: الطبيعة ليس كقوة متأصلة ومسيرة، لكن كتجميع وتصنيف للحالات.

كان هذا هو البروز الحاسم لمعنى (٣): الطبيعة بصفتها العالم المادي. لكن أدى التركيز على القوانين القابلة للاكتشاف -

**الطبيعة وقوانين الطبيعة قبعت مختفية فى ليل دامس؛**

**قال الرب: ليكن هناك نيوتن! وعم الضياء كل الكون( بوب Pope ) -**

- إلى تماهى الطبيعة مع العقل: موضوع الملاحظة مع أسلوب الملاحظة. كون هذا أساسا لتعديل مهم تمت فيه معارضة الطبيعة مع ما صنعه الإنسان أو ما أعده لنفسه. يمكن معارضة "حالة الطبيعة **state of nature**" - أحيانا بطريقة متشائمة لكن غالبا بتفاؤل بل حتى بطريقة مبرمجة - مع حالة المجتمع القائمة. ثم لعبت "حالة الطبيعة" وفكرة الطبيعة **Nature** التى شخصت للتو أدوارا حاسمة فى

الجدال حول، أولاً، مجتمع فاسد وعقيم فى حاجة إلى خلاص وتجديد وثانياً مجتمع "مصطنع artificial" أو "ميكانيكي" حيث لا بد وأن تشفيه الاستفادة من الطبيعة Nature. بشكل عام، كانت هاتان هما مرحلتا عصر الأنوار والحركة الرومانسية. يمكن بسهولة تمييز المعنيين لكن كان هناك فى الغالب تداخل كبير بينهما. خلق التركيز على القانون أساساً فلسفياً لتصور مجتمع مثالي. وخلق التركيز على سلطة أصلية ذاتية – نسخة حديثة للفكرة الأكثر قدماً – أساساً لإحياء فعلى أو، حين يتعذر أو يتباطأ الإحياء، مصدراً بديلاً للاعتقاد بطيبة الحياة و صلاح البشر، كمقابل أو كعزاء للعالم القاسي.

كانت كل هذه التصورات للطبيعة جامدة: مجموعة قوانين – تكوين أو قوام العالم، أو قوة شاملة، متأصلة، أساسية لكن أيضاً متجددة – بارزة فى "جمال الطبيعة " و فى "قلوب البشر" تلقن طيبة فريدة. استمرت كل من هذه المفاهيم فى التداول، خاصة المفهوم الأخير. فى الواقع أحد الاستعمالات الأكثر فعالية لـ " طبيعة " منذ أواخر ق ١٨ كان بهذا المعنى الإنتقائى للطبيعة و البراءة. عنت الطبيعة " الريف"، "الأماكن غير الملوثة"، النباتات والمخلوقات سوى الإنسان. يكثر هذا الاستعمال بشكل خاص فى معارضة المدينة بالريف: الطبيعة هى ما لم يصنعه الإنسان، لكن لو صنعها منذ مدة طويلة – وشيع أو صحراء – فإنها تعتبر فى العادة طبيعية natural. ترجع عبارات مثل "محب الطبيعة Nature-lover" و"شعر الطبيعة" لهذه المرحلة.

لكن كان هناك تشخيص إضافى فعال وهو لا يزال متبقياً: الطبيعة كآلهة، وزيرة، ملك، قانوني، أو مصدر البراءة الأصيلة، ثم الطبيعة كمولدة انتقائية: خلقت فكرة "الانتخاب الطبيعي"، والمنافسة "الشرسة" التى يبدو أنها تتضمنها، أساساً لاعتبار الطبيعة تاريخية وفعالة. لم يزل للطبيعة فى الواقع قوانينها، لكنها قوانين البقاء والعدم: أنواع species نمت وترعرعت، اضمحلت وماتت. تم اختصار تراكم المعرفة الاستثنائى عن عمليات ارتقاء فعلية وعن العلاقات المتنوعة بين الكائنات الحية و بيئاتها التى تحتوى كائنات أخرى إلى اسم مفرد. "الطبيعة" فعلت

هذا الشيء أو ذاك للأنواع. ثم كان هناك توسع للصيغ المختلفة للتعميم العلمى الحديث: " تعلم الطبيعة ..."، "تبين الطبيعة أن ... ". فى الواقع ما تم تعليمه أو إيضاحه تراوح بين منافسة مرة متأصلة ومحتومة وبين تبادل أو تعاون متأصل. يمكن اختيار أمثلة طبيعية natural عديدة لدعم أى من هاتين الصيغتين: عدوان، ملكية، تطفل، تكافل، تعاون - كلها تم إثباتها، تبريرها وبثها فى أفكار اجتماعية عن طريق أقوال انتقائية عادة ما تطرح على أنها ترتكز على طبيعة Nature مفردة فى نفس الوقت الذى تجمع وتستعمل فيه حقائق التنوع والاختلاف.

لا مجال للدهشة حول تعقيد الكلمة خاصة عند العلم بالأهمية الأساسية للعمليات التى تدل عليها. لكن بما أن طبيعة nature تحمل، خلال فترة طويلة جداً، كثيراً من المجالات الرئيسية فى الفكر البشرى - غالبا ما يكون ضمنياً، مهما كان الاستعمال، لكن له تأثير فعال فى طبيعة النقاش - فإنه من الضرورى بشكل خاص إدراك صعوبتها.

انظر: COUNTRY بلد/ريف، CULTURE ثقافة،
EVOLUTION نشوء/ تطور، EXPLOITATION استغلال،
NATURALISM طبيعية، SCIENCE علم

## عادى ORDINARY

لاستعمال كلمة ordinary فى عبارات مثل "ordinary people ناس عاديون" تاريخ ومعنى لافتان. فالكلمة دخلت الإنجليزية من ق ١٤، (س م) ordinarie، فرنسية قديمة، ordinarius، لاتينية وسطى، (س ب) ordo، لاتينية: نظام ولاحقه arius، لاتينية: يخص، للدلالة على تعيين أو منصب رسمي، كما هو الآن فى الكلمتين المقاربتين ordination رسامة الكاهن و ordinance أمر/ قانون بلدي. استعملت بشكل واسع بالنسبة لأشخاص قادرين على التصرف حسب مشيئتهم، فى أمور دينية وقانونية، ثم توسعت لتشمل طبقات كاملة من الموظفين المعينين. كذلك

استعملت لوصف أنماط معينة فى الطقوس والتعليم. ثم توسع المعنى الضمنى لشيء أنجز حسب قواعد أو تبعاً لأوامر، بطريقة تخلو من التناقض فى البداية على الأقل، ليشمل شيئا أنجز حسب العادة. فى أحد مسارات تطور الكلمة، حملت an ordinary معنى مطعم eating-house بوجبات ثابتة الأسعار، وفى هذا المسار وفى مسارات أخرى أكثر عمومية بدأت تتجمع معان اجتماعية مختلفة حول الصفة.

فى ق ١٨ تظهر أوضح أمثلة للمعنى السلبى الذى يتضمن أفكاراً صريحة عن التفوق أو الدونية الاجتماعية: "عبارات، مثل ... حتى أسوأ الناس فى الشارع وأكثرهم اعتيادية ordinariest لا يستعملونها" (ديفو، ١٧٥٦)؛ "غير ملائم واعتيادى بشكل مفرط" ( تشسترفيلد، ١٧٤١). كذلك توجد عبارة " ordinary people ناس عاديون" عند نفس المؤلف: "معظم النساء وكل الناس العاديين بشكل عام يتحدثون فى استخفاف واضح بكل القواعد" (١٧٤١). هذه هى لحظة الانفصام بين معنى ملائم /صحيح correct أو STANDARD معيارى (ا م) التى كانت تعبر ordinary عنه، ومعنى COMMON عام/مشترك (ا م) أو مألوف customary. استمر هذا المعنى، كما هو فى عبارات مثل "ordinary looking" عادى المظهر أو "very ordinary looking"، لكن استمر بوضوح كذلك المعنى المتطور للمتوقع، المنتظم، و المألوف. لذا يمكن استعمال "ordinary people" للتعبير عن موقف اجتماعى أو تحيز بطرق متعارضة فعلياً. يمكن أن تعنى عبارة "ما يعتقده الناس العاديون"، فى سياقات مختلفة، إما ما يعتمه أو يعتقده ناس "غير متعلمين "uneducated ( قارن EDUCATED) و "غير مستنيرين uninstructed"، و هذه تعتبر بوضوح طرقاً قاصرة، أو يمكن أن تعنى ما يعتقده ناس عقلاء، أسوياء ولطفاء فى تمييز لذلك عن وجهات نظر طائفة أو آراء المثقفين INTELLECTUALS (ا م).

فى الوقت نفسه فى العادة تشير "the ordinary people"، سواء استعملت كإطراء أو نبذ، إلى جمع عام للآخرين (قارن MASSES جماهير و people شعب) من منظور نخبة إدارية أو حاكمة. كثيرا ما تثير هذه الاحتجاج مثلها مثل

العبارة ذات التنوع فى المعنى "ordinary people". من المفيد مقارنة بعض الكلمات الأخرى التى تعبر عن هذا النوع من العلاقات الاجتماعية المتصورة.على سبيل المثال فى العادة تستعمل 'rank-and-file' جمهور/جنود لوصف أعضاء عاديين فى حزب سياسى أو تنظيم مشابه، فى تمييز لهم عن القيادة " the leadership"، التى أصبح استعمالها منتشراً ضمن نظرية للنخب ELITES (ا م)، وذلك من ترجمة لكتابة Michels فى ١٩١٥. (استعملت المفردة قيادة leadership لقائد leader حزب أو معارضة فى مجلس العموم من أوائل ق ١٩؛ و كانت leadership كسلطة شائعة من وسط ق ١٩ و leadership كمقدرة يمكن تدريبها من أوائل ق ٢٠؛ بوضوح تختلف the leadership كمجموعة متحكمة على رأس منظمة عن كل الاستعمالات السابقة.) استعملت rank-and-file بمعناها العسكرى الصريح من أواخر ق ١٦ ولعامة COMMON (ا م) الجنود من ق١٧. بعد تشعبات محدودة، اكتسبت هذا المعنى الحديث فى وسط ق١٩: "مجرد قاعدة rank-and-file الحزب" ( مل، ١٨٦٠). من اللافت أنه منذ وسط ق ٢٠ تم فى الغالب اعتماد الوصف بمعنى إيجابى للدلالة على الناشطين الفعليين للحزب أو المنظمة. لكن تحل باضطراد محلها فى المعنيين الكلمة الأمريكية grassroots القاعدة/الأساس. يبدو أن هذه العبارة بدأت فى مجال تعدين الذهب بمعنى يكاد يكون حرفياً لمكامن الذهب فى سبعينيات ق ١٩، ويبدو أن عبارة " getting down to grassroots الهبوط إلى القاع" كانت عامية فى أمريكا من ثمانينات ق ١٩. لم تسجل إلا من ثلاثينيات ق ٢٠ الاستعمالات السياسية مثل 'grassroot candidacy الترشح من القاعدة" بما تتضمنه من إشارة إلى الريف ( قارن COUNTRY بلد/ريف و PEASANT فلاح) فى أمريكا، لكن لم تصبح الكلمة شائعة إلا من أربعينيات ق ٢٠، وفى بريطانيا، عن طريق الصحافة السياسية، من ستينيات ق ٢٠. يمكن القول أن لها نبرة ألطف من ordinary أو rank-and-file لكن يظل مجال بحث فى بعض الحالات إذا ما كان هذا اللطف مدروساً، حصيفاً أو فعلياً.

انظر: COMMON عـــام/مشـــترك، EDUCATED مـــتعلم، INTELLECTUAL مثقـــــــف، MASSES جمـــــــاهير، POPULAR شعبي/رائج، STANDARD معيار

## عضــــــوى ORGANIC

تحمل كلمة organic معنى محدداً فى الإنجليزية الحديثة يدل على عمليــات ومنتوجات الحياة عند البشر والحيوانات والنباتات. ولها أيضاً معنى اســتعارى أو مجازى مهم للدلالة على أنواع معينة من العلاقات ومن ثــم أنــواع معينـــة مــن المجتمع. بهذا المعنى الأخير هى كلمة صعبة جداً، وتأريخها على أية حال معقــد بشكل استثنائي.

ظهرت organic المرة الأولى فى الإنجليزية من ق ١٣ للدلالة علـــى آلـــة موسيقية؛ ظهرت آلة تشبه الأورجان organ الحديث بهـــذا المفهـــوم مـــن ق ١٤. كانت سابقتها المباشرة (س م) هى organe، فرنسية قديمة، من organum، لاتينية، (س ب) o'rganon، يونانيـــة: آلة، محـــرك، أو أداة بمعنيـــين مشـــتقين: " الآلـــة instrument " المجردة: وسيلة و كذلك آلة موسيقية. كان هناك معنى مادى لاحق لـــ organon تكرر فى الكلمات المشتقة: العـــين كآلـــة رؤيـــة seeing instrument والأذن كآلة سمع وغيرهما، ومن ثم organ كجزء من الجسد. التـــى كانـــت فـــى الإنجليزية من أوائل ق ١٥. لكن نطاق المعانى الكامل - آلة موسيقية، محـــرك، آلة ( organ of opinion وسيلة الرأى ) وجزء من الجسد - كـــان موجـــوداً فـــى الإنجليزية فى ق ١٦. تبعت ذلك organic التى ظهرت فـــى ق ١٦، فـــى البدايـــة بمعنى محرك أو أداة. كتب نورث فى ١٥٦٩ مترجما بلوتـــارك: "يصـــنع آلات instruments ومحركات Engines ( تسمى ميكانيكيـــة أو عضـــوية organicall )". هذا مفيد فى ضوء التضاد التقليدى اللاحـــق بـــين عضـــوى organic وميكـــانيكى mechanical.

تطورت فى النهاية من معنى organ كآلة أو وسيلة الكلمتان organize ينظم و organization منظمة بمفهومهما الحديث، وذلك بشكل رئيسى من أواخــر ق ١٩ (قارن تطور كل من society مجتمع و civilization حضارة). لكن استعملت مبكرا كلتا الكلمتين بدلالة ماديــة واضحة كما هــو الحال كذلك بالنسبة لـــ organism كائن حـــى (متعضى) بدء من ق ١٧.

تبعت عضوى organic مساراً مختلفاً وفى الواقع بحلول ق ١٩ كـــان مـــن الممكن استعمالها كمقابل لـــ organized منظم. مصدر معناها الحـــديث المحـــدد الشائع هو التطور العظيم للتاريخ الطبيعى وعلم الأحياء فى ق ١٨ عندما اكتســبت دلالة على أشياء حية ونامية. تم تعريف organic chemistry كيمياء عضوية فـــى أوائل ق ١٩، مكتسبة لاحقا المعنى الأكثر تحديدا ككيمياء مركبات الكربـــون مـــن ١٨٦٠ تقريباً. كان هذا التطور فى علـــم الأحياء و "life sciences علوم الحيـــاة" هو الذى وضع الأساس للتمييز بين الكلمتين اللتين كانتا متـــرادفتين فـــى الســـابق: organic عضوى وميكانيكى MECHANICAL (ا م).

تم التمييز فى الحركة الرومانسية، فى البداية على الأرجح فى ألمانيا، عنـــد فلاسفة الطبيعة. ميز كوليردج بين أجســـام عضـــوية organic وغيـــر عضـــوية inorganic أو systems أنظمة. فى الأجسام العضوية "الكـــل هـــو كـــل شـــيء والأجزاء لا قيمة لها" بينما فى اللاعضوية "الكل ما هـــو إلا مجموعـــة الأجـــزاء المستقلة". لهذا صلة واضحة بالمعنى المتطـــور لمـــنظم organized و organism متعضى، لكن تأثر التمييز بشكل جوهرى بالتضاد مع ميكانيكى وبالمعارضة مـــع الفلسفة الميكانيكية وبالتأكيد بالأهمية الجديدة للماكينات فى الثورة الصناعية. عنـــد استعمال organic فى التنظيم الاجتماعى يقترب معناها من معنى natural طبيعـــى المعاصر: المجتمع العضوى organic هو المجتمع الذى نما بدلاً من كونه صـــنع. اكتسبت هذه أهمية مبكرة فى نقد الطروحات أو المجتمعات الثوريـــة علـــى أنهـــا مصطنعة artificial وضد natural order النظام الطبيعى للأشياء. اكتســـبت لاحقـــا أهمية بالتضاد بين مجتمعات زراعية بشكل رئيسى وأخرى صناعية INDUSTURAL

(ا م). كان لا يزال فى ذهن كارلايل المعنى المعقد عندما كتب عن ترويض الثورة الفرنسية "حتى يمكن لهدفها الأصلى أن يتحقق وأن تصبح organic عضوية وتستطيع العيش ضمن organisms المتعضيات والكائنات الأخرى". لكن بيرك استعمل وهو يتحدث عن نفس الموضوع معنى مضاداً: كتب مقارنا الإنجليز فى ١٦٨٨ بالفرنسيين فى ١٧٨٩: " أحدثوا تغييراً فى الدول المنظمة العتيقة حسب تنظيمها القديم وليس حسب الخلايا العضوية organic moleculae لشعب ممزق". تذكرنا خلايا moleculae هنا بالمعنى المتطور لـ atomistic متذر للدلالة على أشكال نسبياً منحلة أو مشتتة للمجتمع والفكر الاجتماعي.

كانت organic تستعمل خلال ق١٩ وحتى وسط ق٢٠ غالبا فى الفكر الاجتماعي، الذى كان بشكل رئيسى من نوع محافظ. عارض ليفس وتومبسون فى كتابهما "الثقافة والبيئة" (١٩٣٢) الدولة الحديثة "المنظمة organized" مع "إنجلترا القديمة ... ذات المجتمع العضوى organic". وجادل وايت فى كتابه "التراث المحافظ" (١٩٥٤) " أنه من الأفضل أن تكون الدولة شجرة بدل محرك engine" وأن "انتشار السلطة هو ميزة الحياة العضوية تماما كما يميز تركيز السلطة المذهب الميكانيكى mechanism". جادل بيرتراند رسل فى توجه مختلف، فى كتابه "توقعات الحضارة الصناعية" (١٩٢٣) "أن الماكينة فى جوهرها عضوية، بمعنى أن لها أجزاء تتضافر لإعطاء نتيجة واحدة مفيدة وأن الأجزاء المستقلة قليلة القيمة بمفردها" (يعيد التمييز الأخير للذاكرة ذلك الذى قام به كوليردج) وأنه بالتالى "عندما يتم حثنا على جعل المجتمع "عضويا" فإنه من الماكينة يجب بالضرورة أن نستمد نماذجنا التخيلية، حيث إننا لا نعرف كيف نجعل المجتمع حيواناً حياً". فى بعض المواضيع، خلف الجدل الحديث يبدو أن للاستعارة القديمة للمجتمع كجسد بأعضاء ومن ثم كائنا حيا بمعنى بيولوجى بعض الأثر. ميز دوركهايم بين التضامن العضوى organic والتضامن الميكانيكى حيث تحمل organic معنى الاعتماد المتبادل الوظيفي. لكن يمكن أن تغرى العلاقات الحديثة الصعبة، والتداخل الأساسي، بين organic و organized و organization

و organism بالقول إن كل المجتمعات عضوية لكن بعضها أكثر عضـوية organic - أي مخططة بطريقة هادفة instrumentally أو متطورة بشكل طبيعي.

لا يزال هناك تأثير لمعنيين آخرين لـ "عضوى organic". هنـاك المعنى الحديث المحدد للزراعة والطعام مع توكيد على الطبيعى natural بدلا من المصنع artificial فى الأسمدة وطرق التربية والتوليد. يرتبط هذا بالنقـد العـام للمجتمع الصناعى industrial. هناك أيضاً المعنى الأشمل لوصف نوع من العلاقة بدلاً من، كما هو الحال فى التنظير الاجتماعى الصريح، نـوع مـن المجتمعـات (قـارن ECOLOGY علم البيئة). استعملت organic على نطاق واسع فى مناقشـات الفن والأدب للدلالة على علاقة مهمة أو علاقات متداخلة بين أجـزاء عمـل: organic relation صلة عضوية و organic connection علاقة عضوية. هـذا الاسـتعمال الذى يشير إلى صلة أو علاقة بطريقة ذات مغزى أو بطريقة متممة واضح لـيس فى وصف مجتمعات ككل بقدر ما هو وصف لعلاقـات داخليـة معينـة: "صـلة عضوية بالتجمع المحلي". هذا الاستعمال بالمعنى الأكثر تحديداً أسهل لكنه لـيس تام السهولة.

انظر: ECOLOGY علم البيئة، EVOLUTION نشوء/تطـور، INDUSTRY صناعة/جهد، MECHANICAL ميكانيكى، NATURAL طبيعى، SOCIETY مجتمع

## أصالة/ابتكار/طرافة ORIGINALITY

هذه كلمة حديثة نسبياً. استعملت بشكل واسع فى الإنجليزية من أواخـر ق ١٨. بالطبع، تعتمد على معنى original أصيل التى كانـت بالإضافة إلـى origin (من س م origine، فرنسية، originem، لاتينية: نشوء، بداية، مصدر، مـن س ب oriri، لاتينية: يبرز) فى اللغة الإنجليزية منذ ق١٤. فى كل الاستعمالات الأولـى كان لـ origin أصل معنى جامد للحظة ما فى الزمن أو طاقة أو شخص تنشأ عنه

أشياء أو ظروف لاحقة. لكن بينما احتفظت origin بهذا المعنى الارتجاعى المتأصل فإن original طورت معانى إضافية بحيث أنه بالإضافة إلى original sin الخطيئة الأولى و original law القانون الأساسى و original text النص الأصلى كانت هناك لاحقا original بمعنى عمل فنى أصيل (فى تمييز له عن نسخة copy) وبمعنى شخص فريد singular (حيث سيكون مهما التمييز اللاحق بين singularity فرادة و originality أصالة). فى حالة الأعمال الفنية كان هناك تحول من المعنى الارتجاعى لـ original (العمل الأول وليس النسخة) إلى ما كان فى الواقع معنى مقاربا لـ new جديد (لا يشبه الأعمال الأخرى). حدث هذا بشكل رئيسى فى ق١٧: "بخصوص هذا البحث سأضيف فقط أنه original مبتكر" (درايدن، ١٦٨٣). كانت an original شائعة فى ق ١٨ بمعنى شيء فريد أو نادر و كذلك بمعنى يرتبط بنظرية جديدة فى الفن: قارن، "لا أداء يمكن أن ينال التقدير ما لم يكن original أصيلا" (ولستد، رسائل، ١٧٢٤). كتب ينج فى ١٧٥٩: "الأصيل original ... ينشأ تلقائيا من أساس العبقرية الحيوي؛ إنه ينمو ولا يصنع؛ كثيرا ما تكون المحاكاة نوعا من العمل المصنوع يقوم به هؤلاء الميكانيكيون mechanics، مستعملين المهارة art و الجهد labour، من مواد موجودة سابقاً وليست موادهم" (كتاب "أراء حول التأليف الأصيل"). هنا تستعمل كلمات أساسية مجتمعة وتتفاعل فى فلسفة جديدة للفن art و الطبيعة nature والمجتمع. من اللافت أن ما حدث هو توسع مجازى للمعنى القديم لـ original أصيل ومحاكاته (نسخة) إلى معنى جديد لنوع من العمل يتميز بالنبوغ والنمو وليس مصنوعاً وبالتالى ليس ميكانيكياً، يستمد مادته من ذاته وليس من مصادر أخرى وليس هو مجرد منتوج من الفن ART (هنا لا زالت بمعنى مهارة، ١ م) و labour الشغل (الجهد). ثم أصبحت originality (أصالة/ابتكار/طرافة) تعبيراً شائعاً لإطراء الفن والأدب، ولكن ليس دائماً بكل معانى ينج وإن شمل عادة معظمها. يعتبر العمل جيداً ليس بمقارنته بأعمال أخرى أو بمعيار ولكن "حسب شروطه الخاصة".

كذلك تبعت an original مساراً آخر فى وصف الأشخاص. كتب Wycherley فى *The Plain Dealer* (١٦٧٦): "أكره المحاكاة، تقليد ما يفعله

الآخرون. كل من يعرفني يكرمني بالقول إني فريـد "an original". هـذه ملتبسـة الطابع، وفى استعمالها للأشخاص استمر الالتباس حيث كان المعنى فـى الغالـب غريب الأطوار eccentric أو على الأقل فرد غير معتاد بدلاً من شخص لديه جـدة لافته أو، كما فى الفن، حقيقى authentic. لكن بحلول أواخر ق ١٨ كتب هـوكنز فى كتابه "حياة جونسون": "يمكن ملاحظة أن الفرادة singularity هى فى العمـوم أصالة originality؛ وبالتالى ليست عيباً". يبدو أن الانتقال مـن an original فريـد إلى original أصالة عـزز المعنى الإيجابى وأصبح هـذا سـائداً فيمـا بعـد منتجا المقابل المحبط لشخص أو كاتب عديـم الأصالة no originality.

فى الوقت الذى استقرت فيه originality فى اللغة الإنجليزية فإنهـا فقـدت تقريباً كل صلة لها بـ origin أصل؛ فى الواقع القصد هو أن لا يكون لهـا origin أصل إلا ذاتها. مع ذلك، احتفظت original بالمعنيين: المعنـى الارتجـاعى إلـى الأصل ووصف شيء بأنه جديـد و(عادة) مهم.

انظر: ART فن، CREATIVE خـلاق، GENIOUS عبقـرى، MECHANICAL ميكانيكى، ORGANIC عضوى

## فـــلاح PEASANT

ترجع كلمة peasant إلى (س م) paisant، فرنسية قديمـة، س ب pagus، رومانية: منطقة ريفية، ومن ثم فى تطور آخر نشأت الكلمة pagan وثني. كانـت شائعة الاستعمال فى الإنجليزية من ق ١٥ ويمكن غالباً تمييزها عـن rustic (س م rusticus، لاتينية: رجل من الريف، س ب rus: ريف) حيث أن peasant عنت فى العادة الشغل فى الأرض بالإضافة إلى العيش فى الريـف. ظهـر اسـم الجمـع peasantry الفلاحين (أو الفلاحة على وزن وبمفهوم مقارب لـ"عمالة" – المترجم) فى ق ١٦. استمرت peasant بمعناها التقليدى فى الإنجليزية حتى قرننا الحالى (ق ٢٠)، لكن اقتصر ذلك تدريجياً على الاستعمال الأدبي. خلق التحول الاجتمـاعى

والاقتصادى فى الزراعة الإنجليزية من ق ١٦ إلى ق ١٩ صـعوبة خاصـة فـى استعمال الكلمة. فى إنجلترا بحلول أواخر ق ١٨ انتهى تقريباً وجود طبقة صغار مستأجرى وعمال الأراضى فى علاقة إقطاعية أو شبه إقطاعية مـع أرسـتقراطية ملاك الأراضي، كما وجد فى روسيا وفرنسا قبل الثورة فيهما ويوصف فى الغالب بهذه الكلمة الفرنسية، وحلت محلها العلاقات الرأسمالية الجديدة بين مالـك الأرض والمستأجر والعامل. لاحظ كوبيت فـى كتابـه "السـجل السياسـي" (١٨٣٠): "peasantry اسم جديد أطلق على العمال الريفيين من قبل قبائل المتـاجرين بفكـرة القصبة boroughmongering ومروجى الديون الوقحين. منذ ذلك الحين أصـبحت peasant و peasantry فى اللغة الإنجليزية إما كلمتان أدبيتان فى أفول وإما، كمـا هو الحال فى استعمالهما فى الوصف الاجتماعي، هما كلمتان أعيدت فـى الواقـع استعارتهما من لغات أخرى أهمهما الفرنسية والروسية. كان هناك أيضاً استعمال خاص تم تبنيه أيضاً من الفرنسية والروسية حيث peasant عبارة إهانة طائشـة – فى الإنجليزية عادة مقصودة ومضخمة – لأشخاص "غير متعلمين" أو من "العامة". فى نفس الوقت، فى وصف مجتمعات أخرى خاصة فـى العـالم الثالـث (قـارن DEVELOPMENT)، لا تزال peasantry تحمل معنى رئيسياً يشير إلـى مجموعـة اجتماعية واقتصادية واضحة المعالم وأعطيت peasant، فـى بعـض السـياقات، معانى إما وصفية أو بطولية ثورية.

انظر: COMMON عام/مشترك، COUNTRY بلد/ريـف، EDUCATION تربية، MASSES جماهير

## شخصية PERSONALITY

كانت personality "شخصية" شيئاً ملكنـاه جميعـاً فـى الماضـي. فـى استعمالاتها الإنجليزية المبكرة كانت تعنى صفة كون الإنسـان شخصـاً a person وليس شيئاً واستمر ذلك على الأقل منذ أواخر ق ١٤ إلـى أوائـل ق ١٩: "هـذه المقدرات تكون الشخصية، فهى تعنى ضمنياً فكراً ووعياً" ( بيلي، ١٨٠٢ ). هـذا

ليس معناها الحالي، لكن التطور جزء من سلسلة عمليات مهمة. دخلت person الإنجليزية في ق١٣ من (س م) persone، فرنسية قديمة، personae، لاتينية. كانت persona قد مرت عبر تطور لافت من معناها السابق كقناع يستعمله الممثل ثم كشخصية في مسرحية وبعد ذلك الدور الذى يقوم به المرء وأخيراً كلمة عامة تعنى الإنسان. (تم فصل هذه المعانى مرة أخرى فى صيغ مختلفة كما فى personage شخصية بارزة والاستعمال السيكولوجي لـ persona.) لا تزال الاستعارة الضمنية تلازمنا. لكن فى الإنجليزية، رغم وجود استعمالات مبكرة لـ person للدلالة على شخصية سواء ممثلة أو مفترضة، فإن معنى فرد individual كان مبكرا أيضا (ق ١٣) وفيما بين ق ١٤ وق ١٦ ضم هذا المعنى، خاصة في personal شخصي، معانى أخرى نميزها الآن كفرد(ي) INDIVIDUAL وخاص PRIVATE (ا م) . كان لـ personalitas، لاتينية، معنيان خاصة في تطور قروسطي: الطبيعة العامة لكون المرء شخصاً وليس شيئاً ( تعبير معقد في الجدل السكولائى حول الثالوث، لكنه عنى أيضاً البشرية)، ومعنى الممتلكات أو المتعلقات الشخصية personal belongings التى استعارتها الإنجليزية كـ personalty ملكية شخصية. ( يمكن تتبع معنى مقارب فى personnel موظفين التى استعملت في الفرنسية مقابل matériel مادى، غالباً فى الحديث عن الجيش؛ تم تبنيها ككلمة أجنبية فى الإنجليزية من أوائل ق ١٩ ثم عوملت ككلمة إنجليزية بحلول أواخر ق ١٩. تحتفظ فى تعبير personnel management إدارة أفراد بمعناها كإدارة الممتلكات البشرية التى تتكون هنا اسمياً من persons أشخاص دونما تركيز على معانى هذه الكلمة الأخرى؛ انظر MANAGEMENT إدارة).

إن المهم فى شخصية personality هو التطور من صفة عامة إلى أخرى تدل على الخصوصية والفرادة. عندما نقرأ، من ١٦٥٥، " لفترة يفقد الإحساس بشخصيته ويصبح مجرد أداة مذعنة للآلهة"، فإننا نفهم بشكل يتعذر تجنبه المعنى الحديث المتطور الذى نستعمل له individuality فردية. لكن رغم أن هذا المعنى موحى - إنها فترة تحول معنى الكلمة - إلا أنه ليس مؤكدا حيث أن الكلمة البديلة لـ personality قد تكون، فى إطار ذلك النوع من التفكير، بشرية HUMANITY

( ا م). لم يتم بروز المعنى "الفرداني" بوضوح إلا في ق ١٨. عــرّف جونســون personality على أنها "وجود أو فردية أي إنسان"، وكانت هناك استعمالات عديــدة للهوية الشخصية المتميزة. ربما يكون أكثر إثارة للاهتمام هو بروز معنى الهويــة الشخصية المفعمة بالحياة، الذي هو أساس لفهم مثال من ١٧٩٥: "حتى فتاة فرنسية لها من العمر ستة عشر عاماً، لو كان لها شيء من الشخصية personality، فإنهــا تكون ميكيافيليه". بينما يبدو هذا متناغماً مع الاستعمال المتطــور لهويــة محــددة (مثلاً، "شخصية طاغية"، إمرسون، ١٨٤٧؛ "شخصية قوية"، "شخصية متحكمــة"، "شخصية ضعيفة") فإنه يتيح مجالاً يمكن أن نصف فيــه إنساناً، في تمييز تام عن المعنى السابق، بأنـــه " لا يملك شخصية". لا تزال كل هذه المعاني فــي حيــز الاستعمال، لكن كان هناك تطور متخصص في ق٢٠ - بشكل عـــام، كما هــو الحال غالباً، في مجالي السياسة والترفيه - لاسم جديــد مــن المعنــى الأكثــر تحديــداً. هنــاك شخصــيات قياديــــة " leading personalities" ( personages شخصيات بارزة أو، حسب الاستعمال المحــدد السابق، persons؛ كمــا تقــول العبــارة الحالية Very Important Persons شخصيات هامة) لكن هنــاك أيضــاً، بكــل تأكيد، "Personalities". ربما يكون هؤلاء الآن مشهورين أكثر من كــونهم مفعمين بالحياة، رغم أن معنى الحيوية لا يتلاشى تماماً. حسب هذا الاستعمال من المفترض أن معظم الناس ليسوا "personalities" شخصيات.

مع ذلك لا تزال لدينــا شخصية من نوع ما. يمكن مقارنـــة هذا التشكيل للكلمة بتطور character شــخصية. دخلت هذه الكلمة الأخيرة الإنجليزيــة مــن (س م) caracte're، فرنسية، character، لاتينية، من الكلمة اليونانية لآلــة الــدمغ والنقش أو الحفر: عنى أصلها البعيد (س ب) شحذ/بري، ثلــم، نقــش أو حفــر. استمر هذا المعنى في مجال حروف الأبجدية أو رموز أخرى منقوشة أو محفورة؛ وفي الفترة من ق ١٤ إلى ق ١٦ استعملت بشكل واسع لأيــة علامــة محفــورة. تطور الاستعمال للناس، مجازياً، من ذلك مع إشارة خاصة للوجه: "عــن طريــق علامات محفورة graven characters على جبينك" (مارلو، تمبرلين)؛ "ذهن يتلاءم مع مظهرك character الخارجي الجميل" (شكسبير، الليلة الثانية عشــر). ســاند

استعمال أكثر عمومية لوصف طبيعة NATURE ( ام) شيء ما، استعمالاً بالنسبة للأشخاص بلغ تطوره التام، بالرغم من استعمالات أخرى كثيرة في الفترة الوسيطة، بحلول أوائل ق ١٨. كتب بتلر فى ١٧٢٩ أن "هناك تنوعا كبيرا فى جوانب ما نسميه شخصية يفوق قسمات الوجه". التحول فى الكلمة اكتمل هنا بوضوح. كانت هناك أيضاً استعمالات أخرى من أوائل ق ١٨ للدلالة على السمعة (بما فى ذلك إصدار (شهادة) أخلاق character رسمية أو كما نسميه الآن شهادة حسن سيرة وسلوك character reference). تتشابك الكلمة مع تطور personality للدلالة على ميزة مدهشة: "معظم النساء لا شخصيات character لهن البتة" (بوب، ١٧٣٥)؛ "الرجال ذوو الشخصية character" (١٧٣٧). كانت كتابات characters، وصف وتقويم رسمي للأشخاص، عملاً أدبياً رائجاً فى ق ١٧ و ق ١٨. أصبح ممكناً وصف فرد بأنه character قبل وصفه بأنه personality ومع أنه يصعب تحديد تاريخ ذلك إلا أن وسط ق١٩ هو الأرجح. فى محاكاة لافتة لـ persona، وصف أشخاص الروايات والمسرحيات المتخيلين FICTONAL ( ا م) من وسط ق ١٨ كشخصيات characters. مدهش تكرار الاستعارة من قناع وعلامة حفر، وكذلك التداخل بين عرض مسرحى أو خيالى وحيازة طبيعة خاصة إلى جانب أخرى بارزة. رغم أنها فقدت كثيراً من هذه المعانى المعينة إلا أن الكلمة المقاربة disposition نزعة/مزاج، من التنجيم والفسيولوجيا المبكرة، هى أكثر تحديدا DETERMINED (ا م). لكن personality أو character، اللتين كانتا فى السابق علامة خارجية، تم استبطانهما بشكل نهائي، لكن الاستبطان كان كتملك وبالتالى كشيء يمكن عرضه أو تفسيره. حسب أحد المعاني، هذا هو حد أقصى من individualism الفردانية الإقتنائية لكنه فى الحقيقة أقرب إلى تسجيل للإدراك المتزايد بالاعتماد الذاتى freestanding وبالتالى وجود قابل للتقويم الذى منحنا، مع كل الصعوبات، الكلمة individual ذاتها.

يمكن بالطبع التمييز بين personality و character فى بعض معانيهما. نعرف ما نقصد أو نعتقد ذلك عندما نقول، مميزين الحيوية عن الوثوقية، أن أحداً من الناس "لديه كثير من الجاذبية المفعمة بالحياة personality لكن ليس لديه

character خلق يركن إليه". ينعم النظر بانتظام أيضا فى السلوك الخاص private characters لشخصيات مشهورة personalities ابتدعت شخصيات خيالية characters.

انظر: DRAMATIC دراماتيكي، HUMANITY إنسانية، INDIVIDUAL فرد، MAN إنسان، PRAIVATE خاص

## فلسفة PHILOSOPHY

احتفظت فلسفة بمعناها الأصلى العام، من ( س م) philosophia، لاتينية، philosophia، يونانية: حب الحكمة الذى يتجسد فى دراسة ومعرفة الأشياء ومسبباتها. اكتسبت فى أوقات مختلفة معانى ثانوية كما هو فى مفهوم الحكمة العملية ما بعد الكلاسيكى الذائع الذى أدى إلى تمييز مثل الذى قام به بن Penn فى ١٦٧٩: "معروفة لعفتها وفلسفتها عندما عنت هذه الأخيرة (الفلسفة) ليس الجدل العقيم ولكن حياة ورع". من هذا القبيل الاستعمال الشائع لفلسفى philosophical فى عبارات مثل "يتخذ موقفاً فلسفياً"، وفى الواقع تعادل فلسفة هنا "إذعان" أو "استسلام". فى الاستعمال الرسمي، خاصة فى الجامعات، قسمت الفلسفة إلى ثلاثة أقسام: ميتا فيزيقية، أخلاقية، وطبيعية؛ حل علم SCIENCE (ا م) محل القسم الأخير. فى بعض الأحيان تم التمييز بوضوح بين الفلسفة كمعرفة وتفكير فى الدين: "حتى لا يخدعك أحد بالفلسفة والمغالطات التافهة التى تتبع أراء الناس وترتبط بأشياء دنيوية وليس تبعاً لتعاليم المسيح" (ويكلف، ١٣٨٨) ؛ يتضح فى تعليق حنا مور (١٧٩٠) " الفلسفة ... (كما يسر الكفر فى الفترة الأخيرة أن يسمى نفسه)". كذلك كانت الفلسفة philosophy اسما شائعا لأى نظام معين للأفكار يحدده وصف دقيق.

يجب ملاحظة استعمالين معاصرين فى الإنجليزية. إلى حد كبير انحصرت الفلسفة الأكاديمية فى إنجلترا لبعض الوقت على المنطق ونظرية المعرفة وهناك

اتجاه إلى قصر الفلسفة philosophy على هذا المعنى واعتبار ارتباطهـا التقليـدى بنظم فكرية و أخلاقية عامة خطأ. هذا تقليد مسيطر لكنه محصـور جـدا. لكـن الأكثر انتشاراً هو الاستعمال المتزايد لفلسفة فى الحـديث البيزوقراطـى والإدارى حيث يمكن أن تعنى philosophy سياسة عامة لكـن كمـا هـو الغالـب مجـرد تصورات أو حتى إجراءات داخلية لمشروع تجارى أو مؤسسة: من فلسـفة البيـع عبر فلسفة طـرق السيارات إلى فلسفة متاجر المؤن (سوبر ماركت). يمكن إسناد ذلك إلى كتاب *Philosophy of Manufactures* فلسفة الصناعات (١٨٣٥) لمؤلفـه Ure، لكن أصبح هذا الاستعمال شائعاً بشكل أكبر فى وسط ق٢٠ للدلالة على رفعة ما هو فى الواقع مجال نشاط محلـــي.

انظر: SCIENCE علم

## شعبي/شائع/مشترك POPULAR

كانت popular مصطلحاً سياسياً وقانونياً، من popularis، لاتينيـة: يخـص الناس. كانت popular action ( دعوى شعبية، من ق١٥) قضية قانونية يمكن لأى فرد أن يتقدم بها. دلت popular estate منزلة شعبية و حكومـة شـعبية popular government، من ق ١٦، على نظام سياسى أسسه وطبقه كل الناس، لكـن كـان هناك أيضاً معنى ( قارن COMMON) "وضيع" أو "حقير". من اللافت التحول إلـى المعنى الحديث السائد: مفضل من قبل الكثيرين أو محبوب كونه يحتوى على قـدر واضح من السعى لكسب الاستحسان، بمـا يتضمنه ذلك من الإعـداد المحسـوب الذى لم يختف بعد بل هو واضح فى عبـارة معـززة مثـل deliberately popular شعبى بشكل مدروس. اعتبر معظم الذين تركوا سجلات عن استعمال الكلمة الأمر من وجهة النظر هذه: من الأعلى إلى الأدنى. كانت هناك استعمالات حيادية مثـل قول نورتون: "أكثر شعبية popular وتواق لرضا واستحسان عامة الناس" (١٥٨٠) (حيث لم تزل popular تعبير سياسة أكثر منه تعبير حالة)، واستعمالات إزدرائيـة بشكل واضح مثل قول بيكون: "رجل نبيل من أسـرة عريقـة، لكنـه مضـطرب

وpopular شـــعبي" (١٦٢٢). عـــرّف كـــولليرCollier فـــي ١٦٩٧ popularity الشعبية بأنها "تملق لكسب ود الناس بممارسة غير ملائمة". على الأرجح عـــززت ذلك استعمالات سلبية: كان هناك المعنى الحيادى فـــي "موضـــوعات ... شـــعبية" (١٥٧٣)، لكن الثقل كان للعبارات: "خطأ شعبي" (١٦١٦) و "ســـــقم شـــعبي" (١٦٠٣)، أو "مرض شعبي" (ق ١٧- ق ١٩) التى تدل على مجرد انتشار شـــيء مكروه. بحلول أواخر ق ١٨ أصبح واضحاً المعنى الرئيسي: مفضل مـــن قبـــل الكثيرين؛ يرجع معنى محبوب "well-liked" على الأرجح إلى ق١٩. لاحظت مجلة أمريكية من أواخر ق ١٩: "أصبحوا ... يعتبرون popular بطريقة جادة وواضحة مرادفة لـــ "good" حسن، طيب". هنا كان التحول فى المنظور واضـــحاً. بـــدأت popular ترى من وجهة نظر الناس بدلاً من أولئك الذين يسعون للحصول علـــى ودهم أو لكسب سلطة منهم. لكن المعنى السابق لم يمت. لـــم يعـــرّف الشـــعب people الثقافة الشعبية popular culture ولكن عرّفها آخرون، ولا تـــزال تحمـــل معنيين قديمين: أنواع وضيعة من الأعمـــــــال ( قـــارن popular literature أدب شعبي؛ صحافـــــة شعبية فى تمييز لهـــــا عن صحافة جادة)؛ وأعمـــال تســـعى بطريقة مدروسة لكسب الـــود ( popular journalism كتابة صحفية شـــعبية فـــي تمييز لها عن ديمقراطية، أو popular entertainment ترفيه شعبى )؛ بالإضافة إلى المعنى الحديث – محبوب من قبل الكثيرين – الذى يتداخل، بالطبع، فـــي حـــالات كثيرة مع المعنيين السابقين. يختلف عن كل ذلك معنـــى popular culture كثقافـــة ينتجها فعلا الشعب لنفسه. بوضوح، يرتبط ذلك بمفهـــوم هـــردر Herder لـــــ " Kultur des Volkes" ثقافة الشعوب، من أواخر ق ١٨، لكن يمكـــن تمييـــز "ثقافـــة فولكية/شعبية" folk-culture ( قارن FOLK) التى برزت فى الإنجليزية عن المعانى الحديثة لثقافة شعبية popular ، سواء كانت معاصرة أو تاريخية. يمكن ملاحظـــة هذه المعانى المختلفة مرة أخرى فى popularize ( ينشر بـــين الجمهـــور، يجعـــل رائجا) التى كانت حتى ق ١٩ تعبيراً سياسياً بالمعنى القديم ومن ثم اكتسبت معناها المحدد لتقديم المعرفة بطرق مبسطة. بشكل رئيسى كانت تحمل معانى إيجابية فى

ق١٩ واستمر ذلك في ق٢٠ إلا أن هناك أيضا معنى واضحا يدل على " التبسيط "، الذي يسيطر في بعض الدوائـــر.

في النقاش السياسي، تجسد populism شعبوية، كل هذه التنويعـــات. فـــي أمريكا كان الشعبويون Populists ( من ١٨٩٢، حـــزب الشـــعب ) فـــي تحـــالف راديكالي مع منظمات العمـــال، رغـــم أن العلاقـــة بـــين populism و socialism اشتراكية معقدة. تبقى معنى تمثيل المصالح والقيم الشعبية popular، لكن كثيرا مـــا طغى عليه إما (أ) نقد يميني لذلك، كما في demagogy ديماجوجية التي تحولت من "قيادة الشعب" إلي" تهييج مبسط وفج"؛ أو (ب) نقد يساري للحركـــات اليمينيـــة أو الفاشية التي تستغل "التحيزات الشعبية"، أو نقدها لحركات يسارية تخضع الأفكـــار الاشتراكية لمفاهيم وتقاليد شعبية popular أو شعبوية populist.

في وسط ق ٢٠ اختصرت بطريقـــة دالـــة popular song أغنيـــة شـــعبية و popular art فن شعبي إلى pop ، وتجمّعت مرة أخرى هنـــا جملـــة المعـــاني المألوفة من الإيجابية إلى السلبية. منح الاختصار الكلمة بساطة لكنه فـــي نفـــس الوقت عرّضها بشكل سهل لمعنى تفاهة. من الصعب القول بأن هذا المعنى اندمج مع معاني pop القديمة: المعنى الشائع لحركة مفعمة بالحياة والعفوية، كما هو فـــي سياقات كثيرة مألوفة وسارة، بالتأكيد ملائم .

انظر: COMMON شائع/مشـــترك، CULTURE ثقافـــة، DEMOCRACY ديمقراطيـــة، FOLK فولـــك/شـــعب، MASSES جماهير

## وضعي POSITIVIST

يكاد يكون من المستحيل الآن فرز معنى شائع لوضـــعي positivist مـــن النقاش العام حول الإمبيريقية EMPIRRCISM (ا م) والمنهج العلمـــي SCIENTIFIC (ا م)، رغم أن تاريخ الكلمة الفعلي يتطلب منا أن نكون حذرين من بعض استعمالاتها

الأكثر غموضاً. أدرج كونت من ١٨٣٠ الكلمة بشكل فعال في الفرنسية واستعملت بكثرة في الإنجليزية في منتصف ق ١٩. كان مصدرها positive يدل في أحد معانيه المتطورة على وجود حقيقي أو فعلي (وفي ذلك تحول من الاستعمال الأسبق الذي دل على "يخطط رسمياً": (س م) postivus، لاتينية، (س ب) ponere، لاتينية : موضوع laid down؛ بوضوح أسهم معنى "قطعي" و "يقيني" في هذا السياق الرسمي في معنى "الحقيقي real"). جادل كونت أن العقل البشري انتقل من مرحلة التفسير الثيولوجي الأولى ، عبر مرحلة التفسير المجرد والميتافيزيقي ، إلى مرحلة الإدراك الوضعي positive أو العلمي scientific الناضجة حيث الاعتماد يقتصر على الحقائق التي يمكن ملاحظتها ، والعلاقات القائمة بينها والقوانين التي يمكن استنباطها من تلك الملاحظة، وأن كل أنواع البحث عن الأصل والسبب أو الهدف هي ما قبل علمية. بهذا المفهوم تم تبني positivist بشكل واسع وكانت في الغالب بديلة لعلمي scientific. لكن عند كونت positivism الوضعية لم تكن مجرد نظرية للمعرفة وإنما كانت أيضا خطة للتاريخ وبرنامج إصلاح اجتماعي. بهذا المفهوم الأشمل أصبحت positivism في إنجلترا حركة تفكير حر وراديكالي ، بالإضافة إلى كونها حركة علمية. في الحقيقة، لأن الوضعية كانت مشغولة بفهم وتغيير المجتمع فإنها اتهمت بكونها ليست علمية بدرجة كافية أو ليست موضوعية objective بمقدار كاف ( قارن علم اجتماع SOCIOLOGY ، الكلمة الأخرى الرئيسية التي سكها كونت). علاوة على ذلك، انفصل فرع من الوضعية في محاولة لتأسيس كنيسة وضعية Positivist Church: دين البشرية الحديث. لكن كل هذه التطورات هي جزء من ماضي الكلمة المنتهي. المعنى العام الذي برز أولا هو "ضد الدوغماتية anti-dogmatic: "الوضعية، أي تقديم الحقائق دونما خلط بالتنظير أو الميثولوجيا" (١٨٩٢)؛ وكذلك برز لاحقا، كجزء من جدل عام وصعب حول الإمبيريقية والمنهج العلمي، معناها الشائع الآن والسلبي في عمومه كموضوعية ساذجة naive objectivity. من اللافت أنها لا تستعمل الآن، على عكس كل من علمي وإمبيريقي، لوصف وتبرير معيار للمعرفة الموثوقة. بدلاً من ذلك تستعمل الكلمة بشكل رئيسي من قبل

معارضي فكرة اعتبار هذا المعيار مطلقاً. ما يجادل هؤلاء ضده ليس ما جادل ضده الوضعيون، سواء الاعتقاد الديني أو الأفكار القبلية a priori. بدلاً من ذلك، يعتمد نقد positivism على ما اعتبر غموض مفهوم "الحقائق المشاهدة observable facts" أو في قصورها العام على حقائق تخضع لقياس مادي أو قياس مكرر ويمكن التحقق منه. كان الجدل أن هذا لا يهمل فقط وضع المشاهد الذي هو أيضا حقيقة وليس مجرد أداة، و إنما يهمل أيضاً خبرات experiences ومواضيع لا يمكن "قياسها" بهذه الطريقة؛ و بالتالي سيقصر هذا التنظير THEORY (ا م) والمنهج العلمي SCIENTIFIC (ا م) على مجالات معينة، ويعرّض مجالات أخرى إلى مجرد التقليد أو اللامبالاة.

هذا طرح هام، لكن نتيجة استعمال positivist كأحد مصطلحاته المركزية، في الوقت الذي أسقطه فعلياً المدافعون عن الموقع المهاجم، فإنه في الغالب إقصاء للمشكلة الحقيقية، أو حتى إعاقة لتوضيحها. تصبح الكلمة شتيمة لكن دونما شتم. لكن النقاش الحقيقي لا يزال قائماً. ببساطة قد يكون أكثر إزعاجاً تركيزه على scientific حيث المواضيع هي في الوقت ذاته أصعب و أوضح.

انظر: EMPIRICAL إمبيريقي، SCIENCE علم، SUBJECTIVE ذاتي، THEORY نظرية

## برجماتي/عملي PRAGMATIC

تستعمل pragmatic الآن غالبا في تضاد، خاصة فيما يتعلق بالسياسة والسياسيين، إما مع dogmatic دوجماتي أو ملتزم بالمبادئ principled، ويكون الاختيار تبعاً لوجهة النظر. صلتها بالبرجماتية pragmatism ملتبسة فمعانيها تمتد من practical عملي مقابل نظري theoretical إلى إشارة غير واضحة تماماً لنظرية فلسفية معينة عرفت منذ أواخر ق ١٩ بالبرجماتية Pragmatism. لذا هي مثال لافت للتجمع اللغوي المعقد حول مفاهيم نظرية THEORY (ا م) و practice ممارسة.

دخلت pragmatic الإنجليزية فى ق ١٦ ( فى البداية pragmatic كإسم و pragmatical كصفة) بالمعانى المحددة: (١) مرسوم حكومى و (٢) وكيل/وسيط أو رجل أعمال، من (س ب) pragmaticus، لاتينية: بارع فى الأعمال، لاحقاً ارتبطت بأمور الدولة، pragmatikos، يونانية: (رجل) بارع فى الأعمال، من (س ب) pragma، يونانية: عمل، أمر من أمور الأعمال business. ( business من bisig ( busy) مشغول)، إنجليزية قديمة، لها نطاق واسع من المعاني، من قلق وشغف إلى مهنة جادة، لكن لم يتبق من ذلك إلا القليل الذى غالبا ما يظهر فى عبارات معينة، حيث حصرت هذه الكلمة الشائعة على التجارة وكان ذلك واضحا من ق ١٧ وبشكل مألوف بحلول ق١٩.) استمرت الاستعمالات المبكرة رغم أن معنى (١) أصبح نادراً واقتصر على دلالة تاريخية معينة. فى ق ١٧ توسعت الصفة لتشمل (٣) عملى ومفيد: " ليست معرفة غريبة وتافهة ... لكن معرفة عملية pragmatical مليئة بالجهد والعمل business" (١٥٩٧)؛ و (٤) فضولي، متطفل وجازم: "أناس متطفلين متدخلين واثقين pragmatic" (١٦٧٤). نجم عن (٤) معنى فرعى لافت، (٥): متشبث برأيه، دوجماتي، استعمل فى الغالب من ق ١٧ إلى ق ١٩: "أسلوب عنيد قاطع pragmatical للتعبير عن آرائهم" (١٧٠٤)؛ "فى مغايرة صارخة لكوبيت البرجماتى كان هناك ماكينتوش المحبوب، الهادئ، المتأمل" (١٨٧٢)؛ "دوجماتية عنيدة pragmatic وعديمة الصلة بالموضوع" (١٨٧٢). كان هناك أيضاً معنى آخر من ق١٩ (٦) استمد من pragmatisch و pragmatismus الألمانيتين لوصف الدراسة المنهجية للتاريخ مع اهتمام خاص بالأسباب والنتائج.

هذه المعانى اللاحقة مدهشة جدا الآن وليس من السهل تتبع التطور فى ق ٢٠. كان معنى (٣) لا يزال حاضراً فى بعض استعمالات ق١٩ لكن لم يقتصر على مهارة عملية بل شمل كذلك الدهاء وقابلية الاستعمال: "حكمة سياسية وبرجماتية" (١٨٢٢). فى نفس الوقت، من سبعينيات ق ١٧، استعمل الفيلسوف الأمريكى بيرس pragmatism كمنهج فى علم المنطق: "منهج للتحقق من معنى الكلمات الصعبة والمفاهيم المجردة". ( *Collected Papers Of Charles*

Sanders Pierce، V، 1931-5; 464 ). كان المنهج هو أن "تعتبر الآثار، التى يمكـن أن تصور موضوع الفكرة حاصل عليها، والتى نتصور أن لها مركزا عمليا ... إن فكرتنا عن هذه الآثار هو كل فكرتنا عن الموضوع" (نفس المصدر، جـ ٧، ٢). هذه طريقة للفهم وليست (كما حدث لاحقاً فى دعم وليام جيمز للبرجماتية) للتبرير. فى تطور نظرية البراجماتية المعقد جدا كان التأكيد السـائد علـى "اتبـاع دقيـق للحقائق" وعلى "ملاحظة سلسلة الخبرات التى تنجم" عـن فعـل أو فكـرة. مـن المفارقة أن بيرس، الذى أدرج هذا المصطلح فى هذا السياق، ركز كثيـرا علـى مصاعب التأكد من الحقائق ومن ثم ركز على المعرفة واللغـة كإشـكالية. مـن المؤكد أن الأسئلة التى طرحها بيرس ستضع حدا نهائيا لأى برجماتى pragmatist عادي. لكن هناك معنى ارتبطت فيه الصيغة الشائعة ( فلسـفة العنايـة بالحقـائق والنتائج والعملية) بصفات الإطراء فى معنى (٣)، رغم أن الصلة أصبحت زائفـة عندما بلغـت المعنى المختزل: "فن الممكن"، أى مجرد الحسابات السياسية التـى يكون فيها تلاعب ودهاء. لا يزال هذا المعنى الأخير يجد تبريراً بتمييـزه عـن دوجماتى dogmatic، وعن المعانى المختزلة الشائعة التى تستعمل لنظريـة theory أو مبدأ principle أو حتى ثبات. عند هذا المستوى تعدّ كـل الصـلات بـالموقف الفلسفى فعليا زائفة. لكن من اللافـت أن الكلمة تستعمل بشـكل واسـع وأن معنيى (٤) و (٥) أسقطا. مـن "كوربت البرجمـاتى (العنيـد)" إلـى " سياسـى برجماتـى (داهية، متلاعب)" مسافة نادراً ما يمكن لكلمة أن تقطعها. لكن الكلمـة كانت مفيدة كبديل مقبول لعديم المبـادئ unprincipled أو timeserving انتهـازي، خاصة فى الحركات السياسية التى تعلن مجموعة مبادئ وتقرر تحت ضـغوط أن تهملها أو تنبذها أو تخونها، لكنها تظهر بمظهر البراعة والدهاء.

انظـــر: DOCTRINAIRE غير عملي، THEORY نظرية

## خاص PRIVATE

لا تزال private كلمة معقدة، لكن تم انجاز المراجعة التاريخية الاستثنائية لها بشكل عام منذ مدة طويلة. دخلت الإنجليزية من (س م) privatus، لاتينية: منعزل عن الحياة العامة، من (س ب) privare، لاتينية: يسلب أو يحرم (احتفظت الكلمة الإنجليزية deprive بالمعنى المبكر الواضح). استعملت للزوايا الدينية المنعزلة حيث كان النشاط طواعية (ق ١٤) ومن ق ١٥ استعملت للأفراد الذين ليس لهم رتبة أو موقع رسمي أو عام، كما هو باق الآن في private soldier جندى عادى و private member عضو خاص (فى البرلمان). اكتسبت معنى سرى أو خفى فى كل من السياسة وفى المعنى الجنسى للعبارة private parts (عورة الإنسان). اكتسبت أيضاً (وهذه كانت إحدى اللحظات الحاسمة فى تحول الكلمة) معارضة تقليدية مع عام public، كما هو الحال فى private house منزل خاص، private education تعليم خاص، private theatre مسرح خاص، private view عرض خاص، private hotel فندق خاص، private club نادى خاص و private property ممتلكات خاصة. فى كل هذه الاستعمالات تقريباً كان المعنى الرئيسى يتعلق بالامتياز privilege؛ اعتبرت المشاركة المحدودة أو صعوبة المنال ليست حرمانا و إنما ميزة ( قارن exclusive حصري). تطور هذه المعنى المؤاتى بشكل رئيسى من ق ١٦ وكان فى طور الانتشار السريع فى ق ١٩، فى نفس الوقت الذى احتفظت فيه privation فاقة/عوز بمعنى الحرمان القديم واحتفظت privateer (فى الأصل رجل حرب خاص private ) بمعناها: الاستيلاء على ممتلكات الآخرين. توافقت privilege امتياز مع private خصوصي؛ ترجعان أساساً إلى privilegium، لاتينية: قانون أو حكم لمصلحة أو ضد شخص ما، لكن أصبحت ميزة أو منفعة خاصة.

لكن هذا التوجه العام فى private ( ارتباطها بالامتياز privilege) يجب وضعه بمحاذاة توجه آخر حل فيه معنياً استقلال وحميمية محل انسحاب وانعزال. من الصعب تحديد تاريخ لذلك. هناك استعمال إيجابى عند Ridley (١٥٤٩):

"لواعج privitis قلبى وضميري". كان هناك معنى شائع لحميمية محظية privileged فى العلاقة مع شخص نافذ أو هام، وأتاح ذلك تداخلاً مع معنى متطور لرفع الكلفة، كما فى private friends أصدقاء خواص. فى القرنين ١٧ و ١٨ خاصة الأخير تم تقدير الانعزال بمعنى حياة هادئة كـ privacy خلوة وتطور هذا أبعد من معنى التوحد solitude إلى معنى الانسحاب المحترم والنبيل وإلى معنى خصوصية privacy أهلى وأصدقائي، وأبعد من هذين إلى القيم العامة للحياة الخاصة private life. ارتبط هذا التطور ارتباطاً وثيقاً بالتغيرات الموازية فى معانى INDIVIDUAL فرد و أسرة FAMILY (ا م).

لا تزال تحتفظ private life حياة خاصة بمعناها القديم، فى تمييز خاص لها عن public life حياة عامة ("ما يفعله فى حياته الخاصة")، لكن يبدو أن ارتباط الكلمة الدائم بـ personal شخصي، وهما كلمتان محبذتان جداً، هو السائد الآن. لا يزال ممكنا للكلمة أن تكون سلبية: private profit ربح خاص (مخفي) و private advantage ميزة خاصة (تشتمل التمييز)، لكن الصلة بالاستقلال الشخصى هى من القوة بدرجة تسمح بتسمية شركات المحاصة الكبرى private enterprises مشاريع خاصة (حيث التمييز المفضل ليس عن public عامة ولكن عن الدولة state). فى معانيها الإيجابية الكلمة private سجل لإيجاد شرعية لوجهة نظر برجوازية: الامتياز العام المطلق، رغم تجريده فى التطبيق، للانعزال والوقاية من الآخرين (the public العامة)؛ ولعدم المسئولية أمامهم؛ وللمكتسبات المشابهة فى الحميمية والراحة من هذه الأصناف العامة. فى هذا الوضع، خاصة فى معانى حقوق الفرد individual ( فى حياته الخاصة private life، أو من منطلق مختلف تماماً، فى حرياته المدينة civil liberties) وفى الحميمية المقدرة للأسرة والأصدقاء، تم تبنى private بشكل واسع خارج نطاق وجهة النظر البرجوازية الضيقة. هذا هو السبب الحقيقى لتعقيدها الحالي.

انظـــر: COMMON شـــائع/مشـــترك، FAMILY أســـرة، INDIVIDUAL فــــرد، PERSONALITY شخصــــية، SOCIETY مجتمع، UNDERPRIVILEGED محروم

## تقدمـــــى PROGRESSIVE

كتعبير للوصف السياسى كلمة progressive حديثة نسبياً. برزت فى الجدل الثيولوجى فى وسط ق ١٩ لكـــن ســـبقتها فـــى السياســـة صـــيغة progressist: "إشتراكيون و progressists تقدميـــون" (١٨٤٨)؛ "حزبان طبيعيان ومحتومان ... محافظون و progressists" (١٨٥٦). كان عندئذ التعبير المعارض conservative محافظ نفسه حديثا فى المعنى السياسي، رغم أنه استعمل منذ ق ١٤ فى المفهـــوم العام للحفظ و الوقاية وكان للكلمة conservatory وصاية/حراســـة اســـتعمال أقـــدم. يرجع تاريخ تداول conservative كتعبير سياسى عادة إلى كروكر (١٨٣٠): "مـــا يسمى حزب Tory تورى هو ما يمكن بدقـــة أكبـــر تســـميته حـــزب المحـــافظين Conservative". كانت عندئذ تستعمل بشكل واسع، رسمى أو غيـــر رسمي، فـــى النقاش السياسي، و توسعت خلال منتصف ق ١٩ لتصف توجهات أعـــم. كانـــت progressist تقدمانى و progressive تقدمى معارضان طبيعيان لها فى هذا النقاش. كتب دزرالى (١٨٤٤): "المحافظة conservatism تنبذ الإملاء، تنفر من المبـــادئ وترفض التقدم Progress". من ثمانينـــات ق ١٩ كـــان التقـــدميون Progressives مجموعة ليبرالية Liberal فى السياسة المحلية فى المدن: "هنـــاك تقـــدميون ليســـوا ليبراليين ... لكن ليس هناك ليبراليون غير تقـــدميين (روزبـــرى، ١٨٩٨). فـــى ق٢٠ توسعت progressive بشكل كبير، ليس فقط للدلالة على مواقـــف عامـــة أو أحزاب، و إنما كذلك لوصف سياسات و اتجاهات معينه. لذا يمكن أن نسمع عـــن progressive conservatism محافظة تقدمية.

بعيداً تماماً عن تعقيدات بعض المجادلات حول الكلمة: فـــإن progressive كلمة معقدة لأنها تعتمد على التاريخ المعقد بشكل ملحـــوظ لــــ progress تقـــدم.

كانت هذه الكلمة الأخيرة فى الإنجليزية منذ ق ١٥، من progressus، لاتينية: المضى إلى الأمام، من (س ب) pro إلى الأمام و اسم المفعول الماضى لـ gradi: يخطو/يتدرج. كانت استعمالاتها الأولى للسير أو الرحلة أو المشى الفعلي، ثم لسلسلة أحداث متنامية. ليس هناك معنى أيديولوجى بالضرورة فى هذا المعنى للحركة إلى الأمام أو سلسلة متنامية، كما لا يزال ممكناً ملاحظته فى استعمالات مثل progress of disease تطور المرض. كل ما يعنيه ذلك بالتأكيد هو مراحل متتابعة يمكن اكتشافها. من ناحية أخرى، مجرد ترابط المعنيين - التحرك إلى الأمام و التوالى القابل للاكتشاف - جعل اختيار الكلمة طبيعياً عندما بدأ المعنيان الجديدان لحضارة CIVILIZATION (١م) و تاريخ HISTORY (١م) يستقران، خاصة فى ق ١٨. أصاب Bunyan فى كتابه *The Pilgrim's Progress* (١٦٧٨) المعنى الرئيسى لرحلة، منذ ق١٧، لكنه بالطريقة التى أتم بها عنوانه: "من هذه الدنيا إلى تلك التى ستتبع"، شمل معنى "مصير واضح" و "مستقبل future" (التى اكتسبت، خاصة "the future المستقبل" معرّفة، نفس إيحاءات "المصير الواضح" ) وسرعان ما تمت علمنة ذلك وإعطائه محتوى جديداً تماماً. بخلاف بعض السياقات، اعتمد التحديد الرئيسى للمعنى على إدراك أن "الحركة" هى من الأسوأ إلى الأفضل. إن تجريد تلك الحركة كنمط تاريخى قابل للاكتشاف هو الذى أنتج Progress تقدم كفكرة عامة مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بأفكار الحضارة CIVILIZATION و IMPROVEMENT تطوير/تحسين. أتمت التجريد الفكرة الإضافية بأن هذه حركة تاريخ عامة واضحة أو قابلة للاكتشاف، كما هو بشكل ملحوظ فى Universal Histories التواريخ الكلية أوالشاملة من عصر الأنوار. دعمت هذا المعنى أيضاً فكرة التطور فى EVOLUTION النشوء والارتقاء (١م) حيث صار مبدأ التطور الفطرى إلى أنواع أسمى هو المعنى الرئيسي. فى ١٧٤٢ استعمل ينج Young تقدم progress بمعنى التحسين و التطور العام:

تبتهج الطبيعة بالتقدم progress؛ فى الترقي

من الأسوأ إلى الأفضل؛ لكن عندما تسمو العقول

يعتمد التقدم progress جزئيــاً على تلك العقول.

لكن حتى هذا يختلف عن التجريد النهائي: عملية متأصلة للتطوير التاريخي والاجتماعي. رغم أن أساسها كان فــي ق ١٨ إلا أن التطــور الكامــل لفكــرة Progress، كقانون للتاريخ ("لا تستطيع إيقاف التقدم progress")، ينتمي إلى ثورات أواخــر ق ١٨ و ق ١٩ السياسية و الصناعية. من اللافت أنه بســبب الطبيعــة المتنوعة لهذه التحولات أصبحت Progress موضع تساؤل أو معارضة ليس فقــط من قبل المواقف المحافظة أو الميتافيزيقية ولكن أيضاً من قبــل الــذين لاحظــوا حركات متناقضة أو مختلفة فى التاريخ مما جعل تجريد Progress كقانون تاريخي أو اجتماعــى شامل مجرد مثالية IDEALIST (١م). فى ق٢٠ احتفظــت progress بمعناها الرئيسى للتطوير لكن لها معنى هاماً (بالإضافة إلى ما فيه مــن مفارقــة ) تظهر فيه على أنها مجرد تغيير: امتداد لتوجه ما فى مراحل واضحة، كما كان فى المعنى القديم. أى تقدم progress يمكن عندئذ إما استحسانه أو رفضــه حســب معايير مختلفة تماماً.

التعبير progressive تقدمى صعب فى السياسة لأن له هذا التاريخ الطويل. لا يزال يمكن استعماله ببساطة كمقابل لمحافظ conservative؛ أى شخص يرحــب بالتغيير أو يناصره. بمعناه الأكثر عمومية الدال على التحسين و التطــوير هــو صفة يستعملها الجميع لكل المشاريع تقريباً التى تقدمها كل الأحزاب. هناك تعقيــد فى كون التعبير، من ناحية، يستعمل بشكل عام لليسار ( فرق من اليسار ) كما فى people progressive-minded أشخاص تقدمى الذهن، لكن، من الناحية الأخــرى، يستعمل لتمييز مساندى التغيير المعتدل و المنتظم ( كمــا هــو فــى EVOLUTION مقابــل REVOLUTION ثــورة (١م))، حيث يستحضر معنى رحلــة يكــون فيهــا التحرك خطوة خطوة بانتظام فى اتجاه ما، كما فى "حــزب تقــدمى progressive لكنه ليس إشتراكيا" أو "المحافظة تقدم منتظم: نحن الحزب التقدمى الحقيقي". مــن المؤكد و الهام أن كل الاتجاهات السياسية تقريباً تحلم الآن بــأن توصــف بأنهــا تقدمية، لكن للأسباب السابقة فإن العبارة الآن اقناعية أكثر من كونها وصفية.

انظـــر: CIVILIZATION حضـــارة، DEVELOPMENT تنميـــة، EVOLUTION نشوء و ارتقاء، EXPLOITATION استغلال، HISTORY تاريخ، IMPROVE يحسن/يطور، REACTIONARY رجعي، REFORM إصلاح، REVOLUTION ثورة

## سيكولوجى PSYCHOLOGICAL

سكّت psychologia ككلمة لاتينية فـــى ألمانيا فى ق ١٦. كانـــت الكلمـــة اليونانية psyche – نفس، روح – قد تطورت فى اللاتينية كروح، نفـــــس وعقـــل (قارن anima، لاتينية: هواء، نفس، حياة، روح). كان الاستعمال الألمانى الأصل فى عبارة psychologia anthropologica, sive animae humanae doctrina ، ووجد هذا المعنى العام لعلم العقل أو الروح البشرية طريقه عبر الفرنسية إلى الإنجليزيـــة كـــ psychology سيكولوجيا/ علم النفس فى أواخر ق١٧. كان معنى هذه الكلمـــة المبكر هو معتقد الأرواح ( كان هناك فى الفرنسية معنى يدل على علم الأشـــباح). فى ١٧٣٢ عرف وولف فى الألمانية psychology empiric السيكولوجيا الإمبيريقية بمفهوم أكثر حداثة وتبنى ذلك فى الإنجليزية هارتلى فى ١٧٤٨، لكن لم تســـتعمل الكلمة بكثرة قبل ق ١٩.

سجلت psychological من ١٧٩٤: "الاتحاد السيكولوجى الذى نسميه العقل". كذلك استعملها دزرالى بمفهوم ألمانى فى ١٨١٢. لكن فى ١٨١٨، مميزا بـــين " الطريقتين... السيكولوجية ... والشعرية" عند شكسبير، طلب كوليردج "المعذرة من استعمال هذه الكلمة المتعجرفة، لكنها كلمة لغتنا فى أمس الحاجة لها. ليس لـــدينا كلمة واحدة تدل على فلسفة العقل البشري". كل هذه الاستعمالات بعيدة نسبياً عمـــا آل إليه المعنى الأعم للكلمة. لا تزال psychological صفة محددة مشـــتقة مـــن psychology: "بحث سيكولوجى psychological" الخ. لكن ربما تحت تـــأثير مـــن بعض مدارس "سيكولوجيا"، وكذلك فى علاقة بالحركة العامة التى منحتنا المعـــانى الحديثة لشخصية PERSONALITY، PRIVATE خاص و SUBJECTIVE ذاتى (أنظـــر

المواد)، اكتسبت psychological معنيين مختلفين يدلان إما على (١) شعور " داخلي" أو (٢) الشخصية والسلوك كما يرى من وجهة النظر هذه. كان معنى ثالث، كما في psychological moment لحظة سيكولوجية، شائعاً فيما يتعلق بأثر فعل ما على الشعور وخصوصا معنويات الآخرين، وذلك من ١٨٧٠ تقريباً.

بخلاف استعمالاتها العلمية لاتعبر psychological في العادة، كما هو واضح من المعاني التي بينها كوليردج عن العقل البشرى ككل. إنها تدل على ما يعتبر جزءا من العقل (قارن UNCOSCIOUS اللاوعي) متعلقا بشكل رئيسي بالشعور بدلا من العقل أو الفكر أو المعرفة. تعطى الأسباب السيكولوجية psychological reasons في العادة ليس لأنها مستمدة من السيكولوجي psychology (سوى بمعناها الذى توسع بطريقة مماثلة والذى يشير إلى فهم شعور أو سلوك الآخرين)، لكن كإلماع إلى هذا الجزء المفترض من العقل. (هناك مقارنة لافتة مع sociological سوسيولوجى التى استعملت على نطاق واسع ليس فى الغالب لإيضاح حقائق أو نظريات مستمدة من sociology علم الاجتماع ولكن كصيغة مشتقة من social اجتماعي: "العوامل السوسيولوجية sociological فى هذا الإضراب". فى الغالب العوامل السوسيولوجية هى social اجتماعية والعوامل السيكولوجية psychological هى شخصية personal ضمن التصنيف التقليدى بين SOCIETY مجتمع و INDIVIDUAL فرد ( أنظر المادتين). مع ذلك، بينما توجد social كبديل بسيط لاستعمال sociological الرائج فإنه لا يوجد بديل سهل لسيكولوجى psychological؛ للكلمتين psychic و psychical معان مختلفة تماماً، متبقية من استعمالات psychology و psyche المبكرة. هناك أيضا صيغة مشابهة فى technological تكنولوجى التى تستعمل فى الغالب بمعنى technical تقني: أمور تتعلق بالتقنية technique (techne، يونانية: فن أو حرفة؛ technical ترجع إلى ق ١٧؛ technique (ق ١٩): منهج فى الفن، لاحقا منهج فى أى مجال) بدلا من تكنولوجيا technology (ق ١٧): دراسة الفنون والحرف، علم المصطلحات التقنية، لاحقاً ( بشكل رئيسى ق٢٠) المعرفة والطرق التطبيقية فى العلوم والصناعة.

مهما كانت التحفظات علـــى psychology و psychological مـــن وجهـــات النظر الأكاديمية أو العلمية فإن الدلالة فـــى التعبيـــرين علـــى أمـــور "الشـــعور" و"الشخصية character" سائدة الآن. تنتميان بهذا المعنى إلى مجموعة من الكلمات الأخرى: subjective و individual و sensibility حساسية وبعـــض المعانـــــــى المتطورة لـــ art فن، interest اهتمام، creative خلاق. يتكرر هذا التـــوتر بـــين معانى هذا التشكيل الثقافى المهم ومعانى psychology الأدق على مستوى مختلـــف (حتى ضمن psychology نفسها) التى تشتمل مجالات مثيرة للجدل الشديد تمتد من الدراسات الفيزيائية التجريبية و عبر دراسات تجريبية فى العلاقات بين الأشخاص interpersonal (التى لها تطبيقـــات متخصصـــة فـــى الســـيكولوجيا الاجتماعيـــة والصناعية) إلى مبادئ وممارسات من نوع فلسفى وعلاجى يعتمد معظمها علـــى معان متطورة للكلمات الرئيسية فى التشكيل. بطريقة دالة فى الغالب تتكر كل هذه الاتجاهات المختلفة بشكل متبادل المعنى الدقيق لسيكولوجيا psychology.

يمكن ملاحظة أثر مهم للمعنى الأعم فى استعمالات معينة لـــ psychology: بشكل ملحوظ، psychological realism واقعيـــة ســـيكولوجية و the psychological novel الرواية السيكولوجية. لم يكن بالإمكان اختراع هذين التعبيـــرين ولا يمكـــن الاستمرار باستعمالهما بطريقة معقولة إلا بناءً على افتراض عـــالم بـــاطنى inner world مستقل أو على الأقل جذرياً متميز تتم فيه عمليـــات الشـــعور والعلاقـــات والنشاط حسب شروطها، وفى الغالب آخذة فى الاعتبار أولوية هذه العمليات وتبعية أو عرضية العالم الخارجى outside world: الطبيعة nature أو المجتمـــع society. الفصـــل التقليـــدى الآن بـــين the psychological الســـيكولوجى و the social الاجتماعى هو أحد أهم العلامات البارزة فى هذا التشكيل ككل.

انظر: BEHAVIOUR ســـلوك، PERSONALITY شخصـــية، PRIVATE خاص، SENSIBILITY حساســـية، SOCIOLOGY علـــم اجتمـــاع، SUBJECTIVE ذاتـــي، TECHNOLOGY تكنولوجيـــا، UNCONSCIOUS لاوعى

## جنسي/عرقي RACIAL

دخلت كلمة race الإنجليزية في ق ١٦، من (س م) race، فرنسية و razza، إيطالية. أصولها الأسبق ليست معروفة. في استعمالاتها الأولى لها مجموعة من المعاني: (١) ذرية بمعنى سلسلة نسب – "عرق وسلالة race and stock إبراهيم" (١٥٧٠) – كما في الاستعمالات الأسبق لـ "دم" و مرادفتها جذع stock التي استخدمت بهذه الطريقة منذ ق ١٤ في استعارة مطورة من stoc، إنجليزية قديمة: جذع أو ساق؛ (٢) نوع أو فصيلة من النباتات (١٥٩٦) أو الحيوانات (١٦٠٥)؛ (٣) تصنيف عام كما في "الجنس البشري" (١٥٨٠)؛ (٤) مجموعة من الناس وهذا المعنى هو توسع وتوضيح لمعنى (١) مع تأثر بمعنى (٢): "آخر أمير لويلز (ولي العهد) من عرق race البريطاني (١٦٠٠)".

استمرت مجموعة المعاني هذه لكن الكلمة أصبحت حسب معنى (٤) مع تأثير من معنى (١) إشكالية خاصة في تداخلها وتشوشها مع معنيين (٢) و (٣) البسيطين نسبياً. استعملت race بمحاذاة كل من genus جنس و species نوع في التصنيف البيولوجي، لكن تنشأ مشاكلها كلها عندما تستعمل للدلالة على مجموعة داخل النوع كما في حالة "أجناس/ أعراق races البشر". من ناحية، يرجع هذا إلى المعاني القديمة لدم أو جذع، لكن توسع بشكل كبير من ذرية محددة يمكن تتبعها إلى مجموعات قومية وثقافية واجتماعية أكثر شمولاً. مع ذلك، من الناحية الأخرى، منذ Blumenbach (١٧٨٧) كانت الأنثروبولوجيا الفيزيائية الجادة تتعقب مجموعات متمايزة بين البشر؛ ميز تصنيف بلومنباخ، الذي اعتمد بشكل رئيسي على قياس الجماجم، القوقازي والمنغولي والملاوي والأثيوبي والأمريكي (الهندي)، بالإضافة إلى الفروق بناءً على لون البشرة: أبيض، أصفر، أسمر، أسود، أحمر. تلت ذلك نظم أكثر تعقيداً في الأنثروبولوجيا الفيزيائية تتضمن أصناف ما قبل الإنسان وأصناف أنسوية huminid أخرى، لكن منذ بروز " البشر الكاملين" أصبح التعقب هو لفروق ضمن نوع واحد لا ريب في وحدانيته.

أصبح هذا الجهد العلمي الجاد ملتبساً بشكل جذري في ق ١٩ بأفكار مستمدة من التحيز الفكري السياسي والاجتماعي. إحدى العلامات البارزة هي كتاب Gobineau: *Essai sur L'inegalite des races humaines* بحث في عدم المساواة بين الأعراق البشرية (١٨٥٣-١٨٥٥) الذي قدم فكرة "الجنس الآري" (التي تطورت من Aryan، سنسكريتية: نبيل، التي استعملت بشكل واسع من أوائل ق ١٩ لوصف "عائلة" اللغات الهندوأوربية كما عرفتها اللغويات المقارنة أو، بطريقة أكثر دقة، القسم الإيراني-هندي من تلك "العائلة"). كان التحول من مجموعة لغوية إلى مجموعة فيزيائية (عرقية racial) مضللاً جداً عندما تم دمجه، كما هو عند جوبينو، مع أفكار "السلالة النقية" وتفوق الأرومة النوردية/الشمال أوربية Nordic ضمن تلك السلالة، ومن ثم الفكرة العامة بعدم المساواة العرقية الخلقية. لم تدخل racial جنسي/عرقي في الاستعمال في الإنجليزية إلا منذ منتصف ق ١٩. كان هناك تأثير إضافي من الأفكار التي أصبحت تعرف بـ "الداروينية الاجتماعية"، حيث توسع مفهوم النشوء والارتقاء evolution (صراع تنافسي من أجل البقاء وكذلك " بقاء الأفضل") من مصدره البيولوجي، الذي دل فيه على علاقات بين الأنوع المختلفة، إلى نزاعات وعواقب سياسية داخل نوع واحد: البشر. فيما يتعلق بالجنس/العرق race، ظهر أكبر الأثر لهذا التوجه في eugenics اليوجينيا/علم تحسين النسل، وهي كلمة سكها جالتون Galton في ١٨٨٣ من جذور يونانية بمعنى "إنتاج النسل النقي". في بعض فروع اليوجينيا تم الترويج بشكل واسع لأفكار التفوق الطبقي class والعرقي racial، وتم خلط، بل تجاهل، الدليل العلمي للوراثة المتفاوتة بناء على مفاهيم ما قبل علمية لـ " النسل العرقي الصافي"، و للوراثة، عن طريق الدم أو العرق، لخصال مكتسبة ثقافيا ( رغم أن جالتون نفسه رفض ذلك). تفاعل مبدأ التفوق العرقي الخلقي في صيغته الفجة مع أفكار الهيمنة السياسية، خاصة الإمبريالية IMPERIALISM (ا م). دال وجود هذا في عبارات مثل "تمييزات شخصية عرقية race-character في حكم (الزنوج)" (١٨٦٦). تم الترويج بشكل واسع للمهمات والمسؤوليات التاريخية

المفترضة للعرقين races " الأنجلو-ساكسون" و "الألمان" (اللذين سيكونان لاحقا في صراع "قومي national" بينهما.

هكذا أصبحت مجموعة الكلمات التي تحلقت حول racial متميزة بشكل فعلي عن المجموعة الأسبق حول race، رغم أنه واضح استحالة فصل المجموعتين. ظهرت racialism التمييز العرقي في السنوات الأولى من ق ٢٠، وسجلت racialist من ١٩٣٠. هاتان كلمتان تكاد تكونان دائماً عدائيتان (في السنوات الأخيرة اختزلتا إلى racism و racist وهما كذلك دائما عدائيتان) لوصف آراء وأفعال مناصري التفوق العرقي أو التمييز discrimination (العنصرية). إلى حد ما عرّضت الكلمتان للشك والريبة العمل المستمر في الأنثروبولوجيا وفي علم الجينات GENETICS (ا م) حيث لا يزال البحث العلمي في الوراثة والتنوعات ضمن النوع البشري مهماً ومفيداً.

سجلت race-hatred كراهية عرقية من ١٨٨٢ رغم أنه يجب ملاحظة قول ما كولي: "لم يحدث في أي بلد أن وجدت العداوة العرقية enmity of race بالقدر الذي كانت عليه في إنجلترا" (١٨٤٩). واضح أن غموض race في معانيها السياسية والاجتماعية الحديثة هو أحد أسباب تأثيرها الضار والطائش. استخدمت ضد مجموعات مختلفة حسب تصنيفات متباينة مثل اليهود (ثقافياً أوربيون ومن أمريكا الشمالية، في معظم السياقات المعتادة)؛ و الأمريكيين السود (أقلية مختلطة ضمن سكان الولايات المتحدة المتباينين)؛ و "الشرقيين" (كما في فكرة " الخطر الأصفر")؛ و"الهنود الغربيين West Indians" (سكان متنوعون تحددت هويتهم بأصل جغرافي لكن استمر التعبير حتى عندما انتهت تلك الصلة)؛ وبعد ذلك استخدمت، بطرق مختلفة، ضد كل من الأيرلنديين والباكستانيين حيث يبلغ الافتراض الآري (هندي- أوربي) حرفيا إلى حدوده القصوى، لكن بطرق إقصائية. يتم تبني وتصور وتعميم فروق بدنية وثقافية واقتصادية و اجتماعية، وخلطها بحيث تستعمل أصناف مختلفة من التنوعات وكأنها ترمز أو توحي ببعضها البعض. التحيز والعنف، الذي غالباً ما ينجم عنه، وتبرير الإثنين

بدعوى الخلط والتشويش، ليس هو مجرد شر يقتصر عليهما؛ بشكل عميق تسبب هذا التحيز والعنف الشديد فى تعقيد، بل وضع تحت التهديد، اللغة الضرورية للمعرفة (غير المتحيزة) للتنوع البشرى وتجمعاته الفعلية.

انظر: ETHNIC إثنى، GENETIC جينى، IMPERIALISM إمبريالية، NATIONALISM قومية/ وطنية، NATIVE محلى

## جذرى/متطرف/راديكالى RADICAL

استعملت radical كصفة فى اللغة الإنجليزية من ق ١٤ وكإسم من ق ١٧، من (س م) radicalis، لاتينية حديثة، (س ب) radix، لاتينية: جذر. كانت معظم استعمالاتها الأولى مادية، للتعبير عن ميزة أساسية ومتأصلة ثم توسع ذلك إلى أوصاف أعم، من ق١٦. ينتمى التوسع المهم إلى الأمور السياسية والذى كان دائماً كامناً فى هذا الاستعمال العام، بشكل خاص إلى أواخر ق ١٨، بالذات فى عبارة Radical Reform الإصلاح الجذري. كانت radical كاسم لوصف مناصر الإصلاح شائعة من أوائل ق ١٩: "radical هى كلمة نتنة الرائحة هنا، لأنها تستعمل الإشارة إلى مجموعة من الأوغاد" (سكوت، ١٨١٩)؛ "الحب هو المسوّى العظيم؛ الجذرى radical المثالي" (كوبيت، ١٨٢٢)؛ "استعمل التعبير Radical فى الماضى كنعت فيه تأنيب لطيف، وو جد الأن طريقه إلى أماكن راقية وانتشر كاسم لطبقة تزهو بهذا الوصف" (١٨٣٠)؛ " الغوغاء الراديكاليون" (إميرسون، ١٨٥٦). تشكلت radicalism راديكالية من هذا الاستعمال فى أوائل ق ١٩ ولحقتها radicalize يجعل جذرياً/راديكالياً؛ فيما بعد كان للكلمتين تاريخ لافت. بحلول النصف الثانى من ق ١٩ كانت Radical، خاصة بالحرف الأول الكبير محط احترام يكاد يصل مستوى liberal ليبرالي، وتبعتها بشكل عام Radicalism راديكالية. لكن بقيت radical، فى بعض الاستعمالات، بمعنى أوائل ق ١٩ الأدق. بينما نجد فى ١٨٥٢ "راديكالية مبتذلة، اتجاهات تشارتية chartist أو أمارات إشتراكية" كان هناك بحلول أواخر ق ١٩ تمييز واضح بين الراديكاليين

والإشتراكيين، وعبر السنين وجدت الأحزاب الراديكالية (فى دول أخرى) بشكل كبير فى الطرف الأيمن من الطيف السياسي.

تعقّد فى ق ٢٠ استعمال الكلمة. استمرت radical، سواء بحرف استهلالى كبير أو صغير، تستعمل لوصف العناصر النشطة فى LIBERALISM الليبرالية (ا م)، وبشكل عام للدلالة على إصلاحات فعالة وبعيدة الأثر. فى وضعها هذا تم فى الغالب مضادتها بإشتراكية "دوغماتية" أو برامج ثورية. كذلك استعملت بشكل واسع بمعناها العام الأقدم كما هو فى "radical re-examination إعادة فحص(مراجعة) جذرية". عقد ذلك استعمالان إضافيان. هناك الآن الاستعمال الشائع كما فى عبارة Radical Right يمين متطرف سواء للدلالة على سياسة اليمين المتطرف أو بشكل أدق للدلالة على سياسات التغيير النشطة ذات المسحة اليمينية فى تمييز لها عن CONSERVATISM (ا م) محافظة التى هى أكثر تقليدية. من الناحية الأخرى، أعيد تبنى radical، خاصة فى أمريكا من أواخر خمسينيات ق ٢٠، بمعنى قريب جداً من معنى أوائل ق ١٩؛ عندئذ هى فى الغالب معادلة تقريبا لإشتراكى socialist أو revolutionary ثوري، وتحلقت حولها نفس الدائرة من الردود كما فى تلك الفترة السابقة. على الأرجح يمكن نسب اختيار radical، خاصة فى الولايات المتحدة رغم أن أوروبا وسواها قاموا بتقليد ذلك، إلى صعوبات منتصف ق ٢٠ فى تعريف SOCIALIST (ا م) و COMMUNIST شيوعى (ا م) ( قارن "Marxist ماركسي"). بدا أن radical وفرت مخرجاً يتجنب الارتباط الدوجماتى والحزبى فى نفس الوقت الذى تؤكد فيه الكلمة على الحاجة إلى تغيير أساسى وفعال. كذلك تجنبت الكلمة بعض الصعوبات فى REVOLUTIONARY ثورى و ذلك بخلق تمييز ضرورى بين ثورة مسلحة ومعارضة مناضلة ضد النظام السياسي. ثم ابتعدت radical كثيراً عن معانيها من وسط ق ٢٠ المقبولة ولم يمكن فى النهاية تجنب مشاكل التعريف (بما فى ذلك أمور الدوغما dogma والزمرة/الحزب faction أو المبدأ principle والتنظيم organization) عن طريق إعادة إحياء الكلمة. فى توسع مبنى على هذه الحركات، هناك مجموعة تعبيرات مرتبطة بوجهات نظر اجتماعية "بديلة" كما فى radical technology تكنولوجيا

راديكالية. من اللافـــت أن العبارة القديمة radical reform شـــطرت إلى الكلمتين المتعارضتين radical و reformist إصلاحى وذلك ضمن الحركة الراديكالية، بينما فى سياق آخر تؤدى radical دور المقابل للكمة moderate معتدل (التى فى الواقــع غالباً ما تكون عبارة ملطّفة لأى شخص ليس راديكاليا وإن كـــان صــاحب مبــدأ والتزام).

انظـــر: COMMUNISM شـــيوعية، LIBERAL ليبرالــــي، PROGRESSIVE تقـــدمى، REFROM إصــــلاح، REVOLUTION ثورة، SOCIALIST اشتراكى

## RATIONAL عقلانـــــى

إن مجموعة الكلــمات المشتقة من - والتى تشمل - rational معقول/عقلى و reason عقل معقدة جــداً. يبـــين ذلـــك مـــثلا البعـــد بـــين reasonableness حصافة/صواب التفكير و rationalization تسويغ/تبرير/ترشيد. التـــاريخ الفكــرى والاجتماعى المتضمن فى تطور هذه الكلمات عظيم، لكن يمكن التقاط بعض نقاطه الرئيسية.

كان لعقل reason (من (س م) reisun أو raison فرنسية قديمة، rationem، لاتينية، من جذر فى اسم المفعول الماضى لــ reri، لاتينية: يفكر) منذ استعمالاتها الأولى فى ق ١٣ فى الإنجليزية نوعان من المعاني. كانت الكلمة فى نفس الوقت محددة - إفادة، سرد أو فهم كما هو حاليا فى عبارات مثل "believed with reason اعتقد بناءً على منطق" و "a reason for believing سبب لاعتقـــاد". وعامـــة - (عادة محصورة على البشر) مقدرة للفكر والفهم المحكم. ليست هنـــاك ضـــرورة ماسة لتعارض هذين المعنيين، لكن كان التمييز بل حتى المقابلة الجذريـــة بينهمـــا معالم فى الجدل الطويل والمستمر. هناك فترات كانت فيها Reason، غالباً بادئـــة بالحرف الكبير فى هذا الاستعمال، تمييز بشكل قاطع عـــن إعطـــاء أى ســـبب أو

أسباب محددة. المثالان الملحوظان هما من استعمال Reason الثيولوجي في أواخر ق ١٦ و ق ١٧، الذى عادة ما يؤكد على كونه Right Reason الفكر الصحيح، مقابل أنواع جديدة من reasoning التفكير والبرهنة و rationality العقلانية، واستعمالها المثالي Idealist في أواخر ق ١٨ وأوائل ق ١٩ كمقدرة سامية لإدراك المبادئ الأولى وذلك في تمييز لها عن عمليات التحقق الإمبيريقي EMPIRICAL (ا م) والتقديرات العقلانية rational. بهذا التعقيد فإنه ليس مدهشا أنه في أكثر الجدل عنفاً ادعى كل حزب أن reason كان في جانبه. كانت reason بمعناها المحدد كسبب لأمر ما بعيدة نسبياً عن الخلاف واستمرت شائعة. كانت reason بالمعنى الأعم كملكة بشرية دائما متوفرة، لكن تفاوت استعمالها لدرجة كبيرة ممتدا من reason مفهومة على أنها "معروفة بفضل الله" مقابل مجرد تفكير علماني، إلى reason مفهومة على أنها مجموعة مبادئ شاملة في تمييز لها عن reason كملكة للنقاش المحكم والمبرهن، مما جعلها بوضوح كلمة لا يمكن الاعتماد عليها مفردة. يمكن ملاحظة بعض آثار هذا النقاش في تأثير reasonable المتغير والمتفاوت، لكن التأثير الأهم كان في معاني rational ومشتقاتها.

للكلمتين rational و reasonable نفس المعنى الرئيسي: موهوب كمخلوق بعقل reason أو يتميز كفعل أو نقاش بدافع/برهان reason. لكن طورت reasonable في وقت مبكر جدا معنى خاصا بالاعتدال والقصور الذى يشير بوضوح إلى إدراك الحالة البشرية ضمن منظور ثيولوجي قروسطي: " a reasonable prayer صلاة ملائمة" (تشوسر، ١٣٦٦)، "reasonable request طلب معتدل / مقبول" (١٣٩٩)، "ressonable desyris رغبات معقولة" (١٥٦١). من اللافت أن هذا المعنى تطور منذ ق ١٧ ليس فقط إلى استعمالات أكثر عمومية للدلالة على الاعتدال (كما هو الآن في "reasonable wage demands مطالبات بأجور عادلة". حيث يوجد بوضوح توتر كبير بين reasonable عادلة/معتدلة و demand مطالبة، وحيث تكون المبادئ الأساسية، رغم صلابتها، مضمرة)، وإنما أيضا إلى استعمال مستمر يدل على الرخص: "عندما يكون الورق أرخص more reasonable" (١٦٦٧)؛ "بسعر زهيد reasonable". في الواقع

لم تتبع rational أبداً هذا التطور رغم أن معنى الاعتدال لم يهجر الاستعمالات الجدلية، مثل "أي شخص منطقي rational" أو "كل سليمي الفكر rational"، حيث يتم في العادة افتراض واثق مقدماً للنتائج التي تنجم عن rationality عقلانية أو reasoning تفكير معين.

استمرت rational بمعناها السائد نسبيا ثابتة. لا تزال تعني امتلاك أو استعمال ملكة التفكير، وعكسها irrational تقابل ذلك المعنى بدقة. لكن الأمر مختلف بالنسبة لـ rationalist و rationalism بل حتى rationality. كان الأطباء العقلاء rational أو العقلانيون rationalist حالة خاصة (قارن EMPIRICAL إمبيريقي). في الواقع برز التعبير في الثيولوجيا وفي المناقشات السياسية والفكرية والاجتماعية المرتبطة بذلك ارتباطا وثيقا في ق ١٧، حيث تم الاعتراض على Reason رشد مرتبط بالإيمان والأسبقية والقانون القائم من قبل تفكير reasoning جديد ومفاهيم جديدة لـ reasonable وكذلك من قبل (وهذا يحصل ضمن النقاش المعقد) احتكام يتجاوز (مجرد) العقل reason (البشري). (قارن C. Hill: *Change and Continuity*, 1974;4 .) هذا مثال من ١٦٧٠: "مجرد Rationalist عقلاني ( أي في لغة إنجليزية بسيطة: زنديق حسب الطبعة الأخيرة)". استمر هذا الاستعمال لكن مع تنويع في التفاصيل: قارن: "يجعل العقلاني the Rationalist كل موضوع الدين والوحي ... أمر إثبات محسوس أو برهان ذهني (مايرز، ١٨٤١). سكّت rationalism عقلانية في ق١٩ بهذا المعنى بشكل رئيسي. أدى الهجوم المستمر عليها إلى سك التعبير المعارض irrationalism لاعقلانية.

مع ذلك كانت rationale (من ق ١٧) لا تزال تعني نقاشاً مبرراً أو الدوافع الأساسية. مثير للاهتمام تتبع تطور تعديل آخر لـ rationality يؤثر الآن من حين لآخر حتى على rationale وبالتأكيد يؤثر على rational و rationalist، لكن التأثير الأوضح هو على rationalize. كان الاستعمال الثيولوجي في السابق بسيط نسبياً: كان الناس يحاولون إيجاد تفسير reason لأمور لم يستطع "العقل دونما

مساعدة unaided reason " حسمها؛ كانوا فى حاجة إلى مساعدة إما الوحى أو إرشاد موثوق؛ أولئك الذين رفضوا كليهما كانوا مجرد rationalists، سواء أكانوا لم لم يكونوا مصرحين بإيمانهم. سار النقاش حول الوحى فى مساره الخاص؛ لكن امتد النقاش حول الإرشاد الموثوق بشكل أوسع. فى نفس الوقت عبر قول بوزول "عقلانية rationality جافة إلى حد ما" (١٧٩١) عن ردة فعل جديدة؛ سياقها دينى لكن له دلالة على تمييز rationality عن emotion عاطفة أو feeling شعور. قد تكون هذه عواطف راسخة (شعور بالولاء أو بالواجب، وقد انتقدها المفكرون العقلانيون rationalist thinkers ) أو أية عواطف (التى كان يعتقد أن العقلانيين rationalists يبخسونها أو يحتقرونها، فالبشر الآن هم مخلوقات عاطفية كما هى عقلانية، و العقلانى rational مجرد "جانب" من الطبيعة البشرية). كان هناك استعمال من ق ١٧: "مجرد Mental ذهنى أو Rational" (Gale، ١٦٧٧) مقابل Real واقعي، لكن عبرت rationalize بطريقة أكثر تحديداً، فى أوائل ق ١٩ ، أولا عن تفسير مبنى على أساس عقلانى ثم عبرت عن اختلاق الأعذار: " rationalize away يشرح نافياً كل العجائب" (كنجزلي، ١٨٥٥). استمر هذا المعنى المهم وسند معانى rationalist و rationalism الانتقاصية. لكن أعطى التمييز بين reason و emotion، جانبى الطبيعة البشرية، الذى أصبح تقليدياً فى أواخر ق ١٨ و ق ١٩، إنعطافاً جديداً فى ق ٢٠. فى سيكولوجيا فرويد وتلك المرتبطة بها أعطيت feelings – نزعات غريزية – الأولوية؛ أى قلب للتعريف القديم لعقل reason وعقلانى rational كمقدرة بشرية مركزية وأساسية. لم تعد rationalization عندئذ تعنى التفسير الاقصائى للمقدس أو العجيب؛ إنما عنت التذرع بدافع زائف أو مجرد واق عن فعل أو شعور له أصول "غريزية" مختلفة تماماً. بانتشار هذا الاستعمال أصبحت rationalization تعنى أى سبب زائف أو بديل، حتى للسبب "الفعلي". لم يتضح تماما كيف يؤثر هذا على reasoning و rationality. يمكن فهم rationalization كتفسير زائف، لكن لا تزال irrational تستبعد لأن التمييز هنا لم يقم (على الأقل بطريقة منتظمة) على هذا الأساس. رغم وجود كلمات أخرى لاتثير القلق، فإن القناعة الضمنية فى العادة هى أن البشر فى الأساس وجوهرياً لا

عقلانيون irrational؛ و من ثم فالعقلانية the rational هي مجرد خلق الأسباب وإيجاد الدوافع التي ليست هي الأسباب أو الدوافع الأساسية. يعيد هذا الوضع إلى الذهن بعض البنيات السابقة من نوع مثالي أو ثيولوجي، وحيثما تستعمل reason فإنها تحدد حسب كل بنية. يمكن حصر rational في مثل هذه البنية على المحسوس والمترابط؛ وبشكل لافت، تعني reasonable "معتدل"، متقبل للقيود "الضرورية".

في مجموعة الكلمات هذه حسب استعمالاتها المعاصرة يتركز التوتر الآخر الهام حول irrational بمعنى مختلف تماماً. تُرفض أنواع جديدة مختلفة من النشاط لها أسس منطقية rationales ومدعومة غالباً بتفكير reasoning عميق على اعتبار أنها لاعقلانية irrational ("اللاعقلانية الجديدة the new irrationalism": صيغة أخرى لها هي: mindless غير فطين)، لكن السبب الفعلي هو أنها ليست reasonable (معتدلة) بالمعنى المألوف. أن تكون معتدلاً reasonable أو عقلانياً rational يعني أن تكون لديك قناعات بهدف أو نظام أو منهج و تؤمن بها إيماناً عميقاً جداً لدرجة أن اعتراض الآخرين عليها لا يعتبر غير معقول unreasonable فحسب وإنما أيضا "لاعقلانيا" irrational (وعلى الأرجح هذا rationalization تبرير لعاطفة أو دافع آخر مختلف تماماً). قد يكون من المفيد في مواجهة هذا التشوش لو كان ممكنا في أي درجة من الثقة أن نحتكم إلى reason عقل، لكن لاحظ كم كان ذلك متقلباً. مع ذلك، قد تقوم reasoning المقارعة بالحجة.

انظر: EMPIRICAL إمبيريقي، EXPERIENCE تجربة، SUBJECTIVE ذاتي، THEORY نظرية، UNCONSCIOUS لا وعي

## رجعـــــى REACTIONARY

تستعمل reactionary الآن بشكل واسع كوصف مواقــف وأوضـــاع يمينيــة (كانت "يمين" و"يسار" كلمتين مألوفتين منذ أوائل ق ١٩ لكنهما أصبحتا أكثر ذيوعاً فى ق ٢٠ للدلالة على مواقــف محافظـــة conservative و تقدميـــة progressive، ويعود أصل التسمية إلى مناسبة معينة فى ترتيب الجلوس فى البرلمان الفرنســي). لكن رجعى reactionary كلمة معقدة وإن كان ذلك فقط بسبب تعقيــدات progress تقدم وتقدمى PROGRESSIVE (ام). دخلت reaction الإنجليزية فى وســط ق ١٧ بمعنى مادى فى الغـــالب: فعل يقابل أو يقاوم فعلاً آخر (ما نجم عنـــه أن action و reaction رد فعل أصبحا جزءا من القوانين الفيزيائية) ثم، بشكل أوســـع، فعــل متأثر بفعل سابق له أو فى استجابة له خاصة فى الكيمياء والفسيولوجيا، لكن بشكل أعم بمعنى استجابة معلنة أو يمكن ملاحظتها ("ردة فعلى reaction على ذلك"، "ردة فعل الجمهور على ذلك"). بدأ الاستعمال السياسى أولاً فى الفرنسية فى أوائــل ق ١٩ فى سياق سياسى محدد نسبياً: استعملت للمواقــف والأفعـــال المعارضـــة أو المقاومة للثورة بمعنى صريح يدل على الرغبة فى إعادة الأوضاع إلى ما كانـــت عليه قبل قيام الثورة. من هذا السياق الخاص استعيرت الكلمـــة فـــى الإنجليزيـــة بمعناها المحدد. لكن استعملت منذ وقت مبكر فى مجالات واسعة: عنـــت "إدامـــة الصراعات الحزبية" (سكوت، ١٨١٦) وعنت كذلك "معارضة الإصلاح". بعد ذلك تم تكبير الحرف الأول للكلمة بشكل مشابه لما حدث لـــ Progress.

أصبحت reactionary صعبة لأنها يمكن أن تعنى (١) معارضة للإصـــلاح، (٢) أو رغبة فى العودة إلى وضع سابق، (٣) أو، تطبيقياً، مساندة صيغة (يمينية) معينة للمجتمع. الصعوبات المبينة عندما تكون بواعـــث التغيير (أفعـــال actions) من اليسار وكل المقاومة (reactions ردود الفعل) تأتى من اليمين. لكن، كمثـــال، لو كان حزب رأسمالى فى مرحلة تتسم بالتجديد، أو لو اقترح حزب فاشى نظامـــا اجتماعيا جديدا، فإن كلا منهما يمكن أن يسمى الآخر رجعيا: (١) لأن الرأسماليـــة والفاشية يمينيتان فهما بالتالى رجعيتان reactionary؛ (٢) و لأن مقاومـــة نـــوع

معينة من التغيير، خصوصاً تغييرات وتجديدات فى الرأسمالية والفاشية، تعتبر رجعية (راغبة فى المحافظة على - أو استعادة - وضع ما). هكذا يمكن أن يطلب منا تحديد اليمين الرجعى reactionary Right (عادة بمعنى اليمين المتطرف فى تمييز له عن المحافظين الإصلاحيين reforming أو التقدميين progressive، بالإضافة إلى تمييزه عن الليبراليين Liberals واليسار the Left)، لكن كذلك يمكن غالباً طلب تعريف اليسار الرجعى reactionary Left (معارضى أنواع من التغيير يعتبرونها تغييراً للأسوأ، أو معتمدين على معانى معينة فى التراث الاشتراكى أو الديموقراطى يقومون بوضعها مقابل تغييرات حالية من نوع مختلف).

من المرجح أن تحتفظ الكلمة بمعناها السائد كمحافظة متطرفة لكن ستسهل الأمور كثيراً لو أن، بجانب هذا المعنى المحدد، كل الأفعال actions السياسية كانت حسنة وكل ردود الفعل reactions بالتالى سيئة. لافت أن reaction احتفظت بمعناها الحيادى وصفتها الحيادية reactive تفاعلى بالرغم من كل تعيينات Reaction و reactionary.

انظر: PROGRESSIVE تقدمي، REFORM إصلاح

## واقعية REALISM

كلمة واقعية realism صعبة، ليس فقط بسبب تعقيد الجدل فى الفن والفلسفة الذى تشير إليه استعمالاتها السائدة، وإنما أيضاً لأن الكلمتين اللتين يبدو أنها تعتمد عليهما، real حقيقي/واقعى و reality حقيقة/واقع، لهما تاريخ لغوى معقد جداً. كان الواقعيون Realists الأوائل فى الإنجليزية بعيدين كثيراً عن أى شيء يدل عليه التعبير الآن، لأن المدرسة الفلسفية المعروفة بالواقعية Realist كانت تعارض بشكل رئيسى بالإسمانيين Nominalists الذين قد يصنفون أنفسهم - حسب مصطلحات ما بعد منتصف ق ١٩ - كواقعيين realists من نوع متطرف. كان مبدأ الواقعية Realism القديم هو الجزم بالوجود المطلق والموضوعى للجوامع universals حسب

المفهوم الأفلاطوني. اعتبرت هذه الأشكال Forms أو الأمثلة Ideas الشاملة موجودة في استقلال عن الأشياء التي تم إدراكها فيها، أو أنها موجودة في هذه الأشياء كخصائصها المكونة. كانت "الحمرة" عند الاسمانيين مجرد اسم (مشوش) لعدد من الأشياء الحمر؛ بالنسبة للمفاهميين conceptualists أصبحت فكرة ذهنية عامة؛ بالنسبة للواقعيين Realists كانت "الحمرة" شكلاً مطلقاً وموضوعياً مستقلاً عن الأشياء الحمراء أو أنها مكون جوهري لهذه الأشياء. من اللافت والمشوش جدا أن هذا المبدأ الواقعي Realist هو ما نسميه الآن مثالية IDEALISM (ام) متطرفة.

يمكن القول إن ذلك الاستعمال قد تلاشى ويمكن القول كذلك إنه من أوائل ق ١٩ طغت عليه وطمسته معان مختلفة تماماً لـ realist والكلمة الجديدة realism بمعنى أكثر حداثة. لكن هذه ليست الحقيقة كاملة. جوهرياً يرجع تمييزنا الشائع بين appearance مظهر و reality حقيقة/واقع إلى الاستعمال المبكر - "الحقيقة reality خلف المظاهر appearances" - وقد أثر هذا بشكل حاسم في مناقشات كثيرة حول realism. من البداية كان لـ real هذا المعنى المزدوج المتقلب. سابقتها المباشرة هي real، فرنسية قديمة، realis، لاتينية حديثة، من (س ب) res، لاتينية: شيء. كانت أولى استعمالاتها في الإنجليزية (من ق ١٥) في مواضيع القانون والملكية للدلالة على شيء موجود فعلياً. هناك استعمال لاحق متصل بهذا المعنى ولا يزال موجوداً يدل على الأملاك غير المنقولة كما تبين العبارة real estate عقار. من أواخر ق ١٦ تم نقل معنى شيء موجود فعلاً إلى الاستعمال العام في معارضة ظاهرة أو ضمنية لشيء imaginary خيالي: "هل ما أشاهده موجود فعلاً ؟ "Is't reall that I see" ( *All's Well That Ends Well* iii.V)؛ "ليس خياليا Imaginary وإنما حقيقيا Real" (هوبز، ليفيثيان). لكن في نفس الوقت كان هناك معنى هام لـ real لم يكن في تضاد مع imaginary و لكن مع apparent ظاهر، ليس فقط في المناقشات الثيولوجية حول "الحضور الفعلي reall presence" للمسيح في مكونات العشاء الرباني. ولكن أيضاً في مناقشات أوسع حول الميزة الأصيلة أو الجوهرية لوضع أو شيء ما: the real

thing الشيء الحقيقي، the reality of something حقيقة شيء ما. لا يـزال هـذا الاستعمال شائعاً جداً، حتى لو لم تتم فى الغالب ملاحظة ذلك، فى عبـارات مثـل "رافضاً مواجهة the real facts الحقائق الفعلية لوضـعه"، أو "رافضـاً مواجهـة reality الواقع". حيث أن الاستعمال الدال على شـيء ملمـوس أو محسـوس أو حقيقى استمر كذلك بشكل فعال، فإنه يمكن ملاحظة وجود قدر كبير من الجنـاس للكلمة. فهم الواقعى Realist، حسب معنى الكلمة قبـل ق ١٨، "real" بـالمعنى العام لحقيقة أو ميزة أساسية؛ وفهمها الواقعي Realist، حسب معنى ما بعد أوائـل ق ١٩، بمعنى (غالباً معارضا لذلك) مادي/عينى concrete (التى تضـادت مـن ق ١٤ مع abstract مجرد).

كانت realism واقعية كلمة جديدة فى ق ١٩. استعملت فى الفرنسـية مـن ثلاثينيات ق ١٩ وفى الإنجليزية من خمسينيات ق ١٩. طورت أربعة معان يمكـن تمييزها: (١) كتعبير يصف تاريخياً مبـادئ Realists الـواقعيين مقابـل مبـادئ Nominalists الاسمانيين، (٢) كتعبير يصف مبادئ جديدة للعالم المادى على أنهـا مستقلة عن العقل أو الروح، وهى بهذا المعنى معادلة أحيانـاً لـ NATURALISM طبيعية أو MATERIALISM ماديـة؛ (٣) كوصف لمواجهة الأشياء كما هـى علـى حقيقتها really وليس كما نتخيلها أو نتمناها: "لنحل الواقعية realism محل العاطفية ولنتجاسر لاكتشاف تلك القوانين، البسيط منها أو المعقد، التي، سواء شـوهدت أم لم تشاهد، تعم وتسيطر (اميرسون، ١٨٦٠)؛ (٤) كتعبير لوصف منهج أو موقـف فى الفن والأدب – فى البداية دقـة متناهية فى التمثيل، ولاحقـاً التـزام بوصـف الأحداث الحقيقية real وإبراز الأشياء كما توجد فعلاً.

ليس مدهشاً نشوء جدل شديد وغالباً مشوش، خاصة حول معنى (٤). يمكن لأن فى العادة إهمـال معنيـى (١) و (٢): الأول لأن دلالتـه تاريخيـة معينـة ومعزولة، والثانى لأن كل أغراضه الفعلية حملتها materialism ماديـة. لا يـزال معنى (٣) مهماً جداً فى الاستعمال اليومي. فـى مثـال إميرسـون التلاعـب (= الجناس) المألوف لـ real واضح: القوانين يمكن أن تكون مرئية أو مخفية. لكـن

معنى "مواجهة الحقائق" استمر كما فى الصفة الجديدة الدالة، مــن وســط ق ١٩: realistic واقعي: "لم يستطع التصالح مع الحياة عــن طريق نظرة صادقة للأشياء، عن طريق تقديرات realistic واقعية" (سيلي، ١٨٦٩). المهم هنا أنه حسب هــذا المعنى معظم الناس يعتقد أن نظرتهم لأى موضوع "واقعية". لكن هنــاك نطاقــا واضحا للاستعمال: من المعنى القديم الدال على الاعتماد على فهم حقيقى لوضع ما إلى معنى شائع الآن فيه شيء من التبرم الضمنى الذى يحمله أحد معانى practical عملي. غالباً ما تعنى "لنكن واقعيين realistic" "لنقبل حدود هذا الوضــع" (حــدود limits بمعنى facts hard حقائق صارمة، غالبا تلك المرتبطة بالســلطة أو المــال حسب وضعهما القائم) أكثر مما تعنى "لنلقى نظرة على حقائق الوضع" (وهذا يأخذ بعين الاعتبار وجود reality واقع قابل للتغير أو أنه فعلاً متغير). هكذا بالرغم من أن واقعى realistic (قارن reasonable معقول/معتدل) كلمة لها شعبية واسعة عنــد رجال الأعمال والسياسيين إلا أنها اكتسبت إيحاء لاحقــا يــدل علــى "التقــديرات المحدودة" ومن ثم تعارضت فى الغالب، من كل من وجهتى النظــر هــاتين، مــع idealistic مثالي.

يظل معنى (٤) هو الأصعب. لا ينهى وإنما بالتأكيد يبدأ جدلا فــى الفــن و الأدب القول بأن الهدف هو "إبراز الأشياء كما هى really فعنياً عليه". هناك معنــى متبق من مثالية idealism القديمة، كما فى أبيات شيلى عن الشاعر فى "بروميثيوس طليقا":

سيراقب من الفجر حتى الغسق

الشمس المشرقة منعكسة فى البحيرة

والنحل المصفر فى زهور اللبلاب

لكن لن يرى ولن يكترث لهذه الأشياء كما هي

بــل منها يستطيع خلق أشكال Forms

أكثــر real صدقا وواقعية من الإنسان الحي.

تلك هى غرسات الخلود.

هنا يجب أن يكون التأكيد ليس فقط على real ولكن أيضا على أشكال forms: إبداع شعرى غير مبال، وبالتأكيد ليس مرتبطاً، بالمواضيع تحت المراقبة، لكنه يجعل حقيقة أو واقعاً realize كيانات أو ماهيات خالدة. (بدأ هذا الاستعمال ليحقق realize فى ق١٧ وأصبح شائعاً من وسط ق ١٨: 'صنعة الخيال، تلك التى realize تحقق الحدث مهما كان مختلقاً أو تقربه مهما كان قاصياً (١٧٥٠ Johnson، *Rambler*). هذا التعبير محبذ فى النقد الحديث و يدل على وسيلة means وأثر effect إعادة الحياة إلى شيء ما بطريقة واضحة.) لكن هذا هو بالضبط الاستعمال الذى تم تمييزه لاحقاً عن realism ، والذى أتاح فى الواقع تضاداً بين realism وكلمات أخرى من نفس الجذر، كما فى معارضة سوينبرن بين "prosaic realism واقعية مبتذلة" و "poetic reality حقيقة شعرية" (١٨٨٠). مرة تلو مرة، من مواقع من هذا النوع، اتهمت realism بتجنبها "الحقيقى/الواقعى the real".

إن الصعوبة الأكثر تعقيداً هى كون الواقعية realism فى الفن والأدب منهجاً وموقفاً عاماً. كموقف تم تمييزها عن ROMANTICISM الرومانسية أو مواضيع Imaginary خيالية أو MYTHICAL أسطورية: أشياء ليست جزءاً من العالم الحقيقى the real world. الاستعمال الذى يصف منهجاً فى الغالب هو تعبير إطراء: يصف الأشخاص والأشياء والأفعال والمواقف بطريقة واقعية realistically؛ أى أنها نابضة بالحياة فى الوصف أو المظهر؛ أى أنها تبرز realism الواقعية. كذلك فى الغالب الواقعية realism هى تعبير لوم وقيد حسب المعانى التالية: (أ) ما يتم وصفه أو تمثيله يرى فقط بطريقة سطحية، تبعاً لمظهره الخارجى بدلاً من حقيقته الداخلية؛ (ب) فى صيغة أحدث لنفس الاعتراض، هناك قوى حقيقية real reality – تشمل الشعور الباطنى و الحركات التاريخية والإجتماعية الأساسية – إما لا تكون متيسرة للملاحظة العادية أو أنها لا تمثّل البتة أو لا تمثّل بطريقة تامة فى الكيفية التى تظهر عليها الأشياء، بحيث أن "واقعية السطح realism of the surface" قد

تغفل realities حقائق هامة تماماً؛ (جـ) فى اعتراض مختلف تماماً، الوسيلة MEDIUM(ا م) التى يحدث فيها التمثيل REPRESENTATION (ا م)، سواء كانت لغة أو صخرة أو لوحة أو فيلماً، مختلفة جذرياً عن الأشياء الممثلة فيها بحيث أن أثر "تمثيل محاك للحياة" أو "إعادة إنتاج reality الواقع" هو فى أحسن الأوضاع تقليد فنى معين، وفى أسوأها تزييف يجعلنا نتقبل أنواع التمثيل على أنها real حقيقية.

قوبل اعتراض (أ) واعتراض (ب) بمعنى محدد لواقعية realism يستخدم الطبيعية NATURALISM (ا م) كصيغة يمكنها بطريقة مناسبة الرد على هذين الاعتراضين، ويحتفظ بكلمة realism - أحياناً فى صيغ أكثر تحديداً مثل psychological realism واقعية سيكولوجية أو social realism واقعية اجتماعية - لتشمل أو تركز على حركات أو قوى خفية أو أساسية لا يمكن للملاحظة الطبيعية naturalistic البسيطة أن تلتقطها، حيث أن هدف الواقعية realism الأساسى هو كشف هذه القوى والحركات والتعبير عنها. يعتمد هذا على الجناس القديم لـ real، لكن الكلمة أصبحت مهمة ليس بالمعنى المثالي، الذى يتجنب الآن فى العادة "واقعية" realism كتعبير، ولكن بدرجة أكبر بمعان مستمدة من سيكولوجيا ديناميكية أو من مادية دياليكتيكية DIALECTIC (ام) التى تتعارض مع MECHANICAL MATERIALISM مادية ميكانيكية (ام). يعتبر reality الواقع هنا ليس مظهراً appearance جامداً وإنما حركة قوى سيكولوجية أو اجتماعية أو فيزيائية؛ الواقعية إذاً التزام مقصود لفهم ووصف تلك القوى. عندئذ قد يشمل وقد لا يشمل هذا "الواقع reality" وصفاً realistic واقعياً أو تمثيلاً لمعالم معينة.

اعتراض (ج) موجه بشكل رئيسى لواقعى realistic بمعنى محاكى للحياة. يعتبر الفن أو الأدب الواقعى realist ببساطة تقليداً CONVENTION (ام) ضمن تقاليد أخرى، مجموعة تمثيلات REPRESENTATIONS رسمية فى وسيلة MEDIUM (ام) معينة وهو ما أصبحنا متعودين عليه. ليس الشيء فى الواقع really محاكيا للحياة، لكن بسبب التقليد والتكرار أصبح يظهر كذلك. يمكن اعتبار هذا غير ضار أو

فائق الضرر. اعتباره ضاراً يعتمد على إحساس (كما فى المادية الميكانيكية) بأن صيغة موضوعية زائفة للواقع (صيغة سيتم اكتشاف أنها تعتمد فى النهاية على مرحلة معينة من التاريخ أو على مجموعة علاقات معينة بين الناس أو بين الناس والأشياء) تم تمريرها على أنها واقع reality، رغم أنه فى هذا المثال على الأقل (وربما بشكل عام) الموجود هو ما تم صنعه عن طريق ممارسات الكتابة والرسم وصناعة الأفلام. اعتبارها واقعاً reality أو نسخة أمينة للواقع يعنى استثناء هذا العنصر الفعال وفى حالات متهورة يعنى تمرير الخيال FICTION (ام) أو التقليد CONVENTION (ام) على أنهما العالم الحقيقى the real world.

هذا رد قوى على كثير من مزاعم الواقعية realism كتمثيل دقيق، لكن من مصادفة الطريق التى سار عليها النقاش أنه يمكن فهم الواقعية ، حسب هذا المعنى، تبعاً لأى من الاتجاهين بالنسبة للواقعية كحركة كاملة. وبالتالى يمكن جعله منسجماً مع معنى realism الذى تم تمييزه عن naturalism طبيعية، لكن على الأخص مع معنى التزام مقصود لفهم ووصف القوى الحقيقية (التزام يشمل. فى أفضل درجاته، فهم عمليات الشعور والتأليف التى تدخل فى أية محاولة كهذه). مع ذلك كثيرا ما ارتبط النقاش، فى تشكيلات فكرية معينة، بالأساليب المثالية لكل من FORMALISM شكلانية و STRUCTURALISM بنيوية، حيث تتماشى العناية الفائقة بتفاصيل عملية التأليف، خاصة العناية بالأشكال forms والبنيات structures التى يتم داخلها التأليف، تتماشى مع - أو يمكن استخدامها لتبرير - تجاهل القوى (سوى الفعل الفكرى والفنى والأدبي) التى كان هدف الواقعية realism الأشمل (وإن كان ذلك بسذاجة أحياناً) أخذها فى الإعتبار بشكل جذري. كانت أهمية الواقعية Realism التاريخية أن تجعل الحقيقة reality الفيزيائية والاجتماعية (بمعنى مادى عموما) أساس الأدب والفن والفكر. يمكن توجيه انتقادات هامشية كثيرة ضد المناهج التى ارتبطت تاريخياً بهذا الغرض، ومن موقع مثالى صريح يمكن توجيه انتقادات جذرية ضد الغرض نفسه. لكن فى الغالب ما حدث مؤخرا هو أن الانتقادات الهامشية توسعت بشكل فضفاض كما لو كانت انتقادات جذرية،

أو أن تسديد الانتقادات الهامشية استحوذ على الانتباه لدرجة أن الانتقادات الجذرية موضع النقاش، من منطلق مادى أو مثالي، تم فعلياً إهمالها.

ربما لا يكون من المطلوب إضافة أن الاهتمام النقدى الذى هو ضرورى فى معظم حالات استعمال real و realistic و reality هو على الأقل ضرورى بنفس الدرجة فى حالة هذا التنوع الاستثنائى الراهن فى استعمالات واقعية realism.

انظر: CONVENTION تقليد، CREATIVE خلاق، FICTION خيال، MATERIALISM مادية، MYTH أسطورة، NATURALISM طبيعية، PRACTICAL عملى، RATIONAL عقلاني، SUBJECTIVE ذاتى

## إصلاح/يصلح REFORM

دخلت كلمة reform الإنجليزية كفعل فى ق١٤ من (س م) reformer، فرنسية قديمة، reformare، لاتينية: يعيد تشكيل. فى معظم استعمالاتها الـ.كرة من الصعب التمييز بين معنيين كامنين: (١) يرجع شيئاً إلى شكله الأصلي؛ (٢) يجعل منه شكلاً جديداً. هناك أمثلة مبكرة واضحة لكل من المعنيين، لكن فى معظم السياقات كانت فكرة تغيير شيء إلى الأفضل مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بفكرة استرجاع حالة سابقة أقل فسادا (قارن amend يصلح، من (س م) emendare، لاتينية: يخلص من الخطأ، التى كانت معادلة لـ reform لكنها حملت دلالة أخف أو أكثر تحديداً؛ قارن أيضاً reaction استجابة/ردة فعل). كان أول اسم مشتق من الفعل هو reformation، من ق١٥، التى تحمل نفس الالتباس. كان لإصلاح Reformation ق١٦ الدينى العظيم معنى صريحاً بالتطهير والاستعادة حتى عندما تطلب أشكالاً ومؤسسات جديدة لإنجاز ذلك. استمر الجناس فى reform واضحاً فى الحوار التالى فى مسرحية هاملت (فصل ٣، مشهد ٢):

آمل أن نكون قد أصلحنا/تخلصنا من ذلك reformed بكل نزاهة.

بل أعيدوا تشكيل reform ذلك كلية.

من أواخر ق١٧ جعلت تهجية بديلة re-form (كما في "Re-form and New-Mold"، ١٦٩٥) أحد المعنيين أكثر وضوحاً. لكن استمرت reform بمعناها الأعم تحمل إيحاءات إصلاح وضع الأمور الحالى فى ضوء مبادئ معروفة أو قائمة، ويمكنْ أن يقترب هذا المعنى من restoration استعادة بقدر ما يمكن قربه من innovation تجديد/ابتكار. من منتصف ق ١٧ أصبحت reform الاسم المألوف لكنه كان لا يزال اسم عملية، مثل reformation، حتى أوائل ق ١٨. أوضح تعريف لبيلى من ق ١٨ أن "Reform هى إعادة تأسيس أو إحياء مبدأ سابق مهمل؛ كذلك هى تصحيح مساوئ سائدة". كاسم محدد لإجراء تدبير معين كانت reform شائعة من أواخر ق ١٨. فى نفس الفترة تم تكبير الحرف الأول للكلمة وتجريدها لتدل على توجه سياسي، بشكل رئيسى فيما يتعلق بالبرلمان وحق الاقتراع حيث تم اقتراح أشكال forms جديدة لكن على وجه العموم كان المفهوم هو استعادة restoration الحرية.

فى النزاع حول التمثيل فى البرلمان أصبحت إصلاح Reform تعبيراً راديكالياً (قارن Radical Reform إصلاح جذري، من أواخر ق ١٨) وكان parliamentary reformists الإصلاحيون البرلمانيون الذين كانوا ماكرين subtle (هذه ليست كلمة لطيفة) فى وقت مبكر - ١٦٤١ - فى مراسلة مع اليعاقبة (وندهام، ١٧٩٢)، واعتبرتهم السيدة جرانفل فى ١٨٣٠ اصلاحيين عنيفين violent reformists (بمعنى ardent متحمسين). التلاعب فى الكلمة واضح. قارن بذلك الإقتباسين: "كان على هذه الإتحادات مناصرة قضية الإصلاح reform وحماية الحياة وصيانة الممتلكات ضد تعديات الغوغاء العديدة لكن غير المنتظمة". (صحيفة تايمز، ١٨٣٠)؛ "بدا له أن ذلك الإصلاح reform الذى تم بهذه الطريقة هو أفضل وسيلة لدعم الفساد و الطغيان". (رايدر، ليدز تايمز، ١٢أبريل ١٨٣٤؛ كلا

المثالين مقتبس من كتاب تومبسون E.P. Thompson : *The Making of the English Working Classes* 1963.

برز من هذا النوع من الجدال، مدعوماً بالتلاعب في الكلمة، معنى خـــاص بالقرن العشرين لـــ reformism و reformist. كانت reformism ("إصلاح/حركـــة إصلاحية") كلمة جديدة سكّت في الجدل داخل الحركة الاشتراكية، خاصـــة بـــين ١٨٧٠ و ١٩١٠. كانت المسألة هي عما إذا كـــان بالإمكـــان تغييـــر المجتمـــع الرأسمالي أو كان مغيّراً ذاته بطرق متدرجـــة ومحددة و على نطـــاق محلـــي، أو عما إذا كانت هذه الإصلاحات reform تافهة أو خادعة، إما بحجبها الحاجة إلـــى استبدال الرأسمالية بالاشتراكية (قارن REVOLUTION ثورة) أو أن هذه الإصلاحات تستخدم بالفعل لتلافي هذا الاستبدال. حســـب اســـتعمال ق٢٠ تحمـــل اصـــلاح reformism هذين المعنيين الأخيرين، بينما انحصرت الآن reformist إصـــلاحي، التي كانت منذ ق ١٦ معادلة بشكل عام لـreformer مصلح (التي تزامنت معهـــا)، في معنى reformism تاركة reformer بالمعنى القديم العام.

انظـــــر: FORM شكل، RADICAL راديكـــالي/جـــذري، REVOLUTION ثورة

## إقليمي/جهوي/مناطقي/محلي REGIONAL

دخلت كلمة region الإنجليزية منذ أوائـــل ق ١٤، مـــن (س م) regionem، لاتينية: إدارة/إشراف، تخم/حد، منطقة/مقاطعة، (س ب) regere، لاتينيـــة: يـــدير، يحكم. أصبحت استعمالات region الأولى كـــ "مملكة" أقل أهميـــة مـــن المعنـــى الأشمل لبلد أو منطقة شاسعة، كما هو عند كاكستون: "وصـــل إلـــى regyon بلـــد فرنسا". هناك توتر واضح في الكلمة نفسها بين معنيين: منطقـــة مميـــزة وجـــزء محدد. استمر كلاهما لكن المعنى الأخير هو الذي يزخر بتاريخ مهم. حسب هذا الأخير كل شيء يعتمد على تصنيف طبيعة العلاقة: جزء مماذا ؟ هناك استعمالات

عامة كثيرة مثل "مناطق regyon جهنمية" أو "مناطق سرمدية" (ملتــون، ١٦٦٧)؛ "منطقة regyon الهواء" (كاكستون، ١٤٧٧)؛ أو "كل حقل region من حقول العلــم" (جونسون ،١٧٥١) أو "مجــال region الميثولوجيــا" (جويــت ،١٨٧٥). لكــن الاستعمال الحاسم هو فى وصف أجزاء مختلفة من الأرض: "ليبيا منطقة region أو ساحل من بلد إفريقيا" (١٥٤٢). أتاح هذا التحديد الذى لا يزال بشكل رئيسى مادى المجال للاستعمال السياسى الذى أصبحت فيه region منطقة إدارية وبالتالى جــزءا من وحدة سياسية كبيرة كاملة: "أصدر ... الحاكم الرومانى تعليمــات بــأن تقسم مقدونيا إلى أربعة regions أقاليم أو أبرشــيات" (هــوكر، ١٦٠٠). فــى الحكم الإمبراطورى و السلطة الكنسية ولاحقاً فى نشوء الدول القومية المركزية لم تعــد region (قارن DIALECT) جزءاً فحسب وإنما جزءاً ثانوياً تابعاً لكيان سياســى أكبر.

يمكن ملاحظة أثــر ذلك بوضوح تــام فــى regional التــى تطــورت كصفــة من وسط ق ١٧. تفترض معظم استعمالاتها الهيمنة و التبعيــة: "ألحقــت الكنيسة الإقليمية Regional-Church بكنيسة المدينة" (١٦٥٤). فى ق ١٩ ظهرت regionalism الإقليمية، فى البداية للدلالة بشكل رئيسى على مركزية غيــر تامــة: "تلك "الإقليمية" التعيسة فى إيطاليا" (صحيفة مانشستر جارديان، ١٨٨١). استمرت الدلالة السياسية الرئيسية لهذا المعنى رغم وجود حركة مناوئة حاولت جعل فضائل الأقاليم المميزة أساساً لأشكال جديدة من الهوية و حدود جديدة من "الحكم الــذاتي". لافت أن هذه الحركة المعارضة تقبلت هــذا التعبير regional الذى يــدل علــى الخضوع. قــارن استعمال devolution (من س ب devolvere، لاتينية: يتدحرج) التى تطورت من استعمالاتها الأولى التى دلت على التعاقب/التداول والإرث إلــى انتقال السلطة، كما هو واضح عند بلاكستون (١٧٦٥): "هذه الأيلولــة devolution للسلطة للشعب ككل تشمل تصفية شكل الحكم الذى أسســه هــذا الشــعب". عنــد بلاكستون أو كما هو فى النقاش الحديث تعتبر هذه العملية بشــكل نمطــى انتقــالا للسلطة إلى ما هو أدنى: فعل ضمن علاقات الهيمنة والخضوع.

مع ذلك كتعبير ثقافى لإقليمى regional تاريخ أكثر تعقيداً. يمكن استخدامها مثل DIALECT للدلالة على صيغة "أدنى" أو "خاضعة" كما هو فى "تطـبق إقليمـي regional accent" التى توحى بأن هناك فى مكان ما (وليس فقط ضمن طبقة) "نطقاً قومياً national accent". لكن فى العبارة regional novel روايــة إقليميــة هنــاك اعتراف بمكان وطريقة حياة متميزين، رغم أن هذا على الأرجح حكم مقيـد فـي الغالب. من اللافت أن تسمّى فى الغالب رواية تجرى أحداثها فى منطقة البحيرات الإنجليزية أو فى كورنول Cornwall فى جنوب غرب بريطانيا إقليميــة بينمــا لا تنطبق تلك التسمية على تلك التى تجرى أحداثها فى لندن أو نيويورك. يتوافق هذا مع التمييز الثقافى الهام: ميتروبولى - إقليمي. تطورت metropolitan من تمييــز سياسى بسيط: metropolis (س م)، يونانية: المدينة الأم، وبالتالى المدينة الرئيسية: تطورت provincial إقليمى من province، (س م) province، فرنسية قديمــة (س ب) provincia، لاتينية: مديرية أو جزء region من أرض (مفتوحة). فى منتصف ق ١٨ و لكن بشكل خاص فى ق ١٩ كانت متروبولى وإقليمى تسـتعملان بشـكل مضطرد للدلالة على تضاد بين ذوق أو سلوك مهذب أو مصـقول و بـين أفكـار ضيقة الأفق وسلوك فج. ظهرت provincialism إقليميــة فــي ق ١٨ وظهـرت metropolitanism متروبولية فى وسط ق ١٩. هكذا provincial و regional همـا تعبيران يدلان على منزلة وضيعة بالنسبة للمركز المفترض. حسب هذه الشـروط يمكن للمرء أن يتساءل بتعجب عند أى نقطة خارج إطار الميتروبول يمكن الذهاب حتى تنطبق صفة اقليمى regional أو provincial. هناك شيء مثير للاسـتغراب بالنسبة للمقاطعات الداخلية فى إنجلترا Home Counties الأقرب إلى لنـدن (ميـدل سكس، سري، كنت، اسكس؛ وأحيانا تضاف هيرتفوردشاير وسسكس). فى العادة لا تسمى رواية تقع أحداثها هناك بأنها جهوية regional. يوسع القـانون والإدارة المركزية (على الأرجح اشتقت Home Counties مـن التعبيـر القـانوني Home Circuit محكمة المناطق الداخلية الطوافة) نطاق مسـؤولياتهما الميتروبوليـة عـن طريق المجاورة، لكن يبقى نفس النوع من التمييز الثقـافى فـي كلمـة suburban ضحوى (التى كانت بهذا المعنى من أواخر ق ١٩).

للكلمة regional، دون provincial و suburban، معنى إيجابى بديل، كما هو فى الحركة المعارضة التى توضحها استعمالات حديثة لإقليمية regionalism. تحمل هذه معانى لطريقة حياة متميزة وقيمة خاصة فيما يتعلق بالمعمار والطهي. كذلك لها، مع local محلي، بعض هذه المعانى فيما يتصل بالإذاعة. مع ذلك لا يزال يتم بشكل رئيسى التعبير عن حركة معاصرة ملحوظة للأفكار ضد المركزية centralization أو حدة المركزية وضد الملامح المتروبولية التى وصفت بأنها megalopolitan (ليست المدينة الأم العظيمة، من megas، يونانية: عظيم ولكن من الصلة بـ megalomaniac أو مفهوم أشمل للتشويه عن طريق الحجم بالغ الضخامة) حسب مفهوم الخضوع السابق.

انظر: CITY مدينة، COUNTY مقاطعة، DIALECT لهجة، STANDARDS معايير

## ممثل / نائب / نمطى / رمزى REPRESENTATIVE

مجموعة الكلمات التى تعتمد على represent يمثل معقدة جداً و كانت كذلك لفترة طويلة. ظهرت represent فى الإنجليزية فى ق١٤ فى الوقت الذى كانت فيه present موجودة قبل ذلك كفعل يعنى "جعل شيء حاضراً present" (معنى إهداء/تقديم شيء ما ظهر فى ق١٤). بسرعة اكتسبت represent مجموعة من معانى "جعل شيء ما حاضراً": بالمفهوم المادى لتحضير الذات أو شخصاً آخر، فى الغالب عند شخص فى موقع مسؤولية؛ لكن كذلك بمعنى جعل شيء ما حاضراً فى الذهن "Aulde storys that men redys,

Representis to thaim the dedys, Of stalwart folk"

القصص القديمة التى يقرؤها الرجال تقدم لهم مآثر الأبطال، باربور، ١٣٧٥)، وجعل شيئاً ما ماثلاً للعيان، فى الرسم (صوّر ومثّل representid and "purtraid"، ١٤٠٠ تقريباً) أو فى المسرحيات ("هذه المسرحية ... مثلت

representyd الآن أمام أنظاركم"، حوالى ١٤٦٠). لكن حدث كذلك توسع حاسم في ق ١٤ عندما استعملت represent بمعنى "يرمز إلى" أو "يقوم مقام" ( "صور تمثّل represent أبهة و روعة العالم"، وكلف، حوالى ١٣٨٠). واضح أنه كان هناك فى هذه المرحلة تداخل كبير بين معنى (١) جعل شيء ماثلا للذهن والحواس ومعنى (٢) "القيام مقام شيء ليس حاضراً". فى البداية لم يتم على الإطلاق ادراك ما نجم من تباعد بين هذين المعنيين فى بعض الاستعمالات. من الصعب جداً تتبع ظهور المعنى المستقل: "القيام مقام الآخرين". لكثير من الاستعمالات الأولى معنى "يرمز إلى" بدلاً من "يقوم مقام". عندما وصف شارلز الأول مجلسى البرلمان على أنهما "الهيئة الممثلة Representative Body للمملكة" (١٦٤٣) يبدو مؤكداً أن المعنى، خاصة عندما نتذكر موضوع الجدل فى ذلك الحين، كان لمملكة يتم جعلها ماثلة، يرمز إليها بدلاً من المعنى اللاحق لأعضاء برلمان يقومون مقام و يناصرون آراء من انتخبوهم. بكلمات أخرى، تم جعل وضع أو حالة مفترضة ماثلة أو مرموز إليها من قبل مؤسسة معينة؛ الطبيعة "التمثيلية representative" هذه نشأت من مظاهر الدولة الخارجية، بدلاً من آراء متنوعة و مشتتة تم جمعها، وبمعنى أكثر حداثة represented ممثلة. لا يزال هذا المعنى واضحاً فى عبارات مثل "تمثيل representing بلدك فى الخارج". الممثل represtative السياسى هو الصورة السياسية.

لكن بدأ فى الظهور، بشكل رئيسى فى ق ١٧ ، معنى النيابة عن آخرين بطرق أكثر تنوعاً. كان قد تطور فعلاً معنى represent للدلالة على النيابة عن شخص آخر محدداً ("أرسل قائدنا كابتن جوبسون representing ممثلا له و يتصرف بتفويض منه" ،١٥٩٥). بالطبع استمر هذا المعنى بشكل ملحوظ فى الأمور القانونية. يمكن ملاحظة المعنى السياسى المتطور من منتصف ق ١٧: فى "البرجيسات Burgesses (ممثلى representatives الشعب)" (١٦٥٨)، حيث لا يزال المعنى السابق حاضراً بشكل جزئي؛ و فى قول كرومول: "حريص على أمنكم و أمن من تمثلون" (١٦٥٥)؛ وفى قول كوك: "بالتالى سنستفسر ... إذا كان مجلس العموم، كما هو قائم الآن، فى مقدوره أن يكون ممثلهم Representative"

(١٦٠٠). لا يقدم أى من هذه الاستعمالات معادلا قاطعا للكلمة الحديثة represent، و فى بعض الحالات استمر الإبهام ضمن بنية التعبير نفسها. من ناحية نجد ستيل يقدم إضافة ضرورية محدّدة فى "أصبح المنتخبون ممثلين فعليين للمنتخبين" (١٧١٣) وجونيس يستخدم تمييزاً ضرورياً فى قوله "يعلن الشعب الإنجليزى أن ممثليه ظلموه ظلماً فادحاً" (١٧٦٩). لكن من الناحية الأخرى نجد بيرك يمّيز تمييزا معروفا بين representative ممثّل و delegate مندوب التى اعتمدت جزئياً على المعنى الرمزى لـ representative (ينوب عن آخرين، لكن حسب شروطه الخاصة) بدلا من المعنى السياسى ( يجعل آراء من قاموا بالانتخاب ماثلة، تمثيل representing). لا يزال معظم السياسيين يرددون بشكل تقليدى هذا التمييز ولا تزال representative تحمل بوضوح هذا التعقيد والالتباس. يتضح هذا فى المناقشات الحالية عما إذا توجب أن يكون الممثلين representatives مفوضين mandated (أي، منحهم من انتخبوهم تعليمات و بالتالى هم يناصرون/يجعلون ماثلة represent آراءهم) أو معرضين للاستدعاء recall (أى من الممكن إعلان عدم تمثيلهم not representative لآراء المنتخبين). واضح من طبيعة المعارضة لأفكار التفويض والاستدعاء (التى يبدو أنها مجرد تفصيل لأحد معانى represent) أن معنى آخر لممثل representative كرامز أو نشكل عام يدل على آخرين ليسوا حاضرين هو الذى اعتمد عليه بشكل رئيسى. سهل ذلك استعمال شائع لـ representative منذ منتصف ق ١٧ يدل على عينة أو نموذج نمطى typical.

تصبح هذه المسألة مهمة جدا فى المناقشات حول ديمقراطية تمثيلية "representative Democracy" التى يمكن بوضوح أن تعنى (١) الانتخابات الدورية لأشخاص نمطيين typical، أو (٢) الانتخابات الدورية لأشخاص يحاجون لمصلحة أو باسم من انتخبهم، أو (٣) الانتخابات الدورية لأشخاص يجعلون ماثلا باستمرار وجهات نظر الذين انتخبوهم. لا يغير الانتخاب التنافسى لكل من هذه المهمات الثلاث، والذى عادة ما يتم التركيز عليه كجوهر الديمقراطية النيابية representative democracy، الحقيقة التى لا تقل أهمية بأن المهمات نفسها مختلفة

جذرياً. من ناحية عملية تستعمل المناقشات حول تفويض mandate واستدعاء recall معنى (٣) و تتم مناظرتها بمناقشات تعتمد على معنيى (١) و (٢). كانت المناقشات عنيفة لدرجة أنها ولدت التعبير البديل participatory democracy ديمقراطية مشاركة التى تستبعد، فى تركيزها على حكم الشعب لنفسه بدلاً من أن يكون محكوماً من قبل "ممثلين representatives"، معنيى (١) و (٢) لكن غالبا لأسباب عملية تحتفظ بمعنى (٣).

فى الوقت نفسه مرت represent بتطور على نفس الدرجة من التعقيد فى الفن والأدب. كانت representation كما سبق تعنى رمزاً أو صورة، أو عملية "إحضار" للعين أو الذهن. من ق ١٨ بدأ معنى representative كنمطى typical يستعمل فى وصف أشخاص أو مواقف. من وسط ق ١٩ صار هذا شائعاً وفى النهاية استعمل بشكل واسع كعنصر مميز للواقعية REALISM أو الطبيعية NATURALISM. لاحقاً أصبح معنى قديم لـ representation - تجسيد بصرى لشيء ما - محصورا على معنى "إعادة إنتاج دقيقة accurate reproduction" وأنتجت بهذا المعنى، على الأرجح ليس أبكر من ق ٢٠، التصنيف المميز representational art فن تصويري. مع ذلك ليس هناك فى المعنى العام يمثل represent أوتمثيل representation ما يجعل هذا الحصر محتوماً. فى الواقع يتعارض التركيز على إعادة إنتاج reproduction دقيقة مع التطور الرئيسى للمعنى السياسي. لكن ذلك المعنى راسخ الآن، بل تتم معارضته (بطريقة فيها مفارقة حسب تاريخه) مع symbolic رمزى أو رامز symbolizing. (طورت symbol التباسا مشابها، من المعانى المبكرة لعلامة أو أمارة أو موجزا لحالة أو مبدأ أو وضع عام، عبر المعنى الوسيط لشيء represents يمثل شيئا آخر، إلى المعنى الحديث لشيء هام لكن مستقل - ليس تمثيلاً و لكن صورة image، التى تدل إما على شيء لا يمكن بطريقة أخرى تعريفه و إما على شيء لا يعرَّف عن قصد تبعا لشروطه. هناك بينة على تداخل بين المعانى المستقلة لـ representative و representational كتعبيرى فن و أدب. هذا معتاد فى المناقشات حول الواقعية REALISM (ا م) لكن بوضوح ليس هناك بالضرورة تطابق بين معنى typical

نمطى ومعنى معاد إنتاجه reproduced بدقة؛ هذا، بـــالأحرى، ارتبـــاط تـــاريخى ضيق.

من الصعب جداً تقــدير درجـــة التـــداخل المحتمـــل بـــين representative و representation فى معانيهما السياسية والفنية. بمعنى نمطى typical، التى تقـــوم عندئذ مقام ("يحل محل" أو "كأنه") آخرين أو أشياء أخرى، فى أى مـــــن السياقين السياسى أو الفنى هناك على الأرجح مسلّمات ثقافية عميقـــــــة مشـــتركة. فـــى نفس الوقت، هناك تناقض، ضمن هذه المسلّمات، يبرز فـــى المناقشـــات حـــــول ديمقراطية تمثيلية/نيابية representative democracy وفى المناقشات فى الفن حول العلاقة بين representational تصويرى و representative تمثيلى/نمطي.

انظـــــر: DEMOCRACY ديمقراطية، IMAGE صـــورة، REALISM واقعية

## ثـــــــورة REVOLUTION

لكلمة revolution الآن معنى سياسى سائد ومحدد، لكن التطور التـــاريخى لهذا المعنى هام. دخلت الكلمة الإنجليزية من (س م) revolucion، فرنسية قديمـــة، revolutionem، لاتينية: من (س ب) revolvere، لاتينية: يدور. فى كل استعمالاتها المبكرة دلت على حركة دوران فى مكان/فضاء أو زمـــان: "التـــى تنتهـــى فيهـــا الكواكب الأخرى، بالإضافة إلى الشمس، دورانها revolving ومسارها وتتبع فـــى ذلك زمنها الفعلي" (١٥٥٩)؛ "من اليوم المحدد بهذا التاريخ إلـــى المـــدة والـــدورة revolution الكاملة لسبع سنوات تلى ذلك" (١٥٨٩)؛ "تتقلص مرة أخرى وتعود فى حركة دوامية وبالتالى يستمر دورانها revolution إلى الأبد" (١٦٦٤). يبقى هـــذا المعنى الرئيسى لحركة فيزيائية متكررة بشكل رئيسى فى المعنى التقنى المـــرتبط بالمكان: "دورات revolutions فى الدقيقـــة، وعادة ما تختصر إلى revs.

ظهور المعنى السياسى معقد جداً. من الضرورى إلقاء نظرة أولاً على الكلمة السابقة التى وفت بمعنى هذا الفعل ضد نظام قائم. بالطبع كانت هناك خيانة treason (بمعناها الأساسي، خداع، غدر ضد سلطة شرعية) لكن الكلمة الأكثر شيوعاً هى rebellion تمرد. كانت هذه سائدة فى الإنجليزية من ق ١٤. تطور هذا المعنى فى اللاتينية من المفهوم الحرفى لتجدد الحرب إلى المعنى العام: معارضة أو عصيان مسلح، ومن ثم إلى مقاومة معلنة ضد السلطة. كانت rebellion و rebel (كصفة و فعل واسم: تمردي، يتمرد و متمرد) الكلمتين المحوريتين لما نسميه الآن فى العادة (لكن للأهمية ليس دوماً) revolution ثورة و revolutionary ثوري. من ق١٦ كان هناك أيضاً تطور هام لـ revolt من (س م) révolter، فرنسية، revolutare، لاتينية: يدور، يتقلب التى استعملت من البداية فى الإنجليزية بالمعنى السياسي. لا يمكن أن يكون مصادفة تماما تطور الكلمتين revolter و revolution من معنى حركة دائرية إلى معنى نهوض أو عصيان سياسي.

تأثرت على الأرجح revolution فى تطورها السياسى بقربها من revolt، لكن فى الإنجليزية استمر معناها لحركة دائرة على الأقل قرناً أطول. مرجح وجود سببين وراء التحول (فى كل من revolt و revolution) من حركة دائرية إلى نهوض/عصيان. من ناحية كان هناك المعنى المادى البسيط للتوزيع المعتاد للسلطة كما هو الحال فى سلطة الأعلى high على الأدنى low. من وجهة نظر أى سلطة قائمة، revolt هى محاولة لقلب أو تحويل رأس على عقب أو عكس نظام سياسى مألوف: يضع الأدنى أنفسهم ضد - وحسب هذا المعنى فوق - من هم أعلى. لا يزال هذا واضحاً عند هوبز فى ليفياثان: "هم أولئك الذين كانوا حسب وضعهم رعايا ينهضون عمداً وينكرون السلطة الحاكمة" (١٦٥١). من ناحية أخرى، كانت هناك الصورة المهمة لعجلة الحظ التى تم من خلالها تفسير كثير من تقلبات الحياة خاصة تلك الأكثر ذيوعا، مع أن هذا قاد فى النهاية إلى نفس التعريف للكلمة. بالمعنى الأبسط دار الناس أو بتعبير أدق أديروا على عجلة الحظ التى وضعتهم مرة فى القمة ومرة فى الحضيض. فى الواقع، فى معظم الاستعمالات كان التركيز على الحركة الهابطة: سقوط. لكن على أية حال كان التقلب بين القمة

والحضيض هو الغرض الرئيسى لصورة العجلة: إلى حد كبير ليس حركة العجلة المستمرة والدائبة بقدر ما هو الفصل الواضح لنقطتين: قمة وحضيض اللتين، حسب طبيعة الأمور، لابد وأن تتبادلا المواقع. على الأقل تأثر بذلك جزئياً التغيير الحاسم فى revolution. فى وقت مبكر (١٤٠٠) كان هناك المعنى الذى أصبح فيما بعد مألوفاً:

**إنه أنا الذى يسقط**

**عبر التغيير والتقلب revolucioun (*Romance of the Rose*، 4366)**

واضح جداً معنى revolution كتبدل أو تغيير من ق ١٥: "of Elementys 'theRevoluciouns Chaung of tymes and Complexiouns (c. 450،Lydgate).

كان الارتباط بالحظ واضحاً حتى وقت متأخر (وسط ق ١٧): "حيث يمكن ملاحظة المدى العظيم لتقلبات revolutions الزمن والحظ" (١٦٦٣).

بدأ المعنى السياسى الذى كان قد ترسخ فى revolt فى الظهور فى revolution من أوائل ق١٧، لكن هناك تشابكا كبيرا مع طرق ملاحظة التغيير السابقة لدرجة تجعل معظم الأمثلة المبكرة ملتبسة. قام كرومول بثورة لكن عندما قال إن revolution "God's تقلبات القدر" لا تعزى إلى مجرد ابتكار البشر (أبوت، كتابات وأقوال كرومول، جـ٣) فإنه كان لا يزال على الأرجح يستعمل الكلمة بمعناها السابق (كما هو فى Fortune حظ، لكن الكلمة المستعملة الآن هى Providence، عناية الإله) كمحركات خارجية ومحددة DETERMINING (ا م). فى الحقيقة، الجانب الأكثر إثارة للدهشة فى مجموعة الكلمات هذه فى ق١٧ هو أن الثورة سميت من قبل مناوئيها التمرد العظيم the Great Rebellion، بينما وصفت أحداث ١٦٨٨ الثانوية نسبياً من قبل مناصريها بأنها عظيمة وفى النهاية سميت the Glorious Revolution الثورة المجيدة. واضح من استعمالات عدة أن Revolution كانت تكتسب خلال ق١٧ معنى سياسياً لكن لا يزال هناك تشابك، كما

قد لوحظ، مع تحولات وتقلبات الحظ أو العناية الإلهية. لكنه من المهم جدا أنه في أواخر ق ١٧ نال الحدث الصغير اسم Revolution ثورة بينما الحدث الأكبر لا يزال تمرداً Rebellion. أي أن Revolution كانت لا تزال بشكل عام الكلمة المستحسنة، ومن وقت متأخر (١٧٩٦) يمكن اكتشاف الفرق: "Rebellion التمرد هو تدمير subversion القوانين والثورة revolution هي تدمير الطغاة". (من الملاحظ أن subversion تعتمد على نفس الصورة المادية للانقلاب من أسفل؛ كذلك قارن overthrow يطرح/يطيح). إن السبب الرئيسي لتفضيل revolution على rebellion هو أن المعنى الدورى في الأولى تضمن استعادة restoration أو تجديدا renovation لسلطة شرعية سابقة في تمييز لها عن تحرك ضد السلطة دونما تبرير مشابه لذلك.

من أواخر ق ١٧ طغت على معنى ثورة revolution في الإنجليزية الإشارة إلى أحداث ١٦٨٨. كانت الإشارة المألوفة (سنيل ١٧١٠، بيرك ١٧٩٠) إلى "the Revolution" الثورة معرفة. واستعملت revolutioner كأول اسم لمن قام بالثورة أو ناصرها خاصة في سياق تلك الأحداث. مع ذلك بدأ يبزغ ببطء معنى عام جديد - وكان هناك سبب جديد للتمييز بين تمرد وثورة حسب وجهة النظر - في نهوض و إعلان استقلال الولايات الأمريكية. في تلك الحالة فازت revolution على المستويين المحلي والعام. في جو جديد من التفكير السياسي، حيث كفاية النظام السياسي بدلا من الولاء لحاكم معين اعتبرت باضطراد المسألة الأساسية، أصبحت revolution مفضلة على rebellion من قبل كل من ساند التعبير المستقل independent. هناك أهمية متبقية من ذلك في عصرنا الحالي. لا تزال rebellion تمرد تستعمل بشكل معتاد من قبل السلطة المهيمنة ورفقها حتى (أو حتى بعد) توجب اعترافها بأن ما وقع - بمبرراته وولاءاته المستقلة - هو ثورة revolution. لكن كان هناك مفهوم إضافي يتعلق بالحجم: "سيدى ... إنها ليست revolt انقلاب، إنها revolution" (كارلايل، الثورة الفرنسية. جـ٧، ١٨٣٧). (جدير بالملاحظة أن revolt و revolting اكتسبتا من وسط ق ١٨ معنى للشعور بالإضافة إلى الفعل: شعور بالاشمئزاز/الغثيان أو الصد: revulsion تغير قوى

مفاجئ في الشعور. لافت أن revulsion ترتبط في أصلها بـ revel بمرح بصخب التي ترجع بدورها إلى rebllare، لاتينية: يتمرد. انحصرت revel من خلال معنى المرح الصاخب في أي احتفال مفعم بالحيوية؛ بينما أخذت rebel مساراً منفصلاً غير مستحسن؛ واكتسبت revulsion من معنى الابتعاد الجسدي، من أوائل ق ١٩، معنى الصد في اشمئزاز).

كنتيجة لهذا الوضع من التفاعل بين الكلمات جعل التأثير المحدد للثورة الفرنسية French Revolution المعنى الحديث لـ revolution حاسماً. طغى معنى التجديد الضروري من قبل نظام جديد، مدعوماً بمعنى تقدم PROGRSS (ا م) المتزايد في إيجابيته، على المعنى القديم لاستعادة سلطة شرعية، مع أن هذا يستخدم من حين لآخر كمبرر. بالطبع كان وثيق الصلة بذلك أيضاً معنى إحراز حقوق الإنسان الأصلية/الأساسية ORIGINAL. كان مفهوم خلق نظام إنساني جديد هذا على نفس الدرجة من الأهمية مثل الإطاحة بالنظام القديم. في النهاية تحقق ذلك في التمييز الحاسم لثورة عن rebellion تمرد أو عن ما تم في آخر الأمر تصنيفه كثورة قصر palace revolution (تغيير القادة دونما تغيير في أشكال المجتمع). مع ذلك في الجدل السياسي الناجم من التاريخ الفعلي لحركات العصيان أو النزاعات المسلحة اكتسبت revolution معنى متخصصاً يدل على الانقلاب العنيف، و بحلول أواخر ق ١٩ قوبلت بـ EVOLUTION تطور/ترقي بمعناها كنظام اجتماعي جديد يتحقق بسبل سلمية ودستورية. تعزز بشكل كبير معنى revolution كمحققة لنظام اجتماعي جديد تماماً بالحركة الإشتراكية، وأدى هذا إلى بعض التعقيد في التمييز بين اشتراكية revolutionary ثورية واشتراكية تطورية evolutionary. من ناحية كان التمييز بين إطاحة عنيفة بالنظام القديم وبين التغيير السلمي والدستوري. من ناحية أخرى لا تقل أهمية كان التمييز بين العمل من أجل نظام اجتماعي جديد تماماً (الاشتراكية SOCIALISM مقابل الرأسمالية CAPITALISM) وتعديلات محدودة أو إصلاح REFORM نظام قائم ("السعي من أجل المساواة" ضمن "اقتصاد مختلط" أو "مجتمع ما بعد رأسمالي"). النقاش حول

السبل والذى استعمل غالباً لتحديد معنى revolution هو أيضاً فى العادة نقاش حول الأهداف.

كذلك بالطبع أصبحت تستعمل ثــورة revolution وثــورى revolutionary ويثوِر revolutionize خارج المجال السياسى للدلالة على تغييــرات جوهريــة أو تطورات جديدة جوهرياً فى نطاق شاسع من النشاطات. قد يبــدو غريبــاً قــراءة "ثورة فى عادات التسوق" أو "ثورة فى المواصلات"، وبالطبع هناك حالات تكــون فيها هذه مجرد لغة إعلان لوصف منتج جديد "ديناميكي". لكن على الأقل هذا ليس أكثر غرابة من ربط revolution بعنف VIOLENCE (ا م) حيث أن أحــد معــانى ثــورة الحاسمة، مبكراً ولاحقاً، استعادة أو تجديد، كان ببساطة التغييــر: التغييــر الهام و الجوهري. وقتما سمّى نظام المصانع والتكنولوجيا الجديدة فى أواخــر ق ١٨ وأوائل ق ١٩ عــن طريــق القيــاس بــالثورة الفرنسـية ثــورة صــناعية INDUSTRIAL REVOLUTION (ا م) فإنه قد تم وضع أســاس لوصــف مؤسســات جديدة و تكنولوجيا جديدة بأنها ثورية revolutionary. كان للتفاوتات فــى تفســير الثورة الصناعية - من نظام اجتماعى جديد إلى مجرد اختراعات جديدة - أثر فى هذا الاستعمال. قد تبدو عبارة "ثورة الترانزيستور" تافهة وفضفاضة لمن يعطى أهمية قصوى لمعنى revolution social ثــورة اجتماعيــة، وقــد تبــدو "ثــورة تكنولوجية" أو "ثورة صناعية ثانية" مجرد تعابير جدلية أو محيرة. لكن تــاريخ الكلمة يقدم الدعم لكل نوع من أنواع استعمالها. المهم فى قرن ثورات كبرى هــو التمييز الواضح فى الاستعمال والنبرة بحيث أن السحب المرعدة التى تحلقت حول المعنى السياسى تصبح رياحاً نقية و منعشة عندما تهب فى أى اتجاه آخر.

انظــــــر: EVOLUTION تطــور/ارتقــــــاء، ORIGINAL أصلي، REFROM إصلاح، VIOLENCE عنف

## رومانسى (الرومانسية) ROMANTIC

هذه الكلمة معقدة لأنها تستمد معانيها الحديثة مـــن ســـياقين مختلفـين: فحوى وطبيعة الحكايات الرومانسية romances وفحـوى وطبيعـة الحركـــة الرومانسية Romantic Movement. يؤرخ للأخيرة فى العادة على أنها حدثت فـى أواخر ق١٨ وأوائل ق١٩؛ فى حد ذاتها هذه الحركة معقـدة و متشـعبة بشـكل استثنائي. لكن كانت romantic تستعمل فى الإنجليزية لمدة طويلة قبل كـل ذلـك وكانت لها معظم الإيحاءات التى لا تزال موجودة فى الكلمـة الحديثـة. تشـكلت الصفة فى ق١٧ من romance كما كانت مفهومة عندئذ؛ سجلت الكلمة الإنجليزية romantic من ١٦٥٠؛ الفرنسية romanesque من ١٦٦١ و الألمانيـة romanisch من ١٦٦٣. (كانت الفرنسية romatique و الألمانيـة romantisch اسـتعارة مـن الكلمة الإنجليزية). لكـن romance رومانس نفسها كانت فى طـور التغييـر. بـرزت الكلمة فى صيـغ متنوعة (romanz و romaunz و roman و romant الخ) عـن طريـق اللغة الفرنسية القديمـة و البروفنسـالية مـن romanice. لاتينيـة وسيطة: تعنى "باللغات الرومانية"؛ أى باللغات المحلية المستمدة مـن اللاتينيـة. كانت الرومانسيات romances بشكل عام، قصصـا منظومـة فيهـا مغـامرة أو فروسية او حب، وحتى وقت متاخر لم نزل ملتون يستعمل فى الفردوس المفقـود Romance رومانس بهذا المعنى: مـا يتـردد فـى خرافـة (أخلاقيـة) Fable أو Romance عن Uther's son ابن أوثر. لكن التطور الفعال الذى ادى الى رومانسية romantic كان شعبية أنواع جديدة من قصص الرومانس النثرية المعتمدة بشـكل رئيسي على نماذج أسبانية من ق ١٦. اعتبرت تلك بشكل عام عاطفية ومتهـورة، لكنها كذلك نمبرت بانطلاق الخيال. حملت الصفة الجديدة كلا المعنيين: الخطـة الرومانسية romantic والخيالية لبناء جسر على النهر عند بتنى" (١٦٧١)؛ "بنـاء على السند الوحيد للكومنولث الرومانسى romantick للسيد هارنجتون" (١٦٦٠)؛ "تلك الأشياء تكاد تكون رومانسية romatique لكنهـا حقيقية (بيـبس، ١٦٦٧)؛ "ذلك الخيال الاكثر جموحـا، مثل الـذى نستعمله فـي "الابتكـارات الرومانسـية Romantick Inventions (١٦٥٩). استمرت مجموعة الاستعمالات هذه وأضـيف

إليها استعمال شائع كوصف لأماكن معينة: "مكان رومانسى جداً" (إيفلين، يوميات، ١٦٥٤).

كانت Romantic الرومانسية كاسم جديد لحركة أدبية وفنية و فلسفية في الأساس تطوراً من أوائل ق ١٩، بشكل رئيسى فى ألمانيا و فرنسا (شليجل Schlegel ودى ستيل de Staël). تأثر بشكل عميق استعمالها فى الإنجليزية بالفكر الألمانى (راجع لفجوى Lovejoy وأيخنر Eichner) حيث نشأ التمييز المحدد بين رومانسى Romantic وكلاسيكى Classical (التأثير الأكبر كان لشليجل من ١٧٩٨). مع ذلك لم تدخل Romantic كما تستعمل الآن فى عبارة the Romantic movement الحركة الرومانسية أو الشعراء الرومانسيين Romantic poets (التى ترجع إلى أواخر ق ١٨ وأوائل ق١٩) الاستعمال العام قبل ثمانينات ق ١٩. علاوة على ذلك، استمرت Romantic صعبة التمييز عن المعانى العامة السابقة، عدا سياقات معينة تدل فيها الكلمة على فترات أو أساليب معينة. بدون شك تعزز كثيرا المعنى القائم لخيال طليق وحر. تطور بوضوح أيضاً معنى أوسع للتحرر من القواعد والصيغ التقليدية، ليس فى الفن والأدب والموسيقى فحسب وإنما كذلك فى الشعور والسلوك BEHAVIOUR (ا م). كان مهما أيضاً معنى مقارب للشعور العارم، بالإضافة إلى شعور أصيل/حقيقى authentic ومتميز. تطورت عبارة romantic hero البطل الرومانسى من شخصية متهورة إلى شخصية مثالية. تطورت تقييمات جديدة للكلمات " لا عقلانى irrational ، "لا شعور unconscious و "خرافى legendary" أو أسطورى MYTHYCAL (ا م) وذلك بمحاذاة تقديرات جديدة لثقافات فورلكلورية folk-cultures يبدو ان بعض هذه المواضيع توجد ضمنها، وكذلك - بصورة مختلفة - بمحاذاة تقديرات جديدة للذاتية SUBJECTIVITY (ا م) ارتبطت بفكرة الخيال الحر وبالشعور الأصيل ORIGINAL (ا م) العارم. واضح مدى التداخل بين بعض هذه المعانى السابقة: أما ما هو جديد وبظل صعب التحديد فإنه الأساس الفلسفى العام لما اعتبر فيما سبق سمات منفصلة ومميزة.

في ق ٢٠ استمرت رومانسية Romantic كوصف لحقبة تاريخية وكذلك ظلت الكلمة موضع نزاع كاسم عام وإن لا تزال ضرورية للحركة الفلسفية والأدبية من أواخر ق ١٨. مع ذلك لا تزال المعانى السابقة فعالة مما يسبب التباساً كبيراً. لا يزال "مكان رومانسي" مقبولاً؛ لكن لا تقبل "خطة رومانسية". الكلمات المشتقة فى ق ١٩ romanticism رومانسية ويجعل رومنسيا romanticize غير مؤاتية بشكل كبير خارج نطاق دلالات ثقافية محددة. فى نفس الوقت تم بشكل عام حصر romantic feeling شعور رومانسى ورومانس romance ذاتها (بدعم من مواضيع كثيرة من الرومانسيات والقصص الرومانسية romantic stories التى سميت الآن romantic fiction روايات رومانسية) على الحب بين الرجال والنساء. هناك تمييز متفرع من ذلك بين حب رومانسى romantic وحب جنسى sexual، لكن حسب المعنى الشائع لا تزال العلاقة الجنسية هى romance رومانس، وتأثرت بهذا إلى حد كبير "أماكن رومانسية" و"مواقف رومانسية". فى الغالب أثر هذا على فهم الرومانسيات Romances السابقة وعلى الأدب الرومانسى Romantic literature الذى يبقى فى الواقع مختلفاً تماماً.

انظر: CREATIVE خلاق، FICTION خيال/رواية، FOLK فولك/شعب، GENERATION جيل، MYTH أسطورة، NOVEL رواية. ORIGINAL أصلي، SEX جنس، SUBJECTIVE ذاتى

## علم SCIENCE

قد تبدو science الآن كلمة بسيطة جداً، حتى وإن تذكرنا أنه كانت لها قبل ق ١٩ معان أخرى. مع ذلك، وبالذات فى استقلالها عن تلك المعانى الأخرى، فإن للكلمة تاريخاً اجتماعياً هاماً لا يزال فعالاً. دخلت science الإنجليزية فى ق ١٤، من (س م) science، فرنسية، scientia، لاتينية: معرفة knowledge. كانت معانيها الأولى عامة جداً. كانت تعبيرا يدل على المعرفة بشكل عام، كما فى "رب

المعرفة God of sciens هو الإله" (١٣٤٠)، وكان هذا المعنى لا يزال قائماً لدى شكسبير:

ليس هناك فى خفايا الطبيعة معرفة science أكثر

مما أملك فى هذا الخاتم. (All's Well the Ends Well, V iii)

تم فى بعض الأحيان تمييز الكلمة عن conscience وذلك لتوضيح الفرق بين معرفة شيء نظرياً (science) و معرفته عن اقتناع والتزام (conscience ضمير). لكن أصبحت science تستعمل بشكل واسع، غالباً كمعادلة لفن art، لوصف مجال معين من المعرفة أو المهارة: "علم science الوزن والقافية والإيقاع" (جاور، ١٣٩٠)؛ "ثلاثة علوم Sciences ... الإلهيات، الفيزياء و القانون" (١٤١٢)؛ "علوم ليبرالية liberal Sciences ... علوم حرة مثل القواعد، الفن، الفيزياء والفلك وعلوم أخرى" (١٤٢٢).

استمر المعنى العام للكلمة كمعرفة أو تعليم وكذلك المعنى المحدد لفروع أو مجالات من التعليم حتى أوائل ق ١٩. قارن بين الاقتباسين: "بذور المعرفة science - تلك التى تسمى أبجديته" (كوبر، ١٧٨١)؛ " لا علم science سوى القراءة والكتابة والحساب" (١٧٩٤). من وسط ق١٧ بدأت تظهر تحولات معينة. بالتحديد كان هناك التمييز عن art: هذا لاصلة له البتة بالتمييز الحديث (انظر ART) لكنه فى حد ذاته مهم. فى ١٦٧٨ وصف "صنع المزوال" بأنه "علم science فى الأساس ... لكنه الآن ليس أكثر تعقيداً من ART فن"، مما يدل على تمييز بين مهارة تتطلب معرفة نظرية ومهارة لا تتطلب إلا ممارسة. من ١٧٢٥ نجد: "تستعمل كلمة science عادة لجملة الملاحظات والفرضيات المنهجية أو المنتظمة ... فيما يتعلق بأى موضوع للتفكير". يمكن بطريقة غير دقيقة فهم ذلك كتعريف حديث لكنه يتعلق بفرضيات، بالإضافة إلى ملاحظات ولا يرتبط بأى موضوع معين. هذا يتوافق مع معنى سابق لعلمى scientific (من أواخر ق ١٦، من (س م) scientificus، لاتينية) يدل فى أى طرح إما على برهان نظرى وإما، بشكل عام، على برهان بياني. (كذلك استعملت scientific فى السابق كمعادلة

لليبرالى LIBERAL (ا م) لتمييز الفنون المكتسبة بالتعليم عن الفنون الميكانيكية MECHANICAL (ا م).) كان للمعنى الذى نجم بهذه الطريقة عن جملة المعارف عناصر من المنهج والبرهان البياني؛ كان ذلك على مستوى نظري؛ العلم هو نوع من المعرفة أو الطرح بدلاً من موضوع معين. يظهر أن الأمر كان كذلك حتى فى المثال الذى يبدو للوهلة الأولى حديثا، من ١٧٩٦: فى المقولة "بأنه بالرغم من أن علم المعادن لم يكن فى الإمكان حتى وقت قريب فهمه من قبل الكثيرين كفن art فإنه قد يندر اعتباره علماً science"، يبدو التمييز على الأرجح بين معرفة نظرية وأخرى عملية. ضمنياً عنت نظرية theory بالضرورة برهاناً منهجياً وهو ما قد يحدث فى أى موضوع.

فى البداية لم يكن التمييز الرئيسى فى science ولكن فى التمييز الحاسم فى ق ١٨ بين experience خبرة و experiment تجربة (أنظر EMPIRICAL). دعم هذا تمييز بين معرفة عملية practical ومعرفة نظرية theoretical (أنظر THEORY) التي عبر عنها فيما بعد التمييز بين art فن وعلم science بمعانيهما العامة من ق١٧ و ق ١٨. كانت ممارسة ما قد نسميه اليوم علماً تجريبياً experimental science والذى فى الواقع يسمى الآن بطريقة استيعادية، الثورة العلمية the scientific revolution فى طور النمو بطريقة ملحوظة منذ منتصف ق١٧. لكن لم تزل science فى أواخر ق ١٨ تعنى بشكل رئيسى البرهان المنهجي النظري. ولم يتم بطريقة حاسمة حصرها على مواضيع معينة. علاوة على ذلك، كان التمييز بين experience و experiment علامة على تغيير أكبر. يمكن حصر experience فى اتجاهين: نحو معرفة عصبية أو مألوفة ونحو معرفة باطنية (ذاتية SUBJECTIVE (ا م)) فى تمييز لها عن معرفة خارجية (موضوعية OBJECTIVE). حملت خبرة experience كلا المعنيين لكن أتاح تحديد تجربة experiment - ملاحظة منظمة لحدث - تركيزاً معيناً فى experience أيضا. ساعدت تغيرات فى الأفكار عن الطبيعة NATURE (ا م) فى حصر إضافى لأفكار المنهج والبرهان نحو "العالم الخارجي". وبهذا استكملت شروط بروز science كدراسة نظرية ومنهجية للطبيعة. يمكن لـ نظرية

و"منهـج" اللذين اسـتعملا لأنـواع أخرى من الخـبرة experience ( أحدهمـا كان ميتافيزيقياً ودينياً، وثانيهما كان اجتماعياً وسياسـياً، وثالثهمـا كـان feeling الشعور والحياة الداخلية inner life التي اكتسبت ارتباطاً جديداً محـدداً بفـن ART) أن يستبعدا الآن على اعتبار أنهما ليسا science علما وإنما شيء سواه.

ترسخ التمييز في أوائل ق١٩ ووسطه . رغم استمرار وجود بقايا لمعـاني سابقة فإنه بالإمكان بحلول ١٨٦٧ العثور على الجملة الواثقة لكن بـنفس المقـدار الواعية لجدة الاستعمال: "سنستعمل ... الكلمة "science" بـالمعنى الـذى منحـه الإنجليز إياها بطريقة ذائعة دالة على علم مادى وتجريبي ومسـتبعدة الثيولوجيـا والميتافيزيقيا". هذا الإقصاء كان ذروة النقاش الحاسم. لكن استثنى هذا التحديـد. تحت هذا الغطاء، مجالات معرفة وتعليم أخـرى كثيـرة. أصبحـت scientific علمي و scientific method مـنهج علمـي و scientific truth حقيقـة علميـة، محصورة على الطرق الناجعة للعلوم الطبيعية، في المقام الأول الفيزياء والكيميـاء والبيولوجيا. قد تكون الدراسات الأخرى نظرية ومنهجية لكن هذه ليست هي نقطة الجدال الآن؛ النقطة الأساسية كانت أن الطبيعة الموضوعية objective تماما للمادة وكذلك للمنهج، اللذان تلازما في هذه المجالات، هي التي اعتبرت محددة.

كتب هيول في ١٨٤٠ : نحن في مسيس الحاجة إلى اسم يصف من يزاول العلم science بشكل عام. أميل إلى تسميته عالم scientist". هذه كلمة هامة لتصنيف العلم عن طريق حصر متخصص لمعاني الكلمة. لم يجد هذا الاسم قبولا كلمة ملائمة في اجتماعات الرابطة البريطانية في أواخر ثلاثينات ق١٩ (في الواقع استعملت أحيانـا sciencer في ق١٧ و scientist في أواخر ق١٨ بمعـاني science قديمة). يمكن ملاحظة تمييز أوضح من ١٨٤٠ بوصفه في "كان ليوناردو ذهنيا باحثا عن الحقيقة - عالم scientist؛ كان كوريجيو منفصلا عن الحقيقة - فنان artist". أصبحت تمييزات من هذا النوع نمطية، لكن حتى وقـت متأخر (١٨٣٦) وبطريقة مقنعة كان كونستابل يقول: "الرسم علم science ويجب ممارسته كبحث عن قوانين الطبيعة. لماذا ... لا يمكن اعتبار رسم منظر فرعـا

من الفلسفة الطبيعية التي تكون الصور فيها مجرد تجارب؟" (المحاضرة الرابعة، المعهد الملكي). لكن كان التوجه السائد في ناحية أخرى. انحصرت "Method منهج" على نوع واحد مثلما انحصرت خبرة experience، من نوع يمكن إثباته بيانيا، على نوع معين من التجربة experiment. كان لهذا لاحقاً عواقبه الداخلية، خاصة في البيولوجيا، لكن أيضاً في الفيزياء. كان لذلك أيضاً نتائج عميقة في مجالات أخرى من المعرفة البشرية حيث أصبح نموذجا معينا وفائق النجاح (ملاحظ منهجي محايد وموضوع دراسة خارجي) معمماً ليس فقط كعلم science ولكن كحقيقة fact وصدق truth وصواب reason أو RATIONALITY عقلانية. زاد الوضع سوءاً النقد التقليدي لهذا النموذج حسب منهج أسبق هو الآن محصور ومتخصص: تمييز حقائق ووقائع ذاتية subjective و"مجالات" - دينية، فنية، سيكولوجية، أخلاقية (والكلمة المرتابة الملتبسة: اجتماعية social) - يكون فيها هذا المنهج السابق هو الأنسب بدلاً من المنهج العلمي scientific.

ربما يكون تحديد science علم أتم في الإنجليزية عنه في معظم اللغات المشابهة. يسبب هذا مشاكل كثيرة في الترجمة المعاصرة، بشكل ملحوظ من الفرنسية. قارن التناوب بين علم science و studies دراسات في العلوم الإنسانية أو الاجتماعية، وقارن كذلك الإبهام الذي قد يلف scientific عندما تستعمل بالمعنى القديم كإثبات بياني في طرح، أو بالمعنى المتطور الدال على "صرامة منهجية" - لكن السؤال عندئذ: أين التجارب experiments في كل هذا، أوليست هذه مجرد خبرة experience (ذاتية subjective، أدبية literary، تأملية speculative)؟ فيما تصبح التقسيمات التقليدية المبسطة، خاصة بين science علم وفن art و objective موضوعي و subjective ذاتي، أكثر وضوحاً فإن التعبير الحاسم scientism علموية استعمل للدلالة على الطبيعة المحدودة لجانب من النقاش. من أواخر ق١٩، عنت scientism مواقف يتميز بها العلم science لكن في استعمالها الحاسم تدل على التحول (غير الملائم) لمناهج البحث من العلوم "الفيزيائية" إلى العلوم "الإنسانية". ليس هذا التعبير شائعاً بعد (رغم أن تشكيله يمكن أن ينظر إليه في إطار المراجعة الحالية لمفاهيم مثل "أدب literature"،

"aesthetic جمالي" و "subjective ذاتي") للدلالة على القصور الواضح فى الموقف "الآخر" الذى هو فى الواقع متمم.

انظر: ART فن، EMPIRICAL إمبيريقي، EXPERIENCE خبرة، MATERIALISM مادية، POSITIVE وضعي، SUBJECTIVE ذاتي، THEORY نظرية

## حساسية SENSIBILITY

كانت sensibility كلمة مهمة جداً بين منتصف ق١٨ ومنتصف ق٢٠، لكن فى السنوات الأخيرة تقلصت هذه الأهمية بشكل حاد. هى كلمة صعبة جداً سواء فى معانيها وفى صيغها ضمن هذه الفترة التاريخية وكذلك فى علاقاتها مع مجموعة معقدة جداً من الكلمات تتحلق حول sense. يجب فقط تذكر أن sensibility ليست اسماً علماً لحالة كون الشيء sensible (محسوس/معقول) لإدراك مدى صعوبة هذه المجموعة. قام بتحليل بعض العلاقات البينية داخل هذه المجموعة وليام إمبسون فى كتابه "بنية الكلمات الصعبة"(٢٥٠-٣١٠)، فى عام ١٩١٥.

تبعت المعانى الأولى لـ sensibility (س م) sensibilitas، لاتينية، المعانى الأبكر لـ sensible (س م) sensible، فرنسية، sensibilis، لاتينية حديثة: محسوس أو مدرك عن طريق senses الحواس البدنية. كان استعمال sensible هذا، من ق١٤، هو سند sensibility كشعور بدنى أو ادراك حسى من ق ١٥. لكنها لم تستعمل كثيراً. كان التطور الهام فى sense هو تحورها عن طريق التوسع من اسم لعملية process إلى نوع معين من المنتج: sense إحساس بمعنى وعى سليم أو حكم صائب الذى منه سيستمد معنى sensible الحديث السائد. (تبعت common sense الحس المشترك/العام هذا المسار منتهية كتأكيد فائق لما هو بديهى – ما يعرفه الكل أو يعرفه الجميع على أنه تحصيل حاصل – وذلك فى

أعقاب مرجعيتها السابقة والفعالة فى sense حس/حكم تتجزه عملية مشتركة بين مختلف الحواس البدنية؛ تنوع صيغ عام/مشترك COMMON (١م) حاسم فى هذا المجال.) لكن قبل أن تنحصر sensible فى هذا المعنى المحدود كانت قد تحركت مؤقتاً فى اتجاه آخر وذلك نحو شعور "رقيق" أو "لطيف" من ق ١٦. تبقى آثار بسيطة من هذا فى "sensible of شعور بـ" (قارن الاستعمال الخاص لـ touched تأثرت مشاعره)؛ أما "sense of إحساس بـ" فإن لها عملياً مدى أوسع يشمل الحيادية. من sensible بهذا المعنى المحدد تم اشتقاق sensibility الهام فى ق ١٨. كانت أكثر من sensitivity حساسية التى يمكن أن تصف حالة بدنية أو عاطفية. بشكل أساسى كانت تعميماً اجتماعياً لميزات شخصية معينة أو، بكلمات أخرى، هى استحواذ شخص لميزات اجتماعية معينة. بهذه الطريقة تنتمى الكلمة إلى تشكيل مهم يشمل TASTE (١م) و cultivation تهذيب و discrimination تمييز و، على مستوى مختلف، نقد CRITICISM (١م) و ثقافة CULTURE (١م) حسب أحد معانيها المشتقة من cultivated مهذب و cultivation. تصف كل هذه الكلمات عمليات إنسانية عامة جداً لكن بطريقة يتم فيها تخصيص وتحديد؛ يمكن التقاط الآثار السلبية للاستبعادات الفعلية التى كثيراً ما تكون متضمنة فى discrimination حصافة/تمييز التى بقيت كعملية للحكم الواعى أو الدقيق وأيضاً كعملية معاملة مجموعات معينة بطريقة مجحفة. ليس لـ TASTE و cultivation أى معنى معتبر إلا إذا عارضنا وجودهما بغيابهما بطرق تعتمد على التعميم وغالباً على الإجماع CONSENSUS (١م). فى معانيها من ق ١٨ شملت sensibility معنى شبيها بذلك الذى تحمله وعى awareness الحديثة (ليس فقط consciousness شعوراً ولكن أيضاً ضميراً conscience) وصيغة صريحة لما يبدو أن الكلمة تعنيه حرفيا، المقدرة على الشعور: "عزيزى الإحساس Sensibility! مصدر ... لا ينفد لكل ما هو عزيز فى أفراحنا أو مضن فى أحزاننا" (ستيرن، ١٧٦٨).

فى هذه المرحلة أصبحت علاقة الكلمة بـ sentimental "عاطفى مفرط" مهمة. كان لـ sentiment (من (س م) sentimentum، لاتينية وسطى،(س ب) sentire، لاتينية: يشعر) معانى تتفاوت من معنى ق١٤ للشعور البدنى و الشعور

الذاتى إلى معنى ق١٧ لكل من وجهة نظر وعاطفة. استعملت **sentimental** بشكل واسـع فى منتصف ق ١٨: "**sentimental** رائجة إلى حد كبيـر فـى المجتمـع الراقي ... كل شئ مستحسن أو رشيق تحمله تلـك الكلمـة ... رجـل وجـدانى **sentimental**... حفلة رائعة **sentimental** ... مشية رقيقـة **sentimental**" ( ليـدى برادشو، ١٧٤٩). كان الارتباط بـ **sensibility** عندئذ قريباً: تقبل واع للمشـاعر، وكذلك استهلاك مقصود للمشـاعر. عـرّض هـذا الاسـتعمال الأخيـر الكلمـة **sentimental** للنقـد ووصل هذا أقصاه بطريقة فجة غالباً فى ق١٩: "تلك الضبابية المتوردة للوجدانية **Sentimentalism** و الإحسـان واحتفالات الفضيلـة" ( كارلايل، ١٨٣٧ )؛ "راديكالية وجدانية **Sentimental Radicalism**" ( بيجهوت عـن ديكنـز، ١٨٥٨). صبغ معظم ما كان أخلاقياً أو راديكاليا، سواء فـى القصـد أو الفعـل، بنفس الفرشاة التى استعملت لرسم عروض وجدان **sentiment** الواعية لـذاتها أو المنغمسة ذاتيا. فى مرحلته المحافظة جمع ساوثى الكلمتين: "الطبقـات الوجدانيـة **sentimental**: أشخاص ذوو **sensibility** إحساس متقد أو مريض" (١٨٢٣). هـذا التذمر موجه ضد الناس الذين يشعرون **feel** "إلى حد مفرط" كما هو موجه كذلك ضد من "يطلقون العنـان لعـواطفهم **emotions**". دمـر هـذا التشـويش للأبـد **sentimental** (رغم بقاء اسـتعمالات إيجابيـة محـدودة، بشـكل واضـح فـى **sentimental value** قيمة وجدانية) وحدد بطريقة نهائيـة الكلمـة **sentimentality** وجدانية.

تجنبت **sensibility** ذلك. احتفظت بمعانيها من ق١٨ وأصبحت مهمـة فـى مجال واحد خاص: الإحساس الجمالى **AESTHETIC** (١م). (بالطبع سبرت جـين أوستن فى روايتها ***Sense and Sensibility*** المزايا المتفاوتة التى بدا أن التعبيران المتخصصان فى عنوان روايتها هذه حددا‌ها. ربما تكون قد التقطت فى روايتهـا ***Emma*** اتجاهاً معيناً فى "حساسية أكثر حدة للأصوات الرقيقـة منهـا لمشـاعري" (١٨١٥). كتب رسكن عن "حساسية **sensibility** للون" (١٨٤٣). يبدو أن الكلمة استعملت باضطراد لتمييز مجال معين من الاهتمام والاستجابة قد يمكـن تمييـزه ليس فقط عن **RATIONALITY** عقلانية أو **intellectuality** فكر وإنمـا أيضـا عـن

morality فضيلة، وذلك بالتعارض مع أحد معانى هذه الكلمة الأخيرة من ق١٨.
بحلول أوائل ق ٢٠ كانت sensibility هى الكلمة الأساسية التى تصف الحيز الإنسانى الذى عمل فيه واحتكم إليه الفنانون. فى التطور اللاحق لنقد CRITICISM (ا م) المعتمد على تمييز بين reason عقل و emotion عاطفة كانت sensibility هى الكلمة العامة المفضلة للاستجابة والحكم التى لا يمكن اختزالها إلى emotional عاطفى أو emotive انفعالي. ما أسماه ت. إس. اليوت فى عشرينيات ق ٢٠ "dissociation of sensibility" انفصال الحساسية كان هو الفصل المفترض بين thought فكر و feeling شعور. يبدو أن sensibility أصبحت الكلمة الجامعة، وبشكل عام تحولت من أنواع من الاستجابة إلى معنى يدل على تكوين ذهن معين: نشاط كامل، طريقة مكتملة للإدراك والاستجابة، وبالتالى لا يمكن اختزاله إلى "فكر" أو "شعور". اكتسبت EXPERIENCE خبرة (ا م) بمعناها كشيء فعال وكشيء متكون نفس التعميم. لفترة مهمة كانت sensibility هى ما يصدر عنه الفن وهى كذلك ما يتم عبرها تلقيه. حسب المعنى الأخير، تم بشكل عام إحلال taste ذوق و cultivation تهذيب، اللتين كانتا قريبتين فى المعنى فى التشكيل الأصلى محل discrimination تمييز و criticism نقد. لكن مع كل اهتمام هذه المرحلة الذى ساد حتى ١٩٦٠ تقريبا لم تزل التعبيرات الرئيسية بشكل طاغ هى تعميمات اجتماعية لمزايا شخصية أو، كما أصبح واضحا باضطراد، استحواذ شخصى لمزايا اجتماعية. أثبتت sensibility كتعبير يبدو حيادياً فى النقاش حول مصادر الفن، دونما الظلال الكثيفة لذهن mind أو حصر المعنى فى كل من thought و feeling، أكثر صموداً منها كتعبير لمناشدة استجابة معينة أو إقرارها. لكن كما فى بروزها فى ق ١٨، اعتمد تجريد وتعميم ميزة شخصية فعالة، كما لو كانت عملية أو حقيقية اجتماعية واضحة، على إجماع لتقييمات معينة، وبتحطم هذه التقييمات أو رفضها بدت sensibility و كأنها تأثرت بها أبلغ التأثير مما جعلها متعذرة الاستعمال. توارت الكلمة من النقاش الفعال، لكن هام أنه فى نطاق معانيها الفعلى (وهذا هو لب الموضوع) لم يتم العثور على بديل مرض.

**انظـــــر: AESTHETIC جمالي، ART فن، CRITICISM نقـــد، CULTURE ثقافـــة، EXPERIENCE خبـــرة، RATIONAL عقلانى، SUBJECTIVE ذاتى، TASTE ذوق**

## جنس SEX

لكلمة sex فى أحد معانيها المعاصرة السائدة – فى الواقع أحيانا المعنـــى المتداول يومياً – تاريخ مشوق لأنها هنـــا تدل بشكل رئيسى على "علاقات" جسدية بيـــن الجنسين "the sexes"، بينما فى معانيها السابقة كانت تدل علـــى الفصـــل بينهما. دخلت الإنجليزية مـــن ق ١٤، (س م) secus و sexus، لاتينيـــة: القســـم section المذكر أو المؤنث من البشر. هكـــذا نجـــد "الجـــنس المـــذكر maal والمؤنث femaal" (١٣٨٢). لكن لـــم تكن مستعملة بشكل واســـع قبـــل ق ١٦. بالطبع حسب هذا المعنى استعملت بانتظام منـــذ ذلك الحين.

كانت هناك فيما بعد مجموعة تطورات معقدة بخلاف هذا المعنـــى العـــام. هكذا نجد حصراً معيناً للكمة على النساء كما فى "الجنس اللطيـــف the gentle sex" و "الجنس الضعيف" و"الجنس الجميل" (وسط ق ١٧)؛ إضافة إلى ذلك مـــن ق١٦ استعملت "the sex" بمفردها غالبا للدلالة على النساء. يمكن العثور على أمثلة من ذلك حتى ق١٩ وربما بعد ذلك. كان هناك أيضاً استعمال "الجنس الثـــاني" مـــن أوائل ق١٩. سجلت sexual جنسى من وسط ق ١٧ بالمعنى الجســـدى الوصـــفى وكذلك استعملت sexless بنفس الدلالة الوصفية من أواخر ق ١٧.

ليس من السهل تتبع التحولات اللاحقة فى مجال الحديث والكتابة الخاضـــع بشكل واضح للرقابة والرقابة الذاتية والحرج. هكـــذا يمكن قـــراءة قصـــيدة The Primrose للشاعر "دون" بمعنى يبدو معاصراً:

**لو قدر لها أن تكون أكثر من امرأة، فإنها ستعلو**

**فوق كل فكر للجنس sexe، وستسعى لتحريك**

قلبى لتأملها و ليس لهيامها.

لكن بناءً على معظم الأدلة فإن المعنى الحديث ليس هو المقصود هنا. بالطبع معنى الاختلاف ثم معنى الحصر واسع الانتشار فى أنواع كثيرة من الكتابة، لكن يبدو بعيد الاحتمال شيوع معنى sex كعلاقة أو نشاط جسدى قبل ق ١٩. فى الواقع هذه هى حالة كلمة (كما هو الوضع بالنسبة لكلمات مشابهة للوصف الجنسى الجسدي) علمية أو دراسية استعيرت وعممت فى فترة أصبح فيها أكثر تقبلاً الحديث أو الكتابة عن مواضيع كهذه بشكل مكشوف. سبقت ذلك مجموعة من الكلمات الرسمية نسبياً، مثل "carnal knowledge معرفة جسدية" و "copulation جماع"، ومجموعة أخرى ضخمة من العبارات العامية التى نادراً ما سمح بها فى الكتابة. (هناك مجموعة كبيرة لعبارات ذكورية، تتمحور فى المقام الأول حول معنى الملكية مجسدة فى "have" يملك/يحوز، وسجلت بوفرة من ق١٩ لكن فى حالات كثيرة يمكن إرجاعها إلى ق١٦). كانت sexual جنسى شائعة بمعناها الأكثر فعالية، ذلك المرتبط بالممارسات والعلاقات أكثر من مجرد خصال، فى الكتابات الطبية من أواخر ق ١٨: سجلت "sexual intercourse اتصال جنسي" من ١٧٩٩؛ "sexual passion هيام جنسي"، من ١٨٢١؛ "sexual purposes أغراض جنسية" من ١٨٢٦؛ "sexual instinct غريزة جنسية" من ١٨٦١؛ "sexual impulse نزوة جنسية" من ١٨٦٣. تبدو مألوفة جملة من المجلة الرياضية (١٨١٥): "نظراتها، انعطفاتها وكذلك طريقة حديثها كلها جنسية sexual". فى نفس الوقت لم يزل المعنى السابق الدال على الخصال شائعاً: كان فى مقدور بيتر Pater الكتابة عن sexlessness فقدان الرغبة الجنسية على أنه "نوع من العنة" (١٨٧٣)، لكن بوضوح ليس هذا ما قصدته اليزابيث بينل Pennell فى ١٨٩٣ فى "لا جنس sexlessness التحرير الجديد الزائف". فى ١٨٨٧ عنت sex-abolitionists مبطلى التفرقة الجنسية الذين يفضلون إزالة التمييزات الاجتماعية والقانونية ضد النساء (فى الوقت الذى كانت فيه الكلمة discrimination نفسها تتحول من ملاحظة الفوارق إلى معنى معاملة غير عادلة، تحيز أو تمييز "ضد"، التى سجلت من أواخر ق ١٩). سُجلت sex-privilege امتياز جنسى بهذا المعنى

اللافت من أواخر ق ١٩ لكن سبقتها استعمالات فيها مفارقة أو نسبياً فيها تفضل لامتياز privilege كشيء خاص بالجنس "the sex" بالمعنى القديم القاصر على النساء. تبين feminism نسوية (أحياناً تكتب femininism) "خصال النساء" خلال معظم ق ١٩، لكن هناك إشارة إلى مجموعة نسوية "Feminist" في باريس في عام ١٨٩٤ وإلى مبادئ النسوية "doctrines of Feminism" التي أصبحت حركة عامة في سنة ١٨٩٥.

عندما نصادف الآن عبارات مثل "جنس sex وعنف في التلفزيون" يبدو معظم تاريخ sex السابق غريباً. تستعمل الكلمة بثقة واضحة على أنها تعني النشاط الجسدي أو التظاهر به. يبدو أن sex بهذا المعنى كانت في الاستعمال العامي بحلول أوائل ق٢٠، غالباً عندئذ كبديل مهذب لعبارات عامية أخرى أقدم. هكذا نجد "gave him sex أعطته جنساً" و "having sex يمارس جنساً". يبدو أنها أصبحت شائعة بل حتى مبتذلة من عشرينيات ق٢٠ التي شهدت أيضا ظهور sexy جنسي/مثير للجنس في الصحافة البريطانية متبعة الصحافة الأمريكية، وبروز sex appeal جاذبية جنسية التي سجلت فيها مسابقة أمريكية من منتصف ق٢٠. من نفس هذه الفترة سجلت sex-life حياة جنسية و sex-repression كبت جنسي وكذلك متدني الرغبة الجنسية undersexed، رغم أن oversexed سجلت في زمن مبكر (١٩٠٨).

تبعت sexuality جنسانية/نشاط جنسي نفس المسار من التطور. علمياً الكلمة وصفية من أواخر ق ١٨، وحتى وقت متأخر (١٨٨٨) كان هناك هذا التمييز في دليل العلم الطبي: "للرجل جنس sex، للحيوانات المنوية الدقيقة جنسانية sexuality". مع ذلك بحلول ١٩٨٣ هناك اقتباس مألوف: ' chuckling sexualities نشاطات جنسية فيها ضحكات خافتة" "تحت تأثير الكحول غير المنتظم". ربما تكون الكلمة قد عادت منذ ذلك الحين إلى المعنى الأعم والمجرد (جنسانية) حيث أنه عند هذا المستوى هناك بدائل مهذبة كثيرة.

سجلت sexualogy كعلم للعلاقات الجنسية من ١٨٨٥ لكــن حلــت محلهــا الأمريكية sexology فى أوائل ق٢٠. دخلت sexism تمييز جنسى و sexist مميز جنسياً كوصفين نقديين للمواقف والممارسات الجنســية المتحيــزة ضــد النســاء الاستعمال العام من ستينيات ق٢٠، وكان ذلك أولاً فى أمريكا. تتبع هذه الصــيغة اللفظية racism عنصرية أكثر من اتباعها racialism (قارن RACIAL) الأسبق. تم لاحقاً توسيع التعبير فى بعض الاتجاهــات كنقــد لكــل أو معظــم الخصــائص (سيكولوجية وثقافية واجتماعية) التى تميز بين الجنسين the sexes. لهذا الســبب، ولكن على الأرجح بدرجة أكبر بسبب ظلال المعانى التــى تجمعــت حــول sex (قارن رفض وجهات نظر عن النساء أو تقديمهن كلعب جنس sex-objects)، بــدأ بعض الكتاب استعمال الكلمة البديلة gender. يرجع أصلها إلى generare، لاتينية: ينجب، لكن اكتسبت مع الكلمتين المقاربتين genre نوع و genus "جــنس" معنــى محدداً، وفى حالة gender يكاد يكون معناها محصوراً تماماً فــى النحــو. لكــن استعمل التعبير أحياناً من قبل خارج نطاق النحو كما فى قول جلادستون: "لم يكن عند أثينا شيء من الجنس sex إلا gender الجنوسة، لاشيء من المرأة إلا الشــكل" (١٨٧٨). هذا مثله مثل استعمالات أخرى كثيرة فى هذا المجــال مــن المفــردات مدعاة لنقاش مستمر وهام جــداً، ولهذا آثار فائقة على اللغة.

انظــــر: FAMILY أسرة، INDIVIDUAL فرد، LIBERATION تحرير، PRAIVATE خاص، SUBJECTIVE ذاتى

## اشتراكى SOCIALIST

ظهرت socialist كوصف فلسفى فى أوائل ق ١٩. جــذرها اللغــوى هــو المعنى المتطور لـــ social اجتماعي. لكن يمكن فهم ذلك بطريقتين مختلفتين، مما كان له تأثيــر عميق على استعمال التعبير من قبل اتجاهين مختلفــين جذريــــاً. بمعنى (١) كانت social مجرد تعبير وصفى لمجتمع society بمعنى الكلمة السائد لنظام من الحياة المشتركة؛ ما يسعى إليه social reformer المصلح الإجتماعى هو

إصلاح هذا النظام. بمعنى (٢) كانت social تعبيراً مؤكـداً ومميـزاً يتعـارض بوضوح مع نظريات للمجتمع تتعلق بالفردى individual، لكن كذلك بشكل خـاص بصفة الفردانية individualist. بالطبع كان هناك كثير من التفاعل والتداخل بـين هذين المعنيين لكن يمكن ملاحظة أثرهما المتفاوت من البداية فى تشكيل التعبيـر. كانت صيغة رائجة لمعنى (١) هى فعليـاً استمرار لليبراليـة LIBERALISM (ا م): إصلاح، بما فى ذلك إصلاح شامل للنظام الاجتماعى بغرض تطوير ونشر وتأكيد القيم الليبرالية liberal الرئيسية: حرية سياسية، إزالة الامتيازات والظلم الرسـمي، عدالة اجتماعية (يتم تصورها كإنصاف بين أفراد ومجموعات مختلفة). تحركـت صيغة رائجة لمعنى (٢) فى اتجاه مختلف تماماً: اعتبر شكل فردانى individualist وتنافسى مـن أشـكال المجتمع - بالتحديد الرأسمالية الصـناعية ونظـام العمـل المأجور- عدوا لأشكال المجتمع "الاجتماعية" حقا: أى تلك التـى اعتمـدت علـى تعاون وتبادل فعلى لا يمكن بدورهما إنجازه ما دامت هناك ملكية خاصـة private (فردية individual ) لوسائل الإنتاج. لا يمكن تحقيق حرية فعلية ولا يمكن إنهـاء التفاوتات الأساسية ولا يمكن توطيد العدالة الاجتماعية (التـى تـم تصـورها الآن كنظام اجتماعى عادل بدلاً من مجرد إنصاف بين أفراد ومجموعات مختلفة يقوم به النظام الاجتماعى القائم) إلا إذا تم استبدال مجتمع يعتمـد على الملكية الخاصة PRIVATE (ا م) بآخر ينشأ على السيطرة والملكية الاجتماعيين.

كان الجدل الناجم بين مجموعات واتجاهات كثيـرة كلهـا تسـمى نفسـها socialist اشتراكية طويلاً ومعقداً ومريراً. كل اتجاه رئيسى وجـد تعـابير بديلـة للآخر وغالباً ما تكون هذه ازدرائية. لكن حتى عام ١٨٥٠ تقريباً كانت الكلمة من الجدة والعمومية بحيث تعذر استعمالها بشكل سائد. الاستعمال الأبكر الذى عثـرت عليه فى الإنجليزية كان لدى هازليت فى كتابه "أشخاص تمنـى المـرء رؤيـتهم" (١٨٢٦)، الذى أعيد طبعه فى Winterslow (١٨٥٠) حيث يكتب مستعيداً حـديثاً من ١٨٠٩ تقريباً: "هؤلاء الاشـتراكيون socialists المهيبـون والـدهاة تومـاس الأكوينى ودنز سكوتس". تلى ذلك استعمال معاصـر فـى المجلـة الإنجليزيـة المرتبطة بالناشط روبرت أويـن: المجلة التعاونية، عـدد نـوفمبر ١٨٢٧؛ أول

استعمال سياســى فى الفرنسية كان فى ١٨٣٣، وفى الإنجليزية فى ١٨٣٧ (أوين، عالم أخلاقى جديد، جـ٣). (يبدو أنه لا صلة لاستعمال socialismo فى الإيطالية فى ١٨٠٣ بالتطور اللاحق؛ كان معناها مختلفاً تماماً.) آخذين فى الاعتبار الجــو السياسى الملبد فى فرنسا وفى إنجلترا فى عشرينيات وثلاثينيات ق١٩ فإن التواريخ الدقيقة أقل أهمية من الوعى بهذه الفترة كحقبة مميزة. علاوة على ذلك، لم يكــن بالإمكان عندئذ معرفة أى كلمة ستصبح حاسمة. كانت هذه فترة تشــكيل ونقــاش سياسى محموم وحاد، وحتى فترة متأخرة من أربعينيات ق١٩ كانت تعابير أخرى تقف موقف الندية من socialist أو بالفعــل كانــت أكثــر شــيوعاً: co-operative تعــاوني، mutualist تبــادلي، associationist ترابطـــي، societarian جمـــاعي، phalansterian كتائبي، agrarianist مؤيد لتوزيــع عــادل للأراضــى و radical راديكالي. حتى وقت متأخر (١٨٤٨) عرّف قاموس ويبستر الأمريكى socialism اشتراكية على أنها " تعبير جديد لـــ agrarianism دعم توزيع عــادل للأراضــى والممتلكات" رغم أن socialism و socialist كانا عندئذ تعبيرين شائعين فى فرنســا وألمانيا وإلى حد أقل فى إنجلترا. كان الفعلان الناشطان socialize يــدرج/يؤهــل اجتماعياً و socialiser شائعين فى الإنجليزية والفرنسية من ١٨٣٠ تقريباً.

من ١٨٤٠ بدأ يستعمل تعبير بديل هــو شــيوعى COMMUNIST (ا م) فــى فرنسا وبريطانيا. قد يتفاوت معنى هذه الكلمة حسب السياق القومى المستعملة فيه. كان لشيوعى communist فى إنجلترا فى أربعينيات ق ١٩ ارتباطات دينية قويــة وكان هذا لافتاً حيث أن اشتراكى socialist كما استعملها روبرت أوين ارتبطــت بمعارضة الدين ولهذا السبب تم تجنبها فى بعض الأحيان. كان تطور الكلمــة فــى فرنسا مختلفاً عنه فى بريطانيا لدرجة أن إنجلز فى مقدمتـــه *Preface* فــى ١٨٨٨ لاحظ مستعيدا النظر فى مانيفيستو الشيوعية الذى كان قد ألفه هو ومــاركس فــى ١٨٤٨:

"لم يكن بإمكاننا تسميته مانيفيستو الاشتراكية **Socialist**. فى ١٨٤٧ كانت الإشتراكية **Socialism** حركة طبقة وسطي. كانت الإشتراكية محط احترام، على الأقل فى القارة الأوربية؛ بينما كانت **Communism** على العكس من ذلك تماماً".

كان لشيوعية **communist** فى الفرنسية والألمانية معنى حركة نضالية فى الوقت نفسه الذى كانت فيه محبذة فى إنجلترا على اشتراكية **socialist** لارتباط الأخيرة بالإلحاد.

بدأ المعنى الحديث يستقر من ستينيات ق١٩، وبالرغم من التمييزات والتهجيات السابقة فإن **socialist** و **socialism** برزتا على أنهما السائدتين. ما برز كذلك فى هذه الفترة هو معنى (٢) السائد الذى جعلته مألوفا مجموعة من الكلمات القريبة: تعاوني، تبادلي، ارتباطى والكلمة الجديدة (من خمسينيات ق ١٩) **COLLECTIVIST** تجمعي. بالرغم من أنه لم يزل هناك جدل داخلى كبير ومعقد أصبح **socialist** و **socialism** تعبيران عامان مقبولان منذ هذه الفترة. رغم التمييز الذى حصل للكلمة فى أربعينيات ق ١٩ فإن **communist** استعملت استعمالاً محدوداً، وتبنت الأحزاب فى التراث الماركسى بعض الصيغ المختلفة لـ **social** و **socialist** فى مسمياتها: عادة **Social Democratic** ديمقراطى اجتماعى التى عنت التزاماً بالاشتراكية **socialism**. حتى فى الجدل الداخلى المرير والمتكرر فى فترة ١٨٨٠-١٩١٤ تم التمسك بهذه الأسماء. فى هذه الفترة، فى الغالب استعملت **COMMUNISM** (ا م) إما كوصف لصيغة مبكرة للمجتمع – **primitive communism** شيوعية بدائية – وإما كوصف لشكل نهائى للمجتمع يمكن تحقيقه بعد المرور بمرحلة الإشتراكية. مع ذلك، فى هذه الفترة أيضاً أحيت بقوة حركات تصف نفسها بأنها **socialist** اشتراكية مثل الفابيون الإنجليز **English Fabians** جانباً من معنى (١) حيث اعتبرت الاشتراكية **socialism** ضرورية لإتمام الليبرالية **liberalism**، بدلاً من كونها نظرية معارضة وبديلة للمجتمع. بالنسبة لبرنارد شو وآخرين كانت الاشتراكية **socialism** هى "الجانب الاقتصادى للنموذج الديمقراطي" (مقالات فابية، ٣٣)، وتحقيقها كان يتطلب إطالة محتومة للاتجاهات السابقة التى

مثلتها الليبرالية. من اللافت أنه فى معارضة وجهة النظر هذه وفى تأكيد مقاومة النظام الاقتصادى الرأسمالى لمثل هذا التطور "المحتوم"، استعمل وليام موريس الكلمة communism. تأثرت كذلك "النضالية" النسبية لشيوعى communist بمثال كميون باريس Paris Commune، لكن كان هناك نقاش هام عما إذا كان التعبير الصحيح المشتق هو شيوعى communist أو communard كميوني.

حدث التمييز الحاسم بين socialist اشتراكى و communist شيوعي، كما يستعمل هذان التعبيران عادة الآن، عند تغيير اسم حزب العمل الديمقراطى الاجتماعى Social-Democratic الروسى ( بلاشفة) فى ١٩١٨ إلى حزب كل روسيا الشيوعى Communist ( بلاشفة). منذ ذلك الحين أصبح شائعاً بشكل واسع التمييز بين اشتراكى socialist و شيوعى communist، غالباً بتفصيل مساند للكلمة الأولى، مثل ديمقراطى اجتماعى social democrat أو اشتراكى ديمقراطى democratic socialist رغم أنه مهم ملاحظة أن كل الأحزاب الشيوعية communist، تبعاً لاستعمال سابق، استمرت فى تسمية نفسها socialist اشتراكية وتكريس نفسها للإشتراكية socialism. يستمر كل اتجاه فى إنكار التسمية على معارضيه ومنافسيه، لكن ما حدث فعلاً هو إعادة بروز المعانى المختلفة فى الأصل للتعبير social ومن ثم socialist فى تعابير جديدة. من يعتمد معنى (٢) لـ social يكون على حق فى اعتبار أنواع أخرى من socialist اشتراكية مرحلة جديدة من liberalism الليبرالية (وبالتالى يسمونهم باحتقار فى الغالب ليبراليين liberals)، بينما من يعتمد معنى (١) ويلاحظ علاقة طبيعية بين قيم ليبرالية و socialism تكون لديهم دوافع لمعارضة socialists الاشتراكيين الذين هم فى رأيهم أعداء التراث الليبرالى (حيث تكمن الصعوبة دائماً فى التفسيريين البديلين لليبرالية: (أ) حرية سياسية مدركة على أنها حق فردى individual وتجد التعبير عنها اجتماعياً فى أحزاب سياسية متنافسة؛ (ب) فردانية individualism مدركة على أنها قيم وممارسات تنافسية وعدائية للرأسمالية تقوم الحقوق الفردية individual والمنافسة السياسية فقط بالتمهيد والتهيئة لها).

تقدم تعابير أخرى مقاربة تعقيدات إضافية. هناك التطور الهام فى وسط ق ١٨ لفوضى ANARCHY (ا م) ومشتقاتها. استعملت anarchy فتنة فى الإنجليزية من ق ١٦ بمعنى عريض: "هذه الحرية أو الرخصة غير الشرعية تسمى Anarchie" (١٥٣٩). لكن هذا المعنى السياسى المحدد الذى يفسر غالباً كمعارضة لحاكم فرد - " Anarchism أناركية ... كون الشعب دونما أمير أو حاكم" (١٦٥٦) (حيث المعنى قريب من معنى ديمقراطية democracy المبكر) - كان بوجه عام أقل ذيوعاً من المعنى العام: اضطراب وفوضى. مع ذلك عرّف بنثام فى ١٧٩١ الأناركى anarchist بأنه من "ينكر شرعية القانون... ويحرض كافة الناس على النهوض كفرد واحد، ويعارض تطبيقه"، وهذا هو أيضاً بمعنى مقارب للديمقراطية المبكرة. ما كان فعلاً جديداً من وسط ق ١٩ هو التبنى الإيجابى للمصطلح من قبل بعض المجموعات كتعبير عن موقفها السياسي؛ معظم التسميات الأولى كانت من معارضيها. بحلول أواخر ق١٩ مثلث anarchism و anarchist استمراراً محدداً لمعانى سابقة لكل من democracy ديمقراطية و democrat ديمقراطي، لكن فى نفس الوقت اكتسبت كل من ديمقراطية وبدرجة أقل socialism اشتراكية معانى إيجابية وعامة جديدة. عارض الأناركيون الاتجاهات الجامدة static لمعظم الحركة الاشتراكية، لكنهم أصروا على التبادلية mutuality والتعاون cooperation كمبدأين للتنظيم الذاتى للمجتمع. عارضت بعض المجموعات الفوضوية الحكم المستبد بوسائل قتالية militant وعنيفة VIOLENT (ا م)، لكن هذا لم يكن نتيجة ضرورية أو عامة للمبادئ الأناركية، وكان هناك على أية حال تشابك معقد بين مثل هذه السياسات وتعريفات اشتراكية لثورة REVOLUTION (ا م). لكن تم بيسر نسبى إلصاق معانى الفوضى والاضطراب المتبقية (كثيراً ما كان فى ذلك ظلم واضح) بالأناركيين: كانت معانى lawlessness المتنوعة - من عمل إجرامى مؤثر إلى معارضة قوانين وضعها آخرون - حاسمة فى هذا السياق. كانت militant قتالي/نضالى فى الوقت نفسه تمر بتطور مقارب: كانت معانيها المبكرة فى الإنجليزية أوضح ضمن مفهوم نشاط مكرس أكثر من معنى جذر الكلمة military عسكري، وكان استعمالها السائد حتى أواخر ق ١٩ فى الدين:

مناضــل كنسي church militant (من أواخر ق ١٥)؛ "مادمنا في هذه الدنيا فــإن حالتنا نضالية militant" (ولكنز، دين طبيعي، ١٦٧٢)؛ "الكنيسة دائمــا نضــالية militant" ( نيومان، ١٨٧٣). تم تحويل الكلمة بشكل فعال من نشاط دينــي إلــى اجتماعى خلال ق ١٩: "نضالى militant فى محاولة التفكيــر تفكيــرا صــائبا" (كوليردج، صديق، ١٨٠٩)؛ "حالة عادية مــن النضــال militancy ضــد الظلــم الاجتماعي" ( فرود، ١٨٥٦). حدث التطور الإضافى من نضــال سياســي إلــى صناعي/عمالى فى ق٢٠ وتم نسيان معظم تاريخ الكلمة السابق سوى فى حــالات نادرة. كان هناك أيضاً ارتباط ملحوظ – كما هو الحال مع anarchism – بمعانى اضطراب وعنف. دخلت solidarity تضــامن، بمعناهــا كاتحــاد فــى النشــاط الصناعي/العمالى أو السياسي، الإنجليزية فى وسط ق ١٩، من (س م)solidarité، فرنسية، أواخر ق ١٨. ظهرت EXPLOITATION استثمار/استغلال فى الانجليزية فى وسط ق١٩، فى الأساس بمعنى عمل مربح لمساحة أرض أو لمادة، ومن وسط ق ١٩ بمعنى استخدام أشخاص آخرين لتحقيق ربــح (أناني)؛ اعتمدت فــى كــلا المعنيين على (س م) exploitation، فرنسية، أواخر ق ١٨.

صك تيرجنيف nihilist عدمى فى روايته "آباء وأبناء" (١٨٦٢). اختلاطها بأناركى anarchist واســع الانتشــار. بــدأت populist شــعبوى فــى أمريكــا منPeople's Party حزب الشعب فى أوائل تســعينات ق ١٩؛ انتشــرت بســرعة وتستعمل الآن فى الغالب – فى تمييز لها عن socialist – للدلالة على الاعتمــاد على عواطف ومصالح شعبية بــدلاً مــن حركــات ونظريــات معينــة (مبدئيــة principled). ظهرت syndicalist نقابى فى الفرنسية فى ١٩٠٤ وفى الإنجليزيــة فى ١٩٠٧؛ مرت عبر ائتلافات مع anarchism (فى تركيزها على التبادلية) ومع socialism.

عرف التعبير الأكثر شيوعا اليسار the Left من ق١٩ من مصادفة ترتيب الجلوس فى البرلمان، لكن لم تكن شائعة كوصف عام قبل ق٢٠ ولا يبدو أن leftist يسارى و leftism يسارية استعملتا فى الإنجليزية قبل عشــرينيات ق٢٠. تنتمــى

الصفة الازدرائية lefty "يسارى"، التى كان لها بعض الانتشار من ثلاثينيات ق٢٠، بشكل رئيسى إلى خمسينيات ق٢٠ وما بعد ذلك.

انظر: ANARCHISM فوضوية، CAPITALISM رأسمالية، COMMUNISM شيوعية، DEMOCRACY ديمقراطية، INDIVIDUAL فرد، LIBERAL ليبرالي، SOCIETY مجتمع

## مجتمع SOCIETY

كلمة society الآن واضحة بمعنيين رئيسيين: التعبير الأعم لمجموعات المؤسسات والعلاقات التى يعيش ضمنها عدد كبير من الناس؛ والتعبير الأكثر تجريداً للحالة التى تتشكل فيها مثل هذه المؤسسات والعلاقات. يكمن الاهتمام بالكلمة جزئياً فى العلاقة الصعبة بين المعنيين السابقين: التعميم والتجريد. بشكل رئيسى يكمن الاهتمام فى التطور التاريخى الذى يتيح لنا قول "مؤسسات وعلاقات"، وأفضل وسيلة لإدراك ذلك هو عندما نتذكر أن معنى society الرئيسى كان عشرة أو رفقة.

دخلت society الإنجليزية فى ق ١٤ من (س م) socéité، فرنسية قديمة، societas، لاتينية، (س ب) socius، لاتينية: رفيق. شملت معانيها حتى وسط ق ١٦ "ترابط حقيقى بين الزملاء" كما فى ثورة الفلاحين فى عام ١٣٨١، ومعنى علاقة عامة - "يحتاج أحدهم إلى مساعدة الآخرين، ومن ثم تنشأ المحبة والألفة ... societie بين كل الناس" (١٥٨١) - ومعنى أبسط يدل على العشرة أو الصحبة: "صحبتك your society" (أواخر ق١٦). يبين مثال من ١٥٦٣ - "ألفة أو عشرة society بيننا وبين المسيح" - كيف أن هذه المعانى المتميزة يمكن ببساطة أن تتداخل فى الواقع. هكذا يبدو أن الاتجاه نحو المعنى العام أو المجرد كامن فى الكلمة، لكن حتى أواخر ق ١٨ كانت المعانى الأخرى المباشرة والفعلية هى الشائعة. يمكن ملاحظة تلك المعانى فى مثالين مقتبسين من شكسبير. فى

"عربدتى السابقة، فى علاقاتى societies الطائشة" (زوجات ونـــدزور المرحـــات، فصل ٣، مشهد ٤) كانت society معادلة تقريبا لعلاقـــة أو لأحـــد معـــانى كلمـــة associations روابط، بينما فى "سيندمج شخصنا فى Society المجتمع " (ماكبيـــث، فصل ٣، مشهد ٤) المعنى ببساطة هو مجموعة من الضـــيوف مجتمعـــة. يمكـــن إيضاح معنى الارتباط المقصود لغرض معين (هنا لتمييز اجتماعي) بمثال " مجتمع القديس جورج" (أخوية الرباط، ق ١٥) وعلى نطاق واسع جداً اســـتمر اســـتعمال الكلمة بهذا المعنى.

يمكن ملاحظة تعزيز المعنى العام من وســـط ق١٦. كـــان ذلـــك متوســـط الوضوح فى "الأرض غير محروثة، المجتمـــع societie مهمـــل" (١٥٣٣) لكنـــه واضح رغم أنه ليس مستقلا فى "يســـمى الكومنولـــث common wealth مجتمعـــاً society أو جهدا مشتركا لحشد من الرجال الأحـــرار" (١٥٧٧). كـــان واضـــحاً ومستقلا فى "المجتمع هو تضافر وتوافق كثيرين لخلق وحـــدة" (١٥٩٩)، وفـــى ق ١٧ بدأت استعمالات الكلمة بهذا المعنى تتكاثر وبدلالة أرسخ: "تبجيل واجـــب ... نحو المجتمع Society الذى نعيش فيه" (١٦٥٠). لكـــن مازالـــت آثـــار المعـــانى المبكرة واضحة فى " قوانين المجتمع والسلوك Çonversation المهذب" ( تشـــارلز الأول، ١٦٤٢؛ هنا تحمل conversation معناها الأسبق كأسلوب معيشة قبل إضافة معنى "حديث" المألوف ( من ق ١٦)؛ كان التطور يجرى بالنسبة لهذه الكلمة كمـــا فعل بالنسبة لـــ society لكن هنا جرى تخصيص الكلمة فى النهاية فـــى الاتجـــاه المعاكس). كذلك تعزز المعنى المجرد: "صالح المجتمع البشرى Human Society" ( كدورث، ١٦٧٨؛ أنظر HUMAN) و " لمصـــلحة المجتمـــع society" (١٧٤٩). من ناحية أصبح التجريد أكثر اكتمالاً بتطور مفهوم "مجتمـــع a ociety" بـــالمعنى العريض. اعتمد هذا على معنى جديـــد لـــ "نسبية relativism " (قارن CULTURE) لكن فى تحول "a society " من مفهوم قـــوانين عامـــة للارتبـــاط association أو للزمالة fellowship إلى مفهوم قوانين محددة تشكل مجتمعاً محدداً تمهيد للمفهـــوم الحديث الذى لا تكون فيه قوانين المجتمع لغرض الانسجام مع آخرين بقـــدر مـــا تكون قوانيناً أكثر تجريداً ولا شخصية وتقوم بتحديد المؤسسات الاجتماعية.

كان التحول معقداً جداً، لكن الطريقة المثلى الآن لملاحظة ذلك هو دراسة society بالمقارنة مع state دولة. طورت state، من معناها الأعم والمستمر لحالة ( state of nature حالة الطبيعة، state of siege حالة حصار، من ق١٣) معنى متخصصاً كان معادلا تقريبا لـ estate طبقة/منزلة (كل من state و estate من س م estat ، فرنسية قديمة، status ،لاتينية: حالة) وفعليا معادلا لـ rank مرتبة: " مرتبة نبيلة noble stat" (١٢٩٠). ارتبطت الكلمة ارتباطا وثيقا بالملكية والنبالة، أى بتنظيم تراتبى للمجتمع: قارن "مرتبة state الكهنة ومرتبة الفرسان والثالثة طبقة staat العامة" (١٣٠٠). كانت States أو Estates طبقات تعريفا مؤسساتيا للسلطة من ق١٤ بينما كانت state كـ "منزلة" الملك عامة فى ق١٦ وأوائل ق١٧: "and honour state منزلة وشرف" (١٥٤٤)؛ "يتناسب مع منزلة state رفيعة" (١٦١٦)؛ "للملك ... ثروتك ومنزلتك State العظمى" ( بيكون، ١٦٠٥). من هذه المعانى مجتمعة طورت state معنى سياسياً مقصوداً: "حاكم الدولة "state" (١٥٣٨)؛ "دولة State البندقية" (١٦٨٠). لكن لم تزل state فى الغالب تستعمل على أنها الربط بين سلطة عليا ونوع معين من الرتبة. كانت statist اسماً شائعاً للسياسى فى ق١٧، لكن عبر الصراعات السياسية فى ذلك القرن تبلور الصراع الجوهرى فى النهاية بطريقة يميزها التعبيران society و state: الأولى، اتحاد لأفراد أحرار مستندة على معان فعالة سابقة؛ الأخيرة، تنظيم للسلطة يعتمد على معانى الهرمية والسلطان. كان مفهوم المجتمع المدنى civil society (انظر CIVILIZATION) فكرة بديلة للترتيب الاجتماعى social order، ومن خلال التفكير فى المسائل العامة لهذا الترتيب الجديد ترسخت society بمعانيها الأعم وفى النهاية بمعانيها المجردة. عبر تغيرات سياسية كثيرة لاحقة استمر بوضوح هذا النوع من التمييز: المجتمع هو ما ننتمى إليه جميعنا، حتى لو كان الانتماء عاماً ولا شخصياً؛ الدولة state هى جهاز السلطة.

كان التحول الحاسم لـ society نحو معناها الأعم والأكثر تجريداً (مازال حسب التعريف مختلفاً عن state) هو تطور من ق ١٨. "فحصت بعناية مؤلف هيوم " بحث فى مبادئ الأخلاق" (١٧٥١) للعثور على استعمالات للكلمة معتبرا

"صحبة رفاقه" علي أنها معنى (١) و"نظام حياة مشتركة" كمعنى (٢) فوجدت أن هناك ٢٥ استعمالاً حسب المعنى الأول و١١٠ استعمالاً حسب معنى (٢)؛ لكنى وجدت أيضاً فى بعض النقاط الهامة من النقاش، حيث يمكن أن يكون معنى society حاسماً، ستة عشر استعمالاً للكلمة بمعنى فى جوهره متوسط. يوضح هيوم، بالمصادفة، التمييز الضرورى لـ society فى وقت بدأت تفقد فيه معناها الأكثر فعالية والمباشر؛ استعمل، كما نفعل، الكلمة البديلة company:

"كما أن الصدمات المتبادلة فى المجتمع society وتعارض المصالح والإيثار أجبرت البشر على وضع قوانين للعدالة ... بنفس الطريقة التناقضات الأبدية، فى العشرة company، فى كبرياء الناس وغرورهم وضعت قواعد السلوك أو الأدب ..." (بحث، جـ٨)، فى الوقت نفسه استعمل فى نفس الكتاب society بدلا من company بهذا المعنى المباشر بينما نحن نتحدث الآن، عندما نود لسبب من الأسباب إحياء المعنى القديم، عن علاقات face-to-face "وجها لوجه"؛ وفى العادة نضيف: ضمن جماعة COMMUNITY (ا م).

بحلول أواخر ق ١٨ كانت society كنظام للحياة المشتركة سائدة: "كل مجتمع society يستفيد من أعضائه المعوزين أكثر مما يستفيد من أثريائه"(١٧٧٠)؛ "نظامان أو برنامجان مختلفان للأخلاق" يسودان فى الوقت نفسه فى "كل مجتمع كان فيه فى وقت سابق تمييز حسب المرتبة rank" ( آدم سميث، ثروة الأمم، جـ ٢، ١٧٧٦). كان التطور اللاحق للمعنيين العام والمجرد مباشراً.

يمكن ملاحظة تطور مقارب فى social التى كانت تعنى فى ق ١٧ إما associated معاشر وإما sociable اجتماعى النزعة، رغم أنها استعملت كذلك كمرادف لـ "civil" مدنى/أهلي، كما فى "social war" حرب اجتماعية (أى أهلية). بحلول أواخر ق ١٨ كان المعنى بشكل رئيسى عاماً ومجرداً: "الإنسان مخلوق اجتماعى social ؛ أى لا يستطيع إنسان مفرد أو أسرة البقاء أو البقاء بشكل حسن بعيداً عن المجتمع Society ككل". (مع ذلك يجب ملاحظة أن Society هنا، كما تبينه إضافة "كل" لا تزال مباشرة بدلاً من مجردة.) بحلول ق١٩ يمكن

اعتبار society بوضوح كاف موضوعاً يسمح بتشكيل صيغ مثل " social reformer مصلح اجتماعي" (رغم أن social استعملت أيضاً ولا تزال لوصف الصحبة الشخصية؛ قارن social life حياة اجتماعية و social evening سهرة اجتماعية). في الوقت نفسه، باعتبار المجتمع كموضوع أو كشيء (المجموع الموضوعي لعلاقاتنا) فإنه كان ممكناً تحديد العلاقة بين "الإنسان والمجتمع society" أو "الفرد والمجتمع" كإشكالية. تدل هذه الصيغ على البعد عن المعنى السابق كزمالة فعلية. كانت المشاكل التي تبرزها هذه الصيغ، في التطور الفعلي للمجتمع، واضحة بشكل ملحوظ في استعمال الكلمة social في أوائل ق١٩ لمعارضة فكرة society مجتمع كتعاون متبادل مع تجربة مجتمع (النظام الاجتماعي the social system) كتنافس فردي. لم يكن بالإمكان وجود هذين التعريفين البديلين لمجتمع لو لم يكن المعنى الأعم والمجرد قد رسخ بحلول هذه الفترة. من توكيد social اجتماعي هذا بالمعنى الإيجابي بدلاً من الحيادي، وفي تمييز لها عن فردي INDIVIDUAL (ا م)، تطور التعبير السياسي اشتراكي SOCIALIST (ا م). استعملت صفة بديلة societal مجتمعي في الإثنولوجيا من أوائل ق٢٠ ولها الآن دلالة أوسع وأكثر حيادية للتشكيلات والمؤسسات الاجتماعية.

يتطلب استعمال محدود متخصص لـ society ملاحظة إن لم يكن تعليقاً. انحصر معنى سابق لـ good society دل على صحبة جيدة حسب عرف تلك الصحبة على Society مجتمع بصفته الجزء الأكثر تميزاً وأناقة من society بقية المجتمع: الطبقة العليا upper CLASS (ا م). يقدم بايرون (في دون جوان، جـ ١٣) مثالا جيدا لهذا المعنى المتبقي والذي يرتبط بشكل رئيسي بالقرن١٩:

المجتمع الآن حشد مصقول

مكون من قبيلتين عظيمتين: المضجرين والضجرين Bores and Boring

من المفارقة أن هذا التعبير الخاص هو المعنى الأخير الواضح لـ society كصحبة فعلية لزملاء من نفس الطبقة. في مجالات أخرى، تحركت مشاعر من هذا

القبيل، لأسباب تاريخية واضحة، إلى جماعة COMMUNITY (ا م) وإلـــى المعـــانى التى لا تزال مباشرة لـــ social.

انظر: CLASS طبقة، COMMUNITY مجتمع، INDIVIDUAL فرد، SOCIALIST اشتراكى، SOCIOLOGY علم اجتماع

## علم اجتماع/سوسيولوجيا SOCIOLOGY

كان أول من استعمل sociology هو "Comte كونـــت" فـــى عـــام ١٨٣٠ وظهرت فى الإنجليزية أول مرة فى ١٨٤٣: مِل فى كتابه "المنطق"، جـــ ٦ ومجلة بلاكوود (فى مقال عن كونت). كتب سبنسر مبادئ السوسيولوجيا فى ثلاثة أجزاء بين ١٨٧٦ و ١٨٩٦. من أعمال دوركهايم بالفرنسية وفيبر بالألمانية عند منقلـــب القرن توسع الموضوع بشكل ملحوظ. استند التعبير على معانى متطورة لمجتمـــع SOCIETY (ام) و social اجتماعي. عرّف التعبير ضمن عدة نظـــم معرفـــة كعلـــم SCIENCE (ا م) المجتمع. تحمل sociological معنيين: إشارة إلى أشكال هذا العلم وإشارة أعم (تحل فيها غالباً محل social) إلى اتجاه أو حقيقـــة اجتماعيـــة (قـــارن factors sociological عوامل سسيولوجية؛ قارن أيضاً تكنولـــوجى technological حيث وقع تحول مشابه من الصيغة المجردة). اكتسبت sociologist، التى استعملت فى البداية بشكل عام لدارس المجتمـــع، معنـــى مهنيـــاً محـــدداً حـــين أصـــبحت سوسيولوجيا مقرراً فى الدراسة الجامعية؛ لا تزال تستعمل مع ذلك بطريقة عامـــة فى نفس مجال الاستعمال العام لسوسيولوجى sociological. نتيجـــة لافتـــة لهـــذا التداخل للدلالات المهنية والعامة هى أن sociology نفسها تســـتعمل فـــى الغالـــب للإشارة إلى أى اهتمام عام فى الممارسات الاجتماعية وذلك فى تعارض غالبا مع أنواع أخرى من الاهتمام تزعم أن فى وسعها عزل أو استبعاد the social الجانب الاجتماعي. فى الوقت نفسه غالباً ما تصـــر السوســـيولوجيا sociology المهنيـــة، خاصة فى الدول التى تكون فيها ضعيفة، على ابتعادها عن النظريـــة الاجتماعيـــة social theory أو النقد الاجتماعى social criticism وتعيد تســـمية نفســـها علـــم

المجتمع science of society حسب المعانى المحددة والخاصة للاستقصاء والقياس الكمــى الإمبيريقي. ضمن تراث أعم فى السوسيولوجيا sociology لا يزال هناك تركيز على أساليب أخرى من الاستقصاء.

انظـــر: ANTHROPOLOGY أنثروبولوجيـــا، SCIENCE علـم، SOCIETY مجتمــــع

## معاييــــر STANDARDS

فى المفرد standard كلمة معقدة لكنها ليست بالغة الصعوبة. ينطلق هــذا القول أيضاً على جمعها العادى. لكن standards حالة من نــوع اســتثنائى مــن الجمع - ما يمكن تسميته مفرد جمع - حيث تحمل صيغة الجمع دلالة مفــردة؛ مثالان آخران مشابهان هما: morals أخلاق و values قيم.

إيتمولوجيا الكلمة standard معقد. تطورها الرئيسى تمثل فى إسقاط حــرف العلة الأول من الكلمة (س م) estaundart، نورمندية-إنجليزية، estendart، فرنسية قديمة، من (س ب) extendere، لاتينية: يمد، يبسط التى أدت بطريقة أكثر مباشرة إلى extend يمد و extension توسيع. حملت صيغتاها الانتقاليتان - standardum و standardus - هذا المعنى لأصل الكلمة فى اسم العلم الإنجليزى ( كما لا يزال فى Royal Standard الراية الملكية) الممتد من سارية (من ق ١٢). لكن اكتســبت من ق١٣ معنى مختلفاً لشيء مستقيم أو منتصب، وربما كان ذلك مــن الارتبــاط بعرض الأعلام لكن الأرجح هو تشويش الكلمة بالاسم من الفعــل stand يقــف: stander التى تؤسس لعدة استعمالات حديثة بمعنى مــادى مختلــف: standard lamp مصباح على حامل و standard rose وردة قائمة دونمــا ســند. تطــور المعنى الحديث الأكثر مدعاة للاهتمام فى مجال يشمل "مصدر سلطة" و"مســتوى الإنجاز" فى ق١٥ وكان ذلك على الأرجح من ارتباط بالراية الملكيــة كعلامــة على مركز السلطة. اســتعملت standard بشــكل واســع فــى مجــال الأوزان

والمقاييس: the standard foot القدم المعياري. لكن كذلك توسعت لتشمل مواضيع أخرى بالمعنى العام لنموذج موثوق للدقة والصواب. هكذا فى ق ١٥ كانت هناك إشارة إلى standard book كتاب معتمد فى الخيمياء. فى أوائل ق ١٨ كتب شافتسبرى بطريقة مؤثرة عن الحاجة إلى standard معيار للذوق TASTE (ا م) مجادلاً بأن "هناك فعلا معيار قائم ... فى العادات والسلوك الخارجي" ( تأملات متنوعة، جـ ٣).

استمرت كل هذه المعانى لكن فى ق ١٩ حصلت بعض التطورات الهامة. فى وسط ق ١٩ كانت هناك حالة لافتة: Standard English الإنجليزية الفصحى: اعتمد استعمال (أساسه طبقى) مختار للغة على أنه النموذج الموثوق للدقة والصواب و استخدم ، مدعوما بشكل كبير من قبل المؤسسات التعليمية، لإدانة معظم الناطقين الأصليين للإنجليزية بأنهم يتحدثون لغتهم "بطريقة خاطئة". كان هناك فرض، فى التعليم أيضاً، لمستويات معينة من الجدارة - standards معايير - فى القراءة و الكتابة والحساب؛ فى إحدى الفترات كانت هذه عوامل فى تقدير رواتب المدرسين. سميت الفصول الدراسية التى تهدف إلى الوصول إلى هذه المستويات من الكفاءة فى التعليم الابتدائى Standards ( فصل ٢ إلى ٦). تم الإصرار على الكلمة كتعبير للتقويم والتصنيف وارتبطت بشكل عام بمفهوم التقدم المتدرج ضمن تراتب هرمى ( قارن العبارة المعاصرة the educational ladder السلم التعليمي، التى وضعها على الأرجح ت. هكسلى واستخدمت فى مدارس الهيئة التى تشرف عليها Educational Board الهيئة التعليمية).

من هذه الفترة شاعت standards سواء كجمع عادى أو جمع مفرد. فى مجالات كثيرة يمكن بدقة صياغة المعايير standards التى جمعت بهذه الطرق كما هو الحال فى British Standards Institution معهد المعايير والمقاسات البريطانية. كذلك كان من الطبيعى أن يمتد هذا الاستعمال إلى أمور كانت دقة القياس فيها أقل لكن يمكن فيها حسب الطلب وضع نماذج ومواصفات لمستويات محددة من التحصيل أو الكفاءة. هذا هو الجمع العادي. أما الجمع المفرد فإنه

مختلف تماما حيث الإشارة فى الأساس إجماعية توافقية CONSENSUAL (ا م) ("كلنا نعرف المعايير standards الفعلية") أو، بإبهام مقصود، إقناعية ("كل من يهتم بالمعايير standards سيوافق"). فى الغالب من المستحيل فى هذه الاستعمالات معارضة بعض افتراضات standards معايير دون الظهور بمظهر المعارض لفكرة "النوعية" ذاتها؛ إن أعظم تأثير للجمع المفرد يقع فى هذا المجال. يمكن لبعض الحالات المقارنة أن تسهم فى فهم ذلك. يمكن أن تعنى شخصا دون "أخلاق morals" أو شخصا دونما حس أخلاقى أو شخصاً تتعارض أفكاره وأفعاله مع الأعراف المحلية السائدة. يمكن أن تعنى " اهتماما بالقيم values" أو اهتماماً بتمييز القيم النسبية أو دعماً لتقديرات (إجماعية) معينة. لو نظرنا فى عبارات شائعة مثل Western values قيم غربية أو University Standards معايير جامعية فإنه يمكننا ملاحظة التفاوت بوضوح. يمكن تحديد كل عبارة تحديداً إضافياً فى بعض الاستعمالات. لكن حيث أن Western civilization حضارة غربية ليست مجرد تراث TRADITION ( ام) وإنما هى عملية اجتماعية معقدة ومتنوعة تاريخيا، تشمل اختلافات ونزاعات جذرية بالإضافة إلى اتفاقات فكرية وعملية، وحيث أن الجامعات، التى لها فى كل وقت معايير دقيقة معينة، تغير أيضاً هذه المعايير وتختلف حولها مع الأخذ فى الاعتبار تفاوتها بين مجتمعات وفترات مختلفة، فإنه حالما يظهر، عن طريق طبيعة أى تحديد إضافى أو عن طريق نوع الاستجابة إلى طلب بخصوص هذا التحديد، عما إذا كانت values القيم و standards المعايير هى صيغ جمع حقيقية عادية تجمّع عدداً من المواقف والأحكام المحددة أو صيغ مفرد جمع يتم فيها تصوير جوهر الحضارة أو الجامعة على أنه تجميع معين لتقديرات valuations ومعايرات standardization محددة. من الهام جداً أن معنى standards معايير الشائع (إطرائي) يتعارض مع معنى standardization معايرة الشائع (إزدرائي). دخلت standardization الاستعمال فى أواخر ق ١٩ من العلوم science (قياس أو معايرة شروط التجربة) ومن ثم الصناعة (معايرة القطع parts). لم تكن الكلمة مثار جدل فى هذه الاستعمالات لكنها عورضت بشدة فى تطبيقها على أمور تخص العقل والخبرة – "لا يمكن معايرة standardize الناس"،

"يجب ألا يعاير التدريس" - من قبل عدد من الناس من ضـمنهم أولئـك الـذين يصرون علـى "المحافظة على standards المعايير". على الأرجح يعتمـد هـذا الاستعمال الغريب على استغلال مجموعة المعانى من Royal Standard راية ملكية ( محترمـة) إلى standard foot قدم معيارى (مقبولة فى موضعها لكن هنا غير ملائمة). تستند قوة المفرد الجمع دائماً عنى كون الكلمة لا تكتشف كمفرد. إذا لـم تكتشف فإنه يمكن استعمالها لتجاهل نقاش ضرورى أو لاستحواذ عمليـة التقـدير والتحديد ذاتها لأهداف معينة.

تتوجب ملاحظة إضافية عن العبارة standard of living مستوى المعيشـة. هى الآن شائعة إلا أنها صعبة أحياناً. كانت صيغتها الأولى، مـن وسـط ق١٩، standard of life مستوى الحياة وما زالت هذه غالباً ما تستعمل كبديل. مع ذلك، كما ندرك عندما نفكر بخصوص standard، يبدو أن التعبير يعنى ضمنياً مستوى محدداً أو مستوى ضرورياً بدلاً من، كما هو الحال الآن فى الاسـتعمال الشـائع، وضع اجتماعى عام أو متوسط وضع اجتماعي. استعملت أولاً بـالمعنى الصـارم لمعيار: عنت standard of life المستوى الضرورى من الدخل والأوضاع للبقـاء على الحياة بطريقة مرضية. (بالطبع نشأ جـدل حول ذلك، ويمكن أن يتفاوت هذا المستوى فى مجموعات وأوقات وأماكن مختلفة، لكن كان للتعبير معنى دقيق عندما استعمل للمرة الأولى فى حملة من أجل وضع حـد أدنـى للأجـور: سيوضـع standard معيار ويمكن الحكم على الأجر بالرجوع إليه). كان هذا مستوى الحياة standard of life بمعنى محـدد واستيعادى (مرجعي). لكن العبارة تطورت (بعد تعريفها، مثلاً، فى قاموس أكسفورد) نحو معناها الشـائع الآن: الـدخل الفعلـى و الأوضاع الفعلية التى نعيشها الآن. فى الوقت الذى فقدت فيه العبـارة المرجعيـة القياسية لمعيار standard احتفظت بالرغـم من ذلك بمفهوم القياس. كان هنـاك جدال عما إذا كان بالإمكان فعـلاً قياس مستوى المعيشة أو الحيـاة بينما فى نفس الوقـت استعملت إحصاءات الدخل و الإستهلاك وسواها لتحديد ذلـك. يمكـن القول أن "معيار ماض Standard Past" حـل محلـه "معيـار حاضـر Standard Present". لكن هناك أيضاً استعمال يستند إلى معنى آخر لمعيار standard: لـيس

القياس المتفق عليه لكن، بطريقة مجازية، العلم (الراية): المعيار **standard** الــذى نضعه لأنفسنا؛ معايير **standards** ملائمة للعناية بالصحة؛ مستوى **standard** ملائم للمعيشة. هذا معيار مستقبل **Standard Future**: المقــاييس القديمـــة أو التصـــنيفات القائمة ليست كافية وسنهدف إلى شئ أفضل. إنه استعمال مثير للإهتمام إلـــى حــد كبير. بدلاً من الرجوع إلى مصدر للسلطة أو تبنى وضع حالى قابل للقياس، يــتم تصور و وضع معيار **standard** من أفكار حول أوضاع لم نحققها بعد لكن نعتقــد أنه يتوجب تحقيقها. هناك تاريخ اجتماعى فعال فى هذا التطور للعبارة.

انظـــــر: **DIALECTIC** ديـــاليكتيكى/جــدلى، **TASTE** ذوق، **WESTERN** غربى

## منزلة STATUS

أصبحت **status** كلمـــة هامـــة فى ق ٢٠. استعارتها الإنجليزية مباشـــــرة من **status**، لاتينية: حالة/وضـــع التى أدت مبكراً إلى **state** حالة/دولـــة و **estate** حالة/منزلة. لا تزال تستعمل فى الغالـــب فى صيغ لاتينيـــــة مثـــل **"status quo"** الوضع الراهن. كانت للكلمة استعمالات قانونيـــة مـــن ق ١٨ لتحديـــد "حقـــوق، واجبات، قدرات أو عدم كفاءة" (١٨٣٢) واستمرت بهذا المعنى (قـــارن **marital status** حالة زوجية). نشأ توسعها إلى معنى اجتماعى أعــم من هــذا النــــوع مـــن الاستعمال: "الوضع (القـــانوني) **status** كشـــخص حـــــــر أو مســـتعبد" (١٨٦٥)؛ "وضع **status** الزنوج القانوني" (١٨٨٨)؛ "الوضـــــع المـــدنى **civil status** للممثلين" (١٩٠٤). كان هناك بوضوح توسع فى قول مِـــــــل: "وضـــع **status** العامـــل اليومي" (١٨٤٨)، وربمـــا كذلك فى "وضـــــع **status** مهنـــي" (١٨٨٣) حيث الإشارة الضمنية إلى وضع عام بدلاً من وضع قانوني.

أصبحت الكلمة صعبة بسبب استعمالها بمعنى عام جديـــد فـــى قســـم مـــن السوسيولوجيا الحديثة حيث تقدم دائما كتعبير أدق وقابل للقياس وذلك تفضيلاً لهـــا

على CLASS طبقة. من المستحيل توضيح ذلك دونمـا الإشـارة إلـى المعـانى الاجتماعية الرئيسـية الـثلاث لطبقـة class: group مجموعـة، rank مرتبـة و formation تشكيل. بوضوح ليس لـ status استعمال واضح بمعنى مجموعـة أو تشكيل، وأهمية الكلمة الفعلية كونها تعبير جديد ومجدّد لـ "مرتبة rank" (متجاوزة ارتباطات ذلك التعبير الموروثة و الرسمية). بالتالى يمكن أن تحـل status محـل class فقط بهذا المعنى من معانيها. فى معظم الأحيان يعزى هذا الاستعمال إلـى ماكس فيبر وبالذات إلى نقده لمفهوم ماركس لطبقة class. لكن فـى هـذا خلطـا. كانت كلمة فيبر stand التى كثيرا ما نترجم الآن كوضـع status، لكـن يمكـن ترجمتها بطريقة أدق كمنزلة Estate و Order ترتيب، مع إشارة إلى - وتأثـر بـ - التعريفات القانونيـة لـ rank. يمكـن توسـيع هـذا المعنـى ليشـمل مجموعـة اجتماعية لهـا دوافع سوى العوامل الاقتصادية البحتة لطبقـة حسـب مفهـوم ماركس الرئيسي: دوافـع مثل المثل والمعتقـدات الاجتماعيـة الملائمـة للمجموعـة أو لحالة اجتماعية واضحة المعالـم. فى سوسيولوجيا أحدث حمل هذه الملاحظة الاجتماعية المهمة المعنى المجرد لتنظيم متسلسـل عـام: "وضـع اجتماعى social status ... الموقع الذى يحتله شخص أو أسرة أو مجموعة قرابية داخل نظام اجتماعى وذلك بالنسبة إلى آخرين ... للوضع الاجتماعى social status تصنيف هرمى يحتل فيه قلة المواقع العليا ..." (قاموس السوسـيولوجيا؛ ميتشـل، ١٩٦٨). أضيف تطوير تقنى استثنائى إلى التصور المفصل لهذا النموذج التنافسى والهرمى للمجتمع. الوضع status "دائم التغيـر" لكـن لـه "تجمعـات" قابلـة للملاحظة؛ هذه هى ميزات الكلمة كتعبير للقياس مقارنة بـ class أو rank وهـى تحتفظ كذلك بمعناها الإضافى كمجموعة group أو تشكيل formation محدد. هذه هى أيضا عيوبها حيث أن التعبير يرث (من ارتباطاته التقليديـة) عناصـر مـن الاحترام واحترام الذات التى لابد وأن تشوش العملية الموضوعية ظاهريا لتحديـد الوضع status-determination. فى الوقت الذى يكون لمرتبة rank ألقاب وأوشحة فإن لوضع status رموزا symbols. لكن المهم فى دلالته هو أن هذه الرمـوز لا تعرض فحسب ولكنها تكتسب: عندئذ تخـتلط العلامـات الموضـوعية أو شـبه

الموضوعية مع الأمارات الذاتية أو تلك التى هى مجرد مظهرية. بشكل خاص، من الأهمية بمكان أن كلمة **status** تقترب بهذا المعنى المحدد ولكن الشائع الآن من **class** وإن بمعنى مختزل بطريقة متعمدة (**rank** مرتبة). لهذا ميزة مزدوجة فى الظهور بإلغاء **class** بمعنى تشكيل أو حتى مجموعة عريضة وفى إعطاء نموذج للمجتمع ليس فقط هرمياً وفردى التنافس ولكن محدذا جوهرياً بناءً على الاستهلاك وعلى عرض أو إظهار **display** ( أنظر **CONSUMER**). هكذا اعتمد "ميزان مستمر **continuous scale** للوضع الاجتماعي" على "أسلوب الحياة كما يتمثل فى غرفة المعيشة الرئيسية للمنزل". هذا بالتأكيد موضع اهتمام لكنه اختزل **society** مجتمع إلى هذه السلسلة من الوحدات موضحة حسب الممتلكات الخاصة. بينما تصنف الوحدات إلى مجموعات حسب الوضع **status-group** أو حتى **status-system** نظام وضع، فإن أسلوب "الحياة" الذى يجرى قياسه هو الحياة كما عرفها "استطلاع السوق" سواء كسلع و خدمات أو كـ "رأى عام". ما كان فى الماضى تعبيراً للوضع القانونى أو الوضع العام (والذى كان فى صيغته الأسبق فى **estate** منزلة يدل على تشكيلات اجتماعية فعالة) هو إذا فى استعماله الحديث المألوف تعبير إجرائى لاختزال كل المسائل الاجتماعية إلى مصطلحات مجتمع استهلاكى متغير.

انظر : **CLASS** طبقة، **CONSUMER** مستهلك، **SOCIETY** مجتمع

## بنائى STRUCTURAL

كلمة **structure** هى (مع الكلمات المرتبطة بها) كلمة أساسية فى الفكر الحديث وهى معقدة بشكل خاص فى كثير من تطوراتها الحديثة. ترجع إلى (س م) **structure**، فرنسية، **structura**، لاتينية، (س ب)، **struere**، لاتينية: يبني، يشيد. فى استعمالاتها الأولى، من ق ١٥، كانت **structure** بشكل رئيسى اسم عملية: فعل البناء. فى معناها تطورت الكلمة، بشكل ملحوظ فى ق ١٧، فى اتجاهين

رئيسيين: (١) نحو الناتج الكامـل للتشييد، كما لا يزال فـي "a wooden structure بناء خشبي"؛ (٢) ونحو طريقة البناء، ليس فقط في المبـاني ولكـن كـذلك فـي استعمالات أوسع ومجازية. ترجع معظم التطورات الحديثة إلى (٢)، لكن لا يـزال يوجد التباس في العلاقة بين هذه التطورات وما هي في الواقـع معـاني مجازيـة متطورة لمعنى (١).

إن المعنى الذي أصبح مهما كجزء من (٢) هـو كون "العلاقـة المتبادلـة للعناصر أو الأجزاء المكونة لـ "الوحدة الكاملـة whole" تحـدد طبيعتهـا". بوضوح هـذا توسع لمعنى طريقة بناء، لكن من المميز أن الكلمة تحمـل معنـى واضحاً لبنية داخلية internal structure حتى فـي الوقـت الـذي لا تـزال فيـه structure مهمة لوصف البنـاء ككل. كانت استعمالات الكلمة الأولى المتخصصة في التشريح - "structure بنية اليد" ( أوائل ق١٧) وظلت مهمة في التطور العـام للبيولوجيا، غالباً في تمييز لها عن وظيفـة function ( مـن س م functionem، لاتينيـة، س ب fungi: يـؤدي) حيـث يمكـن تفريـق ملاحظـة الأداء functioning (الصحيح) لعضو عن ملاحظة بنية structure الكائن الحي. مع ذلـك لم يزل هناك في تطورات ق ١٨ نطاق معاني مفهوم يمتد من البناء الكامـل إلـى التكوين الداخلي. لم يقتصر استعمال structure على الأجساد بل شـمل التماثيـل. كذلك استعملت لوصف المعالم الرئيسية لمنطقة. في الاستعمالات البيولوجية عـادة ما يكون معنى (٢) واضحا: "بنية وتكوين داخلي" (١٧٧٤). لكن عندما نصـادف مثلاً، من ١٧٥٧، "البنية structure الخاصة للعقل والإحساس عند كـل شـخص"، فإنه ليس واضحاً أبداً إذا ما كان هذا يدل بشكل رئيسي على علاقـات داخليـة أو النتيجة الكاملة لعملية (البنـاء) والتطوير. كان هناك التباس مشابه في استعمالاتها في الكتابة: "بنية structure بيت الشعر عنـده" (١٧٤٦) و "بنيـة ... الجمـل" (١٧٤٩): كلاهما يحمل معنى عملية البناء لكن العبارة الأولى تشير على الأرجـح بشكل رئيسي إلى النتيجة الكاملة بينما تشير الأخرى بشكل رئيسي إلـى علاقـات داخلية. في الجيولوجيا هناك، من ١٨١٣، مثال لا لبس فيه بمعنى تحليلي هو في طور التعزيز: "بنية structure الأجزاء الداخلية".

ظهرت structural بنائي في وسط ق ١٩. في استعمالاتها الأولى كــررت نطاق معاني structure لكن كان هناك تأكيد متزايد على البناء الداخلي كمكــوّن. استعملت بطريقة عامة جداً لأمور البناء والهندسة ( قارن تعريفاً جديــداً للهندســة على أنها "تصمم وتطور بنيات structures، مكائن، أجهزة أو عمليات تصنيع...") حيث تعرّف مبادئ البناء بأنها structural بنائية، وتــدل structure هنــا كــأمر طبيعي على كل من طريقة و عملية البناء وكذلك على العمل المكتمل. مــع ذلــك اعتمد على معنى structure كمكوّن للدلالة ليس فقط علـــى بنـــاء construction أساسي ولكن، بالتأكيد، على بناء داخلي: فـــي الجيولوجيــا مــثلاً نجــد: "بنـــائي structural حيث يؤثر في الطبيعة الجوهرية للكتلة وليس مجرد شكلها الخارجي". تكرر هذا في "اختلافات بنائيـــة structural تفــرق بــين الإنســـان والغـــوريلا" (١٨٦٣). هذا إتمام للمعنى السابق "علاقات متبادلـــة للأجــزاء المكونـــة للوحـــدة الكاملة" مع تركيـــز خاص على تحديد تنظيم العناصر وعلاقتها التبادليـــة داخـــل وحدة معقدة. عبرت عن هذا المعنى كل منstructural evidences علامات بنائية و structural relations علاقات بنائية من سبعينيات ق ١٩. في مجال التشـــييد كـــان هناك بحلول أواخر ق ١٩ تمييز تقليدى بين structural وزخرفي decorative مما عزز معنى الهيكل الداخلي أو العملية. سميت العلوم التي تستعمل هـــذا التأكيـــد أو التركيز بنائية structural: structural botany علـــم نبـــات بنـــائـــــــي (١٨٣٥)؛ جيولوجيا بنائيـــــة (١٨٨٢)؛ كيميـــاء بنائيـــة (١٩٠٧)؛ structural engineering هندسة بنائية (١٩٠٨).

تتوجب علينا معرفة هذا التاريخ إذا أردنا إدراك التطور الهـــام والصــــعب لبنائية structural و structuralist بنيوية كمصـــطلحين حاســـمين فـــي العلـــوم الإنسانية وبشكل ملحوظ في اللغويات والأنثروبولوجيا. يمثل التأكيد أو التركيز في اللغويات linguistics، التي لم تعط هذا المسمى في البداية، تحولاً مـــن الدراســـات المقارنة والتاريخية إلى الدراسات التحليلية، وأصبح هذا ضرورياً بسبب صـــعوبة فهم لغات كانت خارج نطاق المجموعات التقليدية التي تطـــورت فيهـــا المنـــاهج السابقة. كان من الضروري، خاصة بالنسبة لحالة لغات الهنـــود الأمـــريكيين، أن

تطرح جانباً الإفتراضات السابقة والتماثلات المستمدة من دراسات مقارنة وتاريخية للغات الهندوأوربية ، وبدلا عن ذلك تدرس كل لغة "من الداخل" أو، كما صيغت لاحقاً، بنائياً structurally. فى نفس الوقت استعملت مناهج أكثر دقة وموضوعية لدراسة اللغة ككل و بدأت إجراءات هذه الدراسة الأساسية تسمى بالكلمة التى كانت متوفرة فعلاً، من العلوم الفيزيائية، لهذا التأكيد أو التركيز: structures. إلى هذا الحد لم تكن هناك أية صعوبة محددة لكن صعوبة التسمية أصبحت حاسمة وأدت إلى مشاكل واضحة. فضلت structure على process عملية لأنها ركزت على نظام علاقات معقدة ومحددة والذى غالباً ما يكون على مستويات عميقة جداً. لكن بالرغم من ذلك كان موضوع الدراسة عمليات حية بينما عبرت structure بطريقة دالة، بناء على استعمالاتها فى البناء والهندسة وفى علم التشريح والفسيولوجيا وعلم النبات، عن شيء ثابت ودائم نسبياً، بل صلب. عزز التطور الكبير لمفاهيم structure فى الفيزياء، رغم أنها (المفاهيم) ذاتها توضح الفرق بين بنيات structures ثابتة static وأخرى متحركة أو ديناميكية، عزز معنى علاقات داخلية عميقة لا يتم اكتشافها إلا بأساليب معينة من الملاحظة والتحليل. لم تؤد بالضرورة الخطوة الأولى، التى سعت لنبذ بعض أساليب الدراسة التقليدية لأنها شملت إفتراضات مسبقة مستمدة من مواد مختلفة تماماً، إلى كل المعانى اللاحقة لبنائية structural أو، كما تسمى الآن، structuralist بنيوية. كانت اللغويات البنائية structural أسلوب تحليل للظاهرة العامة للغة بناء على النظام الجوهرى لإجراءاتها الأساسية. من المفارقة أن تتم الآن فى الغالب معارضة المدرستين الوظيفية functionalist بالبنيوية structuralist فى الأنثروبولوجيا، ويلقى ذلك دعما من التمييز التقليدى فى البيولوجيا بين وظيفة (أداء) وبنية (نظام) الذى يجد بدوره تأييدا فى السوسيولوجيا حسب سبنسر، لكن اللغويات البنيوية و الأنثروبولوجيا الوظيفية المبكرتين اشتركتا فى التركيز على دراسة نظام معين، لغة أو ثقافة، حسب شروط كل منهما، طارحين جانباً أية إفتراضات مسبقة عامة أو تقليدية مستمدة من لغات وثقافات أخرى أو من تعميمات عن اللغات والثقافات بصفتها كيانات متكاملة. انتهى الآن هذا التداخل لكنه يذكّر بتعقيد التمييز. يمكن

مقارنة تعقيدات form شـــكل و FORMALISM (ا م) المشابهة، حيـث يمكـن أن تعنى formal إما مظهرا (غالباً سطحياً) وإما ميزات وتفاصيل formation تشـكيل التى توضح هيئة معينة. كذلك مشابهة صعوبات الكلمة systematic. ترجع system إلى (س م) systema، يونانية: وحدة كاملة منظمة، واستعملت من ق ١٧ لتسـمية نظامين معينين: إما مجموعة set أو نظم مثل النظـام الشمسـى solar system أو النظام العصبى nervous system. يعزى سبب هذه التسمية إلـى اكتشـاف تنظـيم وعلاقات متبادلة لوحدة كاملة معقدة: وهذا معنى يتداخل مع أحد معانى structural ولا يزال قريباً منه حتى فى الاهتمام بالتفاصيل الإجرائية فى أمور مثل systems analysis تحليل نظم. لكن استمرت system أيضاً بمعناها كنظام كامل؛ مجموعة مبادئ؛ بحث منظم؛ نظرية THEORY (ا م) (كان هناك تمييز من وسط ق ١٨ بين system نظام و ممارسة practice)؛ ونظام اجتماعى كامل ("النظام الاجتمـاعي"، "النظام"). يمكن إذاً أن تعنى systematic إما بحثاً أو عرضاً كاملاً ومرتباً أو تلـك الميزة البنائية structural التى تخص الطبيعة الجوهرية "المكونة" لتنظيم. بوضوح ظلال المعانى صعبة التمييز. ليس بالسهولة، كما قد يبدو غالباً، تمييز نـوع مـن الإجراءات أو نوع من التعريف عن آخر عن طريق استعمال مصطلحات على هذه الدرجة من التعقيد و التقلب.

هذه هى الحالة بشكل خاص فى نشر البنيويـة structuralism. فـى أمريكـا ولأسباب تاريخية كان اللغويون دائما وثيقى الصلة بالأنثروبولوجيا. ولا يمكن فهم انتشار البنيوية المؤثر إلا عندما يؤخذ ذلك فى الحسبان. هنـاك تنويعـات كثيـرة ومساحات التباس كبيرة، لكن التوكيد الرئيسى يقع على بنيات دائمة عميقة تكـون فيها التنوعات الملحوظة فى اللغات والثقافات أشكال forms. كـان هنـاك رفـض جذرى للفرضيات "التاريخية" (historicism تاريخانية) والنشوئية EVOLUTIONARY (ا م)، وتستعمل الطرق المقارنة بشكل حصرى على structures البنيات التى فقدت تماما (بل رفضت) فى هذا الاستعمال المعنى البديل لإنشاءات ناجزة، ولا تدل إلا على علاقات داخلية "شكلانية" formal. فى ما يمكن تسميته بأرثوذوكسـية بنيويـة اعتبرت هذه البنيات، التى تشمل نطاقاً من المعانى يمتد من القرابة إلى الأسـطورة

والنحو، تشكيلات formations بشرية مكونة دائمة: المعالم المحددة للشعور البشرى وربما للمخ البشرى الفعلي. حسب هذه البنيات تفسر التنوعات الملحوظة أو القابلة للملاحظة. فى هذا ارتباط واضح بتعميمات التحليل النفسى عن الطبيعة البشرية وبتعميمات عقلانية سابقة عن خصائص العقل، ولا داعى للإشارة هنا إلى التداخل الفعلى فى بعض الحالات مع صيغ للمثالية IDEALISM (ا م). هناك اتجاه بديل، يسمى بنيوية تكوينية GENETIC structuralism (ا م)، يؤكد أيضاً على التشكيلات المكونة العميقة، من نوع بنائى structural، لكنه يرى أن هذه التشكيلات تتعرض للبناء وللتحطم فى مراحل مختلفة فى التاريخ، وذلك فى معارضة كونها دائمة ومكوّنة بشرياً. (يستحق الزعم بأن هيجل وماركس كانا بنيويين تكوينيين، فى هذه الحالة، بعض التحرى.) النزاع بين هذين الاتجاهين مهم، لكن من الضرورى تحليل معانى structure إذا كان لأى نقاش كامل أن يتطور. غالبا ما يشترك كل من البنيويين التقليديين (الأرثودوكسيين) والتكوينيين فى القناعة بأن البنيات تحدد DETERMINE (ا م) الحياة البشرية سواء بطريقة مطلقة أو تاريخيا. يرى اتجاه فكرى مؤثر أن البشر لا يعيشون فى البنيات structures أو بواسطتها و لكن البنيات توجد فى البشر أو بواسطتهم. (هذا هو أساس المعنى الإزدرائى الحديث لإنسوية humanism: اختزال الأمور البنائية إلى نزعات أو دوافع بشرية - فردية أو أخلاقية.) واضح أنه فى حالات كثيرة كانت فرضية وجود بنية structure متبوعة بتحليلها المفصل مثمرة جدا فى الإستقصاء حيث يمكن أن يحث ذلك على توضيح علاقات جوهرية كثيراً ما تكون من نوع تحجبه إفتراضات مسبقة أو ضغوط العادة. أعطى هذا تعزيزاً كبيراً لبنيوية structuralism كتأكيد، لكن التحول المتمثل فى جانب من الانتقال من structural بنائى إلى structuralism بنيوية - ليس مفهوم إجراء أو مجموعة إجراءات لكن مفهوم نظام system شارح - كان له آثار مختلفة تماماً. كان هناك بوضوح اتجاه لاعتبار تصانيف الفكر والتحليل كما لو كانت مكونات أساسية. هنا على وجه الخصوص ارتبطت structuralism بنيوية باتجاهات معينة فى السيكولوجيا (حيث تكون Id هذا و Ego أنا والأنا العليا Superego وليبيدو Libido ورغبة الموت Death-Wish أدوار رئيسية يؤديها بشر

حقيقيون بطرق مبنية structured فعلا)، وفى الماركسية (حيث طبقات CLASSES (ا م) أو وسائل الإنتاج هى الأساس ويتمثل البشر فى حياتهم خصائصها المتأصلة). إنها مسألة حاسمة فى وصف أى نظام system أو بنية structure عما إذا كان التأكيد أو التركيز يقع على العلاقات relations بين الناس و بين الناس والأشياء أو يقع على الصلات relationships التى تشمل العلاقات relations والناس والأشياء التى تربطها تلك العلاقات. واضح من تاريخ structure بنية و structural بنائى أنه يمكن استعمال الكلمتين بأى من التأكيدين: ليشمل التشييد الفعلى مع إشارة خاصة إلى أسلوب البناء أو ليعزل أسلوب البناء بطريقة تستبعد طرفى العملية - المنتجين (الذين لهم مقاصد مرتبطة بالأسلوب المختار بالإضافة إلى خبرة مستمدة من المادة المراد إنتاجها) والمنتج، بمعناه الجوهري، الذى هو أكبر من مجموع علاقاته المكونة الشكلانية، وبوضوح أكبر من تجريد لها. فى البنيوية التقليدية كان الفرز الفعلى لكل من المنتجين والمنتجات الجوهرية - اختزالها بالتحليل إلى علاقات عمومية محددة - مقبولاً بشكل خاص عند من هم متعودون على إجراءات مشابهة فى التكنولوجيا الصناعية وفى صيغ إدارية MANAGERIAL (ا م) للمجتمع. يُخضع الناس الفعليون والمنتجات الفعلية نظريا للعلاقات المجردة الحاسمة. إن البنيوية التكوينية، بتأكيدها على بناء (structuration تشييد) وتفكيك البنيات مهيأة أكثر لتشمل المنتجين والمنتجات (التى تحوى فى هذا التأكيد أكثر من مجرد بنيات دائمة) لكنها ليست بالفعل قادرة على ضمهم و ضمها بطرق جوهرية، بينما التأكيد البنائى structural لا يزال يركز على علاقات داخلية عميقة بدلا من ما يمكن وصفه بطريقة نابذة "محتوى content". فى هذا الصدد مشاكل الشكلانية formalism والمضامين المعقدة لكل من form شكل و formation تشكيل متشابهة جداً. معظم التحليل البنيوى شكلانى formalist بمعنى أنه يفرز الشكل form والمحتوى content ويعطى الأولوية للشكل، بالإضافة إلى كون التحليل البنيوى شكلانى formalist بالمعنى الأوسع والأكثر قبولاً الذى يدل على تحليل مفصل لتشكيل معين. لا يتطلب هذا فرز المحتوى لكن يمكن أن يهتم بالتحديد بأشكال المحتوى forms of content ومحتوى

الأشكال content of forms كعمليات تكاملية. كذلك يمكن أن يكون هــذا اهتمــام بالبنيات structures بالمعنى الواسع الذى يشمل عملية البنــاء والشــيء المبنــى بالإضافة إلى أساليب البناء. لكن هذا مختلف جداً عن الاهتمام ببنيــات structures بمعنى علاقات داخلية مكونة ومجردة.

القضايا التى تتضمنها هذه المجموعة الصعبة من الكلمات مهمة جــداً. فــى الواقع ضرورى بشكل خاص اجراء تحليل بنائى لهذه المجموعة نفســها حيــث أن أحد نتائج التأكيد المجرد لبنية structure هو افتــراض أن البنيــوى structuralist مراقب "موضوعى objective" مستقل، متحرر من كل مــن العــادات والمفــاهيم المرتبطة بأنواع من الملاحظة أكثر سطحية أو إمبيريقيــة EMPIRICAL (ا م). قــد تساعد فى التوضيح بعض الكلمات القريبة. كان هناك استعمال لافت لشفرة code لوصف نظم إشارة sign-systems فى اللغة ومجالات أخرى للسلوك BEHAVIOUR (ا م). كانت code (س م) codex، لاتينية، لها إشارة مادية رئيسية إلى كتلة خشبية يمكن فلقها إلى مصاريع وألواح؛ قارن الكلمة المفتاح القريبــة: text نــص، س م textus، لاتينية من س ب texere: ينســج) مجموعــة منظومــة مــن القــوانين والتشريعات (من ق ١٤) ولاحقاً، بعد توسعها إلى أية مجموعــة منظومــة مــن القوانين بمعنى أقــل رسمية، نظام إشارات حسب الاستعمال العسكرى (أوائــل ق ١٩) والتلغرافى (وسط ق ١٩)؛ و من ثم المعنى السائد الآن: نظــام كامــد يــتم توصيل المعانى عن طريقه و لكن ليس به. من الهام جــداً، كنــوع مــن الــدعم المجازى لافتراض علاقات داخلية خفية من صنف حاسم، أن code الآن تســتعمل كما لو أنها معادلة لأى نظام إشارات، وهذا بالتالى جعل كل عنصر من عناصــر الاتصال جوهريا مجردا، خاصة القائمين بالاتصال. قد تحتفظ code بمعنى نظام قوانين مؤسسة، لكن عنصر الاعتباط الذى يوضحه تطورها الحديث تكــرر فــى استعمالات هامة لكلمات مثل model نموذج و paradigm نموذج/مثــال. كانــت model (من ق ١٦) تمثيلاً لمنشأة مقترح بناؤها. ومن ثم توســعت واســتعملت مجازياً للتعبير عن نمط أو طراز. مازالت تستعمل كذلك، لكن بشكل لافت تستعمل فى الغالب للتعبير ليس فقط عن هيئة مجردة لعملية وإنما تعبر كذلك عن المفهــوم

بأن الهيئة المجردة المختارة حاسمة وفي نفس الوقت وبمعنى أساسي إعتباطية: كان في الإمكان اختيار نموذج model آخر معطيا بشكل جوهري نتائج مختلفة. بالمثل استعملت paradigm، نمط أو مثال، عموماً من ق ١٥ وفي النحو من أواخر ق ١٦ وأصبحت مؤخراً في متناول الجمهور بمعنى فرضية ذهنية دالة (غالباً اعتباطية). بوضوح كل هذه الكلمات، مثلها مثل structure بنية في تطورها الحاسم، هي طرق مهمة للتفكير بعيداً عن العادة والافتراض المسبق. اعترافها بصيغ متفاوتة هام جداً. لكن يمكن، كما هو الحال بالنسبة لبنية structure، أن يتحول صنف ضروري من الفرضية أو التحليل، أحياناً بشكل لاشعوري، إلى تحديد لجوهر. في إحدى صيغ الفكر المعاصر هناك فقط structures بنيات، شفرات codes، نماذج models وأمثلة paradigms: علاقات relations بدلاً من صلات relationships. إن الأهمية التحليلية للتصنيفات يحدده اختزال ضمني أو علني لكل العمليات إلى علاقات بين الأصناف. يمكن (كما في نظرية اللعب game theory) أن يختزل هذا، في بعض الأحيان ضد ما يقصده المستعملون، علاقات جوهرية إلى علاقات مجردة وشكلانية (علاقات بنائية structural بالمعنى الضيق)، ليس فقط في التحليل وإنما أيضاً في الممارسة الفعلية. إذا كان للتحليل أن ينجز فإنه يتوجب علينا أن نكون على وعي بهذه الصفة البنائية للتعابير وأن نقدر كل نتائجها داخل التحليل وخارجه.

انظر: FORMALIST شكلاني، THEORY نظرية

## ذاتي SUBJECTIVE

هذه كلمة على درجة عالية جداً من الصعوبة خاصة في تضادها التقليدي مع objective موضوعي. هذا التضاد صعب تاريخيا بشكل خاص حيث أنه وجد في الفكر القروسطي وإن بطريقة مختلفة جداً بل تكاد تكون مناقضة. استمر ذلك حتى ق ١٧ عندما بدأ كل من التعبيرين يستعمل بطرق جديدة. رغم أن التضاد الحديث له سوابق في ق١٧ و ق ١٨ فإنه لم يتطور بشكل تام في الإنجليزية إلا في أوائل

ق١٩ ولا يزال عند التحرى متقلباً بشكل كبير. الافتراضات الفلسفية التي يبديها استعمال الكلمة المقصود أو تلك التي يخفيها استعمالها التقليدى جوهرية في كلا المرحلتين. علاوة على ذلك، حتى لو قررنا إهمال التضاد السابق والمختلف جداً على اعتبار أنه الآن مهم تاريخياً فقط، فإنه لا تزال تتبقى لدينا معانى لـ subject، مستمدة من تلك الفترة السابقة، تجعل العلاقة بين subject و subjective صعبة بشكل خاص.

ترجع subject – فى الإنجليزية الوسطى soget، suget أو sugiet – إلى (س م) subjet، soget، subjet، فرنسية قديمة، subjectus و subjectum، لاتينية، من (س ب) sub تحت، jacere: يقذف/يلقي. كان معنى الجذر اللاتينى واضحاً فى المعانى الإنجليزية المبكرة: (١) شخص تحت سلطة مولى أو سيد؛ (٢) مادة (٣) مجال بحث وصياغة. لا يزال معنيا (١) و (٣) سائدين فى الإنجليزية: (١) متبقيا، فى نوع من أنواع التفكير السياسي، فى عبارات مثل British subject أحد الرعايا البريطانيين و liberties of the subject حريات الرعية حيث قد تمنح معانى لاحقة لـ subject مسحة إيجابية لكن حيث المعنى يظل لشخص تحت سيطرة أو سلطة، وحيث حريات LIBERTIES (ا م) ليست بالمعنى الحديث الإيجابى وإنما بالمعنى الأسبق لحقوق معينة متاحة ضمن سلطة مطلقة؛ (٣) بشكل شائع، بمعنى مجال أو موضوع أو ثيمة للدراسة أو الكتابة أو الحديث أو لغرض الصياغة أو الرسم: أمر subject يجرى بشأنه بحث أو صياغة. معنى (١) مستمر من ق ١٤ ولا يزال شائعاً بشكل خاص فى subjection إخضاع. معنى (٣) شائع من أوائل ق ١٦.

ترجع object إلى (س م) objectum، لاتينية من (س ب) ob نحو، ضد، فى سبيل، jacere: يقذف/يلقي. كان معناها المبكر فى الإنجليزية: "موقف معارض فى النقاش" – كما لا يزال فى الفعل object يعترض وفى objection اعتراض و obstacle عقبة. تم تبنى معنى حاسما ومنفصلا من objectum، لاتينية وسيطة: شيء "مطروح أمام" الذهن. ومن ثم شيء مرئى أو ملحوظ وبالتالي، بمعنى أعم نشأ فى ق ١٦، "شيء". من معنى "مطروح أمام" الذهن تطور

معنى إضافى : غرض، كما هو موجود فى the object of this operation غرض هذه العملية، وفى الاسم objective هدف.

واضحة الآن تعقيدات وصعوبات هذه المعانى المتطورة. يمكن تخيل جملة كابوســية: " the object of this subject is to subject certain objects to particula study" غرض هذا الموضوع هو إخضاع أشياء معينة لدراسة محددة. لــو أضــفنا إحدى الكلمتين حسب معانيهما الحديثة: objective أو subjective لوصــف هــذا النوع من الدراسة فقد نشعر أننا لن نفيق أبداً.

مع ذلك كل تطور يمكن تفهمه. كــان التمييــز الســكولائى المعتــاد بــين subjective و objective: الأولى عنت الأشياء كما هى عليه فى ذاتهــا (معتمــدة على معنى subject كمادة؛ الثانية عنـــت الأشياء كما تقدم للشعور ("مطروحــة أمام" الذهن). مع ذلك كانت هذه الاستعمالات المعقولة تماما جزءاً من نظرة للعالم مختلفة جذرياً عن تلك التى تفترض، متطورة من أواخــر ق ١٧ وخاصــة عنــد ديكارت، الذات المفكرة كمجال المعرفة الجــوهرى - the subject الشــخص - الذى يتوجب استنتاج الوجود المستقل من عملياته لكل الأشياء الأخــرى: الأشــياء objects مطروحة أمام هذا الشعور. لم يتم أبداً توضــيح المصــطلحات بســرعة وبهذه الطريقة؛ كل تمييز مثل هذا حدث فى وقت متأخر جــداً. هنــاك تعقيــدات وسيطة كثيرة كما فى التعبير subject-matter موضوع بحث. لكن ساعد اتجاهان للمعنى فى هذا التحول: بوضوح تام فى object، خاصة مع وجود المعنى المتطور: شيء؛ بطريقة أقل وضوحا فى subject وعلى الأرجــح لــيس بشــكل رئيســى عبــــر معنى مادة ولكن من معنى subject فاعل المتطور فى النحو من ق ١٧. تأخر استعمال object مفعول به فى النحو حتى ق ١٨.

فى قرنى التحول الأساسى كانت هناك تداخلات وتنافرات. فــى النســخة المعتمدة للإنجيل استعملت subject دائماً بمعنى سيطرة؛ الاستعمال الوحيــد لـــ object كان فى صيغة الفعل: يعارض. يمكن العثور على شــكل معــين للتمييــز القروسطى عند جيرمى تيلور (١٦٤٧) حيث اعتبرت "شهادة بطرس" كـــ "أساس

موضوعى objective للإيمان، والمسيح وحوارييه الأساس الذاتى subjective، المسيح بشكل رئيسى والقديس بطرس بشكل مساعد". مثال آخر، "نور داخلهم ونور خارجهم، نور ذاتى subjective ونور موضوعى objective"، يمكن قراءته بأى من الطريقتين: بالمعنى الحديث الذى يصادف أنه ملائم هنا أو بالمعنى القديم حيث التمييز، كما هو عند تيلور، بين جوهرى وأساسى من ناحية ومساعد وإجرائى من الناحية الأخرى. صعب جداً الآن إدراك التحولات العميقة التى تجرى لهذه المعاني. فى ١٧٢٥ كان هناك استعمال انتقالى لافت عندما تم تمييز "objective certainty يقين موضوعى ... حيث القول دون أدنى شك صحيح فى حد ذاته" عن "subjective certainty يقين ذاتى عندما نكون واثقين من صحة القول".

كان التطور التالى الحاسم للتعبيرين فى الفلسفة الكلاسيكية الألمانية التى نشأت فيها، بالرغم من صعوبات كثيرة، معظم استعمالات التمييز الحديث. حدث التمييز بين subject و object والمحاولات الكثيرة لإثبات اتحادهما النهائى أو تماثلهما ضمن المعانى الرئيسية: subject: العقل النشط أو الفاعل المفكر (فى تضاد فيه مفارقة مع الرعية المذعنة للسيطرة السياسية)؛ object: ذلك الذى هو غير العقل النشط أو الفاعل المفكر (فى تطوير النقاش صنّف هذا إلى أصناف عدة). لا تزال هذه التطورات المحددة، مع تعقيداتها الاستثنائية، مؤثرة جداً، وفى ترجمات واستعارات كثيرة، خاصة من الألمانية و الفرنسية، لا يمكن فهم subject و object و subjective و objective إلا بالرجوع بدقة إلى مصطلحات تلك التطورات. كنتيجة محددة للصيغة الحديثة الطاغية للفكر المثالى وكنتيجة لصيغة مؤثرة من نقد موقفها من وجهة نظر بديلة لكنها تستعمل غالباً نفس المصطلحات، تنتمى المعانى والتمييزات- مثل التضاد بين IDEALISM مثالية وMATERIALISM مادية الذى يرتبطان به فى صيغته الشائعة ارتباطاً وثيقاً - إلى تراث محدد جداً ومغلق على ذاته. من المهم إدراك ذلك حتى لو كنا مقدرين جداً لهذا التراث حيث أن تطور المعانى فى الإنجليزية له كذلك بعد آخر، رغم تأثره بالطبع بهذا التراث بل فى بعض السياقات يتحدد حسبه.

هذا مهم بشكل حاسم بالنسبة لمعظم معاني subjective و objective الإنجليزية الحديثة الأكثر شيوعا. كتب كوليردج في ١٨١٧: "الكلمتان objective وsubjective اللتان تتكرران باستمرار في مدارس الزمن الماضي - تجرأت على إعادة إدراجهما". كانت إشارته سكولاتية لكن استعماله مستمد من الفكر المثالي الألماني. لاحظ دي كوينسي لاحقاً عن objective أن "هذه الكلمة ... التي يصعب الاستغناء عنها للتفكير الدقيق وللفكر العام أصبحت منذ ١٨٢١ شائعة جداً لدرجة أن استعمالها لا يتطلب تبريراً". علينا تصديق قوله وقول كوليردج؛ على الأرجح الأمثلة من ق ١٧ و ق ١٨ نادرة. لكن كان هناك استعمال هام جداً في ١٨٠١: "objective أي مستمدة من object شيء خارجي ... أو subjective، أي توجد فقط في عقل من يصدر حكماً". هناك نبرة في هذا التعريف لـ subjective تلقي بظلالها على المستقبل. في الاستعمالات الفلسفية تم بشكل رئيسي اتباع التمييز الألماني: "subjective ذاتي ... الذات المفكرة thinking subject ...objective ما يتعلق بموضوع object الفكر" (هاملتون، ١٨٥٣). لكن في وسط ق ١٩ وفي صلة بالتحولات التي يمكن ملاحظتها في فن ART (ا م) و artistic فني كان هناك حديث عن subjective style أسلوب ذاتي في الرسم و الأدب ويمكن هنا ملاحظة شكل لثنائية واضحة بدأ يتكون. يقع بالتأكيد ضمن روح الفلسفة المثالية الألمانية وتوابعها الهامة الحديث عن الطبيعة الذاتية subjective - أي انمشكلة بطريقة فعالة - للفن. لكن التمييز بين أنواع subjective ذاتية وموضوعية objective من الفن أو أنواع مماثلة من الفكر هو في النهاية أمر مختلف جداً، إن لم يكن إلا لأنه يفترض إمكانية وجود نوع من الفن أو الفكر لا توجد فيه الذات الفعالة. لكن هذا هو الاستعمال الذي وجد طريقه إلى الانتشار الواسع. من الصعب تحديد تاريخ لذلك بدقة. بوضوح لم يكن هذا التمييز راسخاً بالنسبة لبرايس عندما كتب في ١٨٨٨: " إتمام مسح لوضع السياسة الحزبية بطريقة إيجابية positive تماما، أو كما يقول الألمان بطريقة "objective" موضوعية، لما يفكر فيه الأمريكيون بالنسبة ... لنظامهم"، حيث قد تستعمل الآن بنفس السهولة subjective "ذاتية". محير كذلك وجود POSITIVE (ا م). ما توجب البحث عنه في الواقع هو

تعزيز معنى objective كحقيقى و منصف ( حيادي) ومن ثم موثوق، فى تمييـز لها عن معنى subjective المعتمد على انطباعات بدلاً من حقائق ومن ثـم متـأثر بميول شخصية ونسبياً غير موثوق. لا ريب فى مصدر هذه المعـاني. إنهـا مـن إجراءات POSITIVIST SCIENCE (ا م) العلم الوضعى ومـن المعـانى الإداريـة والسياسية والاجتماعية المرتبطة بذلك لحكم "نزيه" و"حيادي". هكذا تضرب جذور الكلمتين فى العمق، لكن ربما كان فقط من أواخر ق ١٩ وبثقة متزايدة فـى ق ٢٠ أن استقر التضاد التقليدي. تعايش هذه المصـطلحات الوضـعية positivitist مـع مصطلحات التراث المثالى ونقده مدعاة إذا للتشويش بشكل إستثنائي. فـى قضـايا وتقارير يتطلب منا بشكل صريح positively أن نكون objective موضـوعيين: النظر فقط إلى الحقائق متجردين من اهتمامنا وخيارنا الشخصي. فى هذا السـياق يرتبط إحساس بشيء مخز أوعلى الأقل سخيف بذاتى subjective، رغم أن الكـل يعترف بوجود عوامل ذاتيـة subjective factors يتوجب فى العادة منحها أهمية ملائمة. فى الوقت نفسه الإطـار الفلسفى الضرورى لتقويم هـذا النـوع مـن التعريف موجـود فعلا فى المعانى البديلة لكل من subject و object التى تـم تحديدها، و من ثم موجود فى علم معرفة (ابسـتمولوجيا) متقـدم. لكـن علـى المستوى العادى الشائع يتوجب إعادة إدراج subjective والكلمتـين المسـتقلتين حديثًا subjectivism ذاتية وخاصة subjectivity فى نقد مختلف لـ objectivism موضوعية على اعتبار أنها منهج خاطئ للاهتمام بالعالم الخارجى external مهملا العالم الداخلى inner أو الشخصى personal.

هذه هى المعانى التى لدينا الآن. من السهل القول أن هذا subject (مجـال) أو object (موضوع) الاهتمام، لكن المشكلة الفعلية تكمن فى الثنايا التاريخية ضمن كل كلمة وفى الأهمية الفائقة للآثار المتبقية والمختلفة جداً من تطورات عدة والتى تشكّل المعانى البديلة. تقدم عادة معانى مثيرة جدا ولكنها ضـرورية للكلمـات، خاصة subject و object، بيقين وأحيانا بعفوية وسطحية لا تتسبب الا فى نشر التشويش. يمكن القول أنه يتوجب التفكير فـى ذاتـى subjective وموضـوعى

objective ملياً – فى اللغة وليس ضمن أية مدرسة معينة – كل مرة نرغب فـــى استعمالهما بطريقة جادة.

انظر: EMPIRICAL إمبيريقي، EXPERIENCE خبرة، IDEALISM مثاليـــة، INDIVIDUAL فـــرد، MATERIALISM ماديـــة، POSITIVISM وضعية، SCIENCE علـــــم

## ذوق TASTE

كانت كلمة taste بالمعنى الحسى موجودة فى الإنجليزية منذ ق ١٣ رغـم أن معناها الأسبق كان أشمل من التذوق tasting بـــالفم وأقــرب إلـــى الكلمتـين الحديثتين feel يحس و touch يمس. ترجع إلى (س م) taster، فرنســية قديمـــة، tastare، إيطالية: يحس، يجس ويلمس. كان الارتباط السائد بالفـــم واضحا مـن ق ١٤، لكن تبقى المعنى الأعـــم كما هو لمــدة إلا أن الغالــب كـــان توســعه المجازي. سجلت "Good taast" بمعنى فهم جيـــد من ١٤٢٥ و "no spiritual tast" "لا إدراك روحي" من ١٥٠٢. هناك استعمال للكلمة فيه توسع أكبــر فـــى قـــول ملتون "أناشيد ســايون، لكــل الأذواق tasts السليمة المتفوقة (الفردوس المستعاد، جـــ٤)". أصبحت الكلمة هامة وصعبة من أواخر ق ١٧ وبشكل خاص فى ق ١٨ عندمـــا كتبت بحرف استهلالى كبيـــــر كخصلة عامة: "تصحيح ذوقهـــم Taste، للاستمتاع بأمور الحياة" ( شافستبري، تأملات متنوعة، جـــ ٣، ١٧١٤)؛ "القواعد ... كيفية إمكاننا اكتساب ذائقة Taste الكتابة الراقية التى يكثر الحديث عنها فـــى المجتمـــع المتحضـــر" (أديســـون، ١٧١٢). أصــــبحت taste معادلـــة لتمييـــز discrimination: "تعنى كلمة Taste ... تلك الملكة أو المقدرة سريعة الفطنة للذهن التى عن طريقها نميــز بدقة الطيب والخبيث والوسط" (باري، ١٧٨٤). تطورت tasteful حسن الذوق وعديمه tasteless بنفس المرجعية فى نفس الفترة.

من المهم إلقاء نظرة على دلالات مهاجمة وردزورث لــ taste ( فى مقدمة قصائد غنائية، ١٨٠٠). كان ضد الذين "يتحدثون إلينا برزانة عــن ذائقــة taste للشعر، حسب تسميتهم، كما لو كانت شيئا يتسم باللامبالاة مثل الولع taste برقصة الحبل أو التلذذ بفرونترياك أو شيرى (نوعان من المشــروب )". كانــت taste: "استعارة مستمدة من معنى منفعل passive للجسد البشرى وتحولت إلى أشياء فى جوهرها ليست منفعلة - إلى أفعال acts وإجراءات فكرية operations. ليس عمق الشعور ولا روعته ولا سمو الفكر والخيال وشمولهما، ليس أى منها عندما نتحدث بدقة مواضيع لملكة يمكن، دونما الغوص فى روح الأمــم، تســميتها بالاســتعارة Taste ... لا يمكن دون إعمال قوة الذهن المتعاونة عند القارئ أن يكــون هنــاك تعاطف ملائم مع أى من هذين الانفعالين emotions: بلا هذا الحــافز المســاند لا يمكن أن يوجد شعور عميق أو سام". يمكن أن تطرح جانبا مسألة عمــا إذا كــان التذوق الحسى فعلاً إحساس "منفعل". ما قــام بــه وردزورث هــو إحيــاء taste كاستعارة بهدف نبذها (بالمصادفة أمثلته لا تقتصر على النبيذ بل تشــمل رقــص الحبل الذى كانت الإستعارة له فعلاً تقليدية). يبدو أنه لم يكن علــى علــم بالمــدة الطويلة للتحول المجازى - أربعة قرون تقريباً قبل كتابته - وإلا كانــت الإشــارة إلى "الغوص فى روح الأمم" عديمة المعنى. مع ذلك لايزال ما ذكره مهماً بدرجــة قصوى لأنه لم يكن يهاجم taste بقدر ما كان يهاجم Taste. ما حدده بدقــة هــو تجريد ملكة بشرية إلى خصلة مهذبة عامة، مؤكدة بــالحرف الاســتهلالى الكبيــر ومرتبطة ارتباطاً وثيقاً، كما فى مثال أديسون، بفكرة القواعد Rules وعند ســواه بسلوك Manners (التى هى نفسها تقليص من وصف عام للتصرفات إلى ارتبــاط أضيق بالإتيكيت etiquette). حل محل المعنــى المباشــر و الصــريح لـــ taste المعنى الضعيف تحت تأثير صفات Taste المعتادة. علينا فقط أن نفكر فى كلمــات الحس المقاربة، مثل touch يمس أو feel يحس، بمعانيها المجازية والموسعة التى لم تجرد وكذلك لم تستهل بحرف كبير أوتضبط بطرق مشــابهة، لنــدرك الفــرق الجوهري. انعزلت Taste ذوق و Good Taste ذوق سليم عن الحواس البشــرية المباشرة وأصبحت عملية اكتساب قواعــد وعــادات معينــة لدرجــة أن هجــوم

وردزورث لايزال ملائما، رغم تضمن هذا الهجوم مفارقة مـع تـاريخ الكلمـة الفعلي. من اللافت أن tasteful عدلت بطريقة مقاربة وأصبح لها فقط معنى امتثال (غالباً مبتذل أو معتاد) لعادة خارجية، لكن على العموم انفصـلت tasteless عـن Taste وتحمل ولو بطريقة ضعيفة نسبيا المعنى الأقدم والأشمل لـــ feel وtouch وإدراك، غالباً فى سياق أخلاقى بدلاً من جمالي.

جدير بالملاحظة، أخيراً، أنــه لايمكــن عــزل فكــرة taste عــن فكــرة CONSUMER (ا م) مستهلك. فى صيغتيهما الحديثتين، تطــورت الفكرتــان معــاً، وتأثرت بشكل عميق الاستجابات لفن ART وأدب LITERATURE (حتى على مستوى التنظير العالى التطور، قارن CRITICISM) بافتراض أن المشـاهد أو المتفــرج أو القارئ هو مستهلك consumer يمارس وفيمـا بعد يبدى تذوقه taste. (باستمرار تسند هذا الافتراض مفردات "انتقاد"، شعبية ومرتبطة ارتباطاً مباشراً بالطعـام - feast وليمة، on the menu على القائمة، goodies طيبات، الـــخ).

انظـــر: AESTHETIC جمـــالى، CONSUMER مســتهلك، CRITICISM نقد، SENSIBILITY حساسية

## تكنولوجيا TECHNOLOGY

استعملت تكنولوجيا technology من ق ١٧ لوصف دراسة الفنــون (قــارن ART) المنهجية أو مصطلحات فن معين. ترجع إلى (س م) tekhnologia، يونانية و technologia، لاتينية حديثة: معالجة منهجية. الجذر هو tekhne، يونانية: فن أو حرفة. فى أوائل ق ١٨ كان تعريف تكنولوجيا المألوف هــو: "وصــف للفنــون، خاصة الميكانيكية" (١٧٠٦ ؛ قارن MECHANICAL). بشكل رئيسى فى وســط ق ١٩ صارت تكنولوجيــا محصــورة تمامــاً فى الفنون العمليـــة "practical arts"؛ هذه هى أيضاً نفس الفترة التى ظهرت فيها technologist تكنولوجي. مهد المعنى المحدد حديثاً لــ SCIENCE علم وscientist عالم الطريق إلى التمييــز الحــديث

المألوف بين معرفة (science علم) وتطبيقها العملى (technology تكنولوجيا) ضمن أى مجال. يؤدى هذا إلى بعض الارتباك كما هو الحال بين technical تقنى - أمور لها صبغة عملية - وtechnological تكنولوجى التى غالبا ما تستعمل بنفس المعنى لكن يضاف إليه معنى متبق (فى logy علم) لمعالجة منهجية. فى الواقع لا يزال هناك حيز للتمييز بين الكلمتين تكون فيه technique تقنية تركيب أو طريقة معينة وتكنولوجيا نظام لمثل هذه الوسائل والطرق؛ عندئذ تدل technology على النظم systems الهامة فى كل إنتاج وذلك فى تمييز لها عن "التطبيقات" المحددة.

إن technocrat تكنوقراطى شائعة الآن رغم أن technocracy تكنوقراطيا كانت، من ١٩٢٠ تقريباً، مبدأ للحكم government من قبل أشخاص متمكنين تقنياً؛ كان هذا غالباً ضد الرأسمالية فى أمريكا فى عشرينيات وثلاثينيات ق٢٠. أما الآن فتكنوقراطى محصورة فى الإدارة الصناعية والاقتصادية وقد تداخلت مع جزء من معنى بيروقراطى bureaucrat (قارن BUREAUCRACY).

أنظر: ART فن، MECHANICAL ميكانيكي، SCIENCE علم

## نظرية/تنظير THEORY

لكلمة theory نظرية تطور ونطاق من المعانى لافت وتمييز هام عن (لاحقاً تعارض مع) practice ممارسة. كانت الصيغة الإنجليزية الأبكر هى theorique (ق١٤)، تبعتها theory (ق١٦)، من (س م) theoria لاتينية متأخرة، theoria، يونانية: تأمل، مشهد، تصور ذهنى (من theoros، يونانية: مشاهد، س ب thea، يونانية: نظر؛ قارن theatre مسرح/مشهد). فى ق١٧ كان للكلمة نطاق واسع: (١) مشهد: "theory or sight نظرية أو نظر" (١٦٠٥)؛ (٢) نظرة فيها تأمل: "نظرية الموت الحقيقية هى عندما أتأمل جمجمة" (براون، ١٦٤٣) ؛ "لا تمثل كل نظرياتهم theory وتأملاتهم (التى يعدوها علماً) إلا أحلام يقظة وأوهام

مرض" (هارفي، ١٦٥٣)؛ (٣) مخطط (أفكار): "ينفـذ مخططهـم Therole فـي الكنيسـة" (هوكر، ١٥٩٧)؛ (٤) خطة تفسيرية: "أترك مثل هذه الخطـط theories للذين يدرسون الشهب" (١٦٣٨). بشكل واسع نشأ تمييز بـين theory و practice ممارسة فى ق١٧، كما هو عند بيكون (١٦٢٦)؛ "الفلسفة ... تنقسم إلى جـزأين: تأملى speculative وعملى practical" (١٦٥٧)؛ "مرضٍ فقـط علـى المسـتوى النظرى Theory ولكن ليس فى الممارسة Practice" (١٦٦٤)؛ "النظريـة Theorie دون ممارسة Practice لا تكفي" (١٦٩٢). استعملت theoretical نظـرى مـن وسط ق ١٧ للدلالة على اهتمام بـ theory حسب هذه المعانى رغم أن استعمالها المستقر بمعنى "hypothetical فرضي/افتراضي"، الذى عادة ما كان له معنى نابذ أو عازل، لا يبدو أنه وجد قبل أوائل ق ١٩.

من اللافت أن theory نظرية و speculation تأمـل، theoretical نظـرى و speculative تأملي، كانت بدائل متوفرة لها معان جذرية واحـدة. فـى وقتنـا الحاضر يتميز تمييزاً قاطعاً أحد معانى theory عن speculation، وحتـى بشـكل أوضح معنى لنظرى theoretical عن المعنى المقارب لتأملى speculative (يرجع المعنى التجـارى لـ speculative تضاربى إلـى ق ١٨). يعتمد هذا على تطـور مهـم لمعنى theory، بشكل أساسـى مـن معنى (٤) الذى هو فعلياً "خطة أفكـار تشرح الممارسة". لا يزال هناك تحفظ على "scheme خطة"؛ قارن "لو لم تكن أيـة نظرية theory عرضة للاعتراض عليها فإنها تكف عن كونهـا نظريـة وتصـبح قانوناً" (١٨٥٠). لكن theory بهذا المعنى الهام هى دائماً فى علاقـة فعالـة مـع practice ممارسة: "تفاعل بين أشياء منجزة وأشياء مشاهدة والشـرح (المنهجـى systematic) لذلك. يتيح هذا تمييزاً ضرورياً بين نظرية وممارسة، لكن لا يتطلـب تعارضهما. فى نفس الوقت يتضح أن بعضاً من معنيى (٢) و(٣) تبقى بشكل فعال وتتأثر به بطريقة جذرية علاقة practice/theory نظرية/ممارسة التى هـى إمـا حيادية أو إيجابية حسـب معنى (٤)، و يكون هذا التأثير أحياناً مشوشـاً. بمعنـى (٢) الكلمة الأوضح الآن هى speculation تأمل: فكرة متصورة دونما إشارة إلـى practice ممارسة. بمعنى (٣) الكلمة الملائمة هى doctrine مبـدأ أو إيـديولوجيا

IDEOLOGY (ا م)، بشكل رئيسى فكرة مبرمجة للكيفية التى يجب أن تكون عليها الأمور. بالطبع تتداخل هذه المعاني: قد يقود معنى (٢) إلى (٣) وخصوصاً إلى (٤)؛ فى مجالات معينة من العلوم الإنسانية، فى تمييز لها عن العلوم الطبيعية، لا يمكن فى الغالب فصل معنى (٣) عن معنى (٤) لأن practice ممارسة نفسها معقدة. هناك practice بمعنى شيء معين منجز (ومشاهد) الذى يمكن إلحاقه مباشرة بمعنى نظرية (٤). هناك أيضا practice بمعنى فعل معتاد أو متكرر (قارن practice يزاول كفعل) التى تكون فيها علاقة theory/practice فى الغالب تضاد بين طريقة لعمل شيء وطريقة أخرى، كون الطريقة النظرية theoretical هى المقترحة والطريقة العملية practical هى تلك التى تزاول الآن فى العادة. بشكل خاص مهم تمييز هذه العلاقة ليس فقط عن العلاقة بمعنى (٤)، التى غالبا ما تشوشها، وإنما أيضاً عن المعانى الضعيفة للعلاقة فى معنى (٢)، حيث يمكن تضاد "أحلام اليقظة وأوهام المرض" مع practice بمعنى فعل أى شيء (رغم أن اهمال الدلالات الأوضح لمعنى (٢) المتداخلة مع معنى (٣) سيكون مضراً؛ (قارن IDEALISM مثالية). كذلك يجب ملاحظة أن صراحة معنى theory (٤)، التفسير (المنهجي) للممارسة practice التى هى معها فى علاقة فعالة ومنتظمة، يمكن جعله مجحفاً. يمكن تتبع practice مزاولة التى أصبحت تقليدية CONVENTIONAL (ا م) أو معتادة إلى (أو يمكن جعلها واعية بـ) أساسها فى theory نظرية (معنى (٣) أو (٤) وتستعمل theory نظرية عندئذ بطريقة إزدرائية لمجرد أنها تفسر و تعارض (بشكل علنى أو خفي) نشاطاً مألوفاً.

تستعمل الآن بشكل متزايد الكلمة praxis، فى سياقات متخصصة، للدلالة على معنى له صلة بنظرية theory حسب معنى (٤) لكن فى علاقة جديدة مع practice ممارسة. بالنسبة للعلوم الطبيعية معنى (٤) لنظرية بسيط: علاقة تبادلية فعالة بين الشرح والأشياء التى تجرى أو يعمل على حدوثها فى ظروف مضبوطة controlled conditions. استعملت praxis يونانية: ممارسة، نشاط، فى الإنجليزية منذ أواخر ق ١٦ للدلالة على ممارسة فن أو تطبيق فكرة، أو مجموعة أمثلة للإتباع فى الممارسة، أو ممارسة مقبولة. لا تختلف فى أى من هذه المعانى

عن practice ممارسة رغم أن فكـرة "خطـة للممارسـة scheme for practice" يميزها بوضوح عن تضادات theory/practice: praxis براكسس هو أداء منهجـي في مهارة معروفة ومنظمة. لكن هذا لم يكن المعنى السائد فى تطور الكلمـة فـي الإنجليزية. حتى وقت متأخر (١٨٠٠) استعمل كوليردج المعنى الأشمل: "زائـف في النظرية theory وضار فى الممارسة praxis". ينشأ المعنى الحديث المتخصص من تطور في الألمانية، ١٨٤٠ تقريبا، فى الأصـل هيجلـي متـأخر لكنـه الآن ماركسى بشكل خاص، حيث براكسس praxis هى ممارسة practice مبنية علـى معرفة تزودها theory نظرية، وكذلك، رغم أن هذا يحصل علـى تأكيـد أقـل، theory نظرية مبنية على ممارسة فى تمييز عن كل من ممارسة غير مبنية علـى نظرية أو غير مهتمة بها، و عن نظرية تبقى نظرية ولا توضـع تحـت تجربـة الممارسة. فى الواقع هى كلمة قصد بها توحيد معنيـي نظريـة (٣) و (٤) مـع المعنى الأوضح لنشاط practical عملى (لكن ليس تقليدياً أو معتاداً): الممارسـة practice كنشاط action. عندئذ تستعمل براكسس كذلك، بطريقة ثانوية، لوصـف صيغة كاملة من النشاط يمكن فيه، عن طريق التحليل وليس سوى التحليل، تمييـز عناصر نظرية theoretical وعملية practical، لكنه يبقى دائماً نشاط تام وعلى هذا الأساس يجب الحكم عليه. يمكن عندئذ تجاوز التمييز أو التعـارض بـين theory نظرية و practice ممارسة. لهذه النظرة صيغ صريحة و أخرى و اهنة فى نطاق يمتد من ممارسة مبنية على معرفة وواعيه إلـى ممارسـة نظريـة theoretical practice الحديثة التى هى فى معظم أمثلتها نظرية theoretical بشكل فائق أو كما يسميها نقادها الآن theoreticist نظروية.

انظر: DOCTRINAIRE لا عملي، EMPIRICAL إمبيريقـي، IDEOLOGY إيـديولوجيا، RATIONAL عقلانـي، STRUCTURAL بنائى

## تراث/تقليد TRADITION

حسب معناها العام الحديث tradition كلمة صعبة بشكل واضح. دخلت الإنجليزية فى ق ١٤ من (س م) tradicion، فرنسية قديمة، traditionem، لاتينية، من (س ب) tradere، لاتينية: يناول أو يسلم. كان للاسم اللاتينى معانى (١) تسليم، (٢) نقل معرفة، (٣) نقل مبدأ، (٤) استسلام أو خيانة. كان معنى (١) العام فى الإنجليزية فى وسط ق ١٦ ومعنى (٤)، خصوصاً كخيانة، من أواخر ق ١٥ إلى وسط ق ١٧. لكن التطور الرئيسى كان فى معنى (٢) و معنى (٣). كتب ويكلف فى عام ١٣٨٠ تقريباً: "قانون وضعى أو tradycion تراث قاموا هم أنفسهم بوضعه". هنا للكلمة معنى فعال، بينما هناك معنى أقل فعالية كما فى العبارة الدالة من ق ١٥: "the trewe tredicion التقاليد الصحيحة". هذه هى مجموعة المعانى التى تظل مهمة. من ناحية يمكن القول "تسلموا أغانى قديمة عن طريق التراث/التقليد tradition من آبائهم" (١٥٩١): أى انتقال مباشر وشفوي؛ أو مرة أخرى "تقديم أو نقل معرفتنا إلى آخرين ... ساعطى ذلك التسمية العامة تراث أو تسليم Tradition or Deliverie" (بيكون، ١٦٠٥). لكن من ناحية أخرى، برز معنى آخر أكثر صراحة: "هل ستهزأ من تراث Tradition عريق نشأ على احترام و تقدير" (شكسبير، هنرى الخامس، فصل٥، مشهد١)؛ أو:

**انبذ بعيداً الاحترام و التقاليد Tradition والرسميات**

**والواجبات الاحتفالية ... (ريتشارد الثاني، فصل٣، مشهد٢)**

من السهل ملاحظة كيف أن كلمة عامة لأمور تنتقل من أب إلى ابن يمكن أن تصبح محصورة، ضمن نوع من التفكير، على فكرة الواجب والاحترام الضروريين. تبقى tradition فى الإنجليزية كوصف لعملية النقل العامة، لكن هناك معنى صريح وفى الغالب سائد لهذا الواجب والاحترام الملازمين. عندما نلقى نظرة على العمليات المفصلة لأى من هذه التقاليد "traditions"، فى الواقع عندما ندرك أن هناك تقاليدا traditions (جمع صحيح فى تمييز له عن المفرد الجمع الموجود كذلك فى values قيم و standards معايير) وأن بعضها أو أجزاء

منها فقط اختيرت لتكون موضع احترامنا وتبجيلنا فإنه يمكننا فى الواقع تقدير مدى صعوبة Tradition تقاليد بمعناها المجرد أو المناصر، أو، كما هو الأمر فى الغالب، الملزم.

فى بعض الأحيان لاحظ دارسو traditions تقاليد معينة أنه يتطلب فقط جيلين لجعل أى شيء traditional تراثيا: هذا متوقع حيث أن هذا هو معنى tradition كعملية فعالة. لكن الكلمة تتحى إلى التحرك فى اتجاه "age-old عتيق/معمر" وفى اتجاه الاحترام والتبجيل والتمسك بالشكليات. آخذين فى الاعتبار فقط مقدار ما نقل إلينا ومدى تنوعه فى الواقع، فإن هذا يعتبر فى حد ذاته خيانة واستسلامًا.

من ناحية أخرى، خاصة ضمن صيغ من "نظرية التحديث" (أنظر MODERN) فى الغالب تستعمل الآن tradition تقليد و traditional تقليدى بطريقة نابذة ودونما تحديد. فى الواقع يبدو أن traditionalism تقليدية/تراثوية فى طورها أن تصبح محصورة على وصف العادات والمعتقدات غير الملائمة تقريبًا لأى تجديد؛ و تكاد تكون traditionalist تراثوى دائما كلمة نابذة.

انظر: LITERATURE أدب، MODERN حديث، STANDARDS معايير

## لاوعى UNCONSCIOUS

دخلت conscious وعى الإنجليزية فى أوائل ق١٧، من (س م) conscius، لاتينية، (س ب) con، لاتينية: معاً، scire، لاتينية: يعرف. معنياها المبكران ليسا مألوفين الآن: (١) معنى صعب التحديد يرتبط بنوع من "الأرواحية" توصف فيه الأشياء الجامدة بأنها واعية بالنشاط البشري: "من ثم إلى الأجمات وإلى الغياض الواعية conscious groves" (دنهام، ١٦٤٣)؛ "بالنسبة لهذه الصخور الواعية conscious stones كنا نحن الحاجّين فى نطاق معرفتها وعلى قرب منها"

(اميرسون عن ستون هنج،١٨٥٦)؛ (٢) معنى مماثل لمعنى كلمـــات الجــذر، أى معرفة شيء بالمشاركة مع آخر أو آخرين (قارن conscience ضمير، رغــم أن هذه تحركت بقوة نحــو PRIVATE خاص (ا م): "عندما يكون رجلان أو أكثر على علم بنفس الحقيقة فإنهم يعتبرون واعين Conscious بها وعيا مشــتركا" (هــوبز، ١٦٥١). لكن الكلمة اكتسبت معنى عاماً لشعور awareness بــأربع تحديــدات شائعة: (٣) واع بذاته: "كونى مدرك conscious فى ذاتى بضعفى العظيم" (أشر، ١٦٢٠)؛ (٤) متأمل وواع بطريقة فاعلة : "أن تكون ســعيداً أو بائســـاً دون أن تكون واعياً conscious بذلك يبدو لى مستحيلاً ومتناقضاً تماماً" (لــوك، ١٦٩٠)؛ (٥) ذاتــــى الوعى self-conscious المتضمنة معنى الزهو والتكلــف: "واعــين لدرجة قصوى too conscious بملامحهم" (بوب، ١٧١٤)؛ "الابتســـامة المتكلفــة conscious" (بوب، ١٧٢٨)؛ (٦) نشط ويقظ: "عندما كـــان فـــى النهايـــة واعيـــاً conscious" (ليتون، ١٨٤١). ميز معنى عام إضافى (٧) طبقة مـــن الناس كمـــا فى مفكرين أو عقلانيين: "أناس مفكرين أو واعين thinking or conscious" (واتس، ١٧٢٥). استعملت conscious شعور/وعى من وسط ق ١٧ حسب معانى (٢) و (٣) و (٤) ومن وسط ق ١٩ حسب (٦). تطور كذلك معنى جديد له صلة غيــر مباشرة بمعنى (٢) من وسط ق ١٩: consciousness تعبير يدل علـــى الشـــعور الذاتى المتبادل لمجموعـــة: 'national consciousness وعـــى قـــومي"، " class consciousness وعى طبقي".

من الضرورى فهم مجموعة معانى conscious وعى قبل تمكننا من فهـــم unconscious لاوعى الشائعة الآن. سجلت الكلمة من أوائل ق ١٨. فـــى قـــول بلاكمور: "unconscious لا واعين، لم نسمع تلك الحركات" كان المعنى بوضـــوح هو نقيض معنى (٤) وعلى الأرجح هذا ينطبق كذلك مع بعض التوسع فى المعنى على قول جونسون: "ربما قدم نوع من الإحترام بلاوعى unconscious" (١٧٧٩). بيتا الشعر من تأليف بلاكمور (١٧١٢) أكثر صعوبة كثيراً:

الدوافع اللاواعية unconscious تمنح بهدوء

مهارتها القصوى، تمارس قصارى سلطتها

يبدو أن المعنى المضمر هو "not known غير معلوم"، تقريباً بالمعنى اللاحق "not knowable غير قابل للمعرفة" بدلا من مجرد "ليس واعيا not aware". تبين استعمالات عند كوليردج بعض الصعوبة. مفترض أن يكون لـ " With forced unconscious sympathy مع تعاطف لا واع قسري"( كريستابل) المعنى العام لـ "unaware غير دار"، نقيض معنى (٤)، لكن يبدو أن إلحاق "قسري" يضيف، عن طريق إدراج لاشعور إكراهي، بعدا فيه عناصر من معنى لاحق. عندئذ يبدو أن عبارة "الوعي conscious مطبوع في اللاوعي the unconscious لدرجة أنه يتضح فيه" (١٨١٧) - على الأرجح هذا هو أول استعمال لعبارة اللاوعي the unconscious - تفيد وجود صنفين معتادين، وعي conscious ولا وعي unconscious، لكن مع أسبقية مهمة للأولى التى هى المصدر فى هذا المثال. كانت المعانى الجسدية لكل من conscious وunconscious تطورات من ق ١٩. فى استعمالات محدودة - "سقط مغشيا عليه unconscious" - المعنى ليس صعباً، بينما كان فى تطور السيكولوجيا فى ق ١٩ اهتمام متزايد بحالات عديدة غامضة حيث يصعب وضع حد فاصل بين حالات جسدية و أخرى سيكولوجية. قارن "نوم، إغماء، غيبوبة، صرع وحالات أخرى لاواعية unconscious" (وليام جيمز، ١٨٩٠). وضع آخر حاسم كان الحالة تحت التنويم المغناطيسي. استخلصت تفسيرات مختلفة جداً وخلافية لهذه الحالة وأصبحت conscious و unconscious كلمتين أساسيتين متقلبتين. علاوة على ذلك عرفت أنشطة جسدية كثيرة، ضمن الوعي consciousness المعتاد، على أنها لاواعية unconscious بمعنى جديد - كونها لا تتطلب مبادرة أو تحكماً واعياً أو على أنه ليس فى مقدورها فعليا القيام سواء بالمبادرة أو التحكم، كما فى عمليات جسدية أساسية معينة. لم يكن من العسير إلحاق هذا المعنى المحدد بمعنى (٤) ونقيضه.

ظهر المعنى الأصعب والمتطور عندئذ فى مؤلفات فرويد. هنـا للاوعـى unconscious ثلاثة عناصر: بالنسبة للعمليات (أ) مكبوتة repressed ديناميكيا من قبل الإدراك (الواعى conscious)؛ (ب) إمكانية جعلها واعية conscious (تقديمها للشعور والتأمل) فقط عن طريق تقنيات خاصة: تنويم مغناطيسى وتحليل نفسـي؛ (ج) عدم خضوعها للتحكم الإرادى، كما فى المعنى الجسدى الجديد السابق ذكـره، لكن دون القصور على الدوافع الجسدية. الجدل الذى يلى هذه التعريفـات واسـع وصعب جداً، لكن بالنسبة لتأثيره فى الكلمتين يمكن ملاحظة أن التعريفات الأصلية توحي بأن ما أصبح unconscious لا واعياً كان فـى وقـت سـابق conscious واعياً (لكن بطريقة مؤلمة جداً) وتدل على أن معنى unconscious كـ "غير قابل للمعرفة" يقتصر على الفرد المقصود؛ يمكن جعل لاوعـى unconscious وعيـاً conscious باستعمال مهارات معينة. بوضوح تصبح هذه المعانى الدقيقـة نسـبياً صعبة عندما تنتقل من تعميماتها كعمليات إلى حـالات عامـة: the unconscious اللاوعى وخصوصا العقل اللاواعى the unconscious mind. فـى الغالـب يـتم استبدال المعنى الديناميكى لشيء يُجعل لا واعيـاً، فى هـذه التعبيـرات العامـة، بافتراض وجود كائن أو عقـل لا واعـى unconscious رئيسـى ومسـتقل. ينطبق هـذا بشكل خاص على فرضية ينـج للاوعـى الجمعـى the collective unconscious التى بصفتها خصلة بشرية عامة تسبق (فـى الوقـت و الأهميـة) تطور consciousness وعى المعتاد. لكنه ينطبق أيضا على استعمالات أعم يعتبر فيها the unconscious اللاوعى ( ليس بالمعنى الجسدى لعمليات بدنيـة أساسـية و"قسرية" ولكن بمعنى توليد أفكار وأحاسيس أساسية) ليس أقـوى مـن النشـاط العاطفى والعقلى الواعى conscious فحسب وإنما بصفته مصدرها الحقيقـى (وإن كان ذلك فى العادة خفـيا). هذه كانت صيغة مؤثرة من صيغ المثاليـة IDEALISM (ا م).

الآن التداخل والتشويش بين المعانى المختلفة المتـأثرة بنظريـات مختلفـة عظيم. يدعم المعنى الأعم دعماً قويـاً شـعور (وعـى consciousness) متزايـد بالدوافع والاختيارات التى لم يكن المـرء مسـبقا واعيـا (conscious معنـى٤)

بهــــا أو أنــه لايزال لا واعياً (unconscious نقيض بسيط لمعنـــى ٤) بهـــا. ليس واضحاً إن أشار هذا إلى فرضـــية اللاوعـــى the unconscious أو العقــل اللاواعى the unconscious mind، لكن فى الواقع يصعب جداً، ضــمن التشــكيل اللغوي، التمييز بين: (١) تعميم مثل هذه الخبرات التى هى فى العادة مرحلة انتقال من unconscious لاوعى إلى وعـــى conscious، لكن فى هذا إشارة إلى بعض الفشل فى الانتقـــال؛ (٢) تجريد مثل هذه التحولات بحيث يمكن تصنيف حالتين: وعى ولاوعي؛ (٣) تشييء مثـــل هذه التصنيفات بحيث يعتبر (العقل) الــواعى the conscious و(العقل اللاواعي) the unconscious موجــودان فــى كيانــات جسدية أو كأشكال متميزة فى بنية عصبية أو حتى فى نظــام اجتماعي. فى بعض الأحيان تصبح الخطوتان (١) و (٢) سلماً متحركاً يهبط إلى (٣)، لكن مع ذلك هما بوضوح مستقلتان. كان هناك أيضا لبس فى العلاقة بــين unconscious لاوعـــى ودون الوعى subconscious التى دخلت الإنجليزية (على الأرجح أولا عنــد دى كوينسي) فى وسط ق١٩. تشمل sub كبادئة معنيى تحــت under وأســفل below مما يجعل الكلمة تتوافق مع كثير من معانى unconscious لاواعى اللاحقة. لكن لها أيضا معنى "بطريقة ناقصة" أو "بطريقة ليست تامة" مما يجعلها تتوافــق مــع معانى كثيرة للاوعى unconscious تســمح بانتقــال معتــاد بيـــن لاشـــعور unawareness وشعور awareness. فى نشر فرويــد لهــذه التعابير فـــى ق ٢٠ وبالتالى فى الاستعمال الشـــائع كانــت unconscious لاوعـــى ودون الــوعى subconscious مترادفتين. لكن قاومت ذلك مدرسة اعتمدت معنى "بطريقة ناقصة" أو "بطريقة غير تامة" إذ اعترضت على مفهوم الانتقال "المعتاد" وأصرت علـــى حيز لاوعى مكتمل يكون الانتقال منه مستحيلاً إلا بطرق خاصة؛ عندها عوملــت دون الوعى subconscious على أنها سوء فهم شائع. مع ذلك تبقى الكلمـــة فـــى الاستعمال العام بناء على المعنى الآخر، ما هو "أسفل" الوعي، وكذلك لأن الكثيــر ممن يقبلون، بناء على خبرة، معنى (١) للاوعى unconscious يجــدون أن دون الوعى subconscious (حتى أو خصوصا لتضمنها على تحولات "معتادة" قليلــة كانت أو كثيرة) تعبر عن هذا بطريقة وافية. ("لم أكن على علــم (معنـــى وعـــى

conscious ٤) بدافعي لفعل ذلك، لكن منذ ذلك الحين أصبحت واعيا (معنى ٤ conscious) لدافعي الحقيقي".) لكن ليس واضحا عندئذ إذا ما كانت إضافة "على الأرجح كان ذلك دون الوعي subconscious" تعني فقط كما هو بداهة "لم أكن عندئذ على علم به"؛ أو إذا ما كانت تشير إلى حيز لم يكن ممكنا معرفته (وهذا ما قد يتطلب فى نظريات كثيرة الكلمة الأوضح unconscious لا وعي) في تمييز لها عن غير معروف أو مدرك عندئذ لسبب قابل للاكتشاف (في تعارض مع فرضية اللاوعي the unconscious حيث تكمن طبيعيا مثل هذه الأسباب) .) يبدو أن اللبس بين unconscious لاوعي ودون الوعي يكرر إلى حد كبير الجدل حول unconscious لاوعي ذاته.

أدت المعاني المتخصصة في ق ٢٠ للاوعي unconscious إلى تفضيل النفي البديل not conscious ليس واعياً للمعاني المتبقية: معنى (٣) حسب الاستعمال العام ومعنى (٧) و، في بعض المجالات، معنى (٦).

انظر: PSYCHOLOGICAL سيكولوجي

## غير ميسور/مضطهد UNDERPRIVILEGED

يبدو أن underprivileged كلمة حديثة جداً، لكنها شائعة في الكتابات السياسية والاجتماعية. هي لافتة بشكل خاص بسبب المعنى الحديث الذى تطور في كلمة privilege (قارن PRIVATE خاص) كميزة أو حق خاص. صحيح أن المعنى المبكر كان لشرط قانوني يخص الفرد ومن ثم لحق معنى معين أو خاص private. يمكن عندئذ القول إن شخصاً ما غير ميسور underprivileged لحرمانه من مثل هذا الحق أو مثل تلك الحقوق. لكن كان معنى privileged (ذو إمتياز) السياسي والاجتماعي الحديث صريحاً بحيث أنه من المؤكد أن هذه ليست الطريقة التي تطورت فعلا بها underprivileged فاقد الإمتياز. يمكن إعتبارها، كما تستعمل أحيانا، كلمة مهذبة لفقير poor أو مضطهد oppressed. لكن ربما يكون قد حدث

شيء أكثر تعقيداً ضمن معنى مشوش - أحيانا متساهل وأحيانا أخرى مضلل - لامتياز privilege كحالة معتادة. قارن الغرابة اللفظية في الزعم بأننا "كلنا (أو كلنا تقريباً) من الطبقة الوسطى middle الآن". إذاً underprivileged هي حالة خاصة تدل على الذين يقعون تحت مستوى معتاد مفترض للحياة الاجتماعية. عندئذ تبرز المشكلة في فرضية ما هو المعتاد، آخذين في الاعتبار الاستمرار اللفظي لـ privilege التي يمكن أن يكون لـ underprivileged أثر في إبهام أو إلغاء معناها المحدد والتام الدال على ميزات اجتماعية.

كذلك قد يكون لاستمرار صيغ under "دون" أثر كبير في ذلك. قارن underdevelopment "تحت النمو/نامية" حيث الافتراض بنمو DEVELOPMENT معتاد دليل على اعتقاد إيديولوجي مشابه. هناك أيضا ضحية ظلم أو إضطهاد underdog، في العبارة اللافتة "تعاطف مع المضطهد underdog" كدلالة على العواطف الإنسانية بل حتى الإشتراكية، وهي صيغة مشابهة رغم تميزها في استعمالها الشائع منذ أواخر ق١٩. تكاد تمسك تماما بالجمع بين العطف على ضحايا نظام اجتماعي و الإيمان أو الإفتراض غير المعلن بأن مثل هذا النظام سيستمر أو يجب أن يستمر في البقاء.

انظر: CLASS طبقة، DEVELOPMENT تطور،
PRAIVATE خاص

## بطالة UNEMPLOYMENT

كان هناك جدل حول تاريخ كلمة unemployment منذ قال ينج إن "unemployment كانت أبعد من مجال أي تفكير يخطر على بال المصلحين الفكتوريين الأوائل و ذلك يرجع إلى حد كبير لعدم وجود كلمة لها ... لم ألحظها قبل الستينيات" (إنجلترا الفكتورية، ١٩٦٣). اعترض إي. ب. تومبسون على ذلك: "unemployed عاطل، the unemployed العاطلين و(إلى حد أقل)

unemployment كلها وجدت فى كتابات نقابات العمال والراديكاليين أو إتباع أوين فى عشرينيات وثلاثينيات ق ١٩ : يجب تفسير كبت و تحفظ "المصلحين الفكتوريين الأوائل" بطريقة أخرى (تكوين الطبقة العاملة الإنجليزية، هامش ص ٧٧٦، ١٩٦٣).

بالتأكيد تومبسون على صواب لكن التاريخ معقد. عاطل unemployed أكثر قدماً. استخدمت أولاً، من ق ١٦، لشيء لا يوضع موضع الاستعمال، لكن استخدمت للناس من ق ١٧ كما فى عبارة ملتون "rove idle unimploid عاطلون كسالى متسكعون" (١٦٦٧)، حيث المعنى هو عدم القيام بعمل شيء بدلاً من كون الشخص دون عمل، وهى واضحة بمعنى حديث فى مثال من ١٦٧٧: " فى إنجلترا وويلز مائة ألف فقير عاطل unemployed". المعنى المتطور مهم لأنه يمثل حصر الجهد الإنتاجى على العمل المأجور فى كلمة أخرى (قارن WORK عمل، job مهمة، LABOUR شغل) وهذا كان جزءاً مهما من تاريخ الإنتاج الرأسمالى والعمل المأجور. يمكن تتبع هذا التطور فى كلمات عدة قريبة. من ناحية تطورت INDUSTRY (ا م) من معنى خصلة عامة للجهد البشرى الكاد إلى معناها الحديث لمؤسسة إنتاجية. من ناحية أخرى فى ذلك الوقت طورت unemployed و idle، اللتان كانتا تعبيرين عامين لعدم الانشغال بأى شيء (رغم أن idle كان لها معنى أصلياً أشمل، من الإنجليزية القديمة، لتافه وعديم الجدوى)، معانيهما الحديثة: "دون عمل مأجور" أو "فى وظيفة ولكن لا يعمل". تطورت employ نفسها من معنى عام - "employed in affaires ينهمك فى أمور" (١٥٨٤) إلى معنى عمل مأجور منتظم: "public employ وظيفة عامة" (١٧٠٩)؛ "in their employ فى خدمتهم" (١٨٣٢). كانت هناك عبارة "سكرتارية و رجال موظفون Employed Men" عند بيكون (١٦٢٥)، ومن ق ١٨ كان لـ employer صاحب عمل/موظِّف (فى الأصل عادة تكتب implover) معناها الحديث؛ تبعت فى ق ١٩ employé موظف والأمريكية employee موظف. سجلت employ خدمة كاسم حالة من ق ١٧ ويمكن العثور على employ كتعبير اجتماعى مجرد من ق ١٨. يمكن العثور على كل من employ و unemploy كاسمى حالة مكتسبين معنى اجتماعياً عاماً ومجردا

من أواخر ق ١٨ وأوائل ق ١٩؛ التعبيران سبقا معادليهما الحديثين: employment توظيف/عمل و unemployment بطالة. هكذا كانت كل الكلمات الضرورية متوفرة بحلول أواخر ق ١٨ على الأقل وأصبحت شائعة من أوائل ق ١٩ فى دراسة حجم المشكلة الجديد و كذلك فى الطريقة التى اعتبرت فيها المشكلة حالة اجتماعية.

ترجع employ إلى (س م) employer، فرنسية، من الصيغة المنفعلة implicari، لاتينية: "منهمك في" أو "مرتبط بـ"، (س ب) implicare، لاتينية: يلف/ينطوى على ويتضمن (التى أعطتنا أيضاً كلمة imply يلمّح). كان معناها المبكر استعمال شيء (ق ١٥) أو استخدام شخص (ق ١٦) لغرض ما؛ كلا المعنيين لا يزال فعالا. كما لاحظنا، فى تاريخ العمل المأجور wage-labour تحول هذا إلى العمل بمقابل paid work. التفاعل مع idle لافت بشكل خاص. يمكن إيضاح المعنى العام فى استعماله بالنسبة للناس من عام ١٤٥٠ تقريباً:

دوماً للعبادة والتأمل

كان توجهها، ولم تكن أبدا ydel عاطلة (مهملة، متوانية).

لكن فى قرار ١٥٣٠-١٥٣١ نجد العبارة الدالة: "للقبض على المتسكعين والأشخاص العاطلين ydell المذكورين". استمر هذا الاستعمال لفترة، لكن لاحظ بيرن فى ١٧٦٤: "هم عاطلون idle بسبب عدم توفر عمل يستطيعون القيام به" – أى مفهوم unemployment بطالة بالمعنى الحديث. بوضوح يعتمد معنى unemployment الحديث (من أواخر ق ١٨) على فصله عن بعض معانى idle؛ تصف وضعا اجتماعيا بدلا من حالة شخصية (idleness عطل). كانت هناك مقاومة إيديولوجية قوية لهذا التمييز الضروري؛ هذا هو مغزى نقد تومبسون ليس فقط لتاريخ ينج ولكن لينج نفسه. لا تزال المقاومة نشطة، وبالنسبة للكلمات تتضح بشكل خاص فى استعمال idle فى تقارير الأخبار لوصف عمال فصلوا أو أغلقت أبواب عملهم أمامهم أو هم فى اضراب. بتضميناتها الأخلاقية الصريحة لابد وأن يكون لعاطل idle فى هذا السياق مقاصد ونتائج أيديونوجية. ترسخ فى العقل عبارة "ألوف العاطلين idle".

يرجع تاريخ التعبير المهم unemployable غير قابل للتوظيف - ليس ملائما للعمل employment بالمعنى الحديث- إلى أواخر ق ١٩.

يمكن إضافة ملاحظة عن dole "عون" الاسم الشائع لإعانة البطالة unemployment benefit أو تعويض عنها. كانت dole من ق ١٠ نصيباً أو جزءاً (من dal، إنجليزية قديمة) ومن ق ١٤ عطية طعام أو مال كصدقة. ليست هذه هى الطريقة التى قصد بها إعانة العاطلين لكن يبدو أنها فهمت بهذا الشكل.

انظر: CAPITALISM رأسمالية، LABOUR عمل، WORK عمل

## منفعي/نفعى UTILITARIAN

للكلمة utilitarian تعقيد واحد: كونها وصف لنظام فلسفى معين تم تبنيه فى الواقع بشكل واسع وإن دون الإشارة عادة إلى المسمى الرسمي. كذلك هى وصف لمجموعة محدودة من الميزات أو المصالح، عملية كانت أم مادية. قد يقول كثيرون إن لهذا المعنى المزدوج جذر واحد؛ وإن هذه نتيجة محتومة لنوع معين من الفلسفة المادية MATERIALIST (ا م). لكن utilitarian تشبه إلى حد كبير materialist كونها محملة بالتشهير من قبل مناوئيها بنفس مقدار كونها محملة بتبعات الافتراضات التى طرحتها. استعيرت الكلمة من utility منفعة/نفع/فائدة (من س م utilitas، لاتينية، س ب uti، لاتينية: استعمال) التى كانت فى الإنجليزية منذ ق١٤ بالمعنى العام لنفعية usefulness. بشكل رئيسى ينتمى فرز Utility منفعة كمقياس أساسى لقيمة كل شيء إلى الفكر الإنجليزى والفرنسى من ق ١٨. كانت أداة حادة تستخدم ضد تعريفات لغاية المجتمع تستثنى مصالح معظم الناس، أو حسب أحد المعانى كل الناس، مثل تعريفات للقيمة بناءً على نظام اجتماعى قائم أو حسب آلهة. كان مقياس القيمة هو عما إذا كان شيء ما مفيدا للناس، وكما تطورت الفكرة بشكل خاص عما إذا كان مفيداً للغالبية، "العدد الأعظم the greatest

number". استعملت utilitarian كوصف مقصود للمرة الأولى من قبل جيرمي بينثام: للتعبير عن اهتمام خاص فى ١٧٨١ ولتسمية، بالحرف الاستهلالى الكبير، "أساتذة (مبشرو) دين جديد" (١٨٠٢). كان الفعل "متوائماً مع مبدأ المنفعة utility ... عندما يكون الاتجاه فيه لزيادة سعادة الجماعة أعظم من أى اتجاه لتقليصها". فى الواقع كانت السعادة هى كلمة المفتاح فى هذا التنظيم، كما هى كذلك عند جون ستيورات مل (النفعية، ١٨٦١): "السعادة ... هى الشيء الوحيد الذى يمكن إعلانه غاية". لكنها فى الغالب تناوبت مع pleasure بهجة/متعة مما جلب الاعتراضات المألوفة ضد "المتعة"، خاصة متعة الآخرين، ونظرا لذلك ولتقلبها اعتبرها الجادون تافهة مما جعلها كلمة صعبة فى النقاشات المعقدة حول القيمة. علاوة على ذلك، ضمن التنظيم المنفعى utilitarian، أصبحت تطغى تعريفات محدودة بشكل دال للمنفعة usefulness – سواءً فى حصرها على الفرد أو على الطريقة العملية النشطة لكن المحدودة التى اعتبرها مل كافية فقط "لتنظيم مجرد جزء العمل business فى الترتيب الاجتماعي" – وتقلص من مفهومى كل من pleasure متعة وسعادة happiness. من المفارقة، أصبحت هذه هى الفلسفة المساندة للمجتمع الصناعى الرأسمالى INDUSTRIAL CAPITALIST SOCIETY والبيروقراطي.

لا صلة مباشرة للمعنى الآخر بذلك رغم أنه فى النهاية تأثر بالتطور الفلسفي. كتبت كولمان فى ١٨٥٩: "تحول من النظرة الرومانسية والرائعة إلى النظرة المنفعية utilitarian لهذه الشجرة"، والكلمات المستعملة فى كل من جانبى التمييز هامة على حد سواء. كان يكتب بطريقة معقولة جداً عن استعمالات uses شجرة معينة، لكن بحلول هذه الفترة كانت use فائدة/استعمال قد انحصرت بشكل كبير على إنتاج أشياء وسلع بحيث أن استعمالات أخرى للشجرة تطلبت الكلمتين المتخصصتين romantic رومانسى ورائع picturesque (كلاهما للأهمية مصطلح فني). يمكن القول إن الناس يستعملون use الأشجار للظل أو الوقاية أو للمشاهدة، بالإضافة إلى استعمالها use كأخشاب، لكن use، بمعناها الموجود المتعزز: يستهلك – ليست سهلة فى هذه المجموعة. ما تؤكده utilitarian منفعية بهذا المعنى الموضح هو انفصال بعض أنواع من النشاط عن أنواع أخرى.

انحصرت ART فن، تلك الكلمة العملية بشكل بارز، كجزء من نفس الحركة على نوع مختلف من النشاط ونوع آخر من السعادة أو المتعة: تأملية أو جمالية AESTHETIC (ا م). لذا الممارسة الطويلة لاستعمال using أشياء من أجل صنع/خلق أشياء أخرى حددها الغرض فى النوعين: أحدهما فن art والآخر نفع utility.

هذا هو التقسيم الذى يقوم عليه الإنتاج الرأسمالى حيث تتحول الأشياء إلى سلع. إنه التحول الذى حدث، مثلاً، فى "عصر جامعى الأموال النفعى utilitarian هذا" (١٨٣٩)، وحسب أحد المعانى هو تحول حقيقي. لكن كما هو الوضع بالنسبة لمادى materialist تجمعت واختلطت أنواع مختلفة من الاعتراض. استعمل كثير من معارضى utilitariamism النفعية و materialism المادية صعوبات هاتين الطريقتين فى النظرة إلى العالم، اللتين وجدنا فى الواقع قبولاً كبيراً، لمناصرة قيم متبقية لهما لها، حسب الترتيب الاجتماعى التقليدى أو اتباعاً لآلهة، أفضلية على "السعادة العظمى لأكبر عدد". وساندهم فى ذلك بطريقة مدهشة حصر utility النظرى والعملى على مجال الإنتاج الرأسمالى وعلى وجه الخصوص ساعدهم تحويل "السعادة العظمى لأكبر عدد" إلى مجال السوق market (بمعنى الكلمة "المتزايد التجريد" فى ق ١٩) المنظم الذى اعتبر مطية لتحقيق هذا الغرض النهائي. فى هذا السياق أصبحت utility، التى كانت فى الماضى مفهوما هاما، كلمة فيها توافق كما هى كلمة "تحط من القدر"، وكان لابد من العثور على مصطلحات أخرى تدعم مبدأ سعادة معظم الناس.

انظر: CONSUMER مستهلك، WELFARE رفاهية

## عنف VIOLENCE

تعتبر violence الآن كلمة صعبة لأن معناها الأساسي: اعتداء جسدى كما فى "سرقة بعنف violence"، لكنها تستعمل بشكل أعم بمعان ليس من السهل

تحديدها. لو اعتبرنا "اعتداء جسدي" على أنه معنى (١) فإنه بإمكاننا اعتبار معنى (٢) العام الصريح على أنه استعمال القوة المادية بما فى ذلك الاستخدام عن بعد للأسلحة و القنابل، لكن يجب عندئذ إضافة أن "العنف" محصور هنا على الأعمال "غير المخولة": عنف violence "الإرهابي" لكن ليس عنف الجيش (إلا من قبل المعارضين) حيث يفضل استعمال "قوة force" وحيث توصف معظم العمليات الحربية و الاستعداد لها بأنها "دفاع defence"؛ أو المعانى المشابهة المحازبة التى تشمل "وضع تحت القيد" أو "استعادة النظام" و"عنف violence البوليس". كذلك يمكن ملاحظة معنى بسيط نسبياً (٣) لا يمكن دائماً فرزه بدقة عن معنيى (١) و (٢) كما فى "العنف فى التلفزيون" التى يمكن أن تشمل تقارير أخبار أحداث العنف الجسدى بينما تدل العبارة بشكل رئيسى على العروض الدرامية لمثل هذه الأحداث. تظهر الصعوبة عندما نحاول تمييز معنى (٤) عنف violence كتهديد ومعنى (٥) عنف violence كسلوك طائش. معنى (٤) واضح عندما يكون التهديد بعنف جسدي، لكن تستعمل الكلمة فى الغالب عندما يكون التهديد الفعلى أو الممارسة الفعلية مجرد سلوك طائش. شملت الظاهرة المعروفة بعنف طلابى student violence حالات من معنيى (١) و (٢)، لكن بوضوح شملت كذلك حالات من معنيى (٤) و (٥). عندئذ يمكن للسلطة العاطفية للكلمة أن تكون مشوشة جداً.

هذا تعقيد مزمن. ترجع violence إلى (س م) violence، فرنسية قديمة، violentia، لاتينية: شدة/هيجان/، تهور/طيش، وترجع فى النهاية إلى (س ب) vis لاتينية: قوة. كان لـ violence معنى قوة جسدية فى الإنجليزية من أواخر ق ١٣ واستعملت فى الحديث عن ضرب قسيس فى ١٣٠٣. من نفس الفترة نسمع، فيما يبدو نبرة مألوفة، أن العالم فى حالة :

**من الدنس و الفساد**

**من العنف violence والاضطهاد.**

لكن هذا الاستعمال مثير للاهتمام لأنه يذكر بأن العنف يمكن ممارسته من جانبين، كما ألح ملتون فى حديثه عن تشارلز الأول: "حرب مضجرة على رعيته

حيث تفوق إلى الآن على عنفه violence وقت السلم" (١٦٤٩). كان هناك تداخل واضح بين violence عنف و violation انتهاك لبعض الأعـراف أو تعـد علـى منزلة عالية. هذا طرف من التعقيد. كذلك استعملت violence فى الإنجليزية، كما في اللاتينية، للشدة والهيجان: "صف لى بـأى حـدة violence أحبـت أول مـرة المغربي" (عطيل، فصل٢، مشهد١)؛ "شدة violence حيوية الحزب" (كـوليردج، ١٨١٨). كانت هناك ملحوظة لافتة فـى ١٦٩٦: "عنـف violence ... تسـتعمل مجازيا بالنسبة للأهواء والأغراض عندما تكون جامحة ولا يمكن التحكم فيها". إن تداخل هذا المعنى مع معنى القوة المادية هو الذى يسـبب الصـعوبات الحقيقيـة لمعنيى (٤) و (٥)؛ لم يسأ أبداً فى الواقع فهم هذا المعنى، كما يتضح فى "وقع فى الحب violently باندفاع". لكن لو قيل إن الدولة تستعمل القوة ليس فقـط بمعنيـى (١) و (٢) ولكن بشكل حاسم بمعنى (٤) - التهديد المضمر كنتيجـة لأى انتهـاك للقانون و النظام law and order كما يعرفان فى أى وقت معين أو فى أى مكـان معين - فإنه يمكن الاعتراض بناء على أن violence عنف هى الكلمة الخطأ ليس فقـط لأنها "مخولة" وإنما أيضا لأنها ليست "جامحة". فى نفس الوقـت يمكـن تهميش أسئلة عما ذا يكون "جامحا و طائشا" أو "لا يمكن التحكم فيه". إنه ضـمن مفهوم "جامح" وليس، رغم التحول فى الكلمة، مفهوم القوة المادية أن النقد اللفظى المسرف و الشديد (أو حتى المتطرف والملح) يسمى بشكل عام عنيفـاً violence، و الخطوتان التاليتان - تهديد تنظيم قائم وتهديد بقوة فعلية - تصبحان أحياناً سـلماً متحركاً نحو معنيى violence عنف الصريحين (١) و (٢).

إنها إذن بوضوح كلمة تتطلب تعريفاً محدداً من البداية إذا كان لها أن تتفادى (كما فى معنى إضافى لها (٧): التعدى على do violence to) انتزاعها من معناها أو دلالتها (من أواخر ١٦).

## غنى/ثروة/وفرة WEALTH

ربما صيغت كلمة wealth قياساً على health صحة، وترجع إلى الكلمتين القريبتين: well ظرف من (س م) wel أو well، إنجليزية قديمة و weal خير/رخاء، اسم من (س م) wela، إنجليزية قديمة. دلت على السعادة والرخاء لكن عند طلب الدقة يمكن أن تنحصر على إحداهما. المعنى الحديث واضح بقدر كاف:

تتوفر هنا ثروة welth كافية للكسب

لجعلنا أغنياء للأبد. (١٣٥٢)

لكن المعنى الأشمل واضح من الحاجة إلى تحديد معنى "ثروة welthe دنيوية" (١٣٤٠)، فقد ترجمت "ليس هناك امرؤ أسعد more happy" في ١٣٩٨ بعبارة "ليس هناك شخص أغنى more welth". في ١٤٥٠ تقريباً كانت هناك عبارة "بدونك لا أجد بهجة joy ولا سعادة welthe"، وعند وايات (١٥٤٤) كان معنى السعادة واضحاً: "حيث أن كل wo إنسان عنده شيء من السعادة". ترجع commonwealth إلى common weal و commonweal و common wealth وكان لها معنى خير أو رفاهية well-being الجماعة قبل أن تتطور إلى معنى خاص لكن قريب يدل على نوع من الترتيب الاجتماعي. ومع ذلك كان لا يزال ممكناً قول "من أجل إسعاد welth روحي" (١٤٦٣).

استعملت wealthy ثرى بالمعنى العام (من ق ١٤) حتى وسط ق ١٥ ويبدو أن حصرها على ثراء البلد سبق حصرها على غنى الفرد. من أواخر ق ١٦ استعملت wealth بمعنى سابق للدلالة على الوفرة: "وفرة wealth من سمك السلمون"؛ وفرة wealth من الأسئلة. اكتسبت الكلمة في ق ١٧ و ق ١٨ ليس فقط ارتباطاً أكثر وثوقا بالمال والممتلكات ولكن أيضاً معنى ثانوياً صريحاً بالانتقاص. سعى الاقتصاديون السياسيون بدءا بآدم سميث (الذى استعمل كعنوان لأشهر مؤلفاته العبارة المعروفة جيداً في ق ١٧: ثروة wealth الأمم) للتمييز بين ثروة الفرد و ثروة المجتمع. للأولى ارتباط واضح وكثيراً ما يكون ازدرانياً

بالممتلكات مما يتطلب تمييز الأخيرة كإنتاج: قارن "رجل ثــرى wealth عبــارة توحى بكمية ... مصدر ثروة wealth لا تشير إلى كمية لكن إلــى ... منتجــات products" (١٨٢١). لكن بشكل عام برزت wealth و wealthy بمعانى فردانيــة individualist و تملكية possessive مــع إشارة طاغية إلــى المــال. اســتعملت كلمات أخرى مثل resources موارد للمعنى الاقتصادى الآخر. تم فقدان أو نسيان معنى ســعادة و خيــر بحيث أن رسكن (*Unto this Last*، جـ٤) أجبر على ســك كلمة للتعبيرعن التعاسة والإهدار الذى نجم عن بعض أنواع من الإنتاج. أدى ذلــك الإنتاج إلى معنى wealth المحدد بينما كانت هناك حاجة إلى تعبيــر مقابــل: illth فقر وتعاسة. يستعيد هذا إلى الأذهان الصيغة الأصلية مهمــا تبــدو غريبــة الآن، وكانت هناك سابقة فى illfare ضراء (انظر WELFARE) التى اســتعملت من حين لآخر بين ق١٤ و ق١٧ و أحيــيت لفــترة قصيرة فى ق١٩ و ق٢٠.

انظــــر: COMMON عام/مشترك، WELFARE رفاهية

## رخاء/رفاهية WELFARE

كانت welfare فى الأصل عبارة wel fare، إنجليزيــة قديمــة، مــن well بمعناها الذى لا يزال مألوفاً و fare بشكل رئيسى رحلة أو وصول لكن لاحقاً زاد ومؤونة طعام. استعملت welfare بشكل عام من ق١٤ للدلالــة علــى ســعادة أو رخاء (قارن WEALTH ثروة): "ســعادة أو رخــاء welfare جيرانــك" (١٣٠٣)؛ "سعادة أو بؤس welfare or illfare المملكة ككل" (١٩٥٥). كــان هنــاك معنــى ثانوي، فى العادة ازدرائى فى الأمثلة المسجلة، للهو الصاخب: "كثير من الشــغب و اللهو welfare والطيش" (١٤٧٠)؛ "خمر و لهو كثيــر" (١٥٧٧). بــرز معنــى welfare الموسع كهدف للرعاية و التدبير المنظم فى أوائل ق٢٠؛ اكتسبت معظــم الكلمـــات الأقدم التى لها هذا المعنـــى (أنظـــر علـــى الخصـــوص CHARITY إحســـان) ارتباطات غير مقبولة. هكــذا تظهــر عبــارات: welfare-manager (١٩٠٤) مديــر نظـــام الرفاهيــة؛ welfare policy (١٩٠٥) سياســة رفاهيــة؛

welfare work (١٩١٦) عمل رفاهي؛ welfare centres (١٩١٧) مراكز رفاهيـــة. سميت دولة الرفاهية Welfare State أول مرة فى ١٩٣٩ فى تمييز لها عـــن دولـــة الحرب Warefare State.

انظـــــــــر: CHARITY إحســـان، UTILITARIAN منفعـــي، WEALTH ثـــروة

## غربى WESTERN

هناك الآن معان لافتة لغربى Western والغرب the West فى التوصـــيف السياسى الدولي. فى بعض الحالات فقد التعبير معناه الجغرافى لدرجة أنـــه يتـــيح وصف اليابان مثلا كمجتمع غربى أو غربى النمط. علاوة على ذلك، يتعرض the West الغرب (الذى يجب الدفاع عنه) إلى دلالات اجتماعية وجغرافية متقلبة. فـــى نفس الوقت، لاحظت إشارة إلى ماركسى ألمانى على أن لـــه إيـــديولوجيا شـــرقية Eastern.

التضاد West-East شرق–غرب، من الجغرافى إلى الاجتماعي، قديم جداً. ترجع صيغته الأوربية الأولى إلى تقسيم الإمبراطورية الرومانية من وسط ق٣ إلى West-East شرق وغرب. هناك تضاد ثقافى واضح جداً متبق من تقسيم الكنيســـة المسيحية فى ق١١ إلى Western غربية و Eastern شرقية. نبع هذه التقســـيمات الداخلية التى جرت ضمن عالم معروف ومحدود نســـبياً تعريـــف للغـــرب West كمسيحى أو يوناني–رومانى (ليس الاثنان دائماً متطابقين) فـــى تضـــاد مـــع East شرق معرف على أنه الإسلام أو بطريقة أشمل الأراضـــى الممتـــدة مـــن البحـــر المتوسط إلى الهند والصين. هكذا تم من ق ١٦ و ق ١٧ تحديد عـــالمين غربـــى Western وشرقى Eastern (أو Oriental مشرقي). بعد ذلك حدد تطور الجغرافيا المنهجية فى أوروبا شرقاً أدنى Near East (من البحر المتوسط إلى بلاد الرافـــدين) ومتوسطا Middle (فارس إلى سيلان) وأقصى (الهند إلى الصين)، وذلك بوضـــوح

طبقاً لوجهة نظر أوربية. أبطل تحديد عسكرى بريطانى قبل الحرب العالمية الثانية ذلك وجعل الشرق الأدنى متوسطاً Middle East كما هو شائع الآن. فى نفس الوقت كانت هناك فى أوروبا محاولات تقسيمها إلى شرق وغرب تكون فيها الشعوب السلافية شرقية Eastern. كان هناك استعمال مختلف، لكن له بعض الصلة بالمعنى، فى الحرب العالمية الأولى عندما كانت بريطانيا وفرنسا القوتين الغربيتين Western ضد ألمانيا وكانت روسيا على الجبهة الشرقية Eastern. فى الحرب العالمية الثانية كان الحلفاء الغربيون Western، بما فيهم الولايات المتحدة هذه المرة، مرتبطين بحليفهم الشرقى Eastern: الاتحاد السوفيتي. فى الواقع لم تكتسب شرق East وغرب West الوضع السياسى المعاصر حتى تقسيم أوربا بعد الحرب والحرب الباردة التى تلت ذلك بين هؤلاء الحلفاء السابقين، معتمداً بالطبع على بعض العوامل الجغرافية الواضحة و على بعض التصنيفات الثقافية السابقة (لكن المختلفة). ثم أتاحت طبيعة هذا التحديد توسع غرب West والغرب West the لتشمل مجتمعات نظام اقتصادى حر أو رأسمالية وبشكل خاص التوسع إلى تحالفات هذه المجتمعات السياسية والعسكرية (التى عقدت أحياناً الجغرافيا)، وأتاحت أيضاً توسع Eastern شرقي، وإن كان هذا إلى درجة أقل، إلى مجتمعات اشتراكية socialist أو شيوعية communist. (من ثم الوصف الغريب للماركسية، التى نشأت فى ماهى حسب أى تعريف أوروبا الغربية Western، بأنها إيديولوجية شرقية Eastern) يتم أحياناً الإقرار بالصعوبات الجغرافية الواضحة التى تنجم عن هذه التعريفات السياسية بشكل متزايد بعبارات مثل Western-style غربية الأسلوب أو غربية النمط Western-type.

بعد هذا التاريخ المعقد فإن مشكلة تعريف Western Civilization الحضارة الغربية، التى هى مفهوم رئيسى من ق ١٨ وبشكل خاص من ق ١٩، أصعب فى الغالب بكثير مما هى عليه فى الظاهر. من اللافت أن تحويل استعمالها الثقافى (روماني- يونانى أو مسيحي) إلى استعمال سياسى معاصر (the West الغرب) عقده إحلال North-South شمال-جنوب (مجتمعات واقتصادات غنية - فقيرة، صناعية - غير صناعية، متقدمة - نامية) محل West-East شرق-غرب،

وهذا حسب بعض الآراء تقسيم أهم للعالم. لكن بــالطبع لشــمال-جنــوب North-South، التى تطورت من صيغة اقتصادية وسياسية للتضــاد West-East شــرق-غرب بتعقيداتها الجغرافية.

انظـــــر: CIVILIZATION حضارة، DEVELOPMENT نمـــو

## عمل/شغل WORK

كلمة work هى الصيغة الإنجليزية الحديثة للاسم weorc، إنجليزية قديمــة والفعل wyrcán، إنجليزية قديمة. بصفتها الكلمة الأعم للدلالة علــى فعــل شــيء ولشيء أنجز عمله، فإن نطاق استعمالها بالطبع عظيم. ما هو لافت للغاية الآن هو حصرها السائد على شغل مأجور. هذا ليس حصراً تاماً فنحن ما زلنا نتحدث بشكل عادى عن working العمل فى الحديقة المنزلية. لكن لنأخذ مثالاً هاماً: امرأة نشطة تدبر منزلاً وتربى أطفالاً يتم تمييزها عن امرأة works تعمل - أى لديها وظيفــة مأجورة. مثال آخــــر: "بالمعنى الدقيق لم يعمل work أبــداً الإنســان الأول ... ظهر العمل work الفعلي، العمل المنتظم، الشغل من أجل كسب المعيشــة عنــدما اخترعت الزراعة" (١٩٦٢). بهذه الطريقة تم تعديل المعنى الأساسى للكلمة الــذى دل على نشاط أو مجهود أو إنجاز (رغم أن هذا التعديل اتســم بالتفــاوت وعــدم الاكتمال) بتحديد شروط العمل المفروضة مثل "الانتظام" وزمن العمــل أو العمــل مقابل أجر أو راتب: باختصار: مستخدم/أجير أو موظف.

هناك علاقة لافتة بين عمل work وشــغل LABOUR (ا م). لشــغل labour معنى قروسطيا صريحاً يدل على الألم و الكدح. اشتقت toil كــدح مــن (س ب) لاتينية تدل على التعكير/التحريك و السحق/التحطيم وبرزت أولا كمرادفــة لــبلاء trouble وشغب turmoil قبل أن تكتسب معناها كشغل شاق فى ق ١٤. لا تــزال labour و toil كلمتان أصعب من work، لكن تم اطلاق التسمية العامة labourers "شغيلة" من ق١٣ على العمال اليدويين، و labour شغل على مثل هذا العمل مــن

ق ١٧. كانت work لاتزال تستعمل لمعنى النشاط الأعم: "تباً لهذه الحياة الرتيبة، أحتاج worke عملا" (هنرى الرابع، جـ ١، فصل ٢، مشـهد ٤). لكـن الشـغيل labourer كان من ق١٤ أيضاً worker عاملا. برزت workman عامـل مـن الإنجليزية القديمة ولحقت بها من ق ١٧ workingman رجل عمل. كـان هنـاك حديث عن طبقة فعلية من قـوم عامل workfolk من ق ١٥ على الأقـل وعـن طبقة من شعب عامل workpeople من ق١٨: غالـباً، حسـب السـجلات التـى تحـت أيدينا، بنبـرة مألوفة: "لا يمكنك تصور كم هم مـن عصـابة وحـوش محتاليـن هؤلاء الناس العاملون work people هنا" (١٧٠٨). اعتمد حصر أحـد معانى working على working class طبقة عاملة من أوائل ق١٩ (انظر CLASS) على تعريفات "طبقة" الفعالة السابقة هذه.

إن حصـر work علـى الخدمـة employment المـأجورة (انظـر UNEMPLOYMENT بطالة) هو نتيجة لتطور علاقات الإنتاج الرأسمالية. أن تكـون فى عمل in work أو دون عمل out of work عنى أن تكون فى علاقة محددة مع طرف آخر له سيطرة على وسائل الجهد الإنتاجي. عندئذ تحول جزئياً عمل work من الجهد الإنتاجى ذاته إلى العلاقة الاجتماعية الطاغية. فقط بهذا المعنـى يمكـن القول بأن المرأة التى تدبر منزلاً وتربى أطفالاً لا تعمل not working. فـى نفـس الوقت يمكن القول، لأنه مازالت هناك ضرورة لمعنى الكلمة العام، بـأن شخصـاً يقوم بعمله work الفعلى منفرداً وأحياناً بمعزل تماماً عن وظيفتـه job (مهمـة). الوقت الذى تقضيه خارج وظيفتك المأجورة يسمى بطريقة دالـة: 'your own time وقتك الخاص" و"وقت حر free" و"holiday إجازة" (الكلمة القديمة ليـوم احتفـال ديني) و"وقت فراغ leisure". (ترجع leisure إلى الكلمة اللاتينيـة ليسـمح licere وعنت من ق١٤ فرصة أو وقتا حرا؛ من اللافت بالنسبة لحصـر work أن لـدينا الآن عبارة "نشاطات وقت الفراغ" التى غالبا ما تتطلب مجهوداً كبيراً لكنها لاتسمى work عملا لأن هذا الأخير مرتبط بوقتنا المأجور paid time).

ربما يكون تطور job (مهمة) أكثر أهمية. أصولها غامضة؛ كانت دائماً كلمة عامية بشكل طاغ. هناك معان مثل "كتلة lump" أو "piece قطعة" من ق١٤ و"cartload حمل كارة" من ق ١٦. لدينا من سنة ١٥٥٧ عبارة "certen Jobbes of woorke أجزاء معينة من العمل". برز معنى جزء محدود من العمل بوضوح في ق١٧، وأصبحت jobbing سمسرة/شغل أعمال متقطعة وjobber سمسار/شغال بالقطعة بمعاني لا تزال في اللغة تعني القيام من حين لآخر "بقطع عمل jobs of work صغيرة". نطاق استعمال الكلمة لاحقاً لافت جداً. سجلت في لهجة اللصوص من أواخر ق ١٨ ولا تزال فعالة بهذا المعنى. سجلت من وسط ق ١٧ في سياق المعاملة التفضيلية التي تنزع إلى الفساد والاحتيال؛ أما الآن فهذا المعنى قاصر على الكلمة jobbery. تمت سمسرة jobbed الأسهم من ق١٧ من قبل وسطاء وتجار لا يملكونها لكنهم كونوا ثروتهم منها. بالرغم من كل هذه المعاني برزت الآن job أيضاً كتعبير رئيسي وشبه شامل للوظيفة المعتادة. بحلول وسط ق٢٠ تمت فعلياً عملية الإحلال محل تعبيرات أقدم ليس في العمل اليدوي أو في تعامل الأسهم فحسب وإنما أيضاً في عمل سمي سابقاً situation موقع، position مكان، post منصب، appointment وظيفة ... الخ. لا يزال بالإمكان استعمال هذه الكلمات رسمياً لكن في الواقع يكاد كل فرد تسميتها jobs (من job وظيفة في الحكومة أو وزارة الخارجية – حيث يكون للناس careers مهن – إلى job شغل في حافلات أو في جامعة أو في موقع مبنى). ما حدث إذا هو أن كلمة اقتصر معناها على العمل المحدود والعرضي (كما هي متبقية بهذا المعنى في the price of the job ثمن المهمة؛ في ضوء تاريخ الكلمة قد يكون لافتا تسمية المقاولة من الباطن the lump الكتلة/القطعة) أصبحت الكلمة الشائعة للوظيفة المنتظمة والمعتادة. بالتأكيد نقول regular job عملا منتظما، لكن نميز أيضا a proper job عمل تقليدي ملائم عن jobbing: التنقل للقيام بأعمال متناثرة. مشكلة الأعمال jobs problem هي مشكلة وظيفة مأجورة منتظمة.

هناك صعوبة كبيرة في تعقب هذا التاريخ. هناك دليل على أن job طورت أولاً هذا المعنى الحديث في الولايات المتحدة. لكن الكلمة كانت دائماً وصفاً لقدر

معين من العمل من وجهة نظر الشخص الذى يقوم بـــه. حتـــى معـــانى الإجـــرام والفساد تحتوى على هذا العنصـــر الأساســـى قبـــل أن يلـــتقط آخـــرون الكلمـــة ويستعملوها، غالباً بطريقة أزدرائية. لا تزال work مهمة بطريقة أساسية وتعنـــى فى معظم الاستعمال اليومى إما labour شغل أو job مهمة. لكن ممارســـة كـــل أنواع العمل حددت بعض معانيها الإيجابية. لا تزال works أعمال فـــى الجمـــع حيادية، لكن "a work" نسبياً محترمة. أصبحت labour، التى كان معناهـــا العـــام عمل شاق أو صعب أو مؤلم، تعبيراً لسلعة وطبقة. بصفتها طبقة تم تبينها كتعبيـــر مقصود لحركة سياسية أكدت، ضمن أشياء أخرى، على dignity of labour شرف العمل. تفاعلت كل هذه التطورات وكثير منها لا يزال مهماً. لكن تظل تمضى فـــى أساس هذه التفاعلات هذه الكلمة الشعبية والعامية القصيرة: job بما لها من نطاق معانى عملى هام: قطعة عمل، نشاط مأجور، شيء يجب تصيده أو تعهيده أو القيام به بالإضافة إلى ممارسة العمل المعتادة.

# المراجع
# وبيليوجرافيا مختارة

***A New English Dictionary on Historical Principles.*** Ed. J. A. H. Murray, H. Bradley, W. A. Craige, C. T. Onions. Oxford 1884-1928. Corrected re-issue, with Introduction, Supplement and Bibliography, 13 volumes. Oxford, 1933.

***The Oxford Dictionary of English Etymology.*** Ed. C. T. Onions, with G. W. S. Friedrichsen and R. W. Burchfield. Oxford, 1966.

***A Dictionary of the English Language.*** By Samuel Johnson. 2 volumes. London, 1755.

***Webster's Dictionary.*** Ed. W. A. Neilson. Springfield, 1934.

***A Dictionary of Modern English Usage.*** By H. W. Fowler. Oxford, 1937.

***The Cambridge Bibliography of English Literature.*** Ed. F. W. Bateson. "Language": Vol. I, 24-48. *Supplement*, ed. G. Watson, 8-36. Cambridge, 1940; 1957.

***A Dictionary of American English.*** Ed. Craigie and Hulbert. 4 volumes. Chicago, 1938.

***Dictionnaire de la Langue Francaise.*** Ed. E. Littre. 7 volumes. Paris, 1956.

***A Dictionary of New English.*** Ed. C. L. Barnhart, S. Steinmetz, R. K. Barnhart. London, 1971.

***Harper Dictionary of Contempoary Usage.*** Ed. Morris. New York, 1975.

***Dictionary of the History of Ideas.*** Ed. P. P. Wiener. 4 volumes. New York, 1968-73.

**Barfield, O.** ***History in English Words.*** 2nd edition. London, 1954.

**Breal, M. Semantics: *Studies in the Science of Meaning*.** London, 1900.

**Empson, W. *The Structure of Complex Words*,** London, 1951.

Ohman, S. "Theories of the Linguistic Field" in ***Words***, IX (123-34), 1953.

Spitzer, L. ***Essays in Historical Semantics***. New York, 1948.

Stern, G. ***Meaning and Change of Meaning with Special Reference to the English Language***. Goteberg, 1931.

Trier,J. ***Der Deutsche Wortschatz in Sinnbezirk des Verstandes***. Heidelberg, 1931.

Ulman, S. ***Principle of Semantics***. Glasgaw, 1957.

Volosinov, V. N. ***Marxism and the Philosophy of Language***. New York, 1973.

Anderson, P. "The Antinomies of Antonio Gramsci" in ***New Left Review***, 100, 1976-7.

Bell, D. "Sociodicy" in ***American Scholar***, XXXV, 4, 1966.

Bestor, A. E. "The Evolution of the Socialist Vocabulary" in ***Journal of the History of Ideas***, Vol.IX, 3 (259-302), 1948.

Bezanson, A. "Early Use of the Term Industrial Revolution" in Quarterly Journal of Economics, Vol. XXXVI (343-9), 1922.

Briggs, A. "The Language of 'Class' in Early Ninteenth-Century England" in ***Essays in Labour History***, ed, Briggs. A. and Saville, J. London, 1960.

Briggs, A. "The Language of 'Mass' and 'Masses' in Nineteenth-Century England" in ***Idealogy and the Labour Movement***, ed. Martin and Rubinstein. London, 1979.

Bury, J. B. ***The Idea of Progress***. London, 1920.

Clark, G. N. ***The Idea of the Industrial Revolution***. Glasgaw, 1953.

Collingwood, R. G. ***The Idea of Nature***. Oxford, 1945.

Danby, J. F. ***Shakespeare's Doctrine of Nature***. London, 1949.

Debray, R. ***Le Pouvoir Intellectuel en France***. Paris, 1979.

Eichner, H. ***"Romantic" and its Cognates: the European History of a Word.*** Toronto, 1972.

Erametsa, E. A ***Study of the Word "Sentimental" and of Other Linguistic Characteristics of the Eighteenth-century Sentimentalism in England.*** Helsinki, 1951.

Febvre, L. "Capitalism et Capitaliste" in ***Annales d'Histoire Sociale.*** Paris, 1939.

Ferrara, F. The ***Origin of the Decline of the Concept of "Literature". Annali,*** Istituto Universitario Orientale. Napoli, 1973.

Frankfurt Institute for Social Research. ***Aspects of Sociology.*** London, 1973.

Goldmann, L. ***Towards a Sociology of the Novel.*** London, 1975.

Hill, C. ***Change and Continuity in Seventeenth-Century England.*** London, 1974.

Kroeber, A. L. and Kluckhohn, ***Culture: a Critical Review of Concepts and Definitions.*** Papers of the Peabody Museum of American Archaeology and Ethnology, vol. 47. Harvard, 1952.

Lovejoy, A. O. ***Essays in the History of Ideas.*** Baltimore, 1948.

Lukes, S. ***Individualism.*** Oxford, 1973.

Meckeon, M. Review of ***Keywords*** in ***Studies in Romanticism,*** Vol. XVI, 1977.

Naess, A., with Christophersen, J. and Kvalo, K. ***Democracy, Idealogy and Objectivity.*** Oslo, 1956.

Nelson, B. "Sciences and Civilizations, 'East' and 'West'" in Boston ***Studies in the Philosophy of Science,*** XI, 1974.

Panofsky, E. "Artist, Scientist, Genius" in ***The Renaissance: Six Essays.*** New York, 1962.

Panofsky, E. "The History of Art as a Humanistic Discipline" in ***The Meaning of the Humanities.*** Princeton, 1938.

Popper, K. R. ***The Povert of Historicism.*** London, 1957.

Schacht, R. ***Alienation.*** **London,** 1971.